ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⴰⵎⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ
ⵜⴰⵢⵄⵓⵍⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵉⵜ ⴰ ⵜⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵜⵉⵀⵣⵉⵏⵉⵏ
ⵙⴰⵢⵙ - ⴼⴰⵙ
Royaume du Maroc
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Saïs –Fès

المملكة المغربية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس – فاس

مركز دراسات الدكتوراه: "اللغات والتراث والتهيئة المجالية"

تكوين الدكتوراه: التاريخ والتراث

محور: التاريخ

مختبر: العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية في موضوع:

الرابطة اليهودية العالمية ومؤسساتها المدرسية بالمغرب

1956-1860

إعداد الطالب الباحث: عبد الإلاه لعرج

رقم التسجيل: 236CED/14

الأستاذ المشرف: د. محمد حاتمي

تاريخ المناقشة : 2021/06/08

لجنة المناقشة:

- الدكتور: لحسن أوري (كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس) / رئيسا.
- الدكتور: سيدي محمد الكتاني (كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس) / عضوا.
- الدكتور: ميمون أزيزا (كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس) / عضوا.
- الدكتور: محمد حاتمي (كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس) / مشرفا.

السنة الجامعية: 2020-2021

لائحة الاختصارات	
(J.D.C.): Joint Distribution Committee.	لجنة التوزيع المشتركة.
(A.A.I.U.): Archives de l'Alliance Israélite Universelle.	أرشيف الرابطة اليهودية العالمية.
(A.A.J.D.C.): Archive of the American Jewish Joint Distribution Committee.	أرشيف لجنة التوزيع المشتركة لليهود الأمريكيين.
(A.A.E.A.I.U.): Association des Anciens Elèves de L'Alliance Israélite Universelle.	جمعية قدماء تلامذة مدارس الرابطة اليهودية العالمية.
(A.I.U.): Alliance Israélite Universelle.	الرابطة اليهودية العالمية.
(A.J.A.): The Anglo-Jewish Association.	الجمعية الأنجلو يهودية.
(B.A.I.U.): Bulletin de l'Alliance Israélite Universelle.	نشرة الرابطة اليهودية العالمية.
(B.O.): Bulletin Officiel.	الجريدة الرسمية.
(B.D.B.J.): Board of Deputies of British Jews.	مجلس نواب اليهود البريطانيين.
(B.I.A.I.U.): Bulletin intérieur de l'Alliance Israélite Universelle.	النشرة الداخلية للرابطة اليهودية العالمية.
(C.A.D.N.): Centre des Archives diplomatiques de Nantes.	الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي بنانط.
(C.A.I.U.): Les Cahiers de l'Alliance Israélite Universelle (Paix et Droit).	دفاتر الرابطة اليهودية العالمية.
(D.E.J.J.): Département Educatif de la Jeunesse Juive.	الدائرة التربوية للشباب اليهودي.
(E.N.H.): Ecole Normale Hébraïque.	المدرسة العبرية العادية بالدار البيضاء.
(E.N.I.O.): Ecole Normale Israélite Orientale.	مدرسة تكوين المعلمين الإسرائيلية الشرقية بباريس.
(K.H.): Keren Hayesod.	صندوق مؤسسة فلسطين.
(K.K.L.): Keren Keyemeth Leyisael.	الصندوق القومي اليهودي.
(O.R.T.): Organisation Reconstruction Travail.	منظمة إعادة الاعتبار بالعمل.
(O.S.E.): Œuvre de Secours aux Enfants.	منظمة إغاثة الأطفال.
(O.S.M.): Organisation sioniste mondiale.	المنظمة الصهيونية العالمية.

مقدمة.

دخلت الجماعات اليهودية في العالم الغربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر في زمن ترسخت فيه القيم التي نادت بها الثورة الفرنسية تحت يافطة الحرية والمساواة والإخاء، وفُعلت في شكل منظومة متجددة للقوانين والضوابط ارتقت بالإنسان إلى مرتبة المواطن الذي ينعم بالحقوق ويلزمه الانضباط للواجبات، حيث عرفت الجماعات اليهودية المندمجة نقلة نوعية

في تطويرها لنفسها وفي علاقتها بالدول، والحق إن الثورة الصناعية فضلا عن توسيعها لآفاق الارتقاء والحركية الاجتماعيين وضربها للتراتبيات الوسيطية، سمحت لفئات عريضة من المتعلمين اليهود من تبوؤ أماكن متميزة داخل الأوساط السياسية والاقتصادية والفكرية والفنية، وامتدادا لذلك داخل المجامع الرأسمالية والامبريالية، وقد تبين للعديد من المثقفين اليهود أن الاندماج الحقيقي لليهود في مجتمعات تغلب عليها الثقافة المسيحية، رهين بالتميز في المجالات التي لا تستدعي الاعتماد على فئات بعينها أو الارتكاز على الأصول والأنساب والمعاهدات والتحالفات المالية والمصلحية، وغني عن البيان أن التعليم يمثل المصعد الرئيسي للارتقاء بنفس قدر تأثيره على المدى المتوسط والبعيد على العقليات. والحال إن المدرسة تحولت إلى مؤسسة علمانية تكون فئات عريضة من المتعلمين، وتدفع بالمتميزين من هؤلاء نحو المعاهد الكبرى التي تحولت إلى مزود للنخب المدنية والعسكرية.

تمسك اليهود بهذه المعتقدات الجديدة، لأنها لامحالة تصب في صالحهم باعتبارهم كما يؤمنون أقلية «مضطهدة» سجينة الغيتو منعدمة الحقوق. إن توسع دائرة غزو المثل الجمهورية للعقول والقلوب فتح آفاقا رحبة لاستفادة اليهود على المستوى الحقوقي والاجتماعي والاقتصادي، وسرعان ما رأى المتنورون منهم ضرورة تصدير وتعميم هذه المكتسبات على باقي بني ملتهم خاصة أولئك الذين لم تطلهم رياح التغيير والمبادئ الكونية للثورة الفرنسية، واستحدثوا لتحقيق هذه الغاية مجموعة من المؤسسات وأهمها الرابطة اليهودية العالمية، هدفها هو الدفاع عن اليهود وتوفير سبل الارتقاء والتطور والتحديث، عبر خلق شبكة من المدارس على شاكلة المدارس العمومية الفرنسية ومن مميزاتها مخالفة طبيعة ونهج المدارس الحاخامية التقليدية السائدة.

اتخذت الرابطة اليهودية من المغرب منطلقا لتحقيق أهدافها، ومستقرا لأكبر عدد من المدارس التي كانت جزءا من شبكتها المدرسية بحوض البحر الأبيض المتوسط والعالم ككل، وشكلت الجماعات اليهودية نموذجا للأقلية اليهودية التي تحيا في ظل التقاليد ولأجلها، وأنه لا سبيل لتطورها وانفتاحها دون تدخل إخوانهم اليهود الغربيين، مستعينين بمظلة الحماية الدبلوماسية للدول الغربية التي كانت فرنسا آنذاك من بين أكثر الدول نفوذا فيه، إلى جانب كل من إنجلترا وإسبانيا.

انطلاقا من هذه الاعتبارات يأتي اهتمامنا بموضوع: **«الرابطة اليهودية العالمية ومؤسساتها المدرسية بالمغرب 1860-1956»** وفق تحديد زمني له ما يبرره، إذ يمثل عام

1860 سنة تأسيس الرابطة اليهودية العالمية، ليليها تأسيس أول نواة مدرسية لها بمدينة تطوان سنة 1862، وصولا إلى سنة 1956 أي سنة الإعلان عن استقلال المغرب ودخول الشبكة المدرسية للرابطة في طور الأفول بسبب عوامل متصلة بتأميم مدارسها، وهجرة اليهود تحت تأثير النشاط القوي للحركة الصهيونية، وعدم قدرتهم على الاندماج في المجتمع المغربي المستقل بعد خروج فرنسا وتأسيس دولة إسرائيل.

يسعى هذا البحث إلى تقديم أهم المراحل وتوثيق المحطات التي أسست لمنظمة الرابطة، ومؤسساتها التعليمية المنبثة في المغرب، انطلاقا من سنة 1862، ومنه تأتي الحاجة إلى البحث عن مؤشرات، وإيديولوجية، وآليات عمل هذه المنظمة بالمغرب في علاقتها بالجماعات المغربية اليهودية من جهة، وفي علاقتها بمؤسسة الحماية والحركة الصهيونية العالمية من جهة أخرى. ثم إبراز عوامل الجذب والنفور تجاه الحركة الوطنية، مع استحضار حصيلة العمل التربوي والتعليمي المقدم من طرفها بالنسبة للمغاربة اليهود. وفق منظور تأريخي يتخذ من منظمة الرابطة اليهودية العالمية أرضية أساسا للبحث، وسبر جانب من جوانب تاريخ الجماعات اليهودية بالمغرب، سواء من باب علاقتهم مع إخوانهم الغربيين، في شخص المنظمة أم في علاقتهم بالمحيط الذي يحيون فيه.

لقد تحكمت العديد من الاعتبارات في اختيار هذا الموضوع، فمنها ما هو موضوعي وما هو ذاتي؛ فالموضوعي يتجلى في النقص الحاصل في البحوث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع من قبل المغاربة والعرب على حد سواء، وافتقار المكتبة المغربية لمثل هذه الأعمال، إذا استثنينا الدراسات الأجنبية المضيئة (فرنسية وإنجليزية على الخصوص)، فإن مايقابلها باللغة العربية، يظل معدودا، إلا ما تخللته أعداد من الأطاريح والمقالات المحدودة، التي تتناول تاريخ الجماعات المغربية اليهودية من زوايا مختلفة ومتعددة، تحتل فيها طبيعة العلاقات المنسوجة بين اليهود والمسلمين، خاصة خلال فترة الحماية، النصيب الأوفر، أو تلك التي تتناول جماعة من الجماعات داخل رقعة جغرافية معينة تعرض فيها للتراث اليهودي المغربي ومدى تطوره في ظل الحماية؛ أما الذاتي فإن للموضوع جاذبية وسحرا دفعاني إلى دخول ميدان البحث في هذه المنظمة التي وضعت حجر الأساس للتعليم اليهودي الحديث، وجعلت منه مدخلا رئيسا لأي تغيير أو تحديث منشود، إضافة إلى الاحتضان الذي لقيته من قبل أستاذي المشرف الدكتور محمد حاتمي الذي أنجز أطروحة دكتوراه الدولة بعنوان: **«الجماعات اليهودية والخيار الصعب بين نداء**

الوطنية ورهان المغرب المستقل 1948-1961» وقد أصبحت مرجعية لا غنى عنها لأي باحث في تاريخ الجماعات المغربية اليهودية، ومن ثم كان لهذين الاعتبارين الأثر العميق في خوض مغامرة هذا البحث الذي لم يخل كغيره من مشقة جمع المادة من مصادر متعددة رغم أن أغلبها تتضمنه وثائق ومنشورات الرابطة اليهودية بمكتبتها الأم بباريس.

إن غايات الدراسة هي تحليل الأنشطة التعليمية والاجتماعية والسياسية للرابطة داخل الجماعات المغربية اليهودية وتوثيقها، بما أنها شكلت ذلك التنظيم المدافع عن المصالح والحقوق اليهودية، مستفيدة من دعم وقوة العالم المتحرر، بعد أن خلصت إلى أن هذا الأمر لن يتأتى إلا إذا تم إحداث قدر من التغيير العميق في الجسم والوسط اليهودي نفسه، من خلال تبني المؤسسات التعليمية التي كانت بمثابة الأداة التي من خلالها تستطيع غرس القيم والمبادئ الغربية المجسدة إجمالا في مبادئ الثورة الفرنسية عبر تبني أنموذج المدرسة الفرنسية شكلا ومضمونا.

انطلاقا من هذا، انبنت الإشكالية المركزية لموضوع البحث على ماهية الأسس الفكرية والدوافع الموضوعية المؤسسة لمثل هذه المنظمة، وطبيعة الأسس والحدود التي رسمتها الرابطة لتأطير علاقاتها، سواء في مجال وموقع الفعل أم مع البنية السياسية للدولة، الثابت منها (مخزن- حركة وطنية) والطارئ (حماية- حركة صهيونية).

ولمقاربة هذه الإشكالية حاولنا الإجابة على عدد من الأسئلة الجوهرية التي سنعرض لها على الشكل التالي:

- ❖ كيف استغلت الرابطة جانب التعليم للدفاع عن الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية، ورسم مسار التطور والتحديث؟ وما الآليات المعتمدة في ذلك؟.
- ❖ على أي أساس نسجت علاقتها مع مؤسسات الحماية الفرنسية بعد سنة 1912؟.
- ❖ ما هي أبرز المطالب التي رفعتها الرابطة خلال فترة الحماية الفرنسية؟.
- ❖ ما موقف الرابطة من الفكرة الصهيونية الداعية إلى تأسيس وطن قومي لليهود بفلسطين، المخالفة تماما لفكرة الاندماج التي قامت عليها؟.
- ❖ كيف تعاملت الرابطة مع مطالب نخبة الحركة الوطنية الساعية إلى تحقيق الاستقلال؟ وحدود التجاوب والنفور بينهما؟.

❖ إلى أي حد استطاعت الرابطة تحصيل ثمار عملها داخل الجماعات المغربية اليهودية؟.

إلى هنا، يصل بنا الحديث عن المادة العلمية المعتمدة في مقاربة الموضوع ضمن الإشكالية المطروحة التي لا نزعم أن إجاباتنا المقدمة عنها شاملة ووافية، إنما هي مبنية على المادة المصدرية التي بلغها الجهد، وبصرت بها العين، وطالت إليها اليد. إذ لم يكن الوصول إليها وانتقاؤها بالأمر الهين، خاصة فيما يتعلق بوثائق أرشيف الرابطة اليهودية العالمية بباريس التي كتبت في مجملها قبل سنة 1912 بخط اليد، مما يزيد من صعوبة أمر قراءة هذه الوثائق، ويضاعف مشقتها، فضلا عن عملية تصنيف، وتبويب، وترتيب المادة العلمية كرونولوجيا وموضوعاتيا.

يوفر أرشيف الرابطة مادة أساسا للبحث في تاريخ الجماعات اليهودية كيفما كان الجانب المراد تناوله، فهو لا يحتوي على المعلومات المتعلقة بالمنظمة ومؤسساتها المدرسية بمختلف البلدان فقط، بل يعتبر مصدرا قيما للإطلاع على الحياة اليهودية بالغيتوهات الشرقية، وبملاحات شمال إفريقيا، بحيث يضم مختلف التقارير والرسائل المتعلقة بمعاداة السامية والسكان غير اليهود، والتنافس الاستعماري بين القوى الكبرى، وعلى مسألة تطور العادات والتقاليد في البلدان المعنية.

يشكل مخزون أرشيف الرابطة الأساس الذي انبنى عليه عملنا، وهو مقسم بشكل موضوعاتي إلى عدة أقسام: فالقسم (C) و(F) يضم كل الأمور المتعلقة بالجانب السياسي للرابطة، وهو قسم غير مرتبط بمجال بحثنا. في حين يضم القسم (B) و(E) كل ما يتعلق بالمدارس والجماعات اليهودية، ويقدم صورة واضحة عن العمل التربوي للرابطة، بالإضافة إلى بيانات مهمة عن الجماعات المغربية اليهودية. لكن على الباحث توخي الحذر في توظيفه لهذه الوثائق، لأنها تتضمن معلومات موضوعية وتحاليل تختلط بآراء شخصية.

عززنا عملنا هذا بعدد من الوثائق المستقاة من الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي بنانط (Nantes)، إلا أن الوثائق التي حصلنا عليها لم تخرج إجمالا عن نطاق ما وفرته وثائق أرشيف الرابطة اليهودية العالمية بباريس، وهذا لا ينفي القيمة المضافة لها.

وفي الإطار نفسه، كان لا بد من الوقوف عند مجموعة من الدراسات التي تم نشرها، وتتميز بصلتها الوثيقة بالموضوع. وقد ساعدتنا على تتبع المسار الكرونولوجي لتأسيس منظمة

الرابطة اليهودية، وأهم الأحداث التي عايشتها وكانت طرفا فيها، إذ ساعدتنا هذه المؤلفات في تكوين تصور واضح عن أهداف المنظمة وغاياتها، ومكنتنا من الإلمام بطبيعة الجماعات اليهودية بالمغرب وبمستوى التطور الذي عرفته في ظل الوصاية الثقافية والتربوية للرابطة، وأهمها:

- كتاب نرسيس ليفين، **«خمسون سنة من التاريخ: الرابطة اليهودية العالمية (1860-1910)»**[1]، وهو عبارة عن كتاب يخلد للذكرى الخمسين لتأسيس الرابطة اليهودية العالمية سنة 1910 حيث كان ليفين بعمر السابعة والسبعين. وقد ضَمّن المجلد الأول، التاريخ العام للرابطة سواء من ناحية تأسيسها وتطورها، والتدخلات المستمرة لصالح اليهود المضطهدين. وقد صدر الجزء الأول منه سنة 1911، وكان من المرتقب إصدار الجزء الثاني سنة 1914. لكن ظروف الحرب العالمية الأولى أخرت ذلك إلى سنة 1920، والكتاب صيغ في مجمله بمساعدة جورج ديلاهاش Georges Delahache وهو مؤرخ مهتم بتاريخ الألزاس وكاتدرائية ستراسبورغ، وينتهي الحديث إجمالا سنة 1910 التي توافق الذكرى الخمسين لتأسيس الرابطة، ولا يتضمن أية إشارة إلى الأحداث التي بدأت تهز العالم بعد ذلك.

- كتاب أندري شوراقي، **«الرابطة اليهودية العالمية والنهضة اليهودية المعاصرة 1860-1960: مئة سنة من التاريخ»**[2]. صدر هذا الكتاب بمناسبة الذكرى المئة لتأسيس المنظمة، وقد جاء في تصميمه على غرار الكتاب الذي ألفه سلفه نرسيس ليفين، وهو بمثابة تتمة لكتاب هذا الأخير، يرصد فيه أهم الأحداث التي ميزت الخمسين سنة الأخيرة من حياة اليهود دوليا، وفق منظور تاريخي شامل يعرض لمئة سنة من تاريخ الرابطة، ضَمّنه الكاتب الأحداث المهمة والرجال العظام الذين كان لهم الفضل في خروج هذه المنظمة إلى حيز الوجود، أولهم أدولف كريميو الذي ترأس الرابطة لمدة عشرين عاما، وكان لنشاطه الدؤوب تأثير عميق ليس فقط في أوروبا الغربية، بنضاله ضد معاداة السامية السياسية، ولكن أيضا في أوروبا الشرقية والبلقان والعالم الإسلامي، حيث كان يعمل بشكل فعال لصالح الانعتاق، أو على الأقل لحماية الأقليات اليهودية المضطهدة. ثم يأتي نارسيس ليفن Narcisse Leven الذي يعد المنظم الحقيقي للشبكة المدرسية للرابطة، وتعد تجربته فريدة من نوعها حيث وجدت العديد من المدارس في حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى. أما الشخصية المركزية الثالثة فهي سيلفان

---

[1] - Narcisse Leven, **Cinquante ans d'histoire: L'Alliance Israélite Universelle (1860-1910)**, T 1 et T 2, Félix Alcan, Paris, 1911/1920.

[2] - André Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine 1860-1960: Cent ans d'histoire**, Presses Universitaires de France, Paris 1965.

ليفي، الذي ترأس الرابطة في السنوات الصعبة أي فترة ما بين الحربين، عندما اندلعت الأزمة اليهودية الأوروبية وعواقب الحرب العالمية، وخاصة الأزمة اليهودية الأوروبية في مواجهة اضطهاد هتلر.

- كتاب ميكائيل لاسكيي، **«الرابطة اليهودية العالمية والجماعات اليهودية بالمغرب: 1862- 1962»**[1]. يعد هذا الكتاب أول الأعمال التي اهتمت، على نحو شامل، بأنشطة الرابطة اليهودية في المغرب، وهو كتاب لا يقدم فقط تحليلا للأنشطة التربوية والثقافية والسياسية للرابطة وسط الجماعات المغربية اليهودية، ولكنه يتطرق أيضا لمسائل أكثر اتساعا تتعلق بالسياسة المخزنية والعلاقات بين المسلمين واليهود. في حين ينقسم تسلسل الكتاب الزمني إلى ثلاثة أجزاء: فترة ما قبل الاستعمار، والحماية، ثم الاستقلال. ويناقش كل قسم التأثيرات الاجتماعية والثقافية للمنظمة في المغرب، بحيث تساهم دراسته في فهم أفضل للمغاربة اليهود، كأكبر جالية يهودية في العالم وكمجموعة عرقية رئيسة في المجتمع الإسرائيلي اليوم. وهو أمر لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ الرابطة بالمغرب والعلاقات بين اليهود والمسلمين.

- كتاب أندري كاسبي، **«تاريخ الرابطة اليهودية العالمية منذ 1860 حتى يومنا هذا»**[2]، جاء هو الآخر بمناسبة الذكرى المائة والخمسين لتأسيس الرابطة اليهودية، ويتميز بكونه عملا جماعيا ودوليا استهوى الباحثين الفرنسيين والأمريكيين والإسرائيليين بغية إلقاء ضوء جديد على فترات لا تزال معتمة في تاريخ الرابطة، مثل فترة حكومة فيشي، أو الفترة التي تلت إنشاء دولة إسرائيل. ويحتوي على ملاحظات تهم تفاصيل الأشخاص والمؤسسات ذات الصلة بالرابطة أو القريبة منها.

- كتاب حاييم الزعفراني، **«التربية اليهودية في بلاد الإسلام: التدريس التقليدي للغة العبرية واليهودية في المغرب»**[3]، يعطي هذا العمل صورة واضحة عن التعليم التقليدي كما كان يُمارس لقرون في الوسط اليهودي المغربي، وكأقلية يجب عليها قبل أن تحافظ على أصالتها أن تهتم في المقام الأول بنقل المبادئ والتقاليد التي تقوم عليها إلى جميع أعضائها، ولكن هذا التعليم شبه الكوني مخصص للذكور؛ أما الإناث فلم يكن لديهن إمكانية الوصول إليه، وكان تعليمهن يقتصر على ما تلقينه في المنزل. كما حرص المؤلف على تحقيق نوع من المقارنة بين

---

[1] - Michael M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle and the Jewish Communities of Morocco: 1862-1962**, Published by State University of New York Press, Albany, 1983.

[2] - André Kaspi, **Histoire de L'Alliance Israélite Universelle de 1860 à nos jours**, Armand Colin, Paris, 2010.

[3] - Haïm Zafrani, **Pédagogie juive en terre d'islam: l'enseignement traditionnel de l'hébreu et du judaïsme au Maroc**, A. Maisonneuve, Paris, 1969.

نموذج التربية والتعليم لدى اليهود والمسلمين المغاربة، حيث تتبدى أوجه التشابه أكثر من الاختلافات. فإذا تجاهلنا محتوى التعليم، وركزنا على طرائقه نجده يشترك في الإطار والأساليب نفسها، فضلا عن المعلمين، حيث يتم تكديس الأطفال أكثر مما يجب في غرفة الدرس، كما أن سلطوية المعلمين وزجرهم تتشابه إذا لزم الأمر اللجوء إلى الفلقة، فيما تبرز الأساليب التربوية البدائية نفسها التي تستدعي الذاكرة وغياب المنطق وازدراء العلوم.

- كتاب دوريس بنسيمون دونات، **«تطور اليهودية المغربية تحت الحماية الفرنسية 1912-1956»**[1]، حاولت من خلاله المؤلفة الوقوف عند تنوع اليهودية المغربية، وهياكل وقيم المجتمع التقليدي في بداية القرن العشرين، والمسائل المتعلقة بالتدريس والتطور الاقتصادي وتطور الهياكل الأسرية، وتنظيم الجماعات وأنشطتها والتطور السياسي لليهودية المغربية، في حين لم يتم تحديد الهجرات الداخلية نفسها إلا من خلال القوانين الاجتماعية التي لا ترحم، والظروف الاقتصادية التي تحكم نزوح السكان في المجتمعات المتقدمة والنامية.

- كتاب جيروم بوكيت، **«التعليم الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط: المبشرون والرابطة اليهودية العالمية»**[2]، هو عبارة عن إصدار يضم عددا من المقالات المختارة التي جاءت على إثر مؤتمر عقد في مارس 2009 في جامعة فرانسوا رابلي دو تور l'université François" Rabelais de Tours" تحت عنوان **«اليهودية، المدرسة ورسالتها في البحر الأبيض المتوسط خلال فترة الاستعمار».** وهو عمل يهدف إلى تجديد معرفتنا التربوية في حوض البحر الأبيض المتوسط في العصر الحديث، من خلال مقارنة عمل ومهام كل من البعثات اليهودية والمسيحية ضمن نطاق مهمة البعثة المدنية الفرنسية في القرنين التاسع عشر والعشرين القائمة على فكرة التفوق الغربي.

هذا ولم تقتصر دراستنا للمادة في مصادرها الأجنبية فقط، بل حاولنا تنويع مصدر المعلومات بالاعتماد على مجموعة من الدراسات والبحوث باللغة العربية لملء بعض الفجوات التي لم تسعفنا الوثائق والمراجع الأجنبية في تغطيتها، كما هو الحال بالنسبة لأطروحتي محمد

---

[1] - Doris Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme marocain sous le Protectorat français 1912-1956**, Mouton et Co, Paris, 1968.

[2] - Jérôme Bocquet, **L'Enseignement français en Méditerranée: Les missionnaires et L'Alliance Israélite Universelle**, Collection Histoire Presses Universitaires de Rennes, 2010.

حاتمي[1] ومحمد براص[2] اللتين تدخلان في إطار التاريخ المعاصر. وقد ساهمتا في كشف طبيعة العلاقة المنسوجة بين كل من أعضاء الحركة الوطنية والمغاربة اليهود، سواء على الصعيد السياسي أو الهجرة. ومكنتنا كُتب كل من حاييم الزعفراني[3] وعبد الوهاب المسيري[4] من استيعاب الوزن الذي تحظى به التقاليد والأعراف في الحياة اليهودية، والدور الحيوي الذي اضطلع به اليهود داخل المجتمعات التي يحيون في كنفها.

إضافة إلى هذا الرصيد من المادة العلمية المعتمدة، لن تفوتنا الإشارة إلى عدد مهم من المقالات، والصحف، والإصدارات الخاصة بالرابطة اليهودية العالمية التي احتلت موقعا مهما جدا في بحثنا، ساهمت في تسليط الضوء على جوانب أساسية من تاريخ الرابطة اليهودية، المتعلقة بعلاقة الرابطة بالجماعات المغربية اليهودية، وبالتعليم العبراني العتيق وتعليم الإناث، وكذا علاقة الرابطة بالحركة الصهيونية والحركة الوطنية، وصولا إلى الدور الذي لعبته الرابطة في مجالي الاندماج والتحديث، ودور خريجي الرابطة اليهودية، ثم تأثير الهجرة اليهودية على الرابطة ومؤسساتها بالمغرب.

وفيما يتعلق بالمنهجية المعتمدة، فقد أملت علينا طبيعة التصميم العام للبحث اعتماد منهجية الاستنباط القاضية بالانتقال من الكل إلى الجزء، وهو بذلك يعاكس المنهج الاستقرائي الذي ينتقل فيه الاستنتاج من الجزء إلى الكل، وذلك بتتبع خطوات الترتيب الكرونولوجي لتأسيس الرابطة اليهودية العالمية، وأهم الأحداث والمحطات التي ميزت عملها بالمغرب، وكذا استقراء طرائق العمل وتأثيراتها، اعتمادا على توليفة من أساليب البحث، أي استنطاق الوثائق وتحليلها، وتوظيفها وفق أسلوب ونمط يساعدان على استنباط أصول وبنيات العمل، ورصد مكامن التحديث والتغيير فيهما.

---

[1] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب بين نداء الوطنية ورهان المغرب المستقل 1948-1961**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب تخصص تاريخ، إشراف جامع بيضا، الجزء الأول والثاني، جامعة سيدي محمد ابن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس، السنة الجامعية 2006-2007.

[2] - محمد براص، **الأحزاب الوطنية واليهود المغاربة: بين تطور الأوضاع الداخلية وأصداء القضية الفلسطينية 1934-1967**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ المعاصر، إشراف محمد كنبيب، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال- الرباط، السنة الجامعية 2003-2004.

[3] - حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب: تاريخ. ثقافة. دين**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط 1، الدار البيضاء، 1987.

- حاييم الزعفراني، **يهود الأندلس والمغرب**، ترجمة أحمد شحلان، الجزء الثاني، مرسم، الرباط، 2000.

[4] - عبد الوهاب المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة**، سلسلة عالم المعرفة، عدد 60، ديسمبر 1982.

- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المجلد الثاني والثالث، دار الشروق، 1999.

ينقسم هذا البحث إلى **أربعة أبواب**: بحيث يحوي **الباب الأول** أربعة فصول تعنى بالتطورات الكبرى للوضع اليهودي بأوروبا وخاصة فرنسا، بغية الوقوف عند الجذور التاريخية لتأسيس منظمة الرابطة اليهودية العالمية، والعوامل المساهمة في بلورة أهدافها وإيديولوجيتها، ثم استعراض البنية الجماعاتية لليهود ووضعهم السياسي والديني، وتطورهم الاجتماعي والاقتصادي، وبعض معتقداتهم وعاداتهم. وهدفنا من هذا هو أن نبين للقارئ أن لليهود خلفية تاريخية ثرية تسبق آثار الثقافة الغربية والاستعمارية.

أما **الباب الثاني**، فيتوفر على فصلين تأسيسيين للعمل التربوي داخل الجماعات المغربية اليهودية، عن طريق استحضار مؤسسات التعليم العبراني العتيق لمحاولة بسط الأسس والميكانيزمات المتحكمة فيه، مع تقديم نظرة الرابطة لمثل هذا النوع من التعليم، واستحضار بعض أنشطتها التعليمية والسياسية ببعض مدارسها الأولى بشمال المغرب، فضلا عن تتبع المسار الذي رسمته الرابطة لتحديث التعليم والمرتكزات التي سيقوم عليها.

الباب الثالث، الذي ضم بدوره فصلين، اهتما بتتبع علاقة الرابطة بمديرية التعليم العمومي بعد فرض منطق الحماية الفرنسية على المغرب بعد 1912، وذلك لإبراز مكامن القوة والضعف في الاتفاقيتين اللتين جمعتا كل من الرابطة اليهودية ومديرية التعليم خلال سنتي 1915 و1924. ثم عرض الدور الذي اضطلعت به هذه المنظمة داخل الجماعات المغربية اليهودية المتشبثة بالتقاليد، من خلال تعليم الإناث والتكوين المهني اللذين شكلا أهم نوافذ ترسيخ الاندماج والتحديث والتغيير فيها.

تناولنا في **الباب الرابع**، الذي ضمنته فصلين خاصين بالتحديات التي واجهتها الرابطة للحصول على الشرعية من خلال عرض أهم مطالبها تجاه مؤسسة الحماية، والكشف عن موقفها تجاه كل من الحركة الصهيونية والحركة الوطنية، لنصل إلى مرحلة عرض حصيلة الرابطة التربوية والتعليمية سواء فيما يخص خريجي مدارسها، أم طبيعة الهيكل المهني لليهود، ومسألة زواج الأطفال، وتحديث المدارس الحاخامية، ثم انعكاس الهجرة اليهودية على مدارسها بالمغرب.

الباب الأول

الرابطة اليهودية العالمية: النشأة والأهداف.

لفهم نشأة منظمة الرابطة اليهودية العالمية يستوجب تحديد، وتقعيد الأصول، والأسس المتحكمة في هذه النشأة وهي ظرفية جد معقدة، تضافرت فيها عوامل وإشكالات عدة. كانت محفزا وباعثا وجب استحضاره، ويتعلق الأمر هنا بكل الأمور الثانوية والمباشرة، الباطنية والظاهرة.

إن مقاربة هذا الباب من البحث تتوخى استحضار عدد من جوانب تأثيرات الثورة الفرنسية ومبادئها على النخبة المتنورة من اليهود وغيرهم، والفرص التي منحتها الثورة، والأرضية التي هيئتها لتشكيل وعي ذاتي بأهمية تأسيس منظمة يتم من خلالها تصريف المبادئ الكونية للثورة

الفرنسية وإشاعتها بين يهود العالم، وبخاصة يهود أوروبا الشرقية وشمال إفريقيا والشرق الأوسط، نظرا للظروف التي كانوا يعيشونها بهدف تكريس التغيير، والارتقاء بالوضعين الأخلاقي والاجتماعي.

لقد شكلت عدد من القضايا الطارئة التي أخذت بعدا دوليا؛كقضيتي دمشق وإدغار مرتارا، دوافع مباشرة للتعجيل بتأسيس الرابطة وصياغة أهدافها بما يتلاءم مع المبادئ الكونية للثورة الفرنسية، باعتبارها إيديولوجية لعمل المنظمة.

يرمي هذا القسم أيضا، إلى الكشف عن سلسلة من القرارات التشريعية التي ساهمت في تحرير اليهود وانعتاقهم في فرنسا وفي بقية أوروبا الغربية مجتمعة، والدور الذي لعبه يهود فرنسا في تأسيس هذه المنظمة والمركز الريادي الذي احتلوه بها، فضلا عن دور الصحافة اليهودية الوليدة التي مهدت لفكرة تأسيس المنظمة وروجت لها. كما اتخذت هي الأخرى، من هذه الوسائل الإعلامية، منبرا لدعايتها ودفاعها عن يهود العالم، وعن الأسباب الكامنة وراء اتخاذ المغرب (مدينة تطوان بالتدقيق)، من بين بلدان العالم، مكانا لتدشين أول مدرسة في الشبكة التعليمية للرابطة، وبناء عليه اقتضى الأمر منا الوقوف على مميزات الجماعة اليهودية وأدوارها داخل المجتمع المغربي.

الفصل الأول: نشأة وأهداف الرابطة اليهودية العالمية.

قبل الحديث عن نشأة الرابطة اليهودية العالمية وأهدافها المسطرة، توجب علي أن أعرض بادئ ذي بدء للمحة تاريخية عن أوضاع يهود فرنسا، التي لا غنى عنها لفهم دواعي نشأة الرابطة اليهودية العالمية، وكذا رصد تأثير هذه الأوضاع على تسطير أهدافها المعلنة.

ولن يفوتنا هنا أيضا الكشف عن دور النخبة اليهودية المتنورة في تأسيس هذه المنظمة، واستحضار مكانة فرنسا لدى اليهود الفرنسيين، والدور الذي لعبته الثورة الفرنسية في تحريرهم، ودمجهم في المجتمع الفرنسي. هذا التحرر والاندماج الذي شكل دافعا قويا لنخبة اليهود في تأسيس منظمة ذات توجه عالمي، مركزها في باريس وفروعها منتشرة في جل بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط والبلقان.

1) أوضاع يهود فرنسا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

شهد القرن السابع عشر الميلادي بداية مرحلة جديدة في حياة اليهود في أوروبا، إذ عرف تحولات جذرية أسست قدرا من التحول من النظام الإقطاعي إلى الرأسمالية. ويمكن فهم تاريخ اليهود خلال هذا القرن وما أعقبه في ضوء تطور الرأسمالية وظهور الأمم الحديثة، ونمو الفكرين العلمي والعلماني. فقد تركت تلك التطورات أثرا فاعلا في حياة اليهود، إذ أدى تسارع نمو الرأسمالية إلى تحسن وضعهم في أوروبا الغربية، وتدني مستوى حياتهم في أوروبا الشرقية[1]، علما أن قسما منهم لم يستطع في البداية مسايرة المجتمعات الرأسمالية الناهضة، وفضلوا الانتقال إلى أوروبا الشرقية، حيث كان التحول إلى الرأسمالية أكثر بطءا.

بينما ساهم التحول في زيادة قوة المدن واستقلالها، ونشوب الصراع بين الملكية والنبلاء والكنيسة، ونمو قوة الطبقة البرجوازية من التجار والمرابين، واشتداد عود حركات الإصلاح الديني، على شكل رزنامة تسير بوتيرة متسارعة في أوروبا الغربية. كان اليهود ما يزالون يعيشون في أحيائهم المغلقة "الجيتوات les ghettos"[2] من دون الاختلاط ببقية سكان بلدانهم. وفي خضم هذا الحراك تكلل الصراع، في أوروبا بين النظام شبه الإقطاعي القديم والتطورات الجذرية التي كان يشهدها المجتمع الأوروبي، بقيام الثورة الفرنسية سنة 1789، التي أثرت كثيرا في فرنسا خاصة، وأوروبا عامة. لقد جاء إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي اعتمدته الجمعية التأسيسية بين 20-26 غشت 1789، ليحول اليهودي الفرنسي إلى مثال يحتذي به يهود العالم[3].

كانت فرنسا أول دولة أوروبية تمنح يهودها الحقوق المدنية بشكل رسمي من خلال مرسوم 27 شتنبر 1791 الذي منح الجنسية الفرنسية لجميع اليهود أسوة بباقي المواطنين الفرنسيين[4]. وذلك بعد أن ألغت نظام الإقطاع، ومنعت التمييز بين المواطنين بسبب عقيدتهم الدينية. وقد رد

---

[1] - Mitchell Bryan Hart, **Social Science and the Politics of Modern Jewish Identit"**, Stanford Studies in Jewish History and Culture, California, 2000,. p. 127.

[2] - الجيتو Ghetto، هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية، لكنها ارتبطت بأحياء اليهود بأوروبا، وللكلمة معنيان: **أولهما**، مكان يعيش فيه فقراء اليهود دون قسر من الدولة. **أما المعنى الثاني**، فهو الذي أصبح شائعا ويقصد به المكان الذي يفرض على اليهود أن يعيشوا فيه. وأصل الكلمة غير معروف على وجه التحديد، لكن الجيتو في اللغات الأوروبية خلال العصور الحديثة اكتسب معنى سلبيا. ينظر:

- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة في جزأين**، المجلد الأول، دار الشروق، ط 2، 2005، ص. 434.

[3] - بلغ عدد اليهود المقيمين في فرنسا عشية الثورة الفرنسية زهاء الأربعين ألف نسمة من إجمالي سكان فرنسا الذي بلغ آنذاك ما يقارب ستة وعشرين مليون نسمة، غالبيتهم تقطن منطقة الألزاس واللورين في ظروف معيشية جد متدنية. ينظر:

- Victor Karady, **"Les Juifs et les Etats-nations dans l'Europe Contemporaine (XVIIIe-XIXe siècles)"** , Actes de la recherche en sciences sociales, An 1997, Vol 118, N° 118,. p. 36.

- Ruth F. Necheles, **"The Abbé Grégoire and the Jews"**, Jewish Social Studies, Vol 33, N° 2/3, Apr-Jul 1971,. p. 120.

[4] - N. Leven, Op. cit, T 1,. p. 45.

اليهود على ذلك بأن أظهروا ولاءهم للثورة وشجع بعضهم على التطوع في الحرس الوطني معبرين عن تأييدهم للجمهورية الجديدة. إلا أن عهد الإرهاب الذي أعقب الثورة (1792-1796) على الرغم من قصره شهد قمع جميع المؤسسات الدينية بما في ذلك المؤسسات اليهودية، مما أثر في حياتهم وقيد شعائرهم الدينية نتيجة الاضطرابات والفوضى التي عمت فرنسا؛ بسبب تباين الرؤى وتداخل الاختصاصات بين كل من اللجنة المركزية والجمعية التشريعية والجهاز التنفيذي، فنشأت ديكتاتورية غامضة لم تتخذ أي شكل محدد، إذ لم تتجسد لا في مؤسسة ولا في رجل ولا في حزب أو طبقة[1]، وهي فترة دفع فيها الكثير من اليهود حياتهم ثمنا لذلك، وأجبروا على أن يحيوا حياة سرية ساهمت في تسريع وتيرة تفكك بنية الجماعات اليهودية، إلا أن صدور دستور سنة 1795[2] عاد وأقر المساواة بين اليهود وبقية المواطنين الفرنسيين من جديد.

بعد اعتلاء نابليون بونابرت الحكم في فرنسا، حاول إنهاء عزلة اليهود، ودعا إلى تأسيس مجلس من اليهود أطلق عليه اسم «السنهدرين Sanhédrin»[3] خلال سنة 1807، بهدف مناقشة المسألة اليهودية وتحديث وضع اليهود جذريا ومعالجة متطلباتهم التنظيمية[4]. بعد الاعتراف باليهودية ديانة سماوية وباليهود أقلية، حصلوا على حقوقهم، وأصبح اليهود مسؤولين عن سلوكهم أمام الدولة التي عملت على إلزامهم بالإجراءات الصارمة التي تريد اتخاذها بخصوص تنظيم العبادة وتجديد العادات اليهودية[5].

---

[1] - ألبير سوبول، **تاريخ الثورة الفرنسية**، ترجمة جورج كوسي، منشورات عويدات بيروت- باريس، ط 4، 1989، ص. 237.

- Erik H. Cohen, **The Jews of France at the Turn of the Third Millenium: A Sociological and cultural analysis**, The Rappaport Center for Assimilation Research and Strengthening Jewish Vitality, The Faculty of Jewish Studies, Bar Ilan University, Ramat Gan, Israel, 2009,. p. 18.

[2] - يسمى كذلك بدستور السنة الثالثة، وهو الدستور الذي اتفق حوله كل من الجمهوريين المعتدلين والملكيين والدستوريين لأجل قطع الطريق على الديمقراطية والديكتاتورية معا والعودة إلى مبادئ سنة 1789. ينظر:

- ألبير سوبول، م. س، ص. 444.

[3] - السنهدرين صيغة عبرية (סנהדרין) للكلمة اليونانية «سندريون Sndreon» وتعني «مجلس». وقد أطلق هذا الاسم على الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية الخاصة باليهود. ويتألف من 71 عضوا، ثلثي الأعضاء من الحاخامات والثلث من العلمانيين، أنشئ بمباركة من نابليون سنة 1807. ينظر:

- Charles Touati, **"Le Grand Sanhedrin de 1807 et le droit rabbinique"**, Annales historiques de la Révolution française, 51e Année, N° 235, Janvier-Mars 1979,. pp. 27-48.

[4] - François Delpech, **"Les Juifs en France et dans l'Empire et la genèse du Grand Sanhédrin"**, Annales historiques de la Révolution française, 51e Année, N° 235, Janvier-Mars 1979,. pp. 1- 26.

[5] - عبد الوهاب المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة**، سلسلة عالم المعرفة، عدد 60، ديسمبر 1982، ص.59.

وبذلك منحت الديانة اليهودية المركز نفسه الذي احتلته الديانة المسيحية، بعد أن أقرت المساواة بين الأديان، لكن فرنسا لم تكتف بهذا الدور الذي أدته بالنسبة ليهودها، وإنما عملت على نقله إلى الدول الأوروبية الأخرى التي خضعت لسيطرتها[1]. ففي شبه الجزيرة الإيبيرية مثلا، ألغى نابليون محاكم التفتيش "Les Tribunaux de L'Inquisition" سنة [2]1808، على الرغم من أنه لم يكن هناك جماعة يهودية في ذلك الوقت بإسبانيا.

ولم يقف الحال عند يهود أوروبا فقط بل تعداه ليمس يهود الدول الإسلامية بعد أن تزايد منذ أربعينيات القرن التاسع عشر حجم تدخل القوى الأوروبية، خاصة إنجلترا وفرنسا. وفي الحقيقة كان حرص هاته القوى على منح المساواة لكل الأقليات في مناطق نفوذها السياسي والاقتصادي بالخارج يهدف إلى خدمة مصالحها السياسية والاقتصادية لا غير[3].

وهكذا كان عهد نابليون بونابرت مرحلة ذهبية لليهود ليس في فرنسا فحسب، بل في كل بقعة وصلت إليها القوات الفرنسية المحتلة إلى حين اندحار بونابرت وجلاء قواته من الدول التي كانت تسيطر عليها، ليصاب يهود هذه المناطق بانتكاسة كبيرة على العكس من يهود فرنسا الذين ظلوا يتمتعون بحقوقهم التي حازوا عليها. ولكن الأمور سرعان ما عادت لصالحهم؛ لأن عجلة الإصلاحات التي حركتها الثورة الفرنسية، لم تتوقف عن السير في مختلف دول أوروبا الغربية، وذلك على الرغم من التراجعات التي سادت أوروبا بعد احتواء الثورة. فحالة الغليان والمطالبة بالإصلاحات استمرت في أوروبا، حتى بعد القيود والإجراءات التي أقرها مؤتمر فيينا سنة 1815، لتصل إلى قمتها مع ثورات عام 1848 في عدة مناطق أوروبية، ولتعود الدول الأوروبية إلى منح حقوق أوسع لمواطنيها بما فيهم اليهود.

أثرت التغييرات السياسية التي شهدتها فرنسا في يهودها اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا، ما شجع بعضهم على الدعوة إلى ضرورة اندماجهم كأفراد في المجتمع الفرنسي، بعد ما تفككت تدريجيا الروابط المبنية على الانتماء الديني والطائفي التي كانت تشد بعضهم بعضا،

---

[1]- بفضل التأثير الذي خلفته الثورة الفرنسية ونفوذ نابليون بونابرت (1804-1814) صدر قانون يمنح حقوق المواطنة والمساواة في وستفاليا Westphalie في 12 يناير 1808، وفي فرانكفورت في فبراير 1809، وبروسيا في 11 مارس 1812، وفي الدانمارك سنة 1814، فأعلن يهود وسط أوروبا ولاءهم للدول التي يعيشون فيها. ينظر:
- N. Leven, Op. cit, T 1,. pp. 48-51.

[2] - Jean-Baptiste Busaall, **"Nature juridique de la monarchie espagnole sous Joseph Bonaparte"**, Mélanges de la Casa de Velázquez, 35-1, 2005,. pp. 241-242.

[3] - صموئيل أتينجر، **اليهود في البلدان الإسلامية (1850-1950)**، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 197، 1995، صص. 45-46.

وحلت محلها القيم الجديدة التي سادت عصرهم، كما أن تلك الشرائح التي ظلت متعلقة بدينها ووعيها اليهودي اندمجت هي الأخرى من خلال تبنيها لغة البلاد التي عاشت فيها[1].

حقق هذا الاندماج من جانب يهود فرنسا في المجتمع المحلي بروز الكثير منهم في المجالات العلمية والثقافية والسياسية. وأخذت تطرأ تغييرات كثيرة على حياتهم الاجتماعية بعد انتقالهم من الريف إلى المدينة، وصاحب ذلك تغيير في طبيعة أعمالهم، حيث اتجه الكثير منهم للعمل في الأنشطة التجارية. وقد ساهم تحريم الكنيسة التعامل بالمال والربا على المسيحيين منذ مطلع القرن التاسع عشر في تعزيز هيمنة اليهود على أسواق المال، الأمر الذي قوى من نفوذهم في الدول الأوروبية الغربية[2]، لاسيما في فرنسا، فبرزت طبقة الرأسماليين اليهود الذين أصبحوا، بمرور الوقت، زعماء الجماعات اليهودية، وأخذوا يتقربون من حكام بلدانهم ومثقفيها، حتى عدوا فيما بعد قدوة لباقي أبناء جلدتهم للسير في أثرهم، والانصهار في بوتقة المجتمع وترك جانب العزلة[3].

لقد مكنت التطورات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة، التي كانت تعيشها أوروبا الغربية، اليهود من إيجاد دور لهم؛ ليحتلوا مراكز حيوية مهمة ومهيمنة في الميادين المالية والاقتصادية في البلدان التي سبق أن طردوا منها، وعلى إثر ذلك بدأت الدول الغربية، الواحدة تلو الأخرى، تفتح أبوابها مجددا أمام اليهود للعودة من جديد من دون القيود التي كانت مفروضة عليهم من قبل. فالحدث الثوري فتح خيارات جديدة لحراك اقتصادي اجتماعي، استفادت منه الجماعة والنخبة العلمانية اليهودية في الوقت الذي فقدت فيه شبكتا الكنيس والجماعة قوتهما في جذب الكثير من الشباب الذين تخلوا عن القيم ومعايير الحياة اليهودية التي عفا عنها الزمن، بفعل الحاجة الماسة إلى إعادة تعريف الهوية اليهودية استنادا إلى واقع ما بعد الثورة الجديدة[4]، حتى أن السياسة التي انتهجتها دول أوروبا الغربية بتأسيس المجمعات الكنسية "Consistoires" (خاصة فرنسا وانجلترا) جعلت الحاخامية تزيغ عن مسارها كهيئة للخدمة العامة لتصبح مجرد وظيفة حكومية[5].

إن الظروف الإيجابية التي أصبحت تسود أحوال يهود فرنسا ساهمت في معارضتهم للفكر الانعزالي، وصدرت دعوات من أجل الاندماج في المجتمع الفرنسي، وقد أتاح لهم ذلك شغل

---

[1]- V. Karady, Op. cit,. p. 37.
[2]- Ibid,. p. 32.
[3]- Ibidem,. p. 37.
[4] - Michaël Graetz, **L'Alliance Israélite Universelle et l'héritage de la Révolution française**, Les Nouveaux Cahiers, N° 97, Eté 1989,. p. 37.
[5] - V. Karady, Op. cit,. p. 37.

مناصب حكومية كبيرة حتى صار البعض منهم يشغل منصب وزير، ومن أشهرهم أدولف كريميو Adolphe Crémeux[1] وميشال غودشو Michel Goudchaux[2] ، كما لم يقتصر نشاط يهود فرنسا في العمل على الاندماج فحسب، وإنما أظهروا معارضة لفكرة منفى اليهود في أوروبا، وهو ما جاء على لسان سيمون بلوخ Simon Bloch رئيس تحرير جريدة الكون الإسرائيلية L'univers Israélite سنة 1860 حيث قال **«فلننظر إلى كل أوروبا كفلسطين واسعة، والحقيقة اليهودية كالقدس الخالدة»**[3]، وأن النموذج السائد للحياة اليهودية إن على المستوى الاجتماعي أم الأخلاقي يتنافى مع مكانتهم كمواطنين فرنسيين[4].

وقد استفاد اليهود من الحق الممنوح لهم كغيرهم من المواطنين في ولوج أطفالهم إلى المدارس الفرنسية العمومية، الشيء الذي شكل اللبنة الأولى في مسار تفعيل المساواة والانفتاح والتحديث. وعلى وفق البيانات التي جمعها المجمع الكنيسي بباريس في 23 يونيو 1810، وخاصة بمنطقة الألزاس واللورين Alsace-Lorraine التي تحوي القسم الأعظم من يهود فرنسا، فإن عدد الأطفال الذين بلغوا سن التمدرس الملتحقين بالمدارس العمومية وصل إلى عشرة بالمائة من مجموع المتمدرسين هناك[5].

ولم يكتف مؤيدو الاندماج من يهود فرنسا بمعارضة فكرة الأمة اليهودية ودعوتهم إلى الإصلاح الديني، وإنما وجدوا أهمية العمل في حماية أحوال اليهود، وتحسينها بصوره عامة، بما يعزز من فرص اندماجهم في المجتمعات القائمين فيها، ووجدوا في يهود أوروبا الشرقية نموذجا

---

[1] - أدولف كريميو Adolphe Crémeux: (1796- 1880) ولد في 30 أبريل 1796 في نيم Nîmes، وتوفي في 10 فبراير 1880 بباريس، وهو محام ورجل سياسي فرنسي، شغل عدة مناصب منها رئيس المجمع الكنسي الفرنسي بباريس، ورئيس الرابطة اليهودية العالمية، كما شغل منصب وزير العدل في الحكومة المؤقتة التي أعلنت الجمهورية الثانية سنة 1948، ثم وزيرا للعدل في مرحلة (1870-1871)، وهي المرحلة التي أصدر فيها مرسوما يقضي بتجنيس يهود الجزائر بالجنسية الفرنسية، ويعتبر كريميو رمزا من رموز دعاة التحرر اليهودي. ينظر:
- Solomon Vladimirovich Posener, **Adolphe Cremieux (1796-1880)**, Librairie Félix Alcan, Paris, 1933.

[2] - Michel Goudchaux: ولد في نانسي Nancy 18 مارس 1797 وتوفي في باريس 27 ديسمبر 1862، شغل منصب وزير الاقتصاد والمالية "Ministre de l'Economie et des Finances" في الحكومة المؤقتة لسنة 1948. ينظر:
- Raymond Lazard, **Michel Goudchaux, 1797-1862: son oeuvre et sa vie politique**, Librairie Félix Alcan, Paris, 1907.

[3] - Aron Rodrigue, **French Jews, Turkish Jews: The Alliance Israelite Universelle and the Politics of Jewish Schooling in Turkey 1860-1925**, Indiana University Press, 1990,. p. 21.

[4] - Jay R. Berkovitz, **The Shaping of Jewish Identity in Nineteenth-Century France**, Wayne State University Press, Detroit, 1989,. p. 14.

[5] - Solomon Vladimirovich Posener, **"The Immediate Economic and Social Effects of the Emancipation of the Jews in France (On the Occasion of the 150th Anniversary of the French Revolution)"**, Jewish Social Studies, Vol 1, N° 3, Jul 1939,. p. 310.

للظروف السيئة التي يعيشونها[1]، لاسيما أن هذه المنطقة كانت ما تزال تتنفس برئة إقطاعية لم تبدأ بالضمور إلا في أواخر القرن التاسع عشر.

هذا الشعور بالارتقاء بأحوال يهود أوروبا الشرقية، من جانب يهود فرنسا، ساهم بشكل فعال في تبلور فكرة إنشاء جمعية يهودية تأخذ على عاتقها العمل من أجل الارتقاء بالمستوى الثقافي والاجتماعي، ونشر أفكار التحرر والتقدم[2] بما يسهل عملية اندماجهم في مجتمعاتهم من خلال تشكيل المؤسسات والمنظمات اليهودية المعاصرة. وبصرف النظر عن الهاجس الدفاعي عن اليهود واليهودية خارج فرنسا،لم يؤد تزايد الاندماج والترابط داخل المجتمع والثقافة المحيطة إلى اختفاء الروابط العاطفية والفكرية التي وحدت الجماعات اليهودية البعيدة.

2) ظروف نشأة الرابطة اليهودية العالمية.

علم يهود الدول المتحررة، (كفرنسا وبريطانيا) الذين ينعمون بالمساواة في الحقوق المدنية والسياسية، أنه من الواجب عليهم الدفاع عن بقية بني جلدتهم القاطنين في الدول التي لا تزال تسيير على وفق قوانين استثنائية مخالفة لسير الزمان، في عالم شهد الثورة الصناعية والأمريكية والفرنسية، وهو في حد ذاته دفاع عن التراث اليهودي واليهودية، من خلال تسخير قوة الجماعة في مساعدة بعضهم البعض، ومحاربة الظلم والعنف، اللذين أثرا سلبا على الكتلة البشرية اليهودية، وعلى إمكانية التغيير والارتقاء بالوضع الاجتماعي[3]، خاصة وأن يهود أوروبا الشرقية وحوض البحر الأبيض المتوسط لم تتوفر لديهم مؤسسات ذات ثقل تدافع عن مصالحهم كمجلس النواب "Board of Deputies" ببريطانيا أو المجمع الكنسي المركزي "le Consistoire Central" بفرنسا وبلجيكا[4]؛ لذلك كان من الطبيعي أن يتصدر يهود الدول المتحضرة (خاصة بفرنسا) واجهة الدفاع عن يهود العالم.

وبالتالي، فإن نشأة الرابطة اليهودية العالمية (A.I.U.) لم تأت من فراغ، بل نتيجة لحراك فكري ليهود أوروبا المتأثرين بفكر سان سيمون Saint-Simon باعتباره الأب المفكر والمؤسس الفعلي للمجتمع الصناعي الفرنسي القائم على العلم والصناعة، تسوسه نخبة تراعي

---

[1] - Arié Gabriel, **Histoire juive, depuis les origines jusqu'à nos jours**, Librairie Durlacher, Paris, 1923,. pp. 305-315.
[2] - Ibid,. p. 298.
[3] - N. Leven, Op. cit, T 1,. p. 64.
[4] - Ibid.

حقوق الفقراء[1]، وتأثرهم بما يعرف بالهسكالا la Haskala وهي عبارة عن حراك فكري وثقافي تأثر بالتنوير والثورة الفرنسية[2] ببرلين، وغرضها إعادة إحياء العلوم اليهودية[3]، ومهدت لها عدة ظروف ووقائع ناتجة عن تثاقف بين المعايير الاجتماعية والمؤسسات المعاصرة؛ منها ما أشرنا إليه سالفا بخصوص مكتسبات الثورة الفرنسية، ثم تضافر عدد من الأحداث ذات الطابع الاضطهادي اعتبرت كأسباب مباشرة وراء تأسيس الرابطة سنة 1860 بفرنسا تحت شعار **"كل بني إسرائيل إخوة"**، والتي سنعرض لها على سبيل المثال لا الحصر.

أ- قضية دمشق.

ساهمت قضية قتل الأب توماس الكابوشي Thomas Capocci ومرافقه إبراهيم عمارة بدمشق سنة 1840، في إذكاء فكرة تجنيد وتوحيد الطاقات اليهودية في الدول المتحررة للدفاع عن اليهود ضحايا التعصب والاضطهاد، لأن هذه الحادثة تختلف عن مثيلاتها، إذ من خلالها عمل اليهود على قياس درجة تحررهم. وتبعا لذلك توجه كل من أدولف كريميو Adolphe Cremieux والسير موسى مونتيفيوري Sir Moses Montefiore وسليمان مونك Salomon Munk، باسم اليهود الغربيين، إلى مصر للقاء محمد علي قصد تجنيب حياة اليهود في دمشق المزيد من الأذى والقتل بسبب اتهامهم في قضية قتل الأب توماس الكابوشي، واستخدام دمائه لأغراض شعائرية (تعرف في الأدبيات التاريخية بتهمة الدم أو طقوس القتل Meurtre Rituel)[4].

زاول الأب توماس الكابوشي مهنة الطب والصيدلة، وكان معروفا لدى المسيحيين واليهود والمسلمين؛ لأنه استوطن دمشق لما يقارب 30 سنة[5]، لكن في 5 فبراير 1840 تم الإعلان عن اختفاء الأب توماس ومرافقه، لتلصق التهمة باليهود بذريعة كون آخر مكان شوهد فيه الراهب هو الحي اليهودي، وكذا بسبب انتشار الشائعات في الحي المسيحي تتهم اليهود بأنهم وراء ذلك، وهي

---

1 - Esther Benbassa, **The Jews of France: A History from Antiquity to the Present**, Princeton University Press, 1999,. pp. 119-122.

2 - وضع المثقفين اليهود آمالهم على هذه الأفكار الجديدة، التي يأملون أن تحقق الأهداف المرجوة، والتي من شأنها تحسين أوضاع يهود أوروبا. ينظر:

- J. Bocquet, Op. cit,. p. 31.

3 - Michaël Graetz, **L'Alliance Israélite Universelle et l'héritage de la Révolution française**, Op. cit,. p. 37.

4 - Jonathan Frankel, **"Ritual Murder in the Modern Era: The Damascus Affair of 1840"**, Jewish Social Studies, New Series, Vol 3, N° 2, Winter 1997.

5 - Ibid,. p. 1.

اتهامات مبنية على صور نمطية وتهم تاريخية[1]؛ مفادها أن اليهود يعمدون إلى قتل أحد المسيحيين لصنع خبز عيد الفصح من دمه كشكل من أشكال الطقوس الكهنوتية السحرية[2]. وإثر ذلك تم اعتقال أربعة عشر فردا من وجهاء اليهود بدمشق، أخضعوا للتعذيب والاستجواب المكثف، وهو ما سبب في وفاة أربعة أشخاص منهم[3]. وقد خلقت هذه القضية جدلا كبيرا على المستوى الدولي آنذاك بفعل الحشد والدعاية التي وفرها يهود أوروبا الغربية، خاصة إذا علمنا أنهم اعتبروها مجرد تهمة ملفقة لليهود من قبل قنصل فرنسا بدمشق راتي مينتون Ratti Menton صحبة عدد من الرهبان[4]، وذلك دعما للتجار المسيحيين الذين يعانون من منافسة اليهود لهم.

لاقت بعثة كريميو ومونك، ومونتفيوري دعما من قبل البرلمان البريطاني ورئيس وزرائه اللورد بالمرستون Lord Palmerston، وأمير مترنيخ بالنمسا، وكذا جميع قناصل الدول الأوروبية ما عدا قنصل فرنسا بدمشق، الذي دعا إلى محاكمة المتهمين أمام محكمة مؤلفة من قناصل جميع الأمم[5]، لكن محمد علي انتصر لليهود بإطلاق سراحهم وإعلان براءتهم مما نسب إليهم. وقد شكلت هذه الحادثة مرتكزا ساهم في بلورة وتوسيع رؤية يهود أوروبا الغربية التي تنادي بتحرير يهود أوروبا الشرقية لتشمل باقي يهود العالم ومن بينهم يهود الدول الإسلامية، نظرا لكثرة عدد اليهود وطوائفهم المقيمة بها، كما أنها ساهمت في بروز نخبة مؤهلة لديها الإمكانيات الدبلوماسية للدفاع عن اليهود وإخراجهم من عزلتهم أينما وجدوا، والدليل على ذلك هو الحفاوة التي لاقاها أعضاء البعثة بعد عودتهم إلى بلدانهم[6]، مثبتين أن اليهود الفرنسيين والإنجليز، من خلال توحدهم، تمكنوا من إنقاذ يهود سوريا، وقطعوا حملة التشهير التي أطلقها معادو السامية في أوروبا[7].

---

[1] - إن مصدر هذه الصورة النمطية يتبدى من خلال أقدم النصوص المعادية لليهود، وأهم هذه النصوص ما يرجع لمانيتو Manetho، وهو كاهن مصري من القرن الثالث قبل الميلاد، يعرض لليهود كجنس من مرضى الجذام طردوا قسرا من مصر على عهد النبي موسى، لكن مصطلح الصورة النمطية في شكله الرمزي ظهر مع بداية القرن العشرين ضمن مجال العلوم الاجتماعية، مع والتر ليبمان Walter Lippmann، الذي أدخل مفهوم الصورة النمطية لأول مرة سنة 1922 في كتابه "الرأي العام Public Opinion". ينظر:

- Lucia Raspe, **"Manetho on the Exodus- A Reappraisal"**, Jewish Studies Quarterly, Vol 5, N° 2, 1998,. pp. 124-125.
- Walter Lippmann, **Public Opinion**, New York, Macmillan, 1922.

[2] - Jonathan Frankel, "**Ritual Murder in the Modern Era"**, Op. cit,. p. 2.

[3] - N. Leven, Op. cit, T 1,. p. 65.

[4] - Ibid.

[5] - Ibidem.

[6] - Jonathan Frankel, "**Ritual Murder in the Modern Era"**, Op. cit,. p. 2.

[7] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 19.

ب- قضية إدغار مرتارا.

إدغار ليفي مرتارا Edgar Lévi Mortara[1] صبي يهودي ذو ست سنوات، تم نزعه بشكل قسري من والديه من طرف الحرس البابوي في 23 يونيو 1858[2]. وترجع حيثيات هذه القضية إلى أن الطفل مرتارا كان يعاني من مرض مزمن عمدت على إثره خادمة (ممرضة) مسيحية إلى تعميده سرا اعتقادا منها بأن ذلك سيشفيه، ولإراحة ضميرها اعترفت بذلك في إحدى جلسات الاعتراف، ليقوم بعد ذلك القس برفع الأمر إلى روما، ليعطي بدوره مجمع محاكم التفتيش Congrégation de l'Inquisition الأمر لأخذ الطفل قسرا من والديه باعتباره طفلا مسيحيا[3].

أثارت قضية مرتارا غضبا وسخطا عالميا تمثل في تدخل عدد من الحاخامات الألمان في شخص لودفيج فيليبسون Ludwig Philippson الذي أرسل التماسا إلى البابا قصد إرجاع الطفل إلى والديه، وهذا ما قام به عدد من زعماء الدول آنذاك كفرانسيس جوزيف Francis Joseph عن النمسا ونابليون الثالث Napoleon III عن فرنسا اللذين حررا رسائل شخصية للبابا بيوس التاسع Pie IX يحثانه فيها بعدم تحدي الرأي العام في أوروبا[4]. وعلى الرغم من أن موسى مونتيفيوري كان من بين الشخصيات اليهودية الوازنة السباقة للتوجه إلى روما لتقديم التماس إلى البابا للإفراج عن الطفل، إلا أن محاولته باءت بالفشل[5].

إن قضية مرتارا شكلت تحديا للعالم المتحضر، حتى أن كريميو قدم استقالته من رئاسة المجمع الكنسي المركزي بفرنسا كرد فعل احتجاجي على التحويل الديني القسري الذي تمارسه الكنيسة في حق اليهود في شخص إدغار مرتارا، على غرار ما قام به سلفه وورمس دي روميلي Worms de Romilly بعد تحويل إحدى الإناث اليهوديات إلى المسيحية[6].

لقد أعطت صعوبة الظروف، التي كانت تحيط بحياة اليهود في مناطق شتى من العالم، تصورا ليهود فرنسا على وجه التحديد، ويهود أوروبا الغربية عموما، بأهمية العمل الجاد لوضع

---

[1] - ولد مرتارا ببولونا Bologna بإيطاليا في 27 غشت 1851 وتوفي في Bressoux بالقرب من لييج Liège في 11 مارس 1940.

[2] - The Jewish encyclopedia, **Mortara case**, Vol 9, 1906,. p. 35.

[3] - Ibid.

[4] - Ibidem,. p. 36.

[5] - Ibidem.

[6]- Simone Mrejen-O'Hana, **"Isaac-Jacob Adolphe Crémieux, Avocat, homme politique, président du Consistoire central et de L'Alliance Israélite Universelle (Nîmes, April 30, 1796–Paris, February 10, 1880)"**, Archives Juives, 2003/2, Vol 36,. p. 143.

أسس عمل منتظمة للدفاع عن حقوق أبناء جلدتهم بما يعزز طبيعة دورهم في مجتمعاتهم عبر خلق وسائل تعجل بالاندماج وتنهي عوامل العزلة التي كانت سببا هاما في تعرضهم للكراهية من جانب بقية أبناء المجتمعات التي يعيشون فيها. والملاحظ أن هذه الدعوات استمرت على شكل تصريحات، في المناسبات والصالونات، لكبار الشخصيات اليهودية في أوروبا آنذاك، وقد استمر هذا الحال طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولم تأخذ هذه الدعوات الطابع العملي إلا بعد وقوع عدة اعتداءات شملت اليهود في مناطق مختلفة، تركت انطباعات لدى يهود فرنسا بأهمية الإسراع في تجميع جهودهم وتنظيمها في إطار موحد خدمة ليهود العالم[1]. وبذلك انتقل العمل من إطاره النظري إلى الجانب العملي، بشكل علني وكأعضاء كاملي العضوية في المجتمع الأوروبي على الرغم من الخوف الناشئ عن هشاشة الحقوق المدنية المكتسبة حديثا.

ت- المؤسسون.

إزاء هذه الظروف التي كانت تحيط باليهود في مناطق عدة من العالم، أخذ الكتاب اليهود يطلقون دعايتهم في الصحافة الفرنسية من أجل تأسيس جمعية تأخذ على عاتقها الاهتمام بشؤون اليهود في العالم، وتعمل على اندماجهم في مجتمعاتهم المحلية بعد تطوير إمكانياتهم الثقافية والعلمية[2]. وقد كان للصحفي بن ليفي Ben Levy سنة 1845 قصب السبق في هذه الدعوة حيث كتب على أعمدة المحفوظات الإسرائيلية (Les Archives Israélites)[3] دعوة لإنشاء منظمة عالمية تدافع عن حقوق اليهود، ووفقا للصحفي نفسه ينبغي أن يترأس هذه المنظمة كريميو نفسه[4]. وهي دعوة ناتجة عن اكتشاف اليهود لما يمكن تحقيقه عبر استخدام قوة ضغط القادة اليهود الجدد كما حدث في قضية دمشق التي وضعت حجر الأساس لأي تدخل مستقبلي ليهود أوروبا نيابة عن نظرائهم في العالم[5]، وعززت من إمكانية تمسك اليهود بهويتهم العرقية.

---

[1] - E. Benbassa, **The Jews of France**, Op. cit,. p. 122.
[2] - The Jewish Encyclopedia, **Funk and Wagnalls Company**, Vol 1, 1901,. p. 413.
[3]- أسس صموئيل كاهن Samuel Cahen المحفوظات الإسرائيلية تحت شعار مساعدة وكسر الجمود والركود بسبب الأزمة الروحية العميقة التي تصاحب التحرر. ينظر:
- A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 21.
[4] - Ibid,. p. 20.
[5] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 32.

لقد كان الشعور بالحالة الدونية والكراهية والاضطهاد تجاه يهود العالم - حتى في فرنسا نفسها – قد تكرس بشكل أكبر من خلال الأدب والرواية والمسرح التي قدمت اليهود وفق صور نمطية مبنية على تمثلات جاهزة في اللاوعي البشري، تغذيها الاختلافات الدينية[1]، وراء تبلور فكرة تأسيس منظمة عالمية هدفها حماية اليهود والدفاع عن حقهم في الحياة والمساواة أمام القانون، تعمل كقوة فعالة لصالح كل يهود العالم[2]، بعدما تبين في قضية مرتارا أن وسائل التدخل التقليدية غير مجدية[3]، خاصة وأنها مرحلة تزامنت مع توسع الرقعة الجغرافية لفرنسا عن طريق الاستعمار، والنقاش الذي أثير حول السياسة الخارجية الفرنسية بما في ذلك إمكانيات الحد من النفوذ الكاثوليكي في الإمبراطورية، وهو الأمر الذي أثار قلقا آخر على الحياة اليهودية خارج الأراضي الفرنسية، إلى جانب تحديات المفاهيم القائمة للهوية الفرنسية اليهودية، وهي فكرة وجدت طريقها للتنفيذ من خلال سبعة عشر من الشباب اليهود الفرنسيين، ينتمون إلى الطبقة البرجوازية المستنيرة على الرغم من تباين الخلفيات الشخصية والاجتماعية والثقافية لهذه الشخصيات[4] من حيث:

- الانتماء إلى عائلات ثرية اشتغلت بالتجارة.
- نسجهم لصلات قوية بالشخصيات الأوروبية المتنفذة سواء من بين اليهود أم من غيرهم.
- انتماؤهم إلى عائلات دينية عريقة، أتيح لها إبان القرن التاسع عشر تلقي قسط وافر من التعليم الحديث.
- تأثرهم بالفكر والتنوير الإيطالي.
- إيمانهم بروح الثورة الفرنسية ومبادئها[5].

وعلى الرغم من هذا الاختلاف من حيث التكوين والأدوار التي يلعبونها داخل المجتمع الفرنسي[1]، إلا أن مبادئ الثورة الفرنسية «الحرية- المساواة- الإخاء» هي ما يجمع بينهم ويوطد علاقاتهم.

---

[1] - N. Leven, Op. cit, T 1,. p. 68.
[2] - Ibid.
[3] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 26.
[4] - Georges Weill, **Emancipation et humanisme: Le discours ideologique de L'Alliance Israélite Universelle**, Les Nouveaux Cahiers, N° 52, Année 1978,. pp. 2-3.
[5]- صموئيل أتينجر، م. س،. صص. 233-234.

جدول رقم 1: النخبة المؤسسة للرابطة اليهودية العالمية

الاسم	الوظيفة
إيلي-أريستيد استريك Elie-Aristide Astruc 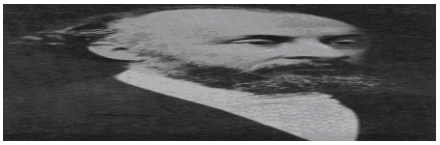	حاخام (مساعد كبير حاخامات باريس)
إيزيدور كاهن Isidore Cahen	صحفي ومدير مجلة المحفوظات الإسرائيلية
جول كارفالو Jules Carvallo 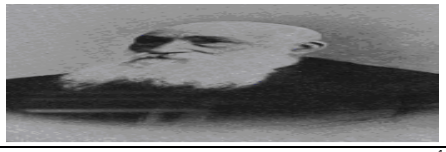	مهندس
أبرهام كريهانج Abraham Créhange	تاجر
ميشال إيرلانجر Michel Erlanger	تاجر
جول إيرلانجر Jules Erlanger	فنان
ليون ليوبولد Léon Léopold	معلم
مانويل ليفين Manuel Leven	طبيب
نارسيس ليفين Narcisse Leven	محام
إرنست ليفي ألفاريز Ernest Lévi-Alvarès	معلم
غوستاف ليفي ألفاريز Gustave Lévi-Alvarès	أستاذ جامعي
أوجين مانويل Eugène Manuel 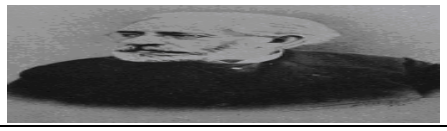	أستاذ جامعي
آرثر مانويل Arthur Manuel	تاجر

[1] - للاضطلاع أكثر على خلفية وتكوين والأدوار التي لعبتها الشخصيات المؤسسة للرابطة داخل المجتمع الفرنسي. ينظر:

- Georges Weill, **Emancipation et humanism**, Op. cit,. pp. 2-3.
- A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 30-43.

تشارلز نيتر Charles Netter 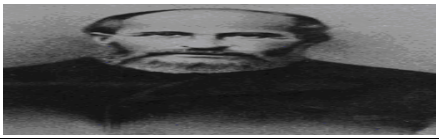	تاجر
إرنست شلوس Ernest Schloss	طبيب
دفيد شورنشتاين David Schornstein	معلم
موسى ستيرن Moïse Stern	كاتب

المصدر:

- Narcisse Leven, **Cinquante ans d'histoire: L'Alliance Israélite Universelle (1860-1910)**, T 1, Félix Alcan, Paris,1911,. p. 67. (هامش رقم 01)
- Albert Navon. H, **Les 70 ans de L'Ecole Normale Israélite Orientale (1865-1935),** Paris, Durlacher, 1935,. p. 32.

يقر غالبية الباحثين بأن كلا من قضيتي دمشق وإدغار مرتارا كانتا السببين المباشرين لتأسيس الرابطة اليهودية العالمية سنة 1860[1]، لما أثارته هاتان القضيتان من ضجة إعلامية حظيت باستئثار الرأي العام الدولي. كما أن النخبة اليهودية آنذاك استشعرت مدى القوة التي تمتلكها جراء الدعم الذي وفرته الدول المتحضرة كفرنسا وإنجلترا ... الشيء الذي كانت له نتائج مجدية في قضية دمشق، باستثناء الفشل الذي لاقوه في قضية مرتارا رغم الدعم والمساندة اللذين حظي بهما اليهود في هذه القضية، إلا أن الأمر اختلف هنا بسبب تدخل الكنيسة كطراف في هذا المشكل. وبناء على هذا الفشل عاد إيزيدوركاهن إلى أعمدة المحفوظات الإسرائيلية ليشدد على ضرورة تأسيس جمعية مقرها بباريس؛ لأنه من خلالها يمكن صيانة الأفكار وتحقيقها، واقترح أن تحمل الجمعية إسم الرابطة اليهودية العالمية[2]، بغية رصد حياة الجماعات اليهودية وقياس درجة

[1]- على سبيل المثال: ينظر:

- Narcisse Leven, **Cinquante ans d'histoire: L'Alliance Israélite Universelle (1860-1910)**, T 1 et T 2, Félix Alcan, Paris,1911/1920.
- A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine**: cent Ans d'histoire, Presses Universitaires de France, 1965.
- Michael M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle and the Jewish Communities of Morocco: 1862-1962**, Published by State University of New York Press, Albany, 1983.
- Jérôme Bocquet, **L'Enseignement français en Méditerranée: Les missionnaires et L'Alliance Israélite Universelle**, Collection Histoire Presses Universitaires de Rennes, 2010.
- André Kaspi, **Histoire de L'Alliance Israélite Universelle de 1860 à nos jours**, Armand Colin, Paris, 2010.

[2] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 27.
- **Archives israélites**, T 19, Année 1858,. p. 692.

التمييز القانوني والاقتصادي والاجتماعي الذي يواجهونه[1]، فضلا عن كونها مركزا لأعمال الاحتجاج والتضامن[2].

لكن الأسباب المباشرة هذه لا تعدو أن تكون غطاء تتستر من ورائه أهم الدوافع وأقوى الأسباب المؤدية إلى تأسيس منظمة ذات طابع دولي، هي الأولى من نوعها في تاريخ يهود العالم. إذ تكمن الدوافع في الدين والتاريخ اليهودي في حد ذاته، وهو تاريخ يعتبره اليهود مليئا بالمآسي والاضطهاد ومعاداة السامية "Antisémitisme" لا لشيء إلا لكونهم يهودا جعلهم الله شعبه المختار. وهو الأمر الذي أدخلهم في عزلة جعلتهم خارج كثير من المجالات السياسية والاقتصادية والمدنية المشروعة، بل سبب ونتيجة في أن واحد لتحولهم إلى جماعة وظيفية وسيطة تمتهن التجارة والربا[3]، لكن لم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى اعتبار اليهود مكونا غريبا عن المجتمع المسيحي يجسدون الواقع القديم، من بؤس وفقر وظلامية، ومقاومة للتقدم، ورفض للاندماج في المجتمع[4].

فالتحرر، سواء في شكله السياسي أم الثقافي، يرتبط ارتباطا وثيقا بواقع الحياة اليهودية في «الشتات Diaspora»، وبفعل الجو المواتي الذي وفرته الثورة الفرنسية، خرجت إلى الوجود أصوات يهودية تنادي بالاندماج في المجتمع، وفك جانب العزلة التي طوق بها اليهود أنفسهم، فلم يستفيدوا لا من عصر النهضة ولا من عصر الإصلاح الديني، ولا من عصر التنوير في أوروبا، بل تحصن اليهود داخل أسوار الجيتو الاقتصادية والوجدانية والفعلية. ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تزداد استنارة وعقلانية كان اليهود يزدادون غيبية وتصوفا وتخلفا[5]، حيث يعكس أوجين مانويل Eugène Manuel هذه الأفكار في رسائله إلى والده: **«... في هذا القرن، وبعد خمسين عاما على الثورة، ثمانين عاما بعد فولتير وروسو، لا يزال مليئا بالأحكام المسبقة المثيرة للسخرية، والمعتقدات الخرافية. عدنا إلى المعتقدات، ببطء وبصورة تدريجية...»** [6]، فالتجربة التي يخوض غمارها اليهود في فرنسا على الرغم من حداثتها، إلا أنها أثبتت أنه يمكن

---

[1] - **B.A.I.U.**, 1er Janvier 1860,. p. 10.

[2] - Ibid,. p. 15.

[3] - عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، م. س، ص. 132.

[4] - Michel Wieviorka, **"Analyse Sociologique Et Historique De L'Antisémitisme En Pologne"**, Cahiers Internationaux de Sociologie, Nouvelle Série, Vol 93, Juillet-Décembre 1992,. p. 243.

[5] - عبد الوهاب المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة**، م. س، ص. 35.

[6] - Michaël Graetz, **L'Alliance Israélite Universelle et l'héritage de la Révolution française**, Op. cit,. p. 39.

لليهود أن تكون لهم مكانة في المجتمعات التي يقيمون فيها، إذا ما توفرت عدد من الشروط المواتية؛ كالمساواة أمام القانون والتمتع بكافة الحقوق السياسية والمدنية، وهي شروط لا يمكن أن تتهيأ لليهود خارج الدول المتحضرة؛ كأوروبا الشرقية ودول حوض البحر الأبيض المتوسط التي تحتضن الكتلة الأضخم من الجماعات اليهودية في العالم، يعيشون في ظل ظروف يراها يهود أوروبا الغربية بالمزرية والحاطة بالكرامة الإنسانية، على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لذا جاء تأسيس الرابطة اليهودية العالمية من قبل الشباب البرجوازي الليبرالي الفرنسي، بصفتهم الورثة المباشرون لمبادئ الثورة الفرنسية (1789) - مبادئ التنوير والمثل العليا لتحرر الشعوب- وعليه لم يكن تمركز المنظمة في باريس من قبيل الصدفة على الرغم من كونها ذات صبغة عالمية، ولكن ذلك كان نتيجة مباشرة للتراث السياسي الليبرالي الفرنسي الموروث عن القرن الماضي[1]. والمكانة التي أصبحت تحتلها باريس كمركز ليهود العالم في القرن التاسع عشر، إلى جانب كون النخبة الفرنسية اليهودية أدركت تماما مسؤوليتها بوصفها نخبة طلائعية لها من الإمكانيات ما يؤهلها لتترافع عن بقية يهود العالم بفعل الهيبة المكتسبة لفرنسا لديهم [2].كما أن هذا الأمر كان له ما يبرره، وذلك برد الجميل لفرنسا التي منحتهم الحقوق السياسية والمعنوية، وتقديمها كنموذج ساطع للحرية والمساواة والإخاء، بالإضافة إلى الإمكانات التي تمتلكها فرنسا وقدرتها على تحرير الشعوب التي تئن تحت نير العبودية، وتماهي أهداف الرابطة مع إيديولوجية فرنسا الاستعمارية تحت غطاء نقل الرسالة الحضارية بما أنها البيت الغربي للبشرية منذ إعلان مبادئ الأخوية سنة 1789[3]، وكذا استمرار بعض أوجه معاناة يهود فرنسا نفسها من جراء عثرات تنزيل الدستور[4].

3) أهداف وايديولوجية الرابطة اليهودية العالمية.

---

[1] - Irene González González, **Escuela e Ideoligia en el Protecorado Espanol en el Note de Marruecos (1912-1956)**, Director: Dr. Miguel Hernando de Larramendi, universidad de castilla-la mancha, Facultad de Humanidades de Toledo, Área de Estudios Arabes e Islamicos, 2010,. pp. 41-42.

[2] - J. Bocquet, Op. cit,. p. 32.

- Patrick Cabanel, **"La France et sa langue en Méditerranée orientale au début du XXe siècle",** Documents pour l'histoire du français langue étrangère et seconde, N° 38/39, Juin-Décembre 2007,. pp. 17-32.

[3] - Léon Modiano, **Le judaïsme et l'Alliance Israélite: conférence faite le 30 Octobre 1909 à l'Association des Anciens Elèves**, Salonique, Novembre 1909,. pp. 8-9.

- A. Kaspi, Op. cit,. p. 234.

- **Archives israélites**, Tome 21, Année 1860,. p. 567.

[4] - **L'Univers Israélite**, N° 3, Novembre 1860,. p. 129-131.

اجتمعت في 17 ماي 1860 النخبة المؤسسة للرابطة، في 10 شارع فاندوم بباريس، وهو عنوان منزل تشارلز نيتر. وبعد أن لخص إيزيدور كاهن الأفكار التي دافعت المحفوظات الإسرائيلية عنها لمدة خمسة عشر عاما (أي منذ مقال بن ليفي سنة 1845)، تقرر تعيين ستة أعضاء لتشكيل لجنة مهمتها تأسيس الرابطة وتحرير قانونها الداخلي، وتوجيه نداء إلى كافة يهود العالم لأجل الانضمام إليها[1]، وقد حرصوا على أن يكون النداء على شاكلة النداءات الرومانسية للثورة الفرنسية لسنة 1848[2]، وفق طموح إعادة تشكيل الجماعات اليهودية على الصورة المثالية الحديثة لليهود الفرنسيين[3].

النداء دعا إلى توفير الدعم المؤسساتي للجماعات اليهودية «الأقلية» في شرق أوروبا وشمال إفريقيا والشرق الأوسط التي كانت في وضع غير متكافئ مقارنة مع غيرها، وهو خطاب مستمد من مشاعر الالتزام الأخلاقي المستمد من التعاليم الدينية؛ كالأخوة والإحسان والمحبة، الذي تم تصريفه من خلال مصطلح التضامن اليهودي الذي تعتبر الرابطة حجر الزاوية المؤسس له[4]. لهذا، تم تحديد ثلاثة أهداف ذات أولوية، تجمع بين مبادئ المساواة والعدالة واحترام حقوق الإنسان[5]، برزت في القانون الأساس المنظم للرابطة اليهودية العالمية[6] وهي كالتالي:

الهدف الأول:- العمل في كل مكان على تحرير اليهود وتطويرهم معنويا.

الهدف الثاني: - توفير المساعدة الفاعلة لأولئك الذين يعانون بسبب كونهم يهودا.

الهدف الثالث: - تشجيع نشر الإصدارات التي تساهم في خدمة هذه الأهداف.

استند الهدف الأول الذي حددته الرابطة إلى العمل من أجل التحرر، بهدف التقدم الأخلاقي لبني إسرائيل وجعلهم مواطنين حداثيين، من خلال نشر الوعي والثقافة. وقد شكلت المدرسة

---

[1] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. pp. 28-29.
[2] - I. González González, Op. cit,. p. 42.
[3] - E. Benbassa, **The Jews of France**, Op. cit,. pp. 130-131.
[4] - Lisa Moses Leff, **"Jewish Solidarity in Nineteenth-Century France: The Evolution of a Concept"**, The Journal of Modern History, Vol 74, N° 1, March 2002,. p. 35.
[5] - I. González González, Op. cit,. p. 42.
[6] - **B.A.I.U.**, 1er Janvier 1860,. p. 22.
- اتخذ المؤسسون من مبادئ جمعية الرابطة الإنجيلية العالمية (l'Alliance Evangélique Universelle) مصدر إلهام واقتداء، وقد تأسست هذه الجمعية في لندن سنة 1855 بهدف الجمع بين المسيحيين حول ثلاث فضائل هي: محبة الله ومحبة المسيحية ومحبة الإنسان، كما اختارت ثلاث مناهج في العمل هي: الدعاية الروحية والمساعدات الخيرية وتعليم الشباب، وهي أهداف وطرق عمل مستلهمة من أفكار أهم مؤسسيها القس Pelavel. ينظر:
- A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 24.

محور هذه السياسة، على الرغم من أنه لم يتم ذكر إنشاء المدارس بشكل صريح في القوانين الأساسية للرابطة التي تم تبنيها سنة 1862[1]، كما استند كذلك إلى مبادئ العمل الاجتماعي وفكرة نقل الحضارة. فبدأت الرابطة في تطوير العمل التربوي داخل سياق التحرر الفكري والرغبة في تغيير الصورة النمطية للجماعات اليهودية، والتي لن تتحقق إلا بافتتاح المدارس التي سيكون من شأنها تعميم التعليم الابتدائي العلماني والعملي الحديث على شاكلة النموذج التعليمي الفرنسي[2] الذي يتكيف مع الواقع الثقافي والديني لكل بلد، وذلك بهدف توفير تكوين من شأنه أن يساعد الشباب اليهودي على التكييف مع الظروف المتغيرة وإعدادهم بشكل جيد للحياة العملية.

لذلك شكل هذا الهدف حجر الزاوية الذي تنبني عليه باقي الأهداف؛ لأن الرابطة وعت مبكرا أن استمرار وبقاء اليهود واليهودية مشروطان ببناء الأفكار وانتقالها عبر التاريخ من جيل إلى آخر، فحتى في العصور المظلمة شكل التعليم طوق النجاة لهم، وبسبب إتقانهم للقراءة والكتابة شغلوا مناصب عليا لدى الملوك المسيحيين والمسلمين، الذين غالبا ما قدموا لهم الحماية أثناء تصاعد فترات الاضطراب. لذلك، فإن فضل بقاء اليهود بصفتهم جنسا فريدا من نوعه في جميع أنحاء العالم عبر التاريخ، مرده إلى التعليم.

فيما كان توفير المساعدة الفاعلة لأولئك الذين يعانون بسبب انتمائهم العرقي بمثابة الهدف الثاني للرابطة، عن طريق توفير الدعم السياسي للجماعات اليهودية في نضالها لأجل نيل الحقوق المتساوية[3].

علاوة على ذلك، جاء تشجيع نشر الإصدارات التي تساهم في خدمة كل من الهدف الأول والثاني كهدف ثالث، تجسد في دوريات صادرة عن الرابطة مثل:

- "Bulletin de l’Alliance Israélite Universelle" والتي بدأ إصدارها منذ سنة 1860 إلى غاية سنة 1913.

- "Revue des Ecoles de l’Alliance Israélite" صدرت بمبادرة من جاك بيغارت Jacques Bigart في تسعة أعداد بين سنتي 1901 و 1904.

---

[1] - J. Bocquet, Op. cit,. p. 39.

[2]- محمد حاتمي، **"التعليم اليهودي في مغرب النصف الأول من القرن العشرين: أدوار الرابطة اليهودية العالمية (الأليانس) والمدارس التلمودية الأمريكية"**، قضايا في تاريخ المغرب الفكري والاجتماعي، تنسيق لطفي بوشنتوف وعثمان المنصوري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- عين الشق- الدار البيضاء، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 21، ط 1، 2010، ص. 244.

[3] - L. Modiano, Op. cit,. pp. 9-10.

- "Paix et Droit: Organe de L'Alliance Israélite Universelle" بدءا من سنة 1921 إلى غاية سنة 1940.

- "Les Cahiers de L'Alliance Israélite Universelle (Paix et Droit)" بدءا من سنة 1944 إلى حدود 2006.

- "Les Nouveaux Cahiers" من سنة 1965 إلى غاية سنة 1997.

بالإضافة إلى عدد مهم من الإصدارات والمنشورات الموقعة من طرف الرابطة اليهودية العالمية؛ غايتها التعريف بالرابطة وأهدافها، وكذا توجيه معلميها المنتشرين[1]... إلخ.

في حين شكل التحرر الفرنسي الأساس الإيديولوجي لعمل الرابطة[2]، إذ باكتساب العلم يستطيع اليهود قلب كافة الموازين داخل المحيط الذي يعيشون فيه، وهو السبيل الوحيد الذي يمكنهم من إعادة فرض احترام الأغلبية لجنسهم بعدما تأثر بالعداء الفطري والتاريخي لباقي الأجناس[3]، وكانت الرابطة تدرك أن التفوق الحضاري اليهودي الذي تريد تحقيقه لن يتأتى إلا إذا تم توفير الظروف التي تتيح دينامية الارتقاء الاجتماعي انطلاقا من القدرات الفردية[4]، وبالتالي عملت على نقل هذه الإيديولوجية عبر عدة قنوات: منها الرفع من عدد منخرطي الرابطة من بضع مئات سنة 1861 إلى 13000 سنة 1870، وكذا إنشاء شبكة واسعة من المؤسسات التعليمية تمتد من المغرب إلى إيران، ومن دول البلقان إلى الإمبراطورية العثمانية والشرق الأوسط[5]. فمن ثلاث مؤسسات تعليمية سنة 1865 إلى 127 مؤسسة سنة 1939، يوازيه ارتفاع

---

[1] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport sous titre " Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle ", Tanger 15 Mars 1908,. p. 3.

[2] - إن أفكار المؤسسين قريبة جدا من أفكار الليبراليين في الإمبراطورية الثانية، ثم أفكار الحزب الجمهوري. لقد استغلوا الأيديولوجية التي تناسبهم، رافضين النظريات التي انحرفت عن الكثير من الخيارات الأساس التي حددوها لأنفسهم. ينظر:

- Georges Weill, **Emancipation et humanisme**, Op. cit,. p. 6.

[3] - محمد حاتمي، **"التعليم اليهودي في مغرب النصف الأول من القرن العشرين"**، م. س، ص. 241.

[4] - نفسه.

[5] - سنة 1885، قامت الرابطة بوضع تقييم أولي لعملها، عبر الكشف عن امتداد المدارس وتاريخ إنشائها، وفائدتها، وتقدمها، والنتائج الأخلاقية والمادية، من خلال إصدار نشرة الذكرى السنوية الخامسة والعشرين لتأسيس الرابطة التي ينص فيها الفصل الرابع على أن **«عمل المدارس هو عمل الرابطة المفضل، بحيث تكرس كل مواردها وجزءا كبيرا من قوتها لذلك»**. ينظر:

- **Vingt-cinquième anniversaire de la fondation de L'Alliance Israélite Universelle**, célébré le 1er Mars 1885, Paris, 1885,. pp. 76-77.

في نسبة تأطير التلاميذ اليهود من 680 إلى 47746[1]، لكن هذا الارتقاء الملحوظ سواء في نسبة المنخرطين أم في عدد المؤسسات التعليمية ونسبة التأطير لم يتأت فقط عن طريق تمرير الرابطة لإيديولوجيتها، بل كان وراءه أيضا الدعم المادي والسياسي لقوى التحرر دولا وأفرادا، وهو ما لم يفت الرابطة يوما أن تبدي امتنانها له، وخير تعبير عن ذلك هو ما أقره نارسيس ليفين عبر محضر الجمع العام للرابطة اليهودية العالمية المنعقد في 31 ماي 1864: «**الغرب المتحرر سدد دينه تجاه الشرق المجدد**»[2].

في حين انبنت عالمية الرابطة على أساس الهدف الأول المعلن الذي شكل المبدأ الأيديولوجي الحقيقي للعمل[3]، فالكونية والأخوة العالمية والحضارة الغربية هي أيضا موضوعات حاضرة في أغلب الأحيان في خطابات كريميو ونرسيس ليفين. لكن بالنسبة إلى الرابطة، فإن الكونية اليهودية على رأس القائمة، ويبرز ذلك بوضوح في أول نشرة للرابطة بتاريخ 1860: «**لا شك أن الاندماج العالمي من نذرنا، وجميع الناس إخوة لنا. ولكن، تتقدم العائلة الأجانب في ترتيب العواطف، بالطريقة نفسها التي يوصي بها الدين، كما أن ذكرى الاضطهاد المشترك يقوي الأخوة والشعور بالأسرة، والسياق الطبيعي للحياة يعطي الأسبقية على الآخرين**»[4]، وهذا ما أكده أدولف كريميو سنة 1872 خلال أحد الجموع العامة للرابطة، عندما بدأت المواجهة المسلحة بين فرنسا وألمانيا لاختبار حياد المنظمة: «**رابطتنا ليست إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية أو إيطالية، بل هي يهودية، وعالمية**»[5]، وبالتالي فإن التضامن اليهودي المبني على الأخوة اليهودية العالمية لم يتأثر بحرب (1870-1871) بين فرنسا وألمانيا التي شكلت اختبارا مهما لتأكيد تماسك الرابطة الداخلي، كما في علاقتها مع فروعها المنتشرة.

الفصل الثاني: الرابطة اليهودية العالمية وإرهاصات التأسيس.

إلى جانب قضيتي دمشق ومرتارا، ساهمت الأجواء التي وفرتها الثورة الفرنسية وهامش الحريات المكتسب من طرف اليهود، في التعجيل من وتيرة تأسيس الرابطة اليهودية العالمية،

---

[1] - Michaël Graetz, **L'Alliance Israélite Universelle et l'héritage de la Révolution française**, Op. cit,. p. 38.
[2] - **B.A.I.U.**, Juillet 1864,. p. 12.
[3] - Carsten Lorenz Wilke, **"La fraternité sauvegardée: Les militants français et allemands de L'Alliance Israélite Universelle à l'épreuve de la guerre (1868-1873)"** , Archives Juives, 2013/2, Vol 46,. pp. 59.
[4] - **B.A.I.U.**, 1er Juillet 1860,. p. 15.
[5] - **B.A.I.U.**, 2e Semestre 1871 – 1er Semestre 1872,. p. 58.

بفعل تهيئ الظروف المناسبة لذلك، وعلى انفتاح اليهود على المبادئ الأساسية للثورة وجراء القوانين والتشريعات التي صبت في صالحهم.

وفي ظل إرهاصات التأسيس هذه، جعل اليهود المتنورين بدورهم من المنظمة مؤسسة ذات طابع دولي، وملتقى ليهود العالم، ومنبرا داعيا للاندماج والتجديد في الوسط اليهودي الشرقي الأقل انفتاحا وتحررا والأكثر تخلفا وبؤسا.

1) الرابطة اليهودية العالمية ويهود فرنسا.

لن يتسع لنا المقام هنا للحديث مطولا عن تاريخ الجماعات اليهودية الفرنسية[1]، لكن ما يهمنا في هذا السياق هو أن يهود فرنسا قد أصبحوا عشية الثورة الفرنسية موضوع سلسلة من القرارات التشريعية التي ستعمل على تغيير ملمح الجماعات اليهودية سواء في فرنسا أو في غيرها من الدول فيما بعد، فمند سنة 1789 سيتم النظر إلى الجماعات اليهودية بصفتهم جزءا لا يتجزأ من المجتمع الفرنسي. ووفقا لذلك، ستنشأ مشاكل جديدة مرتبطة بمفهومي الاندماج Intégration، والاستيعاب Assimilation[2].

كتب هنري غريغوار Henri Grégoire كتابا عن التجديد المادي والمعنوي والسياسي لليهود، ينبني على أسس عقلية ودينية[3]، ففي **الجانب الأول**: بين على أن التمييز القائم تجاه اليهود المبني على الصور النمطية والأحكام المسبقة مجرد عبث يتعارض مع المنفعة الاجتماعية، وفي **الجانب الثاني**: باعتباره رجل دين، نادى إلى ترسيخ مبادئ الإنسانية والتسامح التي تتخلل رسالة المسيح، وبهذا يكون هنري غريغوار قد مهد لتقبل فكرة تحرير اليهود، وهو الأمر الذي انعكس على المادة الأولى من إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي اعتمدته الجمعية التأسيسية بين 20-26 غشت 1789، والذي اعتمد بدوره من قبل الملك في 5 أكتوبر 1789[4].

---

[1] - للإطلاع أكثر على تاريخ الجماعات اليهودية الفرنسية. ينظر:
- E. Benbassa, **The Jews of France,** Op. cit.
- Simon Schwarzfuchs, **Les Juifs de France**, Albin Michel, Paris, 1975.
- David Feuerwerker, **L'émancipation des Juifs en France**, Albin Michel, Paris, 1976.

[2] - Yossef Chvika, **Ecole juive et communauté israélite: Leurs Rapports en France et la Situation a Lyon**, Thèse de Doctorat de 3E Cycle en Sciences de l'Education, Directeur de Thèse: Professeur Guy Avanzini, Université Lyon II, Décembre 1984,. pp. 17-18.

[3] - Henri Grégoire, **Essai sur la régénération physique, morale et politique des Juifs**, ouvrage couronné par la Société Royale des Sciences et des Arts de Metz, le 23 Août 1788, Imprimerie de Claude Lamort, 1789.

[4] - Pierre Abraham, **L'Abbe Gregoire**, Nouvelles Editions Latines, Paris, 1946,. p. 24.

قبل قيام الثورة الفرنسية كانت الحدود ترسم بين الجماعات اليهودية والمجتمع الفرنسي المحيط بشكل واضح، لكن لاحقا بدأت تتلاشى هذه الحدود التي حالت دون توفر مرجعية يهودية فرنسية واحدة، وبالتالي لم تكن تمارس على أعضاء الجماعات اليهودية سلطة سياسية أو روحية واحدة، بسبب تطورهم في مجالات وتجاهات مختلفة، وبفعل الحصول على حقوق المواطنة التي أحدثت القطيعة مع الماضي، وإنشاء الهياكل التنظيمية من قبل نابوليون، ولد التقارب بين مصالح الجماعات اليهودية والمجتمع الفرنسي، ولكن في الوقت نفسه كان هناك نوع من الاستمرارية في شخص النفوذ الكبير للأسر المنحدرة من النظام القديم[1]، ومنذ ذلك الحين برزت نخبة اقتصادية ذات مشاريع أكثر ابتكارا أخذت تأخذ مكانها في المجتمع الفرنسي، وكذا بسبب انخراط العديد من الشباب في الحركة السان سيمونية "Mouvement Saint-simonien"[2] في حين اندمج آخرون في الأوساط الاشتراكية والجمهورية. وقد خلف انفتاح اليهود على هذه الخلفيات الفكرية والإيديولوجية المتنوعة تصورا للماضي والحاضر والمستقبل أيضا، وتعد سنة 1848 السنة التي انفصلت فيها رؤية الجماعات اليهودية لمجتمعهم المحيط ولمواقفهم السياسية بشكل عام[3].

وفي 17 مارس 1808، تم إنشاء المجمع الكنسي المركزي " le Consistoire central" ليصبح المكان الذي تصرف منه السلطة على باقي الجماعات والمحافظات انطلاقا من باريس، وقد سمح تجمع الزعماء اليهود بباريس باتخاذ قرارات بالغة الأهمية تسهم في تطوير أفكار اليهودية الفرنسية[4]، وعليه أصبحت باريس تدريجيا مركز اليهودية الفرنسية خاصة في العقود الأولى للقرن التاسع عشر، اضطلع من خلالها المجمع الكنسي بلعب دور واضح المعالم[5]؛ وهو تشجيع اليهود على امتهان المهن ذات المنفعة لتطوير الهيكل الأخلاقي لليهود[6]. ويتألف مجلسه من ثلاثة حاخامات وعضوين علمانيين، واتخذ من باريس مقرا له، ارتباطا بالدور الذي يمكن للمجمع أن يلعبه في إحدى أهم المراحل الانتقالية في تاريخ اليهود. وقد تشكلت نظرة أوسع

---

[1] - Michaël Graetz, **"Les Juifs en France au XIXe siècle: De la Révolution française à L'Alliance Israélite Universelle"**, Review by: Esther Benbassa, Revue Historique, T 282, Fasc 2 (572) (Septembre- Décembre 1989),. p. 435.

[2]- الحركة السان سيمونية: تنسب إلى سان سيمون Saint-Simon (1760-1825) وهو مذهب اجتماعي واقتصادي وسياسي، ذو وزن في القرن التاسع عشر ينبني على القطع مع التعصب والأنانية والنظام القديم وعدم المساواة والظلم والظلامية والإقطاع، ويقدم بديلا للمجتمع مبنيا على الصناعة والعلم والفن والثقافة... لجعل فرنسا بلدا مزدهرا بناء على المصلحة العامة والصالح العام وعلى مبادئ الحرية والمساواة والسلام.

[3]- Michaël Graetz, **les juifs en France au XIXe**, Op. cit,. p.435.

[4] - Ibid.

[5] - S. Schwarzfuchs, Op. cit,. pp. 235-237.

[6] - Monique Nahon, **"L'école consistoriale élémentaire de Paris, 1819-1833, La «Régénération» à l'oeuvre"**, Archives Juives 2002. 2, Vol 35,. p. 27.

لدى أعضاء المجمع، تكمن في إمكانية إنشاء الجمعيات الخيرية والمدارس، وهو ما يعني أن تعليم الأطفال والشباب قد شغل القسم الأوفر من فكر القادة اليهود منذ الثورة، بعد أن بدأت المؤسسات التربوية اليهودية التقليدية تتساقط لتحل محلها المؤسسات التربوية العمومية الحديثة التي أصبحت من أهم أدوات علمنة ودمج أعضاء الجماعات اليهودية. ومنذ سنة 1791 بدأت المدارس اليهودية في الانتشار مخافة التبشير الكاثوليكي بعد أن فتحت المدارس العمومية في وجه اليهود[1]، وهو الأمر الذي تنبه له المجمع الكنسي الذي أصدر نداء للإخوة في الدين بمناسبة قانون المواطنة، يحثهم فيه على أهمية المدرسة باعتبارها قاعدة دينية[2]. لذا تم اقتراح برنامج دراسي خاص بالمدارس الابتدائية، ينبني على قراءة اللغة العبرية والفرنسية، والتركيز على أسفار موسى الخمسة والجزء الأول الخاص بالأنبياء، وحفظ وتلاوة الصلاة ودراسة التاريخ المقدس، مع التركيز على مفاهيم محددة لتسهيل ممارسة الواجبات الدينية اليومية. علاوة على ذلك، كان لا بد من بسط جميع العلوم والحرف في المدارس اليهودية[3]؛ لأنها تدخل في صميم الحياة الاقتصادية للبلاد، وعيا منه أن التعلق بالدين اليهودي ليس عقبة أمام تحقيق الواجبات المدنية.

وبناء على ذلك، تم تشكيل لجان لإنشاء المدارس الابتدائية اليهودية، على الرغم من الصعوبات الجمة بسبب عدم كفاية الموارد المالية والبشرية[4]، ومع ذلك قامت حملة دعائية للحث على إنشاء المدارس الابتدائية اليهودية وأخرى تعنى بالفنون والحرف. وانطلاقا من سنة 1818 تأسست عدة مدارس في مدن مختلفة من فرنسا لكلا الجنسين (بنين وبنات)، مع تشجيع مدارس الحرف اليدوية التي تهدف إلى تدريب العاملين في مهن مختلفة.

في هذا السياق، واصل وضع المعلمين اليهود في التراجع بسبب سيطرة الكنيسة على التعليم في فرنسا؛ فأوجين مانويل وإيزيدور كاهن، بعد تخرجهما من مدرسة تكوين المعلمين واجها معارضة من ممثلي الكنيسة، على الرغم من أنهما لم يبديا معارضة لتوجهات الدولة، الشيء الذي لم يقيهما خطر التعرض للطرد، إلا إذا خضعا إلى التعميد والتحول إلى المسيحية، لكن ذلك لم يكن حلا نهائيا في نظرهما ما دام دم إبراهيم يجري في عروقهما[5]، ونظرا لسيطرة الكنيسة

---

[1] - Ibid,. pp. 26-28.
[2] - Ibidem.
[3] - Ibidem,. pp. 35-37.
- Katy Hazan, **"Du heder aux écoles actuelles: l'éducation juive, reflet d'un destin collectif"**, Archives Juives, Vol 35, 2002/2,. pp. 6-7.
[4] - S. Schwarzfuchs, Op. cit,. pp. 238-240.
[5] - Michaël Graetz, **L'Alliance Israélite Universelle et l'héritage de la Révolution française**, Op. cit,. p. 39.

ورجال الدين مرة أخرى (خلال مرحلة 1848) فقد هددوا مبدأ المساواة في الحقوق بين جميع أولئك الذين لم يكونوا جزءا من الكنيسة المهيمنة أو الذين التزموا علانية بمثل الجمهورية والعلمانية.

وشكلت الكنيسة أحد الأسباب التي دفعت الشباب اليهود، مؤسسي الرابطة اليهودية العالمية وغيرهم، للتشبث بمبادئ 1789، وجعلها مركز تطلعاتهم ونشاطهم السياسي، فتصدرهم للدفاع عن هذه المبادئ لم يكن حماقة الشباب أو وسيلة لاعتناق الأفكار العظيمة، بل لأنها ستمكنهم من الاستفادة من معسكر سياسي أقرب للمصالح اليهودية (المعسكر المدافع عن الجمهورية) بغية الحد من سلطة رجال الدين بعد عام 1848[1]، فأوجين مانويل Eugene Manuel، وهو كاتب النداء الموجه لليهود باسم الرابطة سنة 1860 مثله مثل كريميو وباقي مؤسسي الرابطة، معتدل جمهوري حافظ على قناعته الليبرالية في ظل الإمبراطورية من خلال تصريحه: **«أنا جمهوري، أنا أكاديمي، أنا أكره امتيازات الثورة والنسب، أنا أؤمن بالتحرر التدريجي للفقراء»**[2]. فهذا التوجه الذي اعتنقه مؤسسو الرابطة كان الهدف منه رفع سقف الاشتغال وتوسيع دائرته من خلال تدويل الجماعة اليهودية الفرنسية، بخلاف المجمع الكنسي الذي لم تشمل دائرة اشتغاله اليهود خارج فرنسا.

وفي ذات السياق، أعطت السلطات الفرنسية موافقتها لممارسة الرابطة نشاطها الشيء الذي جنبها مبدأ العمل السري، شرط ألا يقتصر هذا النشاط داخل الأراضي الفرنسية فحسب، وعلى أن يتواجد المركز الرئيس للمنظمة بها، لتسيير شؤون الفروع والمؤسسات التي سوف تقوم بافتتاحها في الخارج. وقد هدفت السلطات الفرنسية من دعمها للرابطة، نشر الثقافة الفرنسية في مناطق عملها، واعتبارها أحد الأهداف التي تعمل على تحقيقها[3]. فبعد إجازة الرابطة من قبل السلطات الفرنسية جرت في الأول من شهر ماي سنة 1860 عملية انتخاب أول هيئة إدارية لتسيير شؤونها بشكل مؤقت[4]، إلى حين انعقاد اللجنة المركزية وانتخاب هيئتها الإدارية بشكل قانوني[5]،

---

[1] - Ibid.

[2] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 33.

[3] - Elie kedourie, **"The Alliance Israélite Universelle 1860-1960"**, Jewish Journel of Sociology, N° 9, 1967,. p. 94.

[4] - أنظر الصور المتضمنة في الجدول رقم 1.

[5] - للإطلاع على أعضاء اللجنة المركزية للرابطة اليهودية العالمية منذ سنة 1860 إلى سنة 2009، ينظر:
- A. Kaspi, Op. cit,. pp. 477-490.

وعليه اختير جول كرفالوا أول رئيس للرابطة[1]، لكونه ليبراليا منفتحا على الأفكار التقدمية، ولعلاقته المتميزة مع النظام الإمبراطوري، وهو ما مكنه من تحقيق دعم سياسي للرابطة اليهودية العالمية[2].

إن أجواء الانفتاح التي عاشها يهود فرنسا والتشريعات القانونية التي صبت في صالحهم، ساهمت هي الأخرى في خروج الرابطة اليهودية إلى حيز الوجود مثقلة بكم هائل من الأحلام والأفكار التي تصب في تحسين وضع اليهود، وخلق صورة إيجابية لهم. ولعل أهم توجه يسعى إلى تحقيق ذلك هو إنشاء المدارس الابتدائية، لذلك يظهر جليا أن الرابطة قد تأثرت بالمحيط الذي نشأت فيه، ونهلت من أفكار وتجربة رجالاته الذين سعوا إلى الارتقاء باليهود إلى مستوى المساواة بتوسيع دائرة الاستفادة لتشمل يهود العالم كافة. وبخلاف ألمانيا وفرت فرنسا الأرضية الخصبة لتأسيس الرابطة بفعل تبلور إيديولوجية استعمارية جديدة لفرنسا تنبني على تصدير الثورة وروح الانفتاح والتحرر تحت عنوان نقل الرسالة الحضارية، وبالتالي صبت نداءاتهم في تجاه تحويل الولاء الشخصي للجماعة اليهودية صوب فرنسا للحد من النزعة الفردية والتمييز الاجتماعي[3]. في هذا السياق، كثر استخدام مصطلحات مثل «الاستيعاب Assimilation» و«الاندماج Fusion ou Intégration» للدلالة على رغبة اليهود في أن يصبحوا فرنسيين، وحصر الانتماء على أساس الدين في مجال ضيق وخاص يدخل في إطار الحريات الشخصية[4]، ومنبع هذا التوجه مستوحى من خطاب الكونت كليرمون تونير "Comte de Clermont-Tonnerre" إلى الجمعية الوطنية التأسيسية في 23 ديسمبر 1789 والذي قال فيه **«يجب أن ننكر كل شيء لليهود كأمة، ونمنح كل شيء لليهود كأفراد»**[5].

وبذلك كان لزاما على الشخصيات اليهودية المتنفذة إعطاء المثال بكونهم يهودا فرنسيين حقا، وخير دليل على ذلك هو أدولف كريميو المندمج بشكل عميق في المجتمع الوطني الفرنسي[6]. وفي هذا كتب دانيال أمسون Daniel Amson في سيرة هذا الرجل على **«أنه ينتمي إلى**

---

[1] ـ للإطلاع أيضا على التسلسل الكرونولوجي لرؤساء الرابطة ونوابهم وكتابها العامين منذ سنة 1860 إلى سنة 2009، ينظر:

- Ibid,. pp. 473-475.

[2] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 35.

[3] - J. Bocquet, Op. cit,. pp. 32 -37.

[4] - Ibid.

[5] - **Opinion de M, le comte Stanislas de Clermont-Tonnerre, député de Paris: le 23 Décembre 1789**, Baudouin, imprimeur de l'Assemblée Nationale, 1789,. p. 13.

[6] - Daniel Amson, **Adolphe Crémieux, L'oublié de la gloire**, Seuil, Paris, 1988,. p. 127.

فرنسا بحبه المتوهج، وبتفانيه العاطفي...»[1]. كما عبر كريميو بنفسه عن حبه لفرنسا بقوله: **«وطني الجميل، فرنسا التي أحب»**[2]، كما أنه بعد أن طرد إيزيدور كاهن من آداء واجباته التعليمية في المدرسة الثانوية Lycée de Napoléon-Vendée بسبب آرائه الفلسفية، اتخذ من الصحافة منبرا وصوتا لأجل إيقاظ اليهودية من غفلتها، ودعوة إسرائيليي العالم لتوحيد صفوفهم واستثمار نفوذهم لمكافحة انتشار التحيز المعادي للسامية، فمنطقه العلماني دفعه إلى نبذ أي إغراء يمكن أن يشكك في وطنيته وانتمائه إلى فرنسا، فبالنسبة إليه لم يعد يهود فرنسا يمثلون أمة أو عرقا بل مجرد فرنسيين، تعبيرا عن رفضه لعوالق الماضي وآثار الغيتو وكل أنواع الدوغمائية الدينية لصالح المثل العلمانية الفرنسية[3].

ساهمت التدخلات العديدة لكريميو لصالح إخوته في الخارج، وعدم قدرة المجمع الكنيسي التصرف في الشؤون اليهودية في العالم، في خلق المؤسسة اليهودية الدولية التي طال انتظارها[4]، فبالرغم من أن بعض المصادر تشير إلى كون أدولف كريميو هو أحد مؤسسي الرابطة في باريس، إلا أنه كلام غير دقيق؛ لأن معظم المصادر والوثائق تنفي تواجد كريميو في اجتماع 17 ماي 1860، لكن حسب آندري شوراقي، فإن غياب كريميو هذا كان مجرد غياب رمزي لأن حضوره كان مجسدا في شخص تلميذه تشارلز نيتر[5]، وهو ما لا ينفي بطبيعة الحال الدور المهم لكريميو في ظهور هذه المنظمة إلى الوجود، بسبب كونه أحد ملهمي الرابطة، إذ خلال تواجده بمصر ساهم الرجل في خلق مدرستين لصالح الجماعة اليهودية هناك[6]، وبالتالي فإن الرابطة أخذت فكرة إمكانية تأسيس المدارس في الخارج عن هذه الشخصية باعتبارها البوابة لتحديث اليهود وإخراجهم من عزلتهم الثقافية والسياسية[7]. ونظرا لانشغالات كريميو السياسية آنذاك جعلته بعيدا عن قيادة الرابطة خلال سنواتها الثلاث الأولى، لكن بعد تفرغه لشؤون الرابطة تولى قيادتها لسنوات طويلة من 1863 إلى وفاته، مع غياب قصير سنة 1867.

---

[1] - Ibid,. p. 40.
[2] - Ibidem,. p. 245.
[3] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. pp. 31-35.
- **Archives Israélites**, T 18, Année 1857,. p. 453.
[4] - S. Mrejen-O'Hana, Op. cit,. p. 143.
[5] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 35.
[6] - N. Leven, Op. cit, T 1,. p. 66.
[7] - S. Mrejen-O'Hana, Op. cit,. p. 142.

إن الرؤية الجديدة التي طرحتها الرابطة في حل المشاكل التي تواجه اليهود في مجتمعاتهم، خلقت معارضة شديدة من جانب بعض الأوساط اليهودية من داخل وخارج فرنسا، وتباينت أسباب معارضة هذه الأوساط. فمنهم من كان يكره العمل بهذا التجاه لأنه يحتاج إلى وقت طويل حتى تظهر نتائجه، وآخرون يعتقدون أن الشر يمكن أن يعالج بتجاهله، فيما كانت معارضة الحاخامات اليهود قائمة على أساس أن اندماج اليهود في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها يعني التخلي عن ديانتهم القائمة على أساس العزلة والنظرة الفوقية للآخريين. وقد بذل هؤلاء جهودا مكثفة من أجل وأد الرابطة قبل ولادتها، لأن نجاحها يعني فقدان هيمنتهم التي فرضوها على اليهود عبر سلسلة من العبادات، وقد نجحت هذه الأوساط المعارضة في إدارة حملة مناوئة كبيرة في العديد من الصحف الأوروبية، لاسيما الصحف الفرنسية منها، حيث اعتبرت تأسيس المنظمة خطوة لا تصب في مصلحة اليهود[1]، ولكن إزاء العمل الدؤوب من طرف مؤسسي الرابطة لنيل الاعتراف من قبل الدول القومية في العالم بصفتها هيئة ممثلة ليهود العالم وإصرارهم على تذليل كافة العقبات التي تعترض عملهم، كانت أول بادرة قامت بها الرابطة بهذا الخصوص هي توجيه دعوتها للزعامات اليهودية التقليدية الممثلة في المجمع الكنسي بباريس للانضمام إلى مجهوداتها، وبالفعل توصلت الرابطة بمعية المجمع الكنسي إلى حل توافقي يقضي بجعل الرابطة الممثل الرئيس لليهود الفرنسيين أمام الحكومة الفرنسية، لكن فقط في الأمور التي لا تتجاوز حدود اللياقة، وبالفعل تلقت مختلف المجمعات الكنسية (سواء في ستراسبورغ، نانسي، بايون، بوردو، مرسيليا) تأسيس الرابطة بالترحاب على الرغم من بعض التحفظات في بداية الأمر[2]، وعليه تمكنوا بمرور الوقت من امتصاص تأثير التيار المعارض لها، نظرا للخدمات التي كانت تقدمها الرابطة، مما جعلها تكسب المزيد من المؤيدين من مختلف المستويات[3]، وذلك بفعل برنامجها الطموح وقوتها الدعائية، وإيمانها بأن جميع المعتقدات الأخرى لها تمثيلية بين الأمم في العالم كله، تتجسد في الحكومات التي تمثلهم رسميا وتتكلم باسمهم، وأن اليهود وحدهم من يفتقرون لهذه الميزة الهامة[4].

---

[1] - **The Jewish Encyclopedia**, Vol 1, Op. cit,. p. 414.

[2] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. pp. 42-43.

[3] - N. Leven, Op. cit, T 1,. p. 85.

[4]- Danielle Omer, **"Une langue sans territoire? Le judéo-espagnol dans le discours des instituteurs de L'Alliance Israélite Universelle (1860-1913)"**, Ali Reguigui et Julie Boissonneault, Langue et territoire Etudes en ménagement linguistique, Série monographique en sciences humaines 14, Université Laurentienne, 2014,. p. 375.

- **B.A.I.U.**, 1er Janvier 1860,. p. 16.

ومع ذلك، لم يتضمن مفهوم الاندماج أو الاستيعاب السائد في تلك المرحلة، التخلي عن الطابع اليهودي الخاص أو الشعور بالماضي، أو الدين والمصير المشترك الذي يربط بشكل وثيق جميع اليهود في جميع أنحاء العالم. وأعرب عن هذا الشعور بشكل علني بفضل عدد من المفردات المستخدمة من قبل النخبة اليهودية في نداءاتها الموجهة إلى الجمهور، وهي كلمات مثل «الأسرة"، "إخواننا»، «الشعب» تستخدم باعتبارها مرجعيات رئيسة في الخطاب، الذي حافظ على شعور عميق بالتضامن مع «الإخوة» في العالم[1]. وبفعل هذا الشعور القوي بالتضامن تغذت الرغبة في تكرار تجربتي التحرر والتجديد وتوسيع دائرتهما أينما سمحت الفرصة، وبفعل ذلك تصدر يهود فرنسا المتحررون منصبا ريياديا وطلائعيا «نموذجيا» ليهود العالم الغربي[2]. لذلك، أصبح نموذج التحرر اليهودي الفرنسي نبراسا لكل أنشطة التحرر اللاحقة، وهي القاعدة التي يجب أن تتبعها بقية الجماعات اليهودية في أنحاء العالم.

في حين لم تعكس الأهداف المعلنة للرابطة في قانونها الأساس، بحيث عملت الرابطة اليهودية على ترجيح كفة يهود فرنسا في لجنتها المركزية بباريس[3]، كما أنها مركزت قراراتها إلى حد كبير مع إعطاء بعض الحرية في العمل لأعضاء كل بلد أو فرع محلي، باعتماد مراقبة دورية تتولاها بنفسها، وهو الأمر الذي ساهم في نشوء معظم الصراعات ذات الطابع التنظيمي والمالي أو السياسي بسبب هذا التحكم المركزي[4]، إذا علمنا أن عدد منخرطي الرابطة من اليهود الفرنسيين لم يبرر هيمنتهم على أجهزتها مقارنة مع منخرطي ألمانيا مثلا، فمع نهاية شتنبر 1871، وصل عدد منخرطي الرابطة إلى 13370 عضوا، منهم 2907 يقيمون في فرنسا والجزائر (منهم 1719 في باريس لوحدها)، و3863 عضوا في ألمانيا (بما في ذلك 882 عضوا في الألزاس واللورين)، و382 عضوا في انجلترا ومستعمراتها، و1248 عضوا في

---

[1] - J. Bocquet, Op. cit,. p. 32.

[2] - Ibid,. p. 33.

[3] - تراوحت أعداد أعضاء اللجنة المركزية بين 38 و68 شخصا، يقيمون نصفهم في باريس والخارج. وفي الواقع، لم يكن هناك سوى إثني عشر انتخابا لأعضاء هذه اللجنة إلى حدود سنة 1914، وبعد ذلك تم اعتماد مبدأ تعيين أعضاء اللجنة المركزية بالاختيار والتراضي ابتداء من سنة 1920. انتخبت اللجنة المركزية مجلس إدارة المنظمة المكون من رئيس ونائبين للرئيس وأمين عام وأمين مال. ومن بين أشهر الرؤساء أدولف كريميو وسيلفان ليفي ورينيه كاسان. ينظر:
- J. Bocquet, Op. cit,. p. 51.

[4] - Zosa Szajkowski, **"Conflicts in the Alliance Israélite Universelle and the Founding of the Anglo-Jewish Association, the Vienna Allianz and the Hilfsverein"**, Jewish Social Studies, Vol 19, N° 1/2, Jan - Apr 1957,. pp. 29-30.
- C. L. Wilke, Op. cit,. p. 69.

المجر-النمساوية[1]. كما كانت الرابطة تتوفر على 53 لجنة محلية في فرنسا، وبالمقابل توفرت على 343 لجنة في ألمانيا، دون احتساب 27 لجنة في منطقة الألزاس واللورين تنظم على حدة[2].

لقد عملت الرابطة بعد تصاعد الأصوات المنادية بالانفصال عنها، خاصة من قبل يهود ألمانيا على التوصل إلى اتفاق معهم يقضي بتوسيع دائرة تمثيليتهم داخل اللجنة المركزية، إلا أن تمثيليتهم هذه كانت ذات طبيعة شرفية بسبب عدم قدرتهم على الحضور بشكل شخصي في اجتماعات اللجنة المركزية بباريس، الأمر الذي يمنعهم من التصويت على القرارات الصادرة عنها، وهو ما انتقده الحاخام البولوني Treuenfels الذي صرح: **«بأن من ينتمي إلى الرابطة اليهودية العالمية يجب أن يقبل بأنها تدار مركزيا، وأن الأعضاء الأجانب داخل اللجنة المركزية مجرد دعاية للمنظمة دون الحاجة لمساهمتهم في إدارتها»**[3].

2) الرابطة اليهودية العالمية ويهود العالم.

إن أهم ما طبع التاريخ اليهودي الحديث منذ القرن التاسع عشر، هو المشاركة المتزايدة والمنظمة لليهود الأوروبيين، وخاصة يهود فرنسا، في تحسين أوضاع الجماعات اليهودية في الخارج، لاسيما في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط. وتتأطر العملية ضمن مهمة حضارية كبرى تقودها شخصيات بارزة[4]، ففي عدد من بلدان أوروبا التي بدأت الروح الليبرالية والتسامح تغزوان فئات مجتمعاتها، الشيء الذي ظهرت معه جهود دعاة المساواة بدعم من قبل بعض رجالات الدولة والصحافة[5]، وخلال هذه الفترة تأسست الصحف اليهودية مثل The Jewish Chronicle في إنجلترا، وLes Archives Israélites وL'univers Israélite و Le Lien D'Israël في فرنسا، وجعلوا من جمع الوثائق الأصلية والنادرة وغير المنشورة هدفا

---

[1] - Z. Szajkowski, Op. cit,. p. 30.

[2] - C. L.Wilke, Op. cit,. p. 60.

[3] - Ibid,. p. 70.

[4] - الاهتمام بوضع اليهود في العالم لم يبدأ مع تأسيس الرابطة اليهودية العالمية سنة 1860، بل يعود ذلك إلى سنوات 1830-1840 حيث تم تأسيس الائتلاف الباريسي "coalition Parisienne" من طرف النخبة المالية ممثلة في عائلة روتشيلد المتعاطفة مع النظام الملكي المتصل بأمراء منزل أورليانز "princes de la maison d'Orléans". والنخبة المثقفة ذات المهن الحرة المجسدة من قبل أدولف كريميو ذات الانتماء الجمهوري، وعدد من الجمعيات الخيرية، والمؤسسات الأكاديمية، والصحافة اليهودية ...، فخلقوا معا فضاء يهوديا فرنسيا مغلفا بخطاب سياسي وإيديولوجي محكم، خاص بالقضايا اليهودية. ينظر:

- J. Bocquet, Op. cit,. p. 31.

[5] - جول كارفالو Jules Carvallo، هو أحد أبرز الدعاة لتأسيس منظمة يهودية ذات طابع دولي، تعنى بشؤون اليهود في العالم، وتعمل على تصدير مكتسبات الثورة الفرنسية (وأحد مؤسسي الرابطة)، كتب في 6 فبراير 1851 في هذا الشأن يقول: **«يمكن للجميع التمتع بالفوائد الناجمة عن تحرر اليهود بفرنسا،... فالسكان الأجانب أصبحوا مواطنين مخلصين، محبين، في خدمة وطنهم ... وضعية اليهود استثنائية وفريدة من نوعها بفرنسا ... ووضعهم طبيعي بين الناس»**. ينظر:

- **L'Univers Israélite**, N° 6, Février 1851,. p. 255.

لإنقاذ آثار بني إسرائيل[1]. وقد دعت الصحف إلى إنشاء منظمات يهودية دولية للدفاع عن اليهود وحقوقهم وتعزيز تحررهم وبخاصة اليهود الشرقيين من خلال ربط اليهود في جميع أنحاء العالم بعضهم ببعض، وتحديد الاهتمامات المشتركة بينهم، بحيث لعبت الصحافة اليهودية دورا أساسا في تطور شكل حديث من التضامن اليهودي المبني على الهوية العرقية[2]. وفي سنة 1840 أي خلال الزوبعة التي أثارتها حادثة دمشق، اقترح المجمع الكنسي بفرنسا ومجلس نواب اليهود البريطانيين (.Board of Deputies of British Jews (B.D.B.J اتخاذ تدابير في الشرق الأوسط ذات طابع إجرائي فعال، ولكن المجمع الكنسي ومجلس النواب يتألفان من يهود علمانيين بارزين وزعماء دينيين يميلون إلى المحافظة بشكل أكبر، مترددين في تقديم تنازلات لموقف اليهود الفرنسيين أو الإنجليز، أي أنهم يترددون في التدخل في كثير من الحالات أو حتى للضغط على حكوماتهم للقيام مقام اليهود والدفاع عنهم في البلدان الأخرى. بدلا من ذلك، ركزوا على الشؤون الداخلية للمجتمعات اليهودية الفرنسية والإنجليزية. ونتيجة لذلك، لم يكن هناك حاجة لتدويل التحرر؛ فالمجتمع النشيط في نظرهم من شأنه أن يكون مصدر قلق للشأن الدولي، الشيء الذي يشكل مضاعفات سلبية على اليهود[3].

لقد لاقت دعوة التضامن مع اليهود، والدفاع عن مصالحهم، إستجابة كبيرة، إذ ظهرت العديد من المنظمات الكبرى مثل مجلس المندوبين الإسرائيليين الأمريكان the Board of Delegates of American Israelites سنة 1859، والرابطة اليهودية العالمية L'Alliance Israélite Universelle سنة 1860، والجمعية الأنجلو يهودية The Anglo-Jewish Association (A.J.A.) سنة 1871، والرابطة اليهودية في فيينا The Israelitische Allianz zu Wien سنة 1873، وجمعية إغاثة اليهود الألمان The Hilfsverein der deutschen Juden سنة 1901. والملفت للنظر أن دافع التضامن الدولي أدى إلى خلق منظمات وطنية متميزة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإنجلترا والنمسا وألمانيا، ولكن بالرغم من أن هذا التقسيم كان على أساس وطني إلا أنه كان له

---

[1] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 22.

[2]- في سنة 1838 كان هناك صحيفة يهودية واحدة تحمل إسم Allgemeine Zeitung des Judenthums، وفي غضون سنوات ارتفع العدد ليصل إلى ثماني عشرة بحلول سنة 1846، منهم ثمان في ألمانيا، في حين وصلت التقديرات إلى أكثر من مائة صحيفة بحلول سنة 1880. ينظر:

- Jonathan Frankel, **"Jewish Politics and the Press: The Reception of the Alliance Israélite Universelle (1860)"** , Jewish History, Vol 14, N° 1, The Press and the Jewish Public Sphere (2000),. pp. 29-30.

[3]- A. Chouraqui, **L'Alliance Israelite Universelle et la Renaissance Juive Contemporaine**, Op. cit,. pp. 19-29.

بعض المزايا؛ بحيث يمكن لهذه المنظمات أن تتعاون في الحالات ذات الاهتمام المشترك، بالضغط على حكومات بلدانهم وعلى جهازها الدبلوماسي، وهذا الأمر ما كان ليتحقق مع منظمة منفردة وإن كانت ذات بعد دولي. وعلى هذا النحو عملت كل منظمة على تعزيز الحقوق السياسية والمدنية وتحديث يهودها، بالعمل على شاكلة لوبي ضاغط داخل بلدانهم، وفي المقابل يمكن أن تلعب دورا مفيدا نيابة عن حكوماتها. وبالفعل، فقد تبين أن الفرق بين هذه المنظمات نابع من تمسكهم بالمصالح الوطنية لمختلف الدول الأوروبية حتى وإن كان على حساب المصالح اليهودية العامة[1]، وهو ما سيؤسس لصراع بين قيادات الرابطة اليهودية العالمية –الفرنسيين السلطويين- واليهود الألمان الذين سيؤسسون جمعية إغاثة اليهود الألمان باعتبارها شكلا من أشكال الاحتجاج على سياسات الرابطة بقيادة الفرنسيين.

بقي اليهود في معظم دول أوروبا حتى ذلك الحين، في بدايات مسار منح الحقوق المتساوية، وحتى في البلدان التي عرفوا فيها تتحررا كاملا (فرنسا، بلجيكا، هولندا، بريطانيا) كانوا لا يزالون -وربما أكثر- حريصين على إثبات الولاء المطلق للدول التي يعيشون فيها. لكن الرابطة أعلنت بصوت عال هدفها الذي يرمي إلى توحيد اليهود في جميع أنحاء العالم، على حد تعبير نداء 1860، فالهدف هو خلق **«روابط التضامن، من بلد إلى بلد تحتضن في شبكتها الواسعة كل ما هو يهودي (إسرائيلي)»**[2]. ولتحقيق هذا الأمر أعطت الرابطة أهمية استثنائية للصحافة باعتبارها محكمة الرأي العام ورافعة لا تقدر بثمن؛ لإزالة جبال العداء والتعصب تجاه اليهود[3]، ودحض كل ما من شأنه أن يشكل عامل تحامل عليهم، والعمل على توعية الجمهور من خلال التعريف بالديانة اليهودية وتأثيرها في باقي الديانات التي أعقبتها، والإشارة إلى المساهمات اليهودية المادية والأخلاقية على الصعيد العالمي. وعلى الرغم من ضعف الموارد في البدايات الأولى لنشأة الرابطة إلا أنها استطاعت أن تجمع، في عملها التضامني مع بقية اليهود، بين ما هو سياسي وما هو فكري كلبنات أساس في التأسيس «لمجتمع يهودي» متقدم أخلاقيا[4]، كما أنها أصبحت تشكل أساس ومصدر المعلومة المستمدة من مختلف أنحاء العالم فيما يتعلق بموقف الإخوة في الدين تجاه القوانين الإقصائية، وأعمال القمع التي يعانون منها، والجهود التي يبذلونها لتحرير أنفسهم[5].

---

[1] - Z. Szajkowski, Op. cit,. p.29.
- Jonathan Frankel, **"Jewish Politics and the Press"**, Op. cit,. p. 33.
[2] - Jonathan Frankel, **"Jewish Politics and the Press"**, Op. cit,. p. 32.
[3] - **B.A.I.U.**, 1er Janvier 1860,. p. 9.
[4] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 41.
[5] - **B.A.I.U.**, 1er Janvier 1860,. p. 9.

في حين جعلت الرابطة من إنجازات اليهود في الدول المتحضرة، والحقوق التي حصلوا عليها شيئا أساسيا وعالميا، صالحا لجميع اليهود دون استثناء[1]، لأن الغالبية العظمى من يهود فرنسا ونخبتها آمنوا بالنظام الجمهوري واعتبروه أرقى مثال للأخوة العالمية، في الوقت الذي تصاعدت فيه أصداء اضطهاد اليهود في كل من روسيا وألمانيا وحتى إيطاليا وسويسرا، الشيء الذي أوجب تمتين أواصر التضامن اليهودي وهو ما عبرت عنه المحفوظات الإسرائيلية حيث جاء بها: **«أكثر ما يهم هو عدم التراجع والحفاظ على الروابط الدينية بين أشقائنا في مختلف الدول. إذ، ولفترة طويلة قوتهم تنبع من توحد القوى المنتشرة، مع أن تنوع البلدان واللغات لا يجعلنا غرباء عن بعضنا البعض»**[2].

ولكي تصطبغ الرابطة بصفة العالمية كان لزاما عليها أن تعمل على ملاءمة أهدافها ومصالح يهود العالم. وأول خطوة في هذا المسار هو اعتبار يهود الشرق - بما فيهم يهود أوروبا الشرقية ويهود حوض البحر الأبيض المتوسط (الذين يدخلون في مجال العالم الإسلامي)- امتدادا ذاتيا، وجزءا لا يتجزأ من «الشعب اليهودي»، الأمر الذي جعل الرابطة مؤسسة عالمية تلتقي فيها كل التيارات التي تسعى وراء منح الحقوق المتساوية، وتعمل على تجديد اليهود وتحويلهم إلى مواطنين مندمجين ومتأقلمين[3]، كما كان لشهرة وتاريخ كريميو على رأس المنظمة عاملا رئيسا في إضفاء الطابع العالمي على الرابطة بوصفها مؤسسة مسؤولة.

ولتحقيق هذا التوجه انتهجت الرابطة آستراتيجية تتماشى والمد الاستعماري الفرنسي الذي في إمكانه تيسير مأموريتها في نشر شبكتها التعليمية في الوسط «السفاردي» الأكثر تخلفا في نظرهم عن بقية يهود أوروبا الشرقية «الأشكناز». ففي روسيا مثلا وبقية دول البلقان لم يكن بوسع الرابطة القيان بأنشطة ناجحة لأن سلطات هذه الدول كما توقعها مؤسسو الرابطة لا تحتاج إلى أي تدخل خارجي؛ ما دامت تخطو خطوات، وإن كانت بطيئة، نحو التحرر والاستنارة، وهو ما سيعود حتما على اليهود هناك بالنفع إن على المستوى الحقوقي أوالقانوني أوالثقافي، وهو الشيء نفسه الذي لا يستقيم مع الحكام المسلمين في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الذين لا يولون أي اهتمام يذكر بالحياة الداخلية للجماعات اليهودية الخاضعة لحكمهم. علاوة على ذلك، أدى التأثير الأوروبي المتنامي في هذه المناطق إلى إضعاف قدرتها على مقاومة تدخل اليهود

---

[1] - J. Bocquet, Op. cit,. p. 36.
[2] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 23.
[3] - Ibid,. pp. 36-37.

الغربيين. وبالتالي، أضحى هذا المجال مهيئا لعمل الرابطة[1]، الشيء الذي جعل منها شريكا مهما لفرنسا لتدليل عقبات نشر النفوذ الفرنسي تحت غطاء نقل الرسالة الحضارية، مقابل الحصول على دعم السلطات القنصلية الفرنسية.

وعليه، كان من الأولى على الرابطة أن تتجه بأنظارها في البداية صوب الجزائر. لكن هذه الأخيرة كانت قد أصبحت امتدادا للنفوذ الفرنسي بشمال إفريقيا بشكل رسمي عن طريق الاستعمار، وبالتالي امتدت إليها الإصلاحات التي همت يهود فرنسا بالتدريج خاصة عندما تم تأسيس مجمع كنسي بالجزائر على شاكلة المجمع الكنسي بفرنسا، بعد أن أوصى بذلك كل من Isaac Altaras وJoseph Cohen مندوبي المجمع الكنسي بمرسيليا سنة 1842، بهدف الإشراف على المعابد اليهودية، وتعليم الأطفال، وإدارة الشؤون المالية للمجتمعات، وتشجيع الزراعة والحرف اليدوية بين اليهود[2]، ولذلك لم تكن مدينة تطوان - المكان الذي تم اختياره لإنشاء أول مدرسة للرابطة اليهودية - من قبيل الصدفة، إذ تحكمت في هذا السبق عدة أسباب: نجملها في كون الجزائر قد أصبحت واحدة من مستعمرات فرنسا في ما وراء البحار، وهو ما سيسهل عملية تحرير يهودها بالتدريج ودمجهم على شاكلة يهود فرنسا، وقد تكلل ذلك بالنجاح سنة 1870 باستصدار قانون كريميو الخاص بالتجنيس الجماعي ليهود الجزائر بالجنسية الفرنسية. ثم قدرة الجماعات المغربية اليهودية على الحفاظ على علاقات جيدة مع مراكز التجارة الأوروبية، أضف إلى أن تطوان تحتضن واحدة من أكبر الجماعات اليهودية من أصل السفارديم "Séfarade" المستقرة في المغرب، واعتبار تطوان في المخيال اليهودي المتوسطي بمثابة أورشليم الصغيرة[3]. وعلاوة على ذلك، كانت حرب تطوان التي ينعتها الإسبان " La Guerra de Africa" لعام 1859-1860 سببا في هجرة عدد كبير من المغاربة اليهود إلى جبل طارق ابتعادا عن حالة انعدام الأمن الاجتماعي والسياسي والعسكري في المنطقة[4]، في هذه الحالة حرر ألبرت كوهين Albert Cohen، نائب قنصل فرنسا في تطوان، تقريرا موجها للرأي العام اليهودي الدولي، يصف فيه الوضع الذي تعيشه الجماعات اليهودية بالمغرب خصوصا في مدينة

---

[1] - A. Rodrigue, Op. cit,. p. 24.
[2] - J. Bocquet, Op. cit,. p. 33.
[3] - Abdelaziz Chahbar, **"Tétouan, petite Jérusalem"**, Tétouan, capitale méditerranéenne, sous la direction de M'hammad Benaboud, publication de Association Tétouan-Asmir, 2004,. pp. 114-120.
[4] - A. Kaspi, Op. cit,. pp. 228-229.
- M. Nahon, **La Guerre du Maroc**, L'Univers Israélite, N° 4, Déc 1859,. pp. 185-188.
- Joan Serrallonga Urquidi, **La guerra de África (1859-1860)**, Una revisión, Ayer, N° 29, La Política en el Reinado de Isabel II, 1998,. p. 141.

تطوان، وبناء عليه اتخذت الرابطة اليهودية ومجلس نواب اليهود البريطانيين[1] الخطوات الأولى في هذا الصدد.

وتبعا لما ورد في التقرير، بادر مجلس نواب اليهود البريطانيين (B.D.B.J.) بإيفاد لجنة سنة 1859 برئاسة بيسوتو M. Picciotto رئيس جالية السفارديم في لندن، صوب الجزيرة الخضراء، وجبل طارق والمغرب، مرورا بطنجة، الصويرة، الرباط وتطوان، بهدف تقييم وضع اللاجئين من الجماعات المغربية اليهودية. ففي الرسالة التي بعث بها بيسوتو إلى نارسيس ليفين Narcisse Leven في 12 يونيو 1861، أعرب فيها عن ضرورة تنفيذ سياسة المساعدات للجماعات اليهودية في المغرب بعيدا عن الأغراض الخيرية[2]، وذلك بالاعتماد على التدريب والتعليم للسكان[3]، من خلال إنشاء المدارس في تطوان **«قدم لنا السيد بيسوتو، عضو مجلس نواب اليهود البريطانيين بلندن (B.D.B.J.)، معلومات عن يهود المغرب، وحثنا على المساعدة في إنشاء مدرسة فرنسية في تطوان. وقد صوتت اللجنة المركزية لصالح تخصيص مساهمة مالية في هذا الصدد، إلى حين الإحاطة بجميع المعلومات اللازمة لضمان الاستخدام السليم لها»**[4]. كما دعا إلى إنشاء مجموعة واسعة من البنيات التحتية التي من شأنها أن تساعد، تدريجيا، في تجديد الجماعة اليهودية هناك[5]، وهو اقتراح أخذته الرابطة على محمل الجد بتكليف

---

[1] - تأسس مجلس نواب اليهود البريطانيين سنة 1760 من قبل رافاييل لانغام "Raphael Langham " وهو بمثابة الممثل الرئيس للجماعات اليهودية البريطانية، ويتوفر هذا المجلس على تاريخ حافل تجاه القضايا اليهودية خاصة خلال مرحلة القرن 19 برئاسة موسى مونتيفيوري "Moses Montefiore " (1784-1885). ينظر:

- William D. Rubinstein, **"250 Years of Convention and Contention: A History of the Board of Deputies of British Jews, 1760–2010"**, by Raphael Langham, Shofar, Vol 29, N° 4, Summer 2011,. pp. 205-206.

[2] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 152.

[3] - تعتبر اللجنة المركزية أن التعاون مع العناصر المحلية أمر حيوي لعمل مؤسساتها، التي ستؤسس بناء على الطلب المحلي القادر على توفير الدعم المالي والمعنوي؛ لأن الرابطة لا تعتبر نفسها مؤسسة خيرية محضة، وبقدر ما هي مستعدة لتمويل وإنشاء المدارس بمساعدة السكان المحليين، بقدر ما هي متمسكة بأن تشرف إشرافا كاملا على مؤسسات التعليم إلا أنها لم تقلل من أهمية الدعم المالي المحلي لضمان استمرارية هذه المؤسسات خاصة في السنوات الأولى للمنظمة، وعلى الرغم من بعض الاستثناءات إلا أن الرابطة كانت تنظر إلى الدعم المحلي كعامل غير قابل للتفاوض، على الرغم من تقلص الاعتماد على الدعم المالي المحلي إلى حد كبير بعدما بدأت الشخصيات اليهودية الثرية بالتبرع لصالح الرابطة وأهمهم البارون موريس دي هيرش baron Maurice de Hirsch وزوجته كلارا، وسليمان غولدشميت Salomon Goldschmidt، وإدوارد ساكي خان Edouard Sacki Kann، ابتداء من سنة 1873، وهو الأمر الذي ساهم في استقلال الرابطة ماليا وأن تصبح ذات موقف تفاوضي قوي عند تأسيس المدارس لدى الجماعات اليهودية المحلية. ينظر:

- A. Kaspi, Op. cit,. pp. 227-228.

[4] -**B.A.I.U.**, 1er Janvier 1862,. p. 5.

[5] - توالت التقارير والرسائل التي تصف الوضع المعيشي المزري لليهود المغاربة على جميع الأصعدة، والحاجة إلى إنشاء المدارس الحديثة التي من شأنها أن تشكل بوابة لكسر قيود الاضطهاد والدونية، والخروج باليهود من حالة الفقر والهشاشة التي يعيشون في ظلها. أنظر رسالة M. P. Barrow نائب قنصل بريطانيا بالرباط. ينظر:

- **L'Univers Israélite**, N° 10, Juin 1860,. pp. 564-568.

ايمانويل مناحيم ناحون Emmanuel Menahem Nahon نائب قنصل فرنسا في تطوان بإنشاء أول مدرسة لها تحت حماية الدولة الفرنسية وبإشراف من الرابطة[1].

وقد برر لويس .ج كونيغزفيغتر Louis J. Kœnigswarter تأسيس أولى مدارس الرابطة خارج تراب فرنسا، في محضر الجمع العام للرابطة في 18 يونيو 1863، بكونه أحد الأهداف الرئيسة للمنظمة. وبخصوص اختيار المغرب دون غيره، فيعود إلى أن يهود أوروبا الشرقية أكثر تأثرا بالنموذج التحرري الألماني والنمساوي، في حين تبقى الجزائر قطعة من التراب الفرنسي، لذلك فيهوده يرزحون أكثر من غيرهم تحت وطأة البؤس والجهل اللذين منعهم من خلق أداة قوية للحضارة والتقدم[2]. بالنسبة إليه، فتشجيع الإصلاح الداخلي للإخوة في الدين عن طريق التعليم العموي أو أي شيء يدعم هذا الهدف هو هبة حقيقية، كما أن الإصلاح لا يمكن أن يكون إلا تدريجيا. ولكي تنجح الرابطة في ذلك، يجب مراعاة عناصر التوفيق بين الدولة والدين والاحتياط من الأحكام المسبقة ومخلفات العادات القديمة؛ لأن يهود المغرب في هذه المرحلة كانوا يعكسون صورة تقريبية لوضعية يهود غرب أوروبا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين[3]، بسبب ارتفاع نسبة الفقراء وغير المتعلمين منهم.

فتحت الرابطة في 23 شتنبر 1862 أول مدرسة عامة للأطفال في تطوان[4] تحت حماية فرنسا وإنجلترا، واعتبرتها وسيلة من وسائل التأهيل الاجتماعي والثقافي لليهود[5]، وعهد منصب مدير المدرسة لهيرمان كوهن Hermann Cohn بسبب إتقانه لكل من اللغة الفرنسية والإسبانية والعبرية. وقد استقبلت المدرسة 160 تلميذا خلال سنتها الأولى[6]، تتراوح أعمارهم بين ثمان وست عشرة سنة، ينقسمون إلى أربع مجموعات، وتلقى ما يقرب من نصف التلاميذ

---

[1] - A. Navon. H, Op. cit,. pp. 7-10.

[2] - **B.A.I.U.**, Juillet 1863,. p. 3.

[3] - L. Modiano, Op. cit,. p. 10.

[4] - بعد أن توطنت الحماية الإسبانية بشمال المغرب سنة 1912 واختيارها تطوان عاصمة لها، كانت الرابطة تخشى أن يصبح مصير مدارسها موضع تساؤل، خاصة بعد تأسيس المدارس العبرية الإسبانية Hebreo-Espanol التي كان يشتبه في رغبتها في استقطاب جزء كبير من تلامذة الرابطة إلى صفوفها. لكن بسبب عدد من المشاكل الطارئة (حرب الريف، ديكتاتورية بريمو دي ريفيرا، انتفاضة فرانكو، إلخ...) ، تشكل لدى السلطات الإسبانية أولويات أكثر أهمية من مستقبل التعليم اليهودي في منطقتهم. كما أن العلاقات الجيدة لنيسيم فالكون Nissim Falcon مدير مدرسة تطوان، مع مسئولي الحماية الإسبانية أتت بنتائجها، فباستثناء بعض التعديلات الطفيفة التي كان الغرض منها تعزيز مكانة اللغة الإسبانية في البرامج التعليمية، حافظت الرابطة على شبكتها بشمال المغرب. والتي شملت إلى جانب تطوان، مواقع القصر الكبير، العرائش، أصيلا، طنجة التي كانت تتمتع بوضع المدينة الدولية. وقد ظلت مدرسة تطوان تعمل حتى عام 1972. ينظر:

-A. Kaspi, Op. cit,. p. 230.

[5] -Ibid,. p. 229.

[6] -**B.A.I.U.**, Juillet 1863,. p. 3.

تعليمهم بشكل مجاني؛ لأنهم فقراء معدمين، في حين يدفع بقية التلاميذ مبلغا سنويا يتراوح ما بين 0.5 و1 و1.5 و2.5 فرنك، وفقا لوضعيتهم الاجتماعية والاقتصادية[1]، وقد توزعت حصص الدروس المقدمة على فترة الصباح التي يتلقون خلالها الدروس الأساس، وفترة ما بعد الظهر التي تلقن فيها دروس اللغة العبرية والدين من قبل حاخامات محليين[2].

كانت مدرسة الرابطة هذه عمومية، بمعنى أنها كانت مفتوحة للجميع على قدم المساواة لكل من اليهود وغيرهم، بنينا وبنات على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم، وتعتني بتربية الجميع على حد سواء بقطع النظر عن مسائل الاعتقادات الدينية[3]، كما أنها استقبلت التلاميذ من كافة الجماعات اليهودية الذين سعا آباؤهم إلى تسجيل أبناءهم لديها، بما في ذلك أولئك الذين لا يستطيعون تحمل الحد الأدنى من الرسوم الدراسية[4].

فبتأسيس الرابطة، مدت الجسور بين الشخصيات العامة وعالم رجال الأعمال مما مكنها من كسب الدعم السياسي والمالي، وكذا نسج علاقات مبنية على أسس علمانية بين اليهود في وسط أوروبا وشرقها، وشمال إفريقيا، والشرق الأوسط، ويهود أوروبا الغربية من خلال الأنشطة التعليمية، التي مكنتها من نشر وعي مشترك بالانتماء إلى المجتمع نفسه، بما يسهم في تشكيل الهوية الحديثة لليهود[5]. وهو ما يتجلى في عدد منخرطي الرابطة الذي وصل قبيل سنة 1914 إلى 35 ألف عضو، نصفهم يقيمون خارج فرنسا -خاصة في ألمانيا- يدفع كل عضو رسما سنويا قدره ستة فرنكات[6].

الفصل الثالث: الجماعات اليهودية بالمغرب.

[1] - تقرير تقييمي لأنشطة المدرسة خلال السنة الأولى لعملها، موجه إلى رئيس اللجنة المركزية للرابطة بباريس بتاريخ 23 نونبر 1963. ينظر:
- A.A.I.U., **LXVI E 1005,** Rapport de Hermann Cohn, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tétuan, 23 Novembre 1863.

[2] - Ibid.

[3] - شاهين مكاريوس، **تاريخ الإسرائيليين**، مطبعة المقتطف، مصر، 1909، ص. 200.

[4] - ساهمت مجالس الجماعات بمنح سنوية تختلف من جماعة إلى أخرى حسب قدراتها المالية، فالجماعة اليهودية بالصويرة مثلا خصصت منحة سنوية قدرها 500 فرنك، شريطة أن تقبل مدرسة الرابطة بضم ما بين 40 إلى 50 تلميذا فقيرا يعفون من أداء رسوم الدراسة. ينظر:
- **B.A.I.U.**, 1er Semestre, Année 1875,. p. 78.
- Moria Paz, **"States and Networks in the Formation of International Law"**, American University International Law Review, Vol 26, 2010-2011,. pp. 1257-1258.

[5] - J. Bocquet, Op. cit,. p. 38.

[6] - Ibid.

اشتهرت الجماعات اليهودية الشرقية بأنها الأكثر تخلفا وبؤسا وتعرضا للاضطهاد والمعاملة الدونية، وبشكل خاص تلك التي تحيا في كنف الدول الإسلامية، بفعل وضع الذمة الذي يعيشون في كنفه، وبفعل التنظيم الاجتماعي الذي يأبى التغيير. سواء على مستوى مجلس الجماعة أو باقي المؤسسات التي تدار بها الجماعات كالمحكمة الحاخامية، والكنيس الذي تدور في فلكه كل جوانب الحياة اليهودية الشرقية.

1) اليهود: أهل الذمة.

الذمة (أو الذمي)، مفهوم عام يشمل جميع أهل الكتاب حيث كانوا، غير أن المقيمين في ظل دولة الإسلام منهم لهم وضع خاص، وهم الذين يسمون في اصطلاح المسلمين باسم (أهل الذمة) والذمة معناها: العهد، وهي كلمة توحي بأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنين، وهؤلاء بالتعبير الحديث (مواطنون) في الدولة الإسلامية، وقد أجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من شؤون الدين والعقيدة، فإن الإسلام يتركهم وما يدينون، وبدورنا لن نتعرض لليهودية كدين وإنما سنعرض لليهود باعتبارهم جماعة فيهم الطيب والخبيث، تبعا لقوله تعالى فيهم: **«وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»**[1].

وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في وصاياه بأهل الذمة وتوعد كل مخالف لهذه الوصايا بسخط الله وعذابه، فجاء في أحاديثه الكريمة: عن ابن مسعود «من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه، خصمته يوم القيامة»[2]، وبالتالي أصبح المسلمون بموجب هذا العهد مقيدين تجاه أي نوع من أنواع الأذية، وإلا فقد ضيعوا ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الإسلام.

وقد جرى خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم على رعاية هذه الحقوق والحرمات لهؤلاء المواطنين من غير المسلمين، وأكد فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم هذه الحقوق والحرمات.

---

[1] - القرآن الكريم، **سورة الأعراف**، الآية 168.

[2] - أبي الفيض الحافظ، **المداوي لعلل الجامع الصغير وشرح المناوي**، الجزء السادس، دار الكتبي، ط 1، 1996، ص. 32.

قال تعالى: **«وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»**[1]، **وقال أيضا «قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ»**[2]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الله تعالى لا يقبل غير دين الإسلام من أحد مهما كان، وهو طرح لاهوتي انعكس على القوانين المؤطرة للعلاقة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب بعد سنوات قليلة من ظهور الإسلام فيما يعرف بميثاق عمر أو بالعهدة العمرية[3]. والمسلمون لم ينكروا الطوائف اليهودية والمسيحية في أرض الإسلام، بل اعتبروهما معتنقين لديانات قاصرة "تعرضت للتحريف"، وفي نفس الوقت فهما جديرتان بالاحترام والتقدير نظرا لأسبقيتهما التاريخية إلى التوحيد، وهو ما يخول لهما إطارا مشروعا يُوجب حمايتهما من أي اعتداء ما دامتا في ذمة الإسلام[4]، حيث إن عهد الأمان الذي كتبه الخليفة عمر بن الخطاب لنصارى بيت المقدس -أهل إيلياء آنذاك- عندما تم الاتفاق على فتحها صلحا حين وافقوا على دفع الجزية ودخولهم في ذمة المسلمين وما ترتب عليه من حقوق وواجبات على كلا الطرفين[5]، وأهمها دفع الجزية مقابل الحصول على حق ممارسة الشعائر الدينية، وضمان سلامة الأشخاص والممتلكات، في ظل احترام قواعد "الاحتشام" المدنية والدينية.

لكن فيما يخص الشروط التي اشترطها عمر بن الخطاب على أهل الكتاب مثل ارتداء ملابس مميزة لهم عن بقية المسلمين، وألا يتطاولوا في بنيانهم على بنيان المسلمين وألا يمتطوا خيولا ... فهي بعيدة عن الصحة، حتى وإن كانت العهدة العمرية مقبولة تاريخيا، فهي غير قابلة للإثبات من الناحية الحديثية حسب مقاييس النقد عند المحدثين[6]، وذلك راجع إلى أن العهدة العمرية ليست هي الشروط العمرية التي يتناولها الفقهاء في كتبهم في موضوع أهل الذمة، واعتبروا جميع الأسانيد التي وصلت بها هذه الشروط إلينا أسانيد ضعيفة بسبب الانقطاع فيها.

---

[1] - القرآن الكريم، **سورة آل عمران**، الآية 85.

[2] - القرآن الكريم، **سورة التوبة**، الآية 29.

[3] - رمضان اسحاق الزيان، **"روايات العهدة العمرية - دراسة توثيقية –"**، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونيو 2006، صص. 169-203.

[4] - أبو بكر الصديق الشريف، **اليهود المغاربة: أسئلة التطبيع وجدلية أهل الذمة**، دار النشر المغربية، الطبعة المزدوجة، 2004، ص. 78.

[5] - رمضان اسحاق الزيان، م. س، ص. 170.

[6] - نفسه، ص. 191. أنظر أيضا:
- موسى إسماعيل البسيط، **العهدة العمرية بين القبول والرد –دراسة نقدية-**، ط 1، 2001، صص. 53-71.

وما التحليل الاضطهادي –بقصد أو بغير قصد- الذي يقدمه الباحثون الأجانب يهودا ومسيحيين لعهد الذمة تحت مسمى ميثاق عمر، ما هو إلا جهل وخلط بين العهدة والشروط. ولعل ما يدحض ذلك هو الهامش الكبير من الاستقلالية الذي تمتعوا به في كنف دولة الإسلام سواء كان ذلك في المجال الديني أم المدني أم القانوني، وتحقيقا لهذه الغاية سمح لهم بتكوين مختلف المؤسسات الحاخامية والمجتمعية لتسيير شؤونهم على قدر كبير من الاستقلالية الذاتية، وهو ما يدحض أي دلالة سلبية لمفهوم الذمة لدى المستشرقين، حتى أن ربير أصراف قد نأى بنفسه عن تقييم وضعية الذمي التي هي عبارة عن أحداث تاريخية تقييما أخلاقيا بالمعايير الحالية، اعتبارا لكون وضعه القانوني كان الإطار الوحيد الممكن الذي يحدد علاقته داخل المجتمع الإسلامي في القرون الوسطى حيث لم يكن هناك وجود لمفهوم المواطنة، كما كان الشأن نفسه أيضا في أوروبا[1].

وبشكل عام، يتم تفسير اضطهاد اليهود ومعاداتهم بكره الأغيار للهم عبر العصور، وهو تفسير يلفه الغموض والعمومية. فإذا كان كره الأغيار لليهود ظاهرة ميتافيزيقية متأصلة، فإن المنطقي هو أن يعبر هذا الكره عن نفسه بشكل مطلق، أي بالطريقة نفسها بغض النظر عن الزمان والمكان. ولكن تاريخ عداء اليهود تاريخ طويل ومتنوع، ويفتقر إلى الاستمرار التاريخي كما تختلف دوافعه وأسبابه. ومن المعروف أن الجماعات اليهودية توجد داخل تشكيلات حضارية مختلفة، وكانت تنشأ توترات مختلفة بينها وبين أعضاء الأغلبية، ورغم أن سائر أحداث التوتر هذه يشار إليها بمصطلح «الإضطهاد أومعاداة اليهود» على وجه العموم، فإن المصطلح يكتسب مضمونه الحقيقي من خلال التشكيلات الحضارية المختلفة. لذلك، فإن الدلالة تختلف من تشكيل إلى آخر، حتى أن اليهود أنفسهم يشكلون جماعات مختلفة، وغير متجانسة لكل منها ظروفها ومشاكلها[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الذمة أو أهل الذمة يبقى مجرد نعت للدلالة على الآخر المختلف دينيا. في حين إذا ما قارنا وضع الأقلية الدينية (المسلمة واليهودية) فوق الأرض المسيحية

---

[1] - ربير أصراف، **محمد الخامس واليهود المغاربة**، ترجمة علي الصقلي ومحمد كلزيم، ط 1، دجنبر 1997، ص. 30.

[2] - عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، الجماعات اليهودية: إشكاليات**، دار الشروق، 1999، ص. 335. أنظر أيضا:

- محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب بين نداء الوطنية ورهان المغرب المستقل 1948-1961**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب تخصص تاريخ، إشراف جامع بيضا، الجزء الأول، جامعة سيدي محمد ابن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس، السنة الجامعية 2006-2007، ص. 12.

«إسبانيا مثلا»، في بدايات القرن الخامس عشر، سنجدهم مخيرين بين العيش في المنفى أو الردة عن دينهم[1]، وهو ما لم يفرضه المسلمون على الأقليات الدينية داخل مجال دولتهم[2].

2) مجلس الجماعة.

تنظم الجماعة اليهودية بواسطة مجلس الجماعة «المعمد Ma'amad»، المكون من طبقة وجهاء الجماعة. ويتألف أعضاء هذا المجلس من سبعة وجهاء، وثلاثة حاخامات (Hakhamim أو Hakham)، وقاض واحد أو أكثر (Dayyanim أو Dayyan)، وهم أصحاب سلطة اتخاذ القرار في مسائل القانون والأوصياء على العقيدة والتقاليد ...[3].

والملاحظ أن العضوية في المجلس مجرد قيمة فخرية، إذ يؤدي المجلس وظائف عامة مثل رفع الضرائب وتوزيعها، وجمع الصناديق الخيرية للمعابد اليهودية وإدارتها، والإشراف على تسيير المؤسسات الدينية. والمجلس هو من يقوم بتسمية قائد الجماعة المسمى بالنجيد أو النكيد "Nagid"، وهو من يترأس مجلس الجماعة وتنطوي مهامه على تنفيذ القرارات التي يتخذها المجلس بالإضافة إلى تمثيل الجماعة أمام السلطات الرسمية للدولة، بل هو أيضا المسؤول عن جهاز الشرطة وجمع الضرائب داخل الملاح. ويستمد النجيد سلطته السياسية من باب كونه المسؤول الأول عن الجماعة اليهودية، ومكانته هذه تمتعه بمجموعة من الامتيازات المهمة لدى السلطة السياسية للدولة[4]، التي مكنته من تبوؤ مناصب ومهام ذات طبيعة خاصة (سفير، مستشار الملك، مصرفي...)[5]، وهو غير معفى من أداء الضرائب بحكم منصبه، بل إن المسؤولية التي يتقلدها تحتم عليه أن يدفع من أمواله الخاصة المبالغ المطلوبة من قبل السلطان عندما لا تكون للجماعة مقدرة على ذلك، وإلا فسيكون مصيره السجن. والنجيد شخصية محورية بسبب ازدواجية

---

[1] - Lewis Bernard, **The Jews of Islam**, Princeton University Press, New Jersey, 1984,. p. 24.

[2] - أنظر في هذا الخصوص مقالة سيمون ليفي:

- Simon Lévy, **"Islam et Judaïsme: une expérience de 14 siècles "Le nationalisme arabe annula les autres identités mais les Sultans Marocains protégèrent les juifs"**, AFKAR/IDEES Revue trimestrielle pour le dialogue entre le Maghreb, l'Espagne et l'Europe, N° 1, Décembre 2003,. pp. 107-110.

[3] - حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب: تاريخ. ثقافة. دين**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط 1، الدار البيضاء، 1987، ص. 125.

[4] - عطا علي محمد شحاته ريه، **اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين**، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1999، ص،. 90.

[5]- يمكن اعتبار أسر آل كوركوس "Corcos" وأفرياط "Afriat" وكوريات "Coriat" ومقنين "Macnin" وبنشمول "Benchimol" نماذج جد معبرة عن هذا الواقع. ينظر:

- J. Bocquet, Op. cit,. p. 82.

المهام التي يطلع بها (دينية وعلمانية)[1]، لكنه يمثل نوعا ما الجانب العلماني للسلطة الروحية داخل الجماعة اليهودية، وصلاحياته في منصبه هذا تمتد مدى الحياة[2].

3) المحكمة الحاخامية.

إلى جانب استقلال اليهود في ظل الحكم الإسلامي بتصريف شؤونهم الداخلية عن طريق مجلس الجماعة، يعترف باستقلالية السلطة القضائية في تنظيم الجماعة، فالمحاكم الحاخامية "Rabbinique Les Tribunauxs" هي الوحيدة ذات الاختصاص في تنظيم حياة الجماعة من الناحية القانونية في مجموعة من المجالات مثل:

- الأحوال الشخصية: وهي كل المسائل المتعلقة بالطلاق والزواج والميراث ...
- النظام العام: ويعنى بتطبيق الطقوس والواجبات الدينية ...
- المنازعات: فض النزاعات بين اليهود، لكن في الحالات التي يكون أحد أطرافها من المسلمين يسقط حق المحكمة الحاخامية في النظر فيها؛ لأن الشريعة الإسلامية تمنع على المسلمين التقاضي بغير شرع الله، بدليل الأية التي تقول: **«وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»**[3].

ومصطلح بيت الدين "bet-din" هو الإسم الذي يطلقه اليهود على المحكمة الحاخامية، ويشرف عليه قضاة حاخامات، وعددهم ثلاثة، مسؤولون عن ضمان تنفيذ العدالة[4]، فالقوانين التلمودية والعقود أو ما يسمى بالتقنوت "Taqqanoth" وهي نصوص عبارة عن أنظمة دائمة أو مؤقتة تعالج النوازل في حينها وتختلف من جماعة إلى أخرى، تكتب وتختم من قبل بيت الدين، وعلى مجلس الجماعة تنفيذها.

وبالتالي فالحياة الاجتماعية لليهود داخل الملاح تدار طبقا للقوانين الدينية والتقاليد التي تبلورت طبقا لتعاليم التلمود، والتي تؤدي وظيفة الحفاظ وفرض النظام العام داخل الجماعة، أي أنها لا تخرج من حساباتها الامتثال للواجبات وقواعد المجتمع المسلم الذي تتأسس عليه العلاقة

---

[1] - حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب**، م. س، ص. 126.
[2] - عطا علي محمد شحاته ريه، م. س، ص. 90.
[3]- القرآن الكريم، **سورة آل عمران**، الآية 85.
[4]- حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب**، م. س، صص. 128 - 129.

بين هاذين المكونين في المغرب، الأمر الذي أوجد قاعدة ثقافية مشتركة لمعظم الجماعات اليهودية.

لكن استقلالية الملاح في إدارة شؤونه مؤقتة وقابلة للإلغاء، ولاستمرار وضعية الاستقلالية هاته يشترط دفع الجزية؛ العنصر المركزي في العلاقة بين السلطة الإسلامية والمؤسسات اليهودية[1]، وبالتالي تلعب المحكمة الحاخامية دورها في تنظيم جمع الجزية بتعيين كمية (إذا ما كانت عينية) أو مبلغ (إذا كانت مادية) مساهمة كل فرد بما يتناسب مع ثروته.

لذلك فالمؤسسات اليهودية هي صلة الوصل بين الجماعة اليهودية والسلطة المركزية، ونتيجة لذلك فهي المسؤولة عن الجماعة في تنظيمها اجتماعيا وسياسيا أمام السلطة المركزية أو ممثلها، وهنا تبرز أهمية السلطة الحاخامية في تنظيم الجماعة اليهودية بسبب مكانتها المرجعية، فالكنيس "la Synagogue" هو بمثابة الهيئة الناظمة للجماعة، فبعد وظيفته الأولى المتمثلة في كونه مركزا لأداء الشعائر الدينية، فهو مكان كذلك لاجتماع الجماعة حيث يقوم المجلس بإملاء قراراته وأوامره، ويتم استثماره في أداء وظيفة تلقين التعليم التقليدي الذي هو من مسؤوليات الحاخام شرعا، الشيء الذي يمنحه شرف نقل التعليم التقليدي والحفاظ على الهوية اليهودية، ولكل جماعة كنيسها وحاخاماتها، فاليهودية بالمغرب تستمد أساسها من التمايز والتفاضل الاجتماعي والديني، الذي تعرب عنه طبيعة مجال الاستقرار «الأرض»، والثقافة والاقتصاد.

4) البيعة أو الكنيس.

البيعة هي كنيس اليهود بالمغرب، ويطلق عليها بالعبرية «بيت هاكنيست»[2]، ويقابلها عند المسلمين «المسجد»، وعند المسيحيين «الكنيسة l'Eglise»، وبالتالي تحتل البيعة في حياة اليهود مكانة المسجد والكنيسة نفسهما، والأدوارهما ذاتها، ففيها تؤدى الصلوات اليومية، وبها يجتمع مجلس الجماعة لاتخاذ القرارات أو إعلان المراسيم[3]، وبها توضع صناديق الأعمال الخيرية إعانة للمحتاجين في حالات الضيق والمجاعة[4].

وعادة ما تصبح البيعة ذلك الملاذ الآمن أيام المحن والفتن، وغالبا ما تتضمن غرفة صغيرة للدراسة والتعلم «بيت مدراش Beit midrash» فبالرغم من أن وظيفتها الأولى هي

---

[1]- نفسه.

[2] - عطا علي محمد شحاته ريه، م. س، ص. 94.

[3] - حاييم الزعفراني، **يهود الأندلس والمغرب**، ترجمة أحمد شحلان، الجزء الثاني، مرسم، الرباط، 2000، ص. 362.

[4] - عطا علي محمد شحاته ريه، م. س، صص. 94-95.

العبادة إلا أنها أصبحت عنوانا في التاريخ اليهودي للتلمود توراة "Talmud Torah" وتدريس التقاليد اليهودية واللغة العبرية.

ولا يتوقف دور البيعة عند هذا الحد بل يتجاوزها لتصبح مركز الجماعة اليهودية، إذ غالبا ما تتحول إلى قاعة للأنشطة الاجتماعية الدينية وغير الدينية، وتوفر مكانا لتدارس ومناقشة المسائل ذات الأهمية، وكثيرا ما تحيل على وظيفة الرعاية الاجتماعية، مثل جمع الأموال وتوزيعها وغيرها من المواد لمساعدة الفقراء والمحتاجين داخل الجماعة.

الفصل الرابع: المغاربة اليهود: المجال والأدوار.

التكييف الذي أبداه اليهود بالمغرب في مرحلة ما قبل الاستعمار، منحهم خصائص المجتمع الصغير داخل الملاح، في حين لاقت جماعة الملاح تهميشا من قبل المجموعة المهيمنة، وهو ما عزز، عن غير قصد، الحفاظ على الخصوصية اليهودية.

إلا أن هذه الخصوصية لم تمنع من أن يضطلعوا بأدوار مهمة داخل الدولة المغربية، جراء الفعل الدبلوماسي والسياسي نيابة عن السلطان، الشيء الذي فتح أمامهم آفاقا جديدة وواعدة للفعل الاقتصادي بخلاف ما كانوا يزاولونه من حرف ومهن محدودة.

1) الملاح: مدينة داخل المدينة.

لاحظ المؤرخون، قبل وصول الإسلام، أن هناك ميلا طبيعيا وعفويا لدى القبائل اليهودية[1] المختلفة بشبه الجزيرة العربية للاستقرار والتوطن في فضاء محدود مثل يثرب، وبوصول الإسلام إلى هذه المنطقة لم يقم بتحديد هذا المجال وحصره، ولم يمنع أو يقيد استمرار العلاقات بينهم وبين غيرهم من المسلمين.

[1] - من أشهر القبائل اليهودية التي استقرت بيثرب (المدينة المنورة حاليا) واشتهرت في التاريخ العربي هي: بنو النضير وبنو قريظة وبهدل (بنو هدل) وبنو قينقاع وهم الذين كانت ديارهم داخل يثرب.

وبالتالي فإن توطن اليهود في تجمعات خاصة بهم، بدافع الالتزام بدينهم، مكنهم من تبوؤ وضعية خاصة لم تعفهم واجباتهم تجاه السلطة السياسة للدولة، وهو ما حتم على جميع أفراد الجماعة اليهودية احترام هذه الواجبات (خاصة دفع الجزية) أو يحرمون من الحماية، وبالتالي حرمانهم من استقلاليتهم في تدبير وتسيير شؤونهم، وهو الشيء الذي يؤكد هويتهم الدينية ويعبر عنها؛ ويمكن اختصارها في إيقاع عملي يومي منظم حول أماكن العبادة مثل الكنيس والحمام واليشيفا.

وفي المغرب كان أول تجمع يهودي محاط بأسوار في مدينة فاس سنة 1438[1] على عهد السلطان المريني عبد الحق بن أبي السعيد (1412-1465)، وأطلق عليه اسم الملاح تبعا للموقع الذي أقيم فوقه، وهو موقع مالح غير صالح للإنتاج. وفي رواية أخرى تم إرجاع المصطلح إلى مهنة تمليح الرؤوس البشرية الخاصة بالثوار والمجرمين التي اختص بها اليهود[2]، وبهذا سيعمم المصطلح المنتج ليحيل على كافة المواقع والأحياء التي سكنها اليهود في المدن المغربية. والملاحظ أن الملاحات قد بنيت أحيانا خارج المجال السكني والتجاري للمغاربة المسلمين، وأحيانا داخل أسوار المدينة القديمة حيث يعيشون في كثير من الأحيان إلى جانب جيرانهم المسلمين[3].

والملاح في تخطيطه يشبه كثيرا المدن المغربية العتيقة في كثافتها واكتظاظها، من حيث دور العبادة، والمدارس، وورش عمل الحرفيين، والأفران، والمطاحن... في صورة مصغرة للمدينة المغربية إذ تحتل كل حرفة وصنعة رواقا ومساحة محددة تحمل اسمها مثل العطارين والصياغين والخرازين...[4]، كما تَوفر الملاح على سجن وشرطة خاصين به خاضعين لسلطة الحاخامات بتنسيق مع المخزن لمراقبة الأخلاق وتنظيم السوق[5]، وهو ما ساهم في ترسيخ استقلالية الجماعة دون وقوع انفصام في العلاقات المتبادلة بين اليهود والمسلمين المغاربة، على الرغم من الفصل الواقع في مجالي الإقامة والدين، إلا أن ذلك لم يمس المجال الاجتماعي

---

[1] - Jane S. Gerber, **Jewish Society in Fez 1465-1700: Studies in Communal and Economic Life**, Leiden, E. J. Brill, 1980,. pp. 13-22.

[2]- أحمد هوزالي، **"الملاح"**، معلمة المغرب، ج 21، نشر مطابع، سلا، 2005،.صص. 7261-7260.

[3]- محمد بن علي الدكالي، **الإتحاف الوجيز: تاريخ العدوتين**، تحقيق مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، ط 2، 1996،. ص. 55.

[4]- حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب**، م. س،. ص. 157.

[5] - J. Goulven, **Les Mellahs de Rabat-Salé**, librairie orientaliste Poul Geuthner, Paris, 1927,. p. 110.

والاقتصادي، إذ يمكن أن تحتضن المدينة المغربية حيا كاملا خاصا بالتجار اليهود في حين أن هذه الإمكانية لم تتح للتجار المسلمين داخل الملاح.

وبما أن المصادر لم تسعفنا في معرفة الأسباب التي كانت وراء تأسيس ملاح مدينة فاس، وهو أول ملاح في تاريخ المغرب، إلا أن بعض تجارب تأسيس الملاحات بالمغرب تعرض لنا بعض ملامح ودوافع هذا التأسيس من خلال نموذج ملاحي مدينة سلا والرباط، فوفقا لمحمد بن علي الدكالي في كتابه «الإتحاف الوجيز» تنجلي الصورة النمطية لليهود عند المسلمين إذ إنهم **«... يستعملون النجاسات في دورهم ولا يتوقونها من خمر وغيره، ويخلطون ذلك مع ما يفضل لهم من الخمور حال عصرها، ويمر ذلك كله على أبواب المساجد المذكورة... ويشهدون مع ذلك بأن أهل الذمة المذكورين حيث يجتمعون بكنائسهم للإعلان بكلمة كفرهم يرفعون أصواتهم جهارا بذلك على المسلمين...»**[1]، وبالتالي فإن هذه الصورة سيزيد من تغذيتها قيام أحد المسلمين «الحذاق» من المجاورين لهم في السكنى بأن اشترى منهم قنينة خمر وتربص حتى صلى الناس العشاء في أحد أيام رمضان، وكسر القنينة بباب المسجد المجاور للملاح ونادى **«معشر الإسلام، هلموا، انظروا ما يفعله اليهود بمساجدنا: من إراقة الخمور وإفساد الصلاة علينا! »**[2]، فأعملت البينة بذلك عليهم، فأعطى السلطان مولاي سليمان أوامره ببناء ملاحين جديدين خارج أسوار المدينتين.

عند استقراء دوافع تأسيس ملاحي الرباط وسلا، نلاحظ أن السبب أمني محض، إذ بُني أمر نقل الملاح على حجة غياب التوافق الديني بين اليهود والمسلمين[3]، في حين أن مدينة سلا خلال هذه المرحلة (بدايات القرن التاسع عشر) اتسمت بتطبيق قوانين صارمة تجاه السلوكيات المنافية للدين والأخلاق.

في حين إذا ما حاولنا تتبع مسار تأسيس ملاح تارودانت بجنوب المغرب، سنقف عند دوافع وأسباب (في الظاهر) مخالفة تماما لدوافع وأسباب تأسيس ملاحي الرباط وسلا، إذ اعتاد التجار اليهود من المناطق المحيطة بتارودانت الوفود بانتظام على سوق بيع الأغنام والحبوب، ومن ثم العودة إلى قراهم في نفس اليوم، وهو الأمر الذي جعلهم عرضة للنهب والسرقة، وتبعا لذلك

---

[1] - محمد بن علي الدكالي، م. س، ص، 56. (هامش رقم 41).
[2] - نفسه.
[3] - نفسه، ص، 56.

قرروا بدعم من التجار المسلمين الذين وفروا لهم الحماية، الانتقال والاستقرار بموقع السوق بعد أخذ إذن قائد المنطقة[1].

لقد حتمت الظروف الأمنية على المخزن المغربي في حالة ملاح تارودانت نهج مسار مغاير لما سبق أن قام به في ملاحي الرباط وسلا، إذ قام بتوفير مجال محمي وملائم لليهود الذين فضلوا الاستقرار على التنقل بين المحيط والمركز الذي كان يعرضهم لمخاطر النهب المتكرر.

وعليه، فإن الهاجس الأمني هو الطاغي على تحركات المخزن فيما يخص تأسيس الملاحات سواء داخل أسوار المدينة الإسلامية أم خارجها، تبعا لمجال وطبيعة الظروف المتحكمة في ذلك، تلافيا لنشوء صراعات ذات طابع ديني. وفي كل الأحوال تبقى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية مستمرة بسبب أن أغلب تبادلات اليهود ومعاملاتهم تتم خارج الملاح. وهو مصطلح يحيل على حيز مغلق بقصد توفير الحماية والأمن، لكنه في الوقت نفسه يرمز لأحياء غير معزولة مثل ملاحي آسفي وأكادير، أما طنجة والجديدة فلم تتوفرا على أي ملاح، لأن اليهود كانوا يعيشون فيهما بين المسلمين[2].

وبناء على ما سبق، فإن الملاح بالمغرب ليس انعكاسا لقانون من قوانين العزل والفصل على غرار غيتو أوروبا، بل هو حصيلة ثقافية وسياسية لتجمع بشري يأبى الانفتاح خوفا على الهوية الدينية اليهودية، فوضعهم كأقلية حافظ على الشعور بالتضامن والانتماء لليهود في شتى بقاع العالم، رغم انفتاحهم على المدينة بسبب امتهانهم للتجارة، لكن تحكمهم القواعد المتعلقة بالعبادة (طقوس يوم السبت مثلا le shabbat) التي تجعل منهم كيانا مختلفا، وقد رصد بول مارتي Paul Marty هذا الأمر في ثلاثينيات القرن العشرين «**- عدد مهم من بني إسرائيل- يعيشون حياة المدينة ... ويتحدثون اللهجة اليهودية-العربية،... وكذلك عدد من اليهود يعيشون في الداخل، بما في ذلك الأطلس، في الخيام أو في القصبات، أو منازل من الحجارة أو النوايل، على طريقة - العيش- في الجبل ويتحدثون اليهودية-الأمازيغية،... -إلا أن- الجماعة اليهودية -**

[1] - Pierre Flamand, **Diaspora en terre d'Islam: Les communautés Israélites du sud Marocain (Essai de description et d'analyse de la vie juive en milieu berbère)**, Imprimeries réunies, Casablanca, 1959,. p. 116.

[2] - Reeva Spector Simon, Michael M. Laskier, Sara Reguer, **The Jews of the Middle East and North Africa in Modern Times**, Columbia University Press, New York, 2002,. p. 481.

أسيرة- حراسة مشددة للمعتقدات والممارسات الدينية، المنظمة بطريقة إدارية للعيش في إطار المؤسسات الاجتماعية»[1].

كما أن اللغة هي الأخرى عنصر من عناصر التعريف الاجتماعي والسياسي والثقافي، إذ هناك مستويان من التعبير (الشفهي والكتابي) يرتبط كل منهما بمجال الاستخدام؛ فالعبرية لغة مقدسة، وتستعمل حصرا لدراسة العلوم الدينية وإحياء التقاليد. وبالتالي، لا تستخدم إلا من قبل النخبة التقليدية للجماعة، في حين توظف العامية للتواصل اليومي وتختلف وتتأثر بالموقع الجغرافي (الحضر والبادية) والعوامل التاريخية التي تضفي عليها تميزا خاصا، ففي المغرب يتحدث اليهود كلا من اليهودية العربية "judéo-arabe" واليهودية الأمازيغية "judéo-berbère" واليهودية الإسبانية "judéo-espagnol"، وتقتصر هذه اللهجات على مناطق جغرافية بعينها، وهي تعبير عن مدى التكامل والتماسك داخل البيئة الاجتماعية المحلية، وهو ما يعطي للغة سمات معينة على مستوى الصوتيات والمفردات المحيلة على الهوية التي تحدد المجموعة في تنوعها الثقافي وتاريخها وأصولها، وتعرف بالمنشأ الجغرافي والنظام الاجتماعي والليتورجي "liturgique"[2] ويمكن أن تصبح معيارا للهيبة أو نقيضها، وتعبيرا عن المكانة الاجتماعية.

وبناء عليه، ينقسم اليهود بالمغرب إلى وحدتيين متمايزتين عرقيا هما:

- الميغوراشيم "Mégorachims" وهم اليهود الذين طردوا من إسبانيا (ينعتون بالمهجرين)، استقروا في مدن المغرب الشمالية والمطلة على الساحل، يتميزون بمستوى رفيع من العلم والثقافة وأكثر انفتاحا ومعرفة باللغات.
- التوشابيم "Tochabims" وهم المغاربة اليهود المحليون (ينعتون بالبلديين)، الذين يمجدون التقاليد والثقافة المحلية، وينقسمون إلى قسمين: يهود المدن (أو الحضر) ويهود البادية.

[1] - Paul Marty, **"Les Institutions Israélites Au Maroc"**, Extrait de la Revue des Études Islamiques Année 1930, Paris, Paul Geuthner, 1930,. pp. 298-299.

[2] - الليتورجيا "liturgique" هي الممارسات الدينية أو اللاهوتية.

وعلى الرغم من التباين في الأصل واللغة والمفاهيم الاجتماعية والأخلاقية كما هو الحال على المستوى الثقافي والديني، إلا أن الوحدتين، حسب حاييم الزعفراني، عاشتا جنبا إلى جنب على الرغم من أن لكل منهما مؤسساته المتميزة[1].

وعلى غرار اللغة يمكن لأسماء الأسر أن تنطوي على محددات تشير إلى المنشأ الجغرافي (الفيلالي، الدرعي، الفاسي، السلاوي ...)، والوضع الديني (كوهين، ديان، الخ...) أو الوضع الاجتماعي والاقتصادي (الصباغ، النجار، الخ...). على عكس بعض الألقاب والأسماء التي لا تخضع لأي محدد جغرافي أو اجتماعي، ومرد ذلك لكونها إما عبرية أو أمازيغية تم تعريبها في بعض الأحيان[2].

هكذا يتضح أن اندماج اليهود داخل النسيج الاجتماعي والثقافي للبلاد جزئي فقط، لأنه يعبر عن عمق الخلاف حول الاستمرار في آتباع تقاليد الأسلاف، لذلك أطر اليهود هويتهم بإطار ديني خاص بهم، الشيء الذي جعلهم يشعرون بأن يهود فلسطين أقرب إليهم من أعضاء المجتمع الذي يعيشون فيه، وهو ما يجيز لنا القول بأن كل جماعة تشكل دولة داخل الدولة، بسبب استقلال قوانينها، عاداتها، والهيئات الإدارية الخاصة بها، ومع ذلك، تخضع لسلطة عليا، إذ هي بمثابة دولة محمية[3].

2) اليهود والاقتصاد المغربي.

اشتهر اليهود في التاريخ المغربي بامتهانهم للتجارة والحرف اليدوية، باستثناء بعض الجماعات التي استوطنت جبال الأطلس «يوصفون بالحالة الشاذة» امتهنت الزراعة، فالكتابات المختلفة للمؤرخين وشهادات الرحالة والمسافرين تؤكد عدم تعاطي اليهود للزراعة، ومرد ذلك في نظرهم للشريعة الإسلامية التي تحظر عليهم شراء أو استغلال الأرض، كما أن كل الأراضي المفتوحة هي ملك للمسلمين وقبائلهم بعد الفتوحات.

مرد هذا الوجود المحدود للمغاربة اليهود في الميدان الزراعي بمنطقة الأطلس هو كونها كانت تخضع للقوانين العرفية المتميزة بعدم الاستقرار، والارتباك، وعدم توفرها على أوراق

---

[1] - حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب**، م. س، ص. 123.

[2] - نفسه، صص.43-47.

- للمعرفة أكثر حول أسماء وألقاب يهود شمال إفريقيا. ينظر:

- Ismaël Hamet, **Les Juifs du Nord de l'Afrique: (Noms et Surnoms)**, Société D'éditions, Géographiques, Maritimes et Coloniales, Orléans, Paris, 1928.

[3] - André Chouraqui, **The Social and Legal Status of the Jews of French Morocco**, New York: American Jewish Committee (AJC), 1952,. pp. 9-10.

ثبوت الملكية، إلخ... ومع ذلك يكشف حاييم الزعفراني عن سبب مهم يقيد التواجد اليهودي في المجال الزراعي، ويرده للالتزامات اليهود الدينية التي تستهلك الكثير من الوقت في حياتهم اليومية، إذ الدراسة الإلزامية للكتاب المقدس التي تصل إلى ساعة واحدة في اليوم على الأقل، والراحة الأسبوعية خلال يوم السبت، بالإضافة إلى كل المهرجانات الأخرى التي تتخلل حياة الجماعة، بالكاد تسمح بالانخراط في الأنشطة البدنية المتعبة، وهو ما أدى في الواقع إلى تحولهم من الزراعة إلى مهن أخرى، ولا سيما إلى التجارة والحرف اليدوية[1].

وعلى غرار التفسير الذي قدمه حاييم الزعفراني يمكننا الاستناد أيضا إلى الافتراض الذي تقدم به أندريه شوراقي، ويقوم على أن الحراك والتنقل المستمرين لليهود بالمغرب، بسبب حالة عدم الاستقرار السياسي في محطات معينة، فرض الحاجة إلى ضرورة جعل التجارة والحرف ممارسة اقتصادية أساسية في حياة اليهود: **«بسبب الخطر على حياتهم وممتلكاتهم، اتجه اليهود صوب المجالات التي تسمح لهم بمراكمة الثروة على شكل رأس مال متنقل»**[2]، فأصبحوا بذلك صيارفة أو تجارا أوحرفيين ...، فسيطروا على المهن الحرة وبرعوا فيها، كما انجذبوا إلى حقول موازية مثل تجارة الاستيراد والتصدير، التي كانت مهملة من قبل المغاربة المسلمين، ومن خلال أنشطتهم هذه أصبح المغرب على اتصال مع العالم كله[3].

بافتتاح الطرق البرية والبحرية، نما النشاط التجاري لليهود بشكل ملحوظ، بسبب معرفتهم للغات، وبفعل تشتتهم الجغرافي وبراعتهم في التجارة الدولية، وهؤلاء هم من عرفوا بتجار السلطان "les négociants du Rois"، وأقاموا عادة في المدن الساحلية مثل الرباط وسلا والصويرة وآسفي وطنجة وتطوان، شكلوا أرستقراطية جماعاتهم، بفضل الثروة التي اكتسبوها في مجال التجارة، والعلاقات التي نسجوها مع السلطة المركزية التي شجعتهم نظرا لما تدره تجارتهم من أرباح على البلاد. كما أنهم تجاوزوا لعب دور الوساطة التجارية إلى شغل وظائف سامية مثل سك العملة والنيابة عن الدولة في بعثاتها الدبلوماسية[4]، فتشكلت بذلك علاقة خاصة بين اليهود والسلاطين المغاربة، قدمت لهم على إثرها مزايا خاصة مقارنة بتجار آخرين، حتى أنهم في

---

[1] - حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب**، م. س، صص. 158-159.

[2] - A. Chouraqui, **The Social and Legal Status of the Jews of French Morocco**, Op. cit,. p. 4.

[3] - Ibid.

[4] - Daniel J. Schroeter, **Merchants of Essaouira: Urban Society and Imperialism in South-Western Morocco 1844-1866**, Cambridge University Press, 1988,. p. 21.

فترات معينة سيطروا بشكل شبه كلي على مجال الاستيراد والتصدير (والدبلوماسية)[1]. ولم يقف نشاطهم التجاري عند هذا الحد بل امتد ليرتبط بحشد كبير من تجار الجملة والتقسيط الذين يعملون على تصريف البضائع المستوردة من الخارج إلى كل من اليهود والمسلمين.

إن انجذاب اليهود للتجارة والحرف أثرت فيه ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية، ساهمت بشكل إيجابي في جعلهم مكونا يتكامل داخل النسيج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدولة، لذلك شغلوا وظائف قارة إن على المستوى الرسمي (مبعوثين دبلوماسيين أو مشرفين على سك عملة الدولة) أم على المستوى الخاص (تتضمن كل ما هو متعلق بالتجارة والحرف اليدوية)، إضافة إلى وظائف تكميلية (كالباعة المتجولين مثلا)؛ مما ساهم في تحقيق نوع من التوازن الاجتماعي والاقتصادي داخل البلاد، إذا ما علمنا أن المغاربة المسلمين قد ارتبطوا بالأرض بشكل وثيق.

ومن مظاهر هذا التكامل ما لاحظه الحسن الوزان «ليون الإفريقي Léon» L'Africain خلال الفترة التي قضاها في مدينة فاس: **«معظم الصاغة هم من اليهود الذين ينجزون أعمالهم في فاس الجديد ويحملونها (مصنوعاتهم) إلى المدينة القديمة لبيعها في سوق معد لهم قرب سوق العطارين، ولا يمكن صياغة الذهب ولا الفضة في المدينة القديمة، كما لا يمكن لأي مسلم أن يمارس مهنة صائغ، إذ يقال أن بيع المصوغات الذهبية والفضية بثمن أعلى مما يساويه وزنها يعتبر ربا، ولكن الملوك يسمحون لليهود بالقيام بهذا العمل»**[2]، وبالتالي يكون الاختلاف الديني قد ساهم في خلق نوع من التنظيم المهني والحرفي المتكامل بين كل من اليهود والمسلمين المغاربة، على الرغم من اعتبار اليهود مكونا مختلفا. إذ إن وجوده وفر نوعا من التوازن الاجتماعي والاقتصادي.

وبذلك لم تحد الشريعة الإسلامية من تطور اليهود باعتبارهم أهل ذمة، ولم تعق انفتاحهم على الأخر، بل يوجد إلى جانب ذلك الطبيعة الثقافية والاجتماعية والدينية لليهود والتي هي عبارة عن صمام أمان يحد من تسرب المؤثرات الخارجية أو التطور خارج منظومة التقاليد اليهودية المؤطرة في نسق تعليمي محوره الدين اليهودي.

---

[1] - Ibid.

[2] - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1983، ص. 283.

انبنى الحديث في مجمله، في هذا القسم من البحث، على ضرورة التأصيل، والعودة إلى الجذور المؤسسة والمساهمة في تفتق الوعي اليهودي بالذات، من خلال الكشف عن الملمح العام للوضع اليهودي إبان مرحلة الغليان الثوري بفرنسا، الذي سيؤسس لمنظومة قيم اجتماعية وإنسانية كونية، ساهمت بدورها في تحقيق تغيير اجتماعي راديكالي قائم على مبادئ التنوير في المواطنة والحقوق اعتمادا على شعارات الحرية والعدالة والأخوة في الإنسانية.

وقد اقتضت المنهجية النظر في عمق الظروف لاستجلاء الأسباب المباشرة وغير المباشرة لكشف المسار المؤدي إلى تأسيس منظمة الرابطة اليهودية العالمية، التي جعل منها يهود فرنسا قناة لتصريف مبادئ الثورة الفرنسية وتعميمها، بعد أن أثارت قضايا ملحة مثل قضيتي دمشق ومرتارا انشغال النخب اليهودية الفرنسية والغربية المتنورة، ودعتها إلى تأسيس تنظيم جمعوي مدعم سياسيا من قبل الدول الغربية المتحررة، يهدف إلى نشر القيم الغربية السامية الممثلة في قيم ومبادئ الثورة الفرنسية، التي ستشكل ملهما لهؤلاء الرواد الذين تشبعوا بشعاراتها، واستفادوا من منجزاتها، وهو ما أعطاهم باعثا قويا لتعميمها على بقية بني جلدتهم المقيمين في الشرق.

لذلك، حقق توفر مبدأ السبق لليهود الفرنسيين بأن يكونوا بمثابة حراس المعبد والمشرفين عليه، مقارنة مع بقية يهود العالم الذين لا يتوفرون على المقومات الكفيلة بإحقاق قيم الثورة الفرنسية في الوسط الذي يحيون فيه، أو ترسيخ معايير السلوك الأخلاقي والاجتماعي الغربي.

إن عدم قدرة اليهود الشرقيين، ومنهم يهود المغرب، على تغيير أحوالهم والرقي بها، شكل بالنسبة لنا محفزا للوقوف على مكامن القوة والضعف لدى الجماعات اليهودية بالمغرب، من خلال الكشف عن بعض ملامح الحياة اليهودية المغربية، ممثلة في:

- ❖ دور عامل الذمة في تكريس الدونية من عدمه.
- ❖ البحث في خصائص مؤسسات الجماعة اليهودية ودورها في تكريس التقليد.
- ❖ الدور الذي تضطلع به الجماعة نفسها داخل المجتمع المغربي.

الباب الثاني

المجهود التعليمي للرابطة اليهودية العالمية بالمغرب قبل الحماية 1862-1912.

يرتكز فهم المجهود التعليمي للرابطة اليهودية بالمغرب على ضرورة فهم أسس وبُنى التعليم العبراني التقليدي والقائمين به، قبل اضطلاع الرابطة بمهمة تعليم أطفال الجماعات تعليما علمانيا حديثا على غرار التعليم المقدم بفرنسا. لذلك كان لزاما الوقوف عند شكل ومضمون المؤسسات التعليمية القائمة داخل الجماعات التي انبنى التعليم فيها على أسس دينية محضة، شأنه في ذلك شأن باقي أنظمة التعليم لدى المسلمين والمسيحيين خلال مراحل تاريخية معينة، إلا أن ما يعاب على هذا الشكل من التعليم هو استمراريته وعدم قدرة الجماعات اليهودية على إيجاد بديل له يقوم على تقديم العقل على النقل، وتُعطى فيه الأولوية للعلوم والفنون على غرار ما وقع في أوروبا.

لقد بذلت الرابطة اليهودية مجهودا لتغيير بنية التعليم اليهودي بالمغرب قائما على تحليل خصائص التعليم العبراني التقليدي الذي يفتقر إلى أي منهج أو برنامج محدد، فتشكل لديها وعي ببؤس مؤسسات ومناهج وحاخامات هذا النوع من التعليم الذي عفى عنه الزمن، فعملت على وأده بشكل تدريجي من خلال بسطها لهيمنتها على التعليم الابتدائي للأطفال اليهود. ولترسيخ هيمنتها هذه مزجت، بمعية معلميها، بين الجانب التعليمي والسياسي دفاعا عن اليهود بهدف ترسيخ وجودها وربط مصالح الجماعات وحقوقها بأهمية وجود مؤسساتها بينهم.

اعتمدت الرابطة على عدد من الآليات لترسيخ مؤسساتها التعليمية، ولتطوير برنامجها التربوي عن طريق التعرف على الوسط اليهودي المحتضن للمدرسة، من خلال الاضطلاع على مختلف جوانبه الحياتية، وعلى ترسيخ التعليم باللغة الفرنسية على حساب اللغة العبرية والدين اليهودي، وقطعت في ذلك شوطا ومسارا خاصين.

الفصل الخامس: الرابطة اليهودية العالمية والتعليم العبراني.

رغم عيش يهود أوروبا الشرقية وروسيا، في ظل أنظمة استبدادية، فصلتهم عن الاندماج في عملية التحرر السياسي، إلا أنهم تأثروا بالمثل الاشتراكية الثورية، وتسربت إليهم أفكار حركة

الهسكالا من الدول المجاورة (النمسا مثلا)، وهو ما شكل بديلا لحل قضية التحرر الثقافي المماثل لإشكالية «الحداثة» و«التقليد» المعروفة لدى أقرانهم الغربيين. لكن الخوف من الوقوع في التناقض، هو ما ميز عملية التحرر في الوسط اليهودي ككل، ويكمن ذلك في إمكانية التخلي الكلي عن الديانة اليهودية إذا ما اعتمد أسلوب التحرر المبني على مفهوم الاستيعاب "Assimilation"[1].

وبما أن الحياة اليهودية في مجملها تدور في فلك الديانة اليهودية، فقد جاءت الرابطة اليهودية بنظرة للتحرر، تحفظ للدين موقعه، وتنفي في الوقت نفسه الانفصال الإجمالي عن الأغلبية غير اليهودية، بتبنيها للتعليم الحديث القائم على التنشئة الأخلاقية والاجتماعية للأجيال خيارا إيديولوجيا، وواحدة من القضايا الرئيسة التي تبلور هذا البديل في الصراع الداخلي للجماعات اليهودية أتباع حركة الهسكالا، وبالتالي فإن إنشاء المدارس هي بمثابة ثورة حقيقية على المفهوم اليهودي التقليدي للتعليم، الذي هيمن عليه هيكل مدرسة الحيدر "Heder"، وهي مدرسة ابتدائية للبنين مكرسة أساسا لتعليم النصوص الدينية. فتدريس الثقافة الحديثة والمعرفة العلمية، هو بمثابة إعادة تعريف الثقافة الدينية بمعان أكثر علمانية في عيون المسكيليم Maskilim[2]، وأداة أساسية للتحديث الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لليهود ومفتاح التحرير الناجح.

1) التعليم العبراني بالمغرب.

ارتكز التعليم عند اليهود على الدراسة المتقيدة بالتوراة. وأفضل ترجمة للتوراة، هي بمعنى القانون "la loi". وتعريف هذه الكلمة يشمل القانون والتنظيم التقليدي لكافة أنشطة الحياة اليهودية، لذلك غالبا ما تستخدم التوراة كمرادف للتعليم، وفي الحقيقة فإن التعليم التقليدي متأصل داخل الجماعة اليهودية المغربية شأنه شأن باقي أنماط التعليم لدى مختلف الحضارات والأجناس (مسلمين ومسيحيين مثلا) والذي لم يسع إلى المعرفة وتحقيق الثقافة كما هو الحال في الأنظمة الحديثة للتعليم، ولكنه سعى إلى تهذيب سلوك الفرد والجماعة، على الرغم من تأكيده على أهمية اكتساب الحكمة، فهو يجعل من الدين المصفوفة المركزية، وأحد أهم الثوابت كما جاء لدى نثان

[1]- الاستيعاب هو عملية التحول الثقافي الذي يحدث للأقليات في اتصالها مع مجموعة الأغلبية. أي التبني التدريجي للسمات الثقافية لمجموعة الأغلبية إلى أن يحدث الاختفاء التدريجي لجميع الصفات الثقافية والدينية الأصلية للأقلية.

[2] - Maskilim، نعت للدلالة على أتباع حركة التنوير اليهودية الهسكالا.

درزين Nathan Drazin «**إن الخوف من الرب هو بداية الحكمة**»[1]، وينقسم التعليم العبراني (التعليم العتيق) بالمغرب إلى ثلاث مؤسسات تعليمية هي:

أ – مؤسسة الحيدر (أو الحدر).

الحيدر تسمية أطلقت على المدارس الحاخامية الأولية بأوروبا الشرقية، وتعرف في المغرب باسم الصلا "Sla"[2]. والحيدر مؤسسة خاصة وفرت التعليم الابتدائي للأطفال اليهود، حيث يمكن إنشاؤها بمبادرة فردية من قبل أي معلم بعد موافقة الحاخام[3]، ولا تحتكم إلى أية مناهج أو سنوات دراسية محددة، إذ يمكن أن تضم بين جنباتها أطفالا من مختلف الأعمار[4].

ويقصد بالحيدر في اللغة العبرية «الغرفة»، وبالتالي كان بيت الأستاذ نفسه هو مقر الحيدر، علما أن مساحته لا تكبر عن مساحة الغرفة الاعتيادية، فضلا عن أنه يفتقر إلى أدنى الشروط الواجب توفرها في نجاح عملية التدريس[5]، فالأطفال يجلسون على الحصر الممزقة[6]، والمحظوظ منهم يجلس على مصاطب خشبية بلا مساند[7].

---

[1] - Nathan Drazin, **History of Jewishe Education from 515 B.C.E To 220 C.E**, Baltimore the Johns Hopkins Press, Second Printing, 1941,. pp. 11-12.

[2]- الصلا Sla: تعني بيت الصلاة أو البيعة، وهي كلمة تحيل على أن المكان جمع بين الدراسة وإقامة الشعائر الدينية اليهودية. ينظر:

- André Chouraqui, **Between East and West: A History of the Jews of North Africa**, tra. de Bernet, Michael M, Varda Books, 2001,. pp.133-134.

[3]- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثالث، الجماعات اليهودية: التحديث والثقافة**، دار الشروق، 1999، ص. 379.

[4]- يبدأ الأطفال اليهود عادة الدراسة في سن الثالثة في الظروف العادية إلى غاية وصولهم سن الرشد الديني 13سنة. ينظر:

- أحمد شحلان، **"محاولة إصلاح التعليم اليهودي في المغرب في القرن التاسع عشر: ودور مدارس الاتحاد الإسرائيلي في أوضاع ما قبل الحماية"، الإصلاح والمجتمع في القرن التاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رقم 7، 1983، صص. 208-209.

[5]- غرفة التدريس هذه تفتقر إلى التهوية والإضاءة اللازمة، كما أن مدخلها لا يخلو من القمامة المتناثرة في كل مكان. ينظر:

- A. Chouraqui, **Between East and West**, Op. cit,. p. 134.

[6] - **B.A.I.U.**, 1er Semestre 1877,. p. 60.

[7] -A. Chouraqui, Op. cit.

يمتاز التعليم في الحيدر بكونه يجري شفهيا وفي أجواء طقوسية " Cadre Liturgique"، أي أن الأطفال يرددون ما يقوله الأستاذ بشكل ميكانيكي[1]، ومن النادر جدا أن تجد سبورة لبسط الدروس وتوضيحها، وفي بعض الأحيان، يكتب الأستاذ حروفا أو كلمات، وأحيانا جملا قصيرة على الألواح التي يحملها الأطفال ليقوموا بعد ذلك بكتابتها عدة مرات، ومن ثم يقوم الأستاذ بتدقيقها. ونظرا لكثرة أعداد الأطفال، لا يستطيع الأستاذ متابعة قدرات الأطفال المعرفية بشكل متساوٍ يسهم في تطوير هذه القدرات، لأن أسلوب التعليم مبني على الحفظ والتكرار وتعزيز قدرة الذاكرة[2]، لكن التشريع الديني ألزم الآباء اليهود بتثقيف أبناءهم على نفقتهم الخاصة؛ فالأثرياء اليهود يستخدمون أحيانا معلما خاصا لأطفالهم يعيش وسط العائلة ويقوم بوظيفتي تدريس وتهذيب الأطفال[3].

وعلى الرغم من افتقار الحيدر للفائدة التي تصب في إطار إحياء التعليم الديني اليهودي في المغرب، فقد كان يشهد إقبالا منقطع النظير من جانب الأسر اليهودية، ويمكن أن نعزو ذلك إلى أسباب دينية تتمثل في إعدادهم للمشاركة في حياة الكنيس الذي كان بمثابة فصول دراسية[4]، وأخرى تتعلق برغبة اليهود في تعليم أطفالهم حتى لو كان تعليما بسيطا. وبعد انتشار المدارس الحديثة استمر اليهود في إرسال أولادهم للحيدر أملا في تعميق ثقافتهم الدينية، والتعود على أجواء الدراسة إلى أن يبلغوا السن القانوني الذي يؤهلهم للالتحاق بهذه المدارس، وفضلا عن ذلك، ساعد أغنياء الجماعة اليهودية في اتساع شبكة هذا التعليم البسيط عبر تقديمهم التبرعات المالية اللازمة لديمومة العمل فيها، وضمان التعليم لأطفال العوائل الفقيرة[5].

إذا، فالتعليم عندهم مسؤولية عامة، ليس بالمعنى التنظيمي، ولكن بمدى قدرة الجماعة على الإشراف عليه، من حيث التمويل والاستمرارية، فالدور الرقابي للجماعة لا يتضمن اختيار المعلمين المؤهلين لعدم توفرهم على آلية خاصة بذلك، كما أن التعليم في الحيدر، يفتقر إلى أي نظام أو حافز يمكن الأطفال اليهود من الاستفادة منه، فهو غير ذي فائدة، وعاجز عن تطوير قابلياتهم بما يخدمهم مستقبلا في حياتهم العملية، لذا ليس هناك ما يميز بين الأطفال الذين درسوا

---

[1] - H. Zafrani, Op. cit,. p. 85.
[2] - Ibid, Op. cit,. p. 91.
[3] - Jacob Katz, **Tradition and Crisis: Jewish Society at the End of the Middle Ages**, tra. Bernard Dov Cooperman, New York, Schochen books, 1993,. p. 160.
[4] - H. Zafrani, Op. cit,. p. 9.
[5]- J. Katz, Op. cit,. p. 160.

في الحيدر والذين لم يدرسوا فيه، من حيث انعكاسه على قدراتهم الذهنية، وأن كل ما يمكن ملاحظته هو مقدرتهم على ترديد ما تعلموه أثناء أداء الطقوس الدينية اليهودية ليس أكثر.

ب - مؤسسة التلمود توراة.

مدارس التلمود توراة أو مدراش تلمود توراة[1] نوع من المدارس المشتركة بين جميع يهود العالم سواء كانوا سفرد أم أشكناز، وهي عبارة عن مدارس ابتدائية تقليدية متواضعة تلقن فيها اللغة العبرية وبعض الأسفار المقدسة مثل أسفار موسى الخمسة "le Pentateuque". وبما أن الحيدر أو الصلا مؤسسة خاصة، فإن مؤسسة تلمود توراة عامة ومجانية أي عبارة عن مشروع خيري تحت إشراف شيوخ الجماعة، وفي ظل بساطة الحياة اليهودية تطور هذا النظام التعليمي البسيط لكنه اختلف عن الحيدر، باشتماله على هدف ومنهاج دراسي، حيث يصنف فيه التلاميذ حسب أعمارهم وقدراتهم الذهنية مع تخصيص معلم (حاخام) لكل فئة أو فصل دراسي؛ فالفئة الأولى تتكون من التلاميذ الذين هم في طور تعلم الحروف الأبجدية العبرية، والفئة الثانية تتكون من أولئك الذين تعلموا بالفعل الحروف الأبجدية، ودخلوا مرحلة تهم تكوين الجمل والمقاطع، في حين أن الفئة الثالثة تتشكل من التلاميذ الذين أتموا المرحلتين الأولى والثانية، فأصبحوا قادرين على القراءة بسرعة أكبر والذين هم على استعداد لبدء دراسة أسفار موسى الخمسة، وقد مكن هذا التعليم الطفل في سن مبكرة من المشاركة في حياة الكنيس، الذي كان واحدا من خصائص بيئة الملاح.

كان الحيدر والتلمود توراة بمثابة المؤسسات التعليمية الابتدائية بالنسبة للأطفال اليهود، لكن مرافق هاتين المؤسستين كانت غير مؤهلة تماما للتدريس، بسبب كون غرف التدريس هاته ضيقة ومظلمة وقذرة ومزدحمة، و الأمر نفسه يمكن تطبيقه على المنهج وطرق التدريس التي ينفق فيها التلميذ سنوات لأجل تعلم القراءة بشكل ميكانيكي سريع. لذلك، فوجه القصور بالنسبة لهذه المدارس هو فشل المعلمين (الحاخامات) في ضبط المناهج الدراسية المناسبة لسن التلاميذ موازاة مع قدراتهم العلمية، لأن الهدف النهائي هو خلق حاخام تلميذ له معرفة موسعة بالتلمود والشريعة، وفي النهاية، فإن هاتين المؤسستين التعليميتين هما آنعكاس لمنظومة القيم التي تنبني

[1] - مدراش تلمود توراة تعني في اللغة العربية مدرسة تعليم التوراة، ويجب التنبيه إلى أن دراسة التوراة لم تكن دائما نشاطا مدرسيا أو حتى شبه مدرسي، وإنما كانت في كثير من الأحيان واجبا دينيا يأخذ شكلا تربويا تماما مثل حلقات الدرس في المساجد حيث يجلس المسلمون بعد الصلاة يتفقهون في أمور دينهم ويسألون شيخهم فيما يواجهونه من مشاكل. ينظر:
- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثالث**، م. س، ص. 368.

عليها الجماعة اليهودية، لكن لا يؤيد الجميع فكرة عدم جدوى هذه المؤسسات، فناثان موريس Nathan Morris أحد المربين الإنجليز اليهود، ومسؤول التعليم اليهودي بلندن، دافع عن هذه المؤسسات بقوله: **«حتى وقت قريب ظل الكتاب المقدس (التوراة) هو الموضوع الرئيس في التدريس... وحتى وقت قريب ظل الأطفال يرتبطون في دراستهم بالخدمات التي يقدمها الكنيس، وهذا يوفر دليلا قويا على مدى تأثير الكنيس في تطور الحياة الاجتماعية والثقافية اليهودية، كما أنه لا يمكن التعرض لأصل المدرسة (اليهودية) دون البحث في الكنيس»**[1].

على أية حال لن نستطيع الجزم بأن مدارس تلمود توراة قد حققت قفزة نوعية في تغيير البنية الثقافية والفكرية للجماعات اليهودية بالمغرب، لكونها اقتصرت على التعليم الديني البحث الذي لا يستطيع تطوير القدرات الذهنية والذاتية للتلاميذ بما يخدم الجماعة مستقبلا، بل شكلت مدارس تلمود توراة مرحلة إعدادية أولى بالنسبة للتلاميذ الراغبين في الالتحاق باليشيفا Yeshiva التي تمثل أعلى مؤسسة للتعليم عند اليهود، وصاحبة الفضل في استمرار الحاخامية بينهم.

ت - مؤسسة اليشيفا.

خلافا لمؤسستي الحيدر والتلمود توراة اللتان لم تستقبلا تلاميذا من خارج فضاء الملاح حيث مستقرها إلا في الحالات الناذرة التي يرسل فيه الأطفال للعيش مع أقرباء لهم. كانت اليشيفا توفر التعليم للتلاميذ القادمين من مختلف الجماعات اليهودية بالمغرب، بعد أن يستوفوا ما يراوح 12 أو 13 سنة من التتلمذ، ويطلق على مرتاديها من التلاميذ اسم «تلميذ حخميم Talmidei Hakhamim» وتعني المتعلمين أو العقلاء[2]. والتلاميذ المؤهلون لولوج اليشيفا هم اليافعون القادرون على العيش خارج محيطهم الأسري، وقضاء أول شبابهم في حلقات التحصيل باليشيفا[3].

وتميزت الوظيفة الأساس لليشيفا في تكوين حاخامات مثقفين في الأدب والدين اليهودي، مع التركيز على الأقسام المتعلقة بالجوانب القانونية من التلمود، وتعاليق وتفاسير حاخامات القرون الوسطى عليها، وقد كانت الدراسة والمعرفة لذاتها قيمة دينية أساسية، جذبت التلاميذ

---

[1] - Nathan Morris M. A, **The Jewish School: An Introduction to the History of Jewish Education**, Eyre and Spottiswoode, London, 1937,. p. 73.

[2] - أحمد شحلان، م. س، ص. 209.

[3] - J. Katz, Op. cit,. p. 164.

للتتلمذ في اليشيفوت المحلي، وعلاوة على ذلك فإن المجتمع اليهودي الذي يتمتع بقدر كبير من الحكم الذاتي في حاجة ماسة للحاخامات، الذين يشغلون مهمة القضاء، وغيرها من الوظائف التي تحتاج إلى دراية جيدة بالشريعة والعرف والطقوس اليهودية[1]. وقد نجحت اليشيفا في تلبية هذه الاحتياجات من خلال خلق علماء كبار في مجال معقد مثل الفقه والقانون اليهودي استنادا إلى التلمود «أو مايصطلح عليه بالهلاخا Halakha».

وتتبع اليشيفا منهجا دراسيا مبنيا على التعمق في دراسة التلمود بالتركيز على أمرين اثنين:

1- Nashim: وهو كل ما يتعلق بالمرأة أو الأسرة، مثل الزواج والطلاق وكل ما هو متعلق بتنظيم الحياة الأسرية.

2- Nezikin: ويتناول كل ما يتعلق بالقانون المدني والجنائي.

وهذه النصوص القانونية التلمودية ليست قواعد أو أنظمة قانونية موثقة في كتب خاصة، بل هي في المقام الأول مناقشات ووجهات نظر منطقية، تنطوي على درجة عالية من التحليل والتعليل الفقهي، وغالبا ما تهدف إلى التوفيق بين التناقضات الظاهرية في عدة نصوص موثقة[2]. فعلى الرغم من أن مجمل الاجتهادات الحاخامية المتعلقة بالمشاكل القانونية والأخلاقية والمعنوية متعددة ومختلفة، بقيت حبيسة تأويلات تتناول النص تناولا يتجاوز المعاني الظاهرية المعتمدة على التراكيب اللغوية الفوقية[3]، وبذلك ظل التقليد يضع قيودا على عدد من الخيارات التي يمكن للمرء أن يتبناها أو يعمل بها.

وبالتالي ارتهن الطالب في دراسته العليا باليشيفا إلى تحليل وتأويل تلك القوانين اليهودية التي تُعنى بتنظيم الحياة الاجتماعية للجماعة اليهودية، والتي تشمل تنظيم العلاقات بين كل من العامل ورب العمل، والقارضين والمقترضين، والأضرار التي قد تنشأ عن ذلك، وبين الأم والطفل، والزوج والزوجة، والمعلم والتلميذ، واليهود وغير اليهود...، وعلى أية حال، فإن التعليم العالي الذي منحته اليشيفا لأبناء اليهود لم يكن بمقدوره الارتقاء بمستوى التعليم اليهودي ثقافيا

---

[1] - الاحتياجات نفسها بالنسبة للمجتمع المغربي المسلم الذي ارتكز تعليمه على الدين بالأساس، إذ كل شيء في المجتمع المغربي يرتكز على الدين الإسلامي، قضاء ومالية وإدارة. ينظر:
- مصطفى نعيمي، **"التعليم التقليدي بمدينة مكناس على عهد الحماية"**، "تدريس التاريخ، وقائع الندوة الوطنية التي نظمها فريق البحث في التاريخ والمجتمع والتواصل بتاريخ 16 ماي 2010 "، جامعة محمد الخامس السويسي- الرباط، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، 2012، ص. 175.

[2] - J. Katz, Op. cit,. pp. 164-165.

[3] - أحمد شحلان، م. س، ص. 209.

وفكريا لأبناء الجماعات اليهودية بالمغرب، لأنها كانت ذات مستوى محدود يقتصر على الدراسات الدينية البحتة، ونظرا لأن هدف التعليم اليهودي ينحصر في إعداد الفرد ليقوم بواجباته الدينية لنفسه أو خدمة لإخوانه في الدين كما ذهب إلى ذلك S.D Goitein بقوله: **«يتجسد جوهر التعليم في البيعة وعن طريق البيعة ومن أجل البيعة»**[1]،فإن التعليم لدى الجماعات اليهودية التقليدية عامة والمغرب خاصة، يهدف إلى تحقيق وظيفة رئيسة وحيدة هي نقل القيم التقليدية من جيل إلى جيل[2]، وتكريس حياة الفرد لخدمة الله[3].

إن جميع المسافرين والرحالة والمستكشفين الأوروبيين الذين زاروا الجماعات اليهودية في إفريقيا وآسيا في القرن التاسع عشر، يصفون بؤسهم وحرمانهم وضيقهم. ومع ذلك، في أفقر ملاح على حدود المغرب، كما هو الحال في أبعد المناطق في خليج اليمن، يمكن الوقوف على تمسك الجماعة اليهودية بكتابها المقدس الذي يغذي أملها في غد أفضل. وهكذا، يمكن الوقوف في البلدان التي يكون فيها جميع السكان تقريبا أميين، على نسبة مهمة جدا من اليهود يستطيعون القراءة والكتابة، بل يتمتع البعض منهم بثقافة عالية جدا[4].

2) نظرة الرابطة للتعليم ومؤسسات التعليم العبراني بالمغرب.

اتبعت المدارس الابتدائية التابعة للرابطة اليهودية نموذجا مستوحى مباشرة من البرنامج العلماني الذي تم تنفيذه في المدارس الابتدائية العمومية في فرنسا مع نهاية القرن التاسع عشر[5]. لذلك كانت نظرة الرابطة للتعليم بشكل عام متأثرة بالنموذج الفرنسي الذي يجعل من مبادئ الثورة الفرنسية مثلا كونية سامية، ومبادئ يجب ترسيخها ونقلها عن طريق التعليم المرتكز على تدريس العلوم[6]، وعليه فمجمل أهداف الرابطة المسطرة تصب في ذات التجاه لأنها رأت في التعليم العبراني العتيق مجرد مشهد يكرر نفسه، من منظور يسمح بفهم تاريخ اليهود من حيث الهوية المتجذرة في الماضي[7]، ساهم في حفظ الخصوصية الهوياتية اليهودية التي ظلت محصورة في المجال الديني، وفي نفس الوقت شكل عائقا أمام دخولهم إلى المجتمع الحديث، وأحد أهم العراقل

---

[1] - حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب**، م. س، ص. 61.

[2] - H. Zafrani, Op. cit,. p. 7.

[3] - N. Drazin, op.cit,. p. 12.

[4] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 102.

[5] - A. Kaspi, Op. cit,. pp. 271.

[6] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport sous titre " Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle ", Tanger 15 Mars 1908,. p. 2.

[7] - K. Hazan, Op. cit,. p. 22.

التي تساهم في تراجع وبطء علمنة الجماعات اليهودية على مستوى العالم[1]، إذ على الرغم من ارتياد عدد من أبناء اليهود للمدارس التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية إلا أنها لم تنجح في تحويلهم، بل شكلت مصدر قلق بالنسبة للحاخامات التقليديين والإصلاحيين من اليهود، كما أن العدد الكبير نسبيا للأطفال اليهود المتوافدين على هذه المدارس هو بمثابة الدليل الصارخ على انهيار نظام التعليم التقليدي حتى قبل تأسيس الرابطة[2].

فالتعليم العبراني، بخصوصياته هذه، مكرس للتنشئة الاجتماعية ودمج الفرد في الجماعة، بغية تحقيق التكامل على وفق مبدإ احترام التقاليد التي تسيطر على الحياة اليهودية، فالمعرفة المكتسبة من قبل الأطفال (خاصة الذكور منهم) عبارة عن معتقدات وطقوس، ووسيلة للمشاركة في العبادات، وهو ما يزكي الشعور بالجذور والانتماء إلى الجماعة ويقوي التماسك والتضامن المشترك بينهم.

لكن صورة التعليم العبراني بالمغرب هي انعكاس لوضعية الملاح المزرية في أعين الرابطة، فشوارع الملاح تتعرض للضرر بمجرد سقوط المطر، لأن الشوارع غير مبلطة ولا تتوفر على أرصفة، في حين لا تعدو مؤسسات التعليم العبراني أن تكون أقرب إلى الإسطبلات منها إلى المدارس، حيث يجلس الحاخامات على الحصر المتهالكة القديمة، ودروسهم عبارة عن همهمة[3] تعكس روتين حياتهم الرتيبة، في حين يقابلهم الأطفال وهم يجلسون القرفصاء على الأرض الرطبة المليئة بالقذارة والمثيرة للاشمئزاز في أعداد تتراوح ما بين 150 و200 تلميذ[4].

إن الوضعية المزرية للتعليم التقليدي مثبتة في تقارير اللجنة المركزية للرابطة، ومنها ما نشر في سنة 1926 يصف مرة أخرى الحالة المؤسفة للتلمود توراة بالصويرة: «**هذه المؤسسة الكبيرة، التي يرتادها مئات الأطفال، ليس لديها ما تحسد عليه، غارقة في الفوضى والإهمال ونقص النظافة، مثلها مثل مؤسسات أخرى مماثلة، وهناك فصول تضم أطفالا ما بين سن الرابعة والرابعة عشرة من العمر. ذلك لأن كل حاخام يجند تلامذته بنفسه، ويُدفع لمدارسهم**

---

[1] - Ibid.

[2] - A. Rodrigue, Op. cit,. p. 37.

[3] - الهمهمة: الكلام غير المفهوم.

[4] - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 25, 1er et 2e Semestre 1900,. p. 97.
- José Bénech, **Un des aspects du judaïsme: Essai d'explication d'un mellah (ghetto Marocain)**, 1949,. p. 105.

ويبقيهم (الحاخامات) بطبيعة الحال لأطول فترة ممكنة. كل هؤلاء الصغار يترنحون على الأرض أو على مقاعد تتكئ على الجدران. والتعليم هناك كما في كل مكان: صفر»[1].

وفي المقابل يمكننا أن نعثر على مدارس تتوفر على حصر أقل تضررا، وتوفر للأطفال حماية أفضل من تقلبات الطقس، ولكن تبقى المواد والطرق والإطار التعليمي دون تغيير[2]، لأن التعليم اليهودي لا يقتصر على مكان أو منهجية معينة بل هو وسيلة لتفقيه الجماهير، عن طريق المبالغة في الاعتماد على الذاكرة وتقديم الحفظ والنقل على غيره[3].

وبسبب ضيق مساحة الملاح التي تقف عائقا أمام توسعة وإنشاء مدارس تراعي الزيادة في الكثافة السكانية لليهود[4]، يلجأ عدد من الحاخامات إلى بسط منازلهم أمام التلاميذ، وهي منازل تحتضن أكثر من عائلة في أغلب الأحيان، وتفتقر إلى التجهيزات الأساس، شأنها في ذلك شأن باقي مدارس التعليم العبراني العتيق، بدون كراس أو طاولات، وبدون مكتب، فالأطفال يتكدسون في الغرف أو الفناء المشترك كل صباح، يفترشون الأرض في حلقات مقسمة إلى مجموعات على وفق تدرجهم التعليمي، يحتضنون بعضهم البعض كالأرانب، وتمتد الحصص يوميا من العاشرة صباحا إلى غاية منتصف النهار، ثم ساعتين أخيريتين عند غروب الشمس[5].

كما أن هذا النوع من التعليم يفتقر إلى كل أنواع الترفيه[6]، بل إن العلاقة التي تربط المعلم الحاخام بتلامذته هي علاقة عنف وقسوة، إذ التلميذ الذي يخطأ في نطق الكلمات بشكل صحيح

---

[1] - Jacques Bigart, **Une mission au Maroc (1), Paix et Droit**, Sixieme Année, N° 4, Avril 1926,. p. 6.

- يمكن العودة أيضا إلى تقرير لوريت كوهين الذي تصف فيه الحالة المزرية للتلمود توراة ولمرتاديه من التلاميذ سواء من حيث النظافة والأخلاق، أو من حيث طريقة التدريس. ينظر:

- A.A.I.U., **II B 12.80**, Rapport de Laurette Cohen sous titre: "Les débutants au Talmud-Torah", au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 16 Décembre 1932.

[2] - J. Bénech, Op. cit,. pp. 105-106.

[3] - حاييم الزعفراني، **يهود الأندلس والمغرب**، ترجمة أحمد شحلان، الجزء الأول، مرسم، الرباط، 2000، ص. 123.

[4] - يصف لوتورنو الملاح في هذا الجانب في كتابه **"الملاح... محصور داخل حاجز غير قابل للتمدد وواقع على مساحة متناهية الضيق، كان مضطرا إلى أن يكتسب عن طريق العلو والاكتناز (ما لا يتوفر عليه مساحة). فهو مؤلف إذن من دور عالية، من طابقين في الغالب وأفنية ضيقة جدا ومتزاحمة بعضها مع بعض إلى درجة أن الحيز المعد للأزقة كان محدودا ما أمكن"**. ينظر:

- روجي لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص. 157.

[5] - J. Bénech, Op. cit,. pp. 107-108.

[6] - Ibid,. p. 108.

ينال عضة قوية على يده، في حين يكون مصير التلميذ المشاغب التعرض للضرب على باطن قدميه (الفلقة)[1].

وعلى الرغم من الدور العلمي والتثقيفي للحاخامات في الوسط اليهودي، إلا أنهم كانوا أحد الركائز المساهمة في نشر الجهل والخرافة لتعلقهم بالزوهار (Zohar) الذي يدرسونه على مدار السنة. وباختصار، فإن اليهود قد نسخوا دون وعي العادات، والأخطاء، والخرافات من السكان المسلمين في الوسط الذي يعيشون فيه، فالعديد من الحاخامات يبيعون التمائم والطلاسم الثمينة التي تشفي الأمراض، وتقتل العقارب وتستجلي المصير وتجلب الحظ، وما إلى ذلك. وبفعلهم هذا كرسوا الاعتقاد في العين الشريرة والشيطان المتجذر في الأرواح الساذجة. وعلى العموم، كان انتقال تقاليد الأسلاف داخل الأسرة، وكذلك إلى المدرسة التلمودية تعبيرا أساسا عن نسيج الحياة الثقافية داخل الملاح[2]، فسقطت اليهودية إلى مستوى الوثنية تحت مظلة الوصايا العشر وإله سيناء[3].

والأهم هو أن مهنة المعلم في هذا النظام العتيق ليست لها ضوابط ولا تخضع إلا لقانون العرض والطلب، ولا تحتاج إلا للسمعة الطيبة، في حين يعد المقابل الذي يدفعه أولياء الأمور مقابل تعليم أبناءهم تافها، وقد يتغير بحسب غنى الآباء، ومع ذلك كانت نسبة المواظبة على الحضور غير منتظمة وغير عامة، لأن الأطفال يفضلون حياة الشارع بفعل تقصير الآباء في مراقبتهم وخاصة الفقراء منهم، وبالمقابل نجد الأغنياء والحاخامات الكبار يختارون بعناية المعلمين الأكفاء ذوي التكلفة العالية، ويحرصون على توفير الفضاء الملائم والكتب اللازمة لأبناءهم، على ألا يتجاوز الفصل عشرين تلميذا لكي يسهل التحكم فيهم وفي قدرتهم على الاستيعاب[4].

يظهر مما سبق أن المدرسة الحاخامية اكتنفها ضعف شديد، سواء من ناحية النظافة، أو من ناحية هيئة التدريس المتخلفة[5]، لكن هذا الجهاز على الرغم من أنه عتيق وبلا روح، تحسب له بعض النتائج الإيجابية، منها أنه[1]:

---

[1] - Ibidem,. p. 109.
[2] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p. 21.
[3] - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 25, 1er et 2e Semestre 1900,. p. 98.
[4] - J. Bénech, Op. cit,. pp. 109-110.
[5] - أدانت الرابطة مرارا وتكرارا افتقار المعلمين إلى الصفات التربوية، فضلا عن الظروف الصحية البائسة للأماكن التي تم فيها التدريس. ينظر:

- وفر لليهود تعليما في سن مبكرة.
- محاصرة الأمية داخل فضاء الملاح مقارنة بالوسط المسلم.
- تعميم فرص قراءة العبرية وتسهيل أمور العبادة.

وعليه حافظت الجماعات المغربية اليهودية، مثلها مثل الغالبية المسلمة، على الحضارة، والثقافة، ونمط الوجود، وطريقة التكوين العلمي الذي عرفه الأسلاف، بشهادة ليفي بروفنصال Lévi-Provençal الذي أعرب عن أن الثقافة المغربية لم تتغير أبدا سواء في القرن 16 أم فيما بعد، واتخذت لها برنامجا واحدا ولم تخرج عنه أبدا، وسيستمر الأمر أربعة قرون دون أن يحدث أي تغيير مهم يذكر، سواء كان ذلك في القضايا الفكرية أم فيما عداها من أمور الحياة[2]، والأكيد أن كل العيوب البيداغوجية التقليدية الوسطوية كانت تتجمع في منهج التعليم في الحيدر واليشيفا[3].

وبما أن البيئة اليهودية منغلقة على ذاتها، كان من الطبيعي أن تؤسس لتعليم يحافظ على الخصوصية الدينية والثقافية لئلا تنصهر وتذوب وسط الأغلبية المغايرة، وهاجس الحفاظ على الذات هذا غطى على كل الجوانب، حتى الجانب الصحي الضروري لأجل البقاء والاستمرار، يقول صامويل هابر Samuel L. Haber أن مكافحة الأمراض لم تتحسن في المغرب إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية: **«عندما بدأنا عملنا في المغرب... كنا نواجه هوة لا قرار لها من البؤس، وهو ما شكل معضلة غير قابلة للحل. ولكن بعد بضع سنوات من العمل يمكننا القول بأن هناك إسهامات كبيرة جدا قد بذلت، لاسيما في وسط الشبان المعنيين بالأمر. فعندما بدأ عملنا وجدنا الظروف الصحية جد مزرية... لذلك تم تنفيذ البرنامج الطبي عبر منظمة إغاثة الأطفال (O.S.E.)[4]، بداية بالحملة ضد مرض الرمد الحبيبي (التراخوما Trachoma)، وهو مرض يؤدي إلى عمى العيون، والأمراض الأخرى التي تنتقل عن طريق الأوساخ، وكذا الأمراض الجلدية (La teigne) المنتقلة من خلال الاحتكاك بالحيوانات الأليفة وغيرها. إذ في ملاحات المدن الكبرى تعاني نسبة عالية جدا من الإصابة بمرض الرمد الحبيبي، وقد تمت**

- D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p.26.

[1] - J. Bénech, Op. cit,. p. 110.

[2]- ليفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، ترجمة عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص. 27.

[3] - حاييم الزعفراني، **يهود الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، م. س، ص. 123.

[4]- منظمة إغاثة الأطفال (O.S.E.): تأسست داخل الأحياء اليهودية بروسيا في أواخر القرن التاسع عشر، بعد ذلك انتقل مقرها إلى برلين، ثم تحولت في زمن هتلر إلى باريس. ينظر:

- M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 294.

معالجة عدة آلاف، خاصة الأطفال الذين كانوا في حكم العميان إلا أنهم أصبحوا قادرين على الإبصار مجددا... إذ يتم تقديم تشكيلة متنوعة من الخدمات الطبية في العيادات للأطفال الفقراء في المغرب. فالأطفال الذين يعانون من الأمراض الجلدية والفطرية خاصة قوباء فروة الرأس، يخضعون لعلاج الأشعة السينية (X-ray)، الشيء الذي يؤدي بالمريض لأن يفقد شعره جراء التعرض للأشعة. ففي مدارس الرابطة والمدارس الدينية وفي الشوارع، يمكن ملاحظة هؤلاء الأطفال الصغار صلع الرؤوس وفي كثير من الأحيان رؤوسهم ملفوفة في ضمادات، ويمكن تمييزهم على أنهم أطفال يهود تحت العلاج بسبب المرض الذي تتسبب فيه الأوساخ والقذارة»[1].

إن النظرة السوداوية التي تقدمها الرابطة عن التعليم العبراني بالمغرب، ما هي إلا استجلاء ضيق للواقع المتخلف الذي كان يعيشه المغرب بشكل عام، والحل المقترح من طرفها – أي توفير تعليم علماني على شاكلة التعليم المقدم بفرنسا – لا يلغي بأي شكل من الأشكال دور التعليم الديني في تشكيل شخصية الشباب اليهودي، والدليل على ذلك ما جاء في نشرتها (Bulletin de l'Alliance Israélite Universelle) لسنتي 1899 و1900، بحيث أقرت أنه ليس جزءا من خطة الرابطة إنشاء مدارس ابتدائية في الجزائر على غرار تلك الموجودة في المغرب وتونس. إذ عدد الأطفال اليهود الذين يحضرون المدارس العمومية التي أنشئت في البلاد بالمئات، يجب أن يستمر، ولكن نظرا لعدم وجود تعليم ديني في هذه المؤسسات، التي تتجاهل كلا من اللغة العبرية وتاريخ اليهود. وهو ما يشكل خطورة على تعليمهم الأخلاقي والديني[2]، وحتى على حالتهم الفكرية التي تتأثر جراء إهمال ثقافتهم. فبدلا من تكييف التعليم المقدم بما يراعي الاحتياجات الخاصة للسكان الأهالي، تطبق المدارس العمومية في الجزائر البرامج السارية في فرنسا، وهو ما يجعل تكوينهم ناقصا بالمقارنة مع نظرائهم في فرنسا نفسها. وهذا الوضع هو ما تقترح الرابطة معالجته بتنظيمه في الجزائر العاصمة أولا، ثم في قسنطينة وباقي الأماكن الأخرى، على أسس صلبة قوامه تعليم ديني وأخلاقي. في مبنى كبير مستأجر خصيصا لهذا الغرض، حيث يتلقى الأطفال اليهود كل يوم، بعد ترك المدرسة، من الساعة 4 إلى 6، خلال أيام الأحد والخميس دروسا تحت إشراف السيد ناحون Nahon المدير السابق لمدرسة

[1] - Ibid,. p. 228.
[2] - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 25, 1er et 2e Semestre 1900,. pp. 124-125.

الرابطة بالدار البيضاء[1]، والمسؤول عن التفتيش وتقييم مستوى الأساتذة بشبكتها المدرسية بالمغرب[2].

لقد كانت مسألة تدريس اللغة العبرية بمدارس الرابطة مثار جدال عقيم بين المدرسين أنفسهم، بين رافض ومؤيد لهذا النوع من التعليم داخل مدارس الرابطة، وقد رد ألبرت كونفينو Albert Confino جزءا من المسؤولية في فشل تعليم اللغة العبرية لتلاميذ الرابطة، للمدرسين أنفسهم واستشهد بإحدى توجيهات اللجنة المركزية التي تقول فيها: **«الأمر متروك في النهاية للمدير ليرفع مستوى التعليم العبري إلى مستوى باقي المواد الأخرى، والأمر متروك له، إن لم يكن ليعلم العبرية بنفسه، على الأقل لممارسة تأثير نشط على الحاخامات والمراقبين. هو الذي يجب أن يغرس فيهم الأسلوب الصحيح ويوجههم ببرامج جادة، ولكن من أجل ذلك، من الضروري أن يكون لدى المديرين معرفة عبرية تفرض احترام باقي المعلمين تجاهه»**[3].

لذلك أرجع كونفينو النفور الذي يتملك معلمي الرابطة تجاه اللغة العبرية وتجاه الحاخامات، إلى النقص المعرفي الذي يعاني منه المعلمون أنفسهم في هذه اللغة، متحديا إياهم بترجمة الكتاب المقدس أو مجرد كتابة أحرف اللغة العبرية بشكل صحيح فقط وليس لدرجة الكتابة بشكل منمق. إن كل هذا الحقد تجاه اللغة العبرية والحاخامات مرده حسب كونفينو للشر الكامن في ذوات معلمي الرابطة أنفسهم، وبسبب جهلهم للغة الأسلاف[4]، وأنه قد آن الأوان للقضاء على حالة الاحتقار التي يعيشها الحاخامات داخل المدارس، والتي تعد أحد أسباب دونيتهم وعاملا من عوامل افتقارهم للتأثير في التلاميذ، لكونهم يشكلون طبقة منفصلة داخل مدارس الرابطة، وغالبا ما يكون هذا العداء للحاخامات سببا للصراعات العديدة التي تنشأ بين الجماعات ومؤسسات الرابطة[5].

لقد اعتبرت الرابطة أن برامجها مثالية تهدف إلى توفير تعليم يهودي جيد. ومع ذلك، تعارضت عدة عوامل ضد هذا الهدف. وأحد أهم هذه العقبات، هو ترك تعليم العبرية في أيدي

---

1 - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 25, 1er et 2e Semestre 1900,. pp. 124-125.
2 - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport " Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle ", Tanger 15 Mars 1908,. p. 3.
3 - **Revue des Ecoles de L'Alliance Israelite**, N° 6, Juillet-Octobre 1902,. p. 417.
4 - Ibid,. p. 418.
5 - Ibdem,. p. 419.

حاخامات محليين، ولعله كان قرارا سياسيا واستراتيجيا، لأنه كفل تعاون الحاخامات المحليين، مادام مدرسو الرابطة يفتقرون للمعرفة اللازمة باللغة العبرية[1].

ولتجاوز هذا الأمر اقترح كونفينو إقامة محاضرات ومحادثات خاصة للحاخامات، من تأطير المديرين والنواب لتوعيتهم بأهداف الرابطة، وخلال هذه الاجتماعات يمكن تلقينهم طرق التدريس من خلال استحضار أمثلة مناسبة للدروس التي يقدمونها، وهو ما سيمكن من الوقوف على كافة العيوب في أساليبهم القديمة والمتقادمة، والإشارة إلى كل ما هو متباين ومفكك في طرق تعليمهم، كما سيتعلمون كيفية التواصل مع الصغار وإيقاظ انتباههم وإثارة فضولهم، وإن تعذر ذلك، يمكن للحاخامات حضور الدروس المسائية التي تنظمها الرابطة للبالغين في كل مكان[2].

إن الطرح المنادي بتعزيز دور التعليم الديني وعصرنته لقي تجاوبا من طرف الرابطة، وينبني على كبح بعض مظاهر العلمنة المتطرفة، بعد أن لفت انتباهها إلى حقيقة أن العديد من خريجي مدارس الرابطة أظهروا ازدراء معينا للممارسات الدينية[3]، فأكدت على أن **«الجميع عليه أن يأسف، إذا ما كانت النتيجة هي خنق الإيمان في النفوس اليهودية، وإخماذ مصدر الطاقة والسعادة الداخلية، هذا الذي سمح لليهود بأن يمروا عبر قرون من الاضطهاد والقمع الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ. فقد أراد الرجال الذين أنشأوا الرابطة، مثل أولئك الذين يقودونها في الوقت الحاضر، تعزيز وتقوية الشعور الديني بين السكان اليهود في الشرق وإفريقيا، بمنح جميع التلاميذ بمعية أبائهم، أفكار الكرامة الأخلاقية، والتعلق بكل الأشياء النبيلة والجيدة في اليهودية بتاريخها وتقاليدها، وهذا هو ما تميل جميع جهود الرابطة إلى القيام به»**[4]، معتبرة بذلك الديانة اليهودية ديانة أخلاقية بارزة وجزءا لا يتجزأ من التعليم المقدم في المدارس.

3) الأنشطة التعليمية والسياسية للرابطة اليهودية العالمية قبل الحماية.

عندما افتتحت الرابطة اليهودية العالمية أول مدرسة لها في تطوان، شمال المغرب في عام 1862، كان المغرب قد تحول بالفعل إلى ضحية للتغلغل السياسي والاقتصادي والعسكري الأوروبي، الشيء الذي وفر الأرضية المواتية لعمل الرابطة وإنجاح جهودها نيابة عن المغاربة اليهود في البداية، بفضل الحصانة التي وفرتها مجهودات وأعمال اللجان الإقليمية والمحلية

1 - A. Kaspi, Op. cit,. p. 242.
2 - **Revue des Ecoles de L'Alliance Israelite**, Op. cit,. p. 420.
3 - An. Kaspi, Op. cit,. p. 243.
4 - **Instructions Générales pour les professeurs**, Paris, 1903,. pp. 95-96.

للرابطة (Comités Régionaux et Locales)، والتي لعبت دورا حاسما في توفير الأموال لصيانة وتوسيع المدارس، في وقت جد مبكر من حياة المنظمة، كما شجعت هذه اللجان أعضاء بارزين في الجماعة اليهودية للمشاركة إلى جانب اللجنة المركزية في دعم المشاريع التعليمية الجنينية[1]، وبذلك تحصلت هذه اللجان على دعم ومساعدة القناصل الأوروبيين خاصة في المدن الساحلية التي أنشئت فيها أولى المدارس مثل تطوان وطنجة وموغادور (الصويرة)، ثم إن وصول معلمي الرابطة من أوروبا بعد 1862 الذين تفوقوا بشكل كبير على هذه اللجان المحلية والإقليمية، بفعل شبكة العلاقات الودية التي نسجها هؤلاء المعلمون الرواد سواء مع القناصل أم مع شيوخ الجماعات اليهودية وكذا أولياء أمور التلاميذ، لأنهم لم يكونوا أقل شأنا في جمع التبرعات.

جدول رقم 2: بعض أهم مؤسسي ومديري مدارس الرابطة بالمغرب وحوض البحر الأبيض المتوسط.

الاسم	المدرسة	مدة الاشراف على المدرسة
س. كوهن S. Cohen	من مؤسسي ومديري مدرستي تطوان والصويرة	(1862-1873)
برنار ليفي Bernard Lévy	أول مدير لمدرسة طنجة	(1864-1869)
السيد والسيدة غوغمان Gogman	من المدراء المؤثرين في مدرستي طنجة (بنين وبنات)	(1866-1876)
نيرسون Nerson	مؤسس ومدير مدرسة بغداد	(1864-1868)
فليكس بلوخ Félix Bloch	مؤسس ومدير مدرسة أدرنة "Andrinople"	(1867-1909)
جول دليم Jules Dalem	مدير مدرسة غلطة "Galata"	(1875-1894)
صامويل هيرش Samuel Hirsch	مدير المدرسة الزراعية "Mikweh-Israël"	(1867-1893)
موريس ماركس Maurice Marx	مدير مدرسة بغداد ثم سلونيك "Salonique"	(1869-1897)
ويسكوبف Weiskopf	مدير مدرسة دمشق	(1867-1870)
ابراهام بلوخ Abraham Bloch	مدير مدرسة لاريس "Larisse" باليونان	(1867-1872)

المصدر:

[1] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 34.

- Albert Navon. H, **Les 70 ans de L'Ecole Normale Israélite Orientale (1865-1935)**, Op. cit,. pp. 13-14.

كان أغلب المعلمين الذين تم إرسالهم إلى المغرب، خلال السنوات الأولى لعمل الرابطة بشمال المغرب، من منطقة الألزاس (Alsace) بفرنسا، ومناطق أخرى من أوروبا، وهي الظاهرة التي لم تتغير إلا بعد عام 1870[1]، أي عندما بدأت الرابطة تتحصل على الدفعات الأولى من المعلمين الذين تخرجوا من مدرسة تكوين المعلمين بباريس (.E.N.I.O)[2] القادمين من المغرب والإمبراطورية العثمانية، لكن قبل هذا التاريخ كانت الرابطة ملزمة بتوفير المعلمين المؤهلين لمدارسها والذين هم على استعداد لتقديم التضحيات لأجل إخوانهم في الدين، فكانت الجماعات اليهودية الأوروبية المصدر الأول لهؤلاء المعلمين الرواد[3].

صورة قم 1: واجهة مدرسة تكوين المعلمين الإسرائيلية الشرقية بباريس.

[1] - خلال العقد الأول من عمل الرابطة، تم تجنيد المعلمين الفرنسيين من أصل ألزاسي، الذين أحضروا معهم عقيدة وطرقا في التدريس لا تتوافق مع بيئة البحر الأبيض المتوسط، ويبرز ذلك في الصعوبات الجمة التي واجهوها في التكيف مع سيكولوجية أطفال الملاحات، وعليه قررت الرابطة في وقت مبكر العمل على تكوين معلمي مدارسها بنفسها فجاءت فكرة تأسيس مدرسة تكوين المعلمين الإسرائيلية الشرقية سنة 1867. ينظر:

- Georges Weill, **Emancipation et humanisme**, Op. cit,. p. 16.
- A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 158.

[2] - Ecole Normale Israélite Orientale: وهي مدرسة تكوين المعلمين الإسرائيلية الشرقية المعروفة اختصارا بـ (.E.N.I.O)، تأسست بباريس سنة 1867، وهي المدرسة التي كانت وراء تخرج كم هائل من المعلمين اليهود القادمين أصلا من المدارس الابتدائية للرابطة اليهودية العالمية المشهود لهم بالتفوق والنجابة، ويعتبر كل من ديفيد كازي David Cazès وسيمتوب بارينتي Semtob Pariente من مدينة تطوان، ثم أبراهام بندلاك Abraham Bendelac وبنوليل Benoliel من مدينة طنجة، أول اليهود المغاربة الذين تخرجو من هذه المدرسة. ينظر:

- **l'Ecole Normale Israélite Orientale**, C. AIU, N° 11 Nouvelle série, Août 1995,. p. 9.

[3] - N. Leven, Op. cit, T 2,. p. 18.

المصدر:

- Albert Navon. H, **Les 70 ans de L'Ecole Normale Israélite Orientale (1865-1935)**, Op. cit,. p. 16.

لعب هؤلاء الرواد دور المدرسين والمدراء والمبشرين، لكنهم على عكس البعثات التبشيرية الدينية الأخرى (سواء البروتستانتية منها أم الكاثوليكية)، التي كان التعليم الديني أحد القنوات الرئيسة في عملها، كانت مهمتهم علمانية "Mission Séculière" إلا أنهم لم يجدوا مناصا من الاهتمام بالتعليم الديني إلى حين تعميم اللغة والثقافة الفرنسية بهدف تحقيق التوازن بين ما هو علماني (مدنس) وديني (مقدس) في سياستهم التعليمية[1]، كما استغلوا هم وخلفاؤهم الروابط المتينة التي نسجوها مع وكلاء المفوضيات الدبلوماسية الأوروبية لدعم جهودهم السياسية نيابة عن المغاربة اليهود، خاصة في المدن الساحلية حيث تتمركز معظم المفوضيات والقنصليات التي امتدت من طنجة في الشمال إلى الدار البيضاء في الغرب والصويرة في الجنوب، والتي ارتفع عددها بعد سنة 1856 بفعل تطور الأوضاع والمصالح السياسية والاقتصادية الأوروبية في المغرب، في حين كان هذا التمثيل الدبلوماسي الغربي ضعيف أو غير موجود في الجنوب والداخل المغربي، مثل مدينة مراكش، فاس ومكناس... قبل 1882[2]، الشيء الذي حد من قدرة الرابطة على التوسع والانتشار في المناطق التي لا تتوفر على تمثيليات قنصلية غربية، وبسبب

[1] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 44.
[2] - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 25, 1er et 2e Semestre 1900,. p. 90.

الصورة التي رسمتها تقارير البعثات والرحالة الأوروبيين عن الفوضى العارمة وحالة السيبة التي يغرق فيها المغرب[1]، وتباطأ التقدم الغربي في هذه المناطق من المغرب، مما خلق هاجسا وخوفا لذى اللجنة المركزية للرابطة على حياة ورفاه معلميها، وأخر إنشاء المدارس إلى حدود سنة 1884 في فاس، وسنة 1899 في مراكش، ومكناس سنة 1910[2].

اتسمت السنوات الأولى الرابطة بالحذر تجاه مختلف التهديدات التي يمكن أن تواجه مدارسها وإلا كانت مجهوداتها ستجهض في مهدها، لذلك عملت جاهدة للبحث عن غطاء سياسي على حد تعبير Charles Netter في رسالة موجهة إلى Narcisse Leven في 9 ماي 1862 جاء فيها : **«في هذه البلدان البربرية (الهمجية)، يجب أن تحمي حكومة أوروبية كل رجل، كل مؤسسة، وإلا فلن يكون هناك استقرار، لا أحد محصن من مزاعم السلطات...»**[3]. ومع ذلك، لم تلتمس الرابطة أي حماية شاملة من الحكومة الفرنسية لأن مؤسساتها لم تكن تدخل في إطار الهيئات الفرنسية الرسمية[4]، لكنها لم تتوان في تقديم ملتمسات معلميها ومدرائها الراغبين في الحصول على الحماية القنصلية عن طريق منحهم بطاقة السمسرة لدعم السلطة الأخلاقية لموظفيها[5]، في حين ردت وزارة الخارجية الفرنسية على بعض النداءات الفردية في حالات محددة، وقدمت تعليمات للقناصل الفرنسيين المعنيين لمساعدة المدارس أثناء حدوث أية مشاكل[6]، كما أن طبيعة الحماية المقدمة من طرف الحكومة الفرنسية لمدارس ومعلمي الرابطة كان رمزيا فقط عبر تجسيد الاهتمام والحضور القنصلي والدبلوماسي، من خلال القيام بزيارات متكررة للفصول الدراسية، وحضور المهرجانات الصغيرة (عروض، توزيع الجوائز، وما إلى ذلك) التي

---

[1] - أنظر بهذا الخصوص.
- شارل دوفوكو، **التعرف على المغرب 1883-1884**، ترجمة المختار بلعربي، دار الثقافة، ط 1، 1999.
- سمير بوزويتة، **مكر الصورة: المغرب في الكتابات الفرنسية (1832-1912)**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007.
- عبد الأحد السبتي، **بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2009.

[2] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 163.

[3] - **Les Nouveaux Cahiers**, N° 21, 1970,. pp. 31-32

[4] - A. Rodrigue, Op. cit,. p. 148.

[5]- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger :Légation et Consulat, Lettre de Is. Pisa à Monsieur le Président de l'Alliance Israélite, Paris, Casablanca, 31 Janvier 1907.
- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Lettre de Narcisse Leven Président de L'Alliance Israélite Universelle à Monsieur Regnault Ministre de France, Tanger, Paris, 21 Fevrier 1907.

[6] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Lettre de Delcassé à Monsieur Saint-René-Taillandier Ministre de France, Tanger, Paris 28 Janvier 1903.

ينظمها مديرو المدارس، ومن خلال خلق جائزة الشرف أثناء توزيع الجوائز بوصفها علامة خاصة على الاهتمام بجمعيات قدماء تلامذة مدارس الرابطة اليهودية العالمية، وما كان هذا إلا إجراء اعتمدته لتوفير أسباب التدخل في الشؤون المغربية بدعوى حماية المصالح الفرنسية[1].

ركزت قيادة الرابطة على تذليل العقبات التي تقف في وجه توسيع الشبكة المدرسية بالمغرب وتطويرها، وعلى المشاكل المتعلقة بسير وتنظيم العملية التعليمية وعلى رأسها هيئة التدريس، التي كان يجب أن تتوفر فيها عدة خصال أهمها الاستقامة، وقوة الشخصية، ونقاء الأخلاق، وحب الدين والأخوة فيه، ومدى استجابتهم وقدرتهم على الامتثال وتطبيق تعليمات الرابطة. ومن جهتها تعهدت الرابطة على أن تضع بين يدي معلميها كل ما من شأنه أن ييسر مهامهم من توفير للكتب والمناهج، وجميع الأدوات والأجهزة العلمية بالمدارس المفتوحة، التي بمجرد أن يصل إليها المعلمون يتم تحديد تفاصيل تنظيمها بالاتفاق بينهم وبين الجماعة المحتضنة للمدرسة على أسس تحددها اللجنة المركزية مسبقا، ويشرف المعلمون على تجميع كل أطفال الجماعة اليهودية بالمدينة لتحقيق المساواة في الالتحاق بها بين كل من أبناء الفقراء والأغنياء[2]، الأمر الذي يمكن من استجلاء فوائد المدرسة على الفور بالنسبة للجماعة اليهودية.

خارطة رقم 1: الشبكة المدرسية للرابطة اليهودية العالمية المغرب.

[1] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport " Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle ", Tanger 15 Mars 1908,. pp. 9-10.

[2] - **B.A.I.U.**, 2e Semestre 1866,. p. 13.

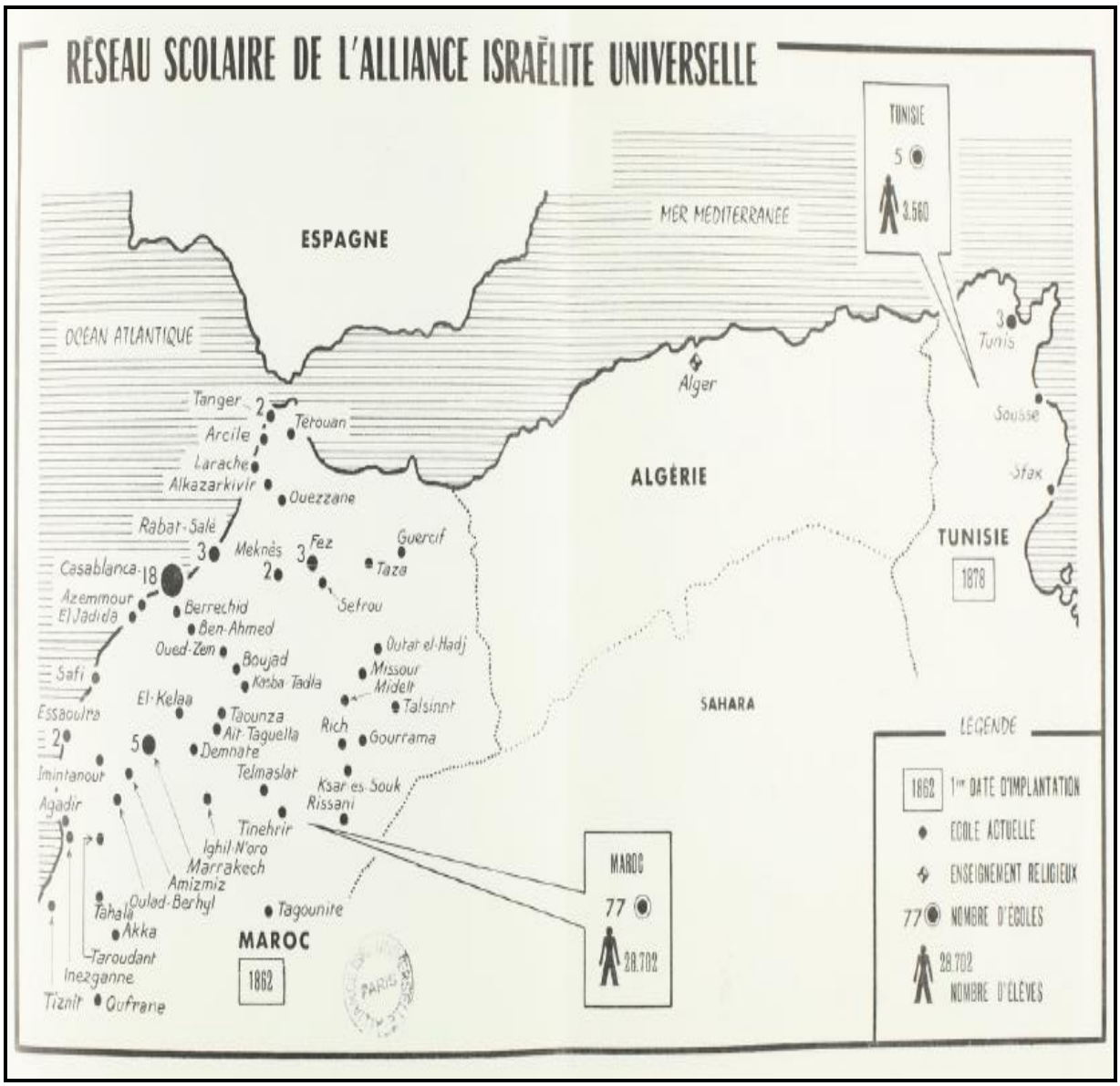

المصدر:

- **Programme des manifestations du Centenaire de l'Alliance Israélite Universelle 1860-1960**, Comité Régional d'Alger, 1960.

ضمت مدارس الرابطة بين جنباتها ثلاثة أنواع من التلاميذ، ولكل نوع منهم مميزاته، أهدافه وأولوياته، ويمكن تقسيمهم على الشكل التالي:

النوع الأول: وهم من أبناء التجار الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و18 سنة، الذين جاؤوا لغرض وحيد هو تعلم اللغة الفرنسية، ظانين أن اللغة يمكن اكتسابها في وقت وجيز، وبمجرد أن

يعوا أنهم بحاجة إلى المثابرة والاستمرارية، فإنهم يشعرون بالإحباط وغالبا ما يغادرون فصول الدراسة في تجاه متاجر أبائهم[1].

النوع الثاني: تتراوح أعمارهم بين 10 و12 سنة، ذوو السلوك السيئ في المنزل، والمعروف عنهم التعنت وعدم الانضباط، لكنهم يتميزون بالذكاء والفضول المعرفي، ويعتادون مع الوقت على المدرسة، وغالبا ما يظهرون الفخر والكبرياء جراء الكتب والدفاتر التي يحملونها، وتمدرسهم يؤتي ثماره إذ يخلصهم من ميلهم للخداع والكذب[2].

النوع الثالث: يأتي من أكثر الفئات ضعفا في الجماعة، يقفون في البداية على مسافة من مدارس الرابطة بفعل العار الذي يشعر به هؤلاء الفقراء من جراء إرسال أبناءهم شبه عراة إلى المدرسة، لكن سرعان ما يصبحون أكثر جرأة، وعموما يعدون من الأطفال الأكثر تمردا، لتعودهم على المشاجرة والتسول والجنوح في الشوارع، كما أنه ليس لديهم القدرة على البقاء لثماني ساعات يوميا في المدرسة، ولكن بفضل الحساء الساخن في فترة الظهيرة، والوعود المقدمة بتوفير الملابس، تعمل الرابطة على ترويضهم والحفاظ عليهم آمنين[3].

إن الهدف الحقيقي من المدارس الابتدائية بالنسبة للرابطة، وخاصة في المغرب، هو إعطاء الأولوية للتربية على التعليم، التي غالبا ما كانت تؤطر أخلاقيا من قبل الدين والأسرة، لكن يجب تعزيزه وتطويره بواسطة معلمي الرابطة، حتى يصبح التعليم كله أخلاقيا[4]، ويجب أن يقدم لهم بشكل مستمر بطرق ووسائل غير محسوسة وعبر قنوات غير مرئية[5]، بخلق جو أخلاقي يهدف إلى الرفع من روح ومعنويات التلاميذ، ولن يتأتى ذلك إلا إذا اتخذ المعلمون من ذلك مهمة رئيسة لمكافحة العادات السيئة المنتشرة بين اليهود الشرقيين[6]: مثل الأنانية والافتخار والكبرياء...، واستبدالها بممجموعة من الفضائل التي يجب إلهام الأطفال بها، مثل حب الوطن

---

[1] - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 26, Année 1901,. pp. 78-79.
[2] - Ibid.
[3] - Ibidem
[4] - Georges Weill, **Emancipation et humanism**, Op. cit,. p. 9.
[5] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 158.
[6] - كانت الرابطة تضفي على نفسها مسحة ذات طابع أبوي، فبالنسبة لها كان اليهودي الشرقي مثل طفل عليه أن يتخلص من عاداته السيئة، وكانت هذه الأبوية هي ثمرة الفكر البورجوازي الأساس لأعضاء اللجنة المركزية في باريس. ينظر:
- A. Kaspi, Op. cit,. p. 236.

والتضحية من أجل الصالح العام، الاستقامة والحقيقة، نبل المشاعر وغرس روح التضامن والتفاني في العمل[1].

هؤلاء المعلمون ذوو الأصول الغربية العاملين في تطوان، طنجة، والصويرة والمتأثرون بروح الثورة الفرنسية، والمؤمنون بمبادئها الثلاثة، لم يكتفوا بالدور المنوط بهم باعتبارهم أصحاب رسالة تربوية ووسطاء بين الجماعات اليهودية واللجنة المركزية للرابطة بباريس، بل عقدوا العزم خلال المرحلة الممتدة بين سنتي 1862 و1870 على محاربة الظلم واللامساواة، من خلال انتقادهم لمفهوم أهل الذمة الذي يطلق على غير المسلمين، فبالنسبة إليهم وضع الذمي «المحمي» هو مجرد رمز يحيل على معطى تسامحي لا يقيم حلولا ملموسة للانتهاكات القائمة في حق اليهود، فالدكتور برنار ليفي Dr. Bernard Levy، أحد مؤسسي ومدير مدرسة الذكور في طنجة وجه تقريرا بهذا الخصوص إلى أعضاء اللجنة المركزية للرابطة بباريس بتاريخ 13 يونيو 1864، يوصى فيه بالتدخل الفوري من قبل أوروبا في الشؤون الداخلية للمغرب، من خلال تقديمه لاقتراحين يرى بأنهما كفيلين بانتشال اليهود من ذميتهم:

أولا: العمل على توجيه الرأي العام الأوروبي حتى تجبر الحكومات المعنية على بعث قناصلها رسميا للضغط على المخزن والتدخل لصالح اليهود.

ثانيا: بالنظر لنفوذ الرابطة في الأوساط السياسية الفرنسية، بإمكانها التوسط لصالح الدكتور برنار ليفي، ليصبح قنصلا أو نائب قنصل حتى يتمكن من المشاركة في مسؤولية الدفاع عن اليهود[2].

لكن اللجنة المركزية للرابطة لم تتماش مع مقترحات برنار ليفي هذه، لأن ذلك من شأنه أن يثير الشكوك لدى وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية "Le Quai d'Orsay" حول التطلعات الشخصية لبرنار ليفي، الأمر الذي من شأنه أن يضعف موقع الرابطة بالمغرب، كما أن المبدأ الذي يدعو إليه «التدخل الأوروبي» لا يواجه أي معارضة من قبل اللجنة المركزية للرابطة بباريس، أضف إلى أن الرابطة على بينة تامة من أن سلطان المغرب إما أنه غير قادر على وضع حد للتجاوزات والفوضى، أو أنه ببساطة ليست لديه القدرة على اتخاذ إجراءات جريئة[3].

---

[1] - Georges Weill, **Emancipation et humanism**, Op. cit,. p. 9.
[2] - A.A.I.U., **V B 24 b.13**, Rapport de Bernard Levy, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 13 Juin 1864.
[3] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 45.

لكن برنار ليفي لم يكن ليقتنع بحجة أن المغرب ضعيف وعاجز سياسيا عن مواجهة الفوضى المتفشية، فبالنسبة إليه وحده الضغط السياسي الأوروبي من يستطيع إجبار المخزن على كبح جماح وطغيان القياد والباشوات[1].

وإلى جانب برنار ليفي، مدير مدرسة الذكور بتطوان (1866-1876) السيد غوغمان Gogman المعروف بآرائه المتشددة والصلبة، لم يتردد هو الآخر في تحدي كل من اللجنة المركزية والقناصل الأوروبيين بتصرفاته، وهذا التحدي نابع من استيائه الشديد تجاه حقيقة أن اليهود لا يمكنهم أن يتواجدوا إلا داخل الملاحات، كما أنه يلقي باللوم على موظفي المخزن (قياد وباشاوات) فيما يتعرض له اليهود من نهب وتقتيل[2]، فخلال سنة 1867 عمد غوغمان إلى تجنيد جنود من المخزن لأجل توفير الحماية لليهود بغرض تمكينهم من القيام بأنشطتهم التجارية، متهما أيمي داكين Aymé d'Aquin الوزير الفرنسي في طنجة بالتقصير تجاه المسألة اليهودية[3]، بل ذهب الأمر بغوغمان إلى أبعد من كيل الاتهامات هنا وهناك متخذا قرارات مستقلة بجعل منزله ملجأ لليهود بعد أن رفع عليه العلم الفرنسي متحديا الدبلوماسية الفرنسية وكعلامة لقنصلية فرنسية ثانية. وفي غياب معلومات مفصلة حول هذا الأمر يستبعد Michael M. Laskier أن يكون غوغمان قد أقدم على تنفيذ فكرته هذه[4].

وفي المقابل أعرب بعض معلمي الرابطة ذوي الأصول الأوروبية عن أراء مختلفة أقرب إلى الموضوعية في قراءتهم للمشهد السياسي للبلاد، فموريس كابلان Maurice Caplan، الذي سبق غوغمان على رأس إدارة مدرسة الذكور في تطوان، والذي كان أقل ميلا إلى إلقاء اللوم على السلطان،لم يكن متأكدا مما إذا كان الضغط السياسي الأوروبي قادرا على الإتيان بنتائج ملموسة، بحيث يرجع الأعمال التعسفية لموظفي المخزن إلى مؤامرة هم أحد أقطابها ضد السلطة السياسية في البلاد[5]، التي لا تستطيع فعل الكثير في ضوء انتشار الفوضى[6]، والتي لا ينكر أن اليهود قد عانوا في ظلها من عدة انتهاكات، وهم مدركون بشكل كبير مدى الجهود السياسية المبذولة لصالحهم، في حين حث كابلان الرابطة على أن توضح للمغاربة اليهود أنه لا ينبغي أبدا

---

[1] - A.A.I.U., **V B 24 b.13**, Rapport de Bernard Levy, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 04 Mai 1864.
[2] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 45.
[3] - Ibid.
[4] - Ibidem.
[5] - A.A.I.U., **LXV E 993,** Rapport de Maurice Caplan, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tétuan, 03 avril 1865.
[6] - Ibid.

المبالغة في تقدير نجاعة هذه الجهود، والتخلي عن النظرية القائلة بأن أسرة روتشيلد تستطيع تسيير الجيوش والبوارج لأجلهم، والأهم من ذلك كله، على اليهود أن يفهموا أن طاعة السلطان، وكذلك الكف عن الوقاحة والتطاول على المسلمين هو أمر حاسم لضمان أمنهم[1].

وقد أولى قادة الرابطة بدورهم اهتماما كبيرا بالتصرفات والآراء النابعة عن معلميهم، لكن الرابطة لم تكن لديها القدرة على تحمل مسؤوليات من هذا الحجم يمكن أن تهدد شبكتها المدرسية النامية، أو يرفع حجاب حماية القوى الأوروبية (سواء من باريس أو لندن أو روما) الذي مكنها من دخول المغرب، وبالتالي كان ضبط النفس أمرا لا مفر منه لتجنب الإساءة إلى المشاعر الدينية لآباء التلاميذ للحفاظ على مساهماتهم المالية التي تغطي ثلثي ميزانية المدرستين بتطوان[2]. وفي الوقت نفسه، فإن القلق الذي أبداه المعلمون تجاه المستقبل السياسي لليهود أكسب الرابطة احتراما لا حدود له لدى العديد من الجماعات اليهودية[3].

وتماشيا مع وجهة نظر كابلان، نبه قادة الرابطة الجماعات المغربية اليهودية إلى اتخاذ الحذر في تصرفاتهم تجاه المسلمين، وتجنب كل ما من شأنه أن يكون بمثابة محفز للاقتتال، وجاء هذا التحذير سنة 1874 على شكل إعلان خطي موجه إلى القادة المغاربة اليهود من قبل أدولف كريميو والأمين العام إيزيدور لوب، وهذا أهم ما ورد فيه: **«... لقد استمعت اللجنة المركزية للرابطة اليهودية العالمية للصعوبات التي تصادفونها وعقدت العزم على رفعها مصداقا لقول آبائنا - إن كل بني إسرائيل مسؤولون عن بعضهم البعض... لأن هناك المزيد من الأفعال الشريرة التي سترتكب في حقكم، وبالتالي فإن دعم إخوانكم الذين يعيشون بين غير اليهود، [الإخوة في أوروبا] لا يأتي دائما بالمساهمة بالمال لأجل القضاء على البؤس وإزالة العقبات من طريق إخوانهم؟ شرعنا في خلق المدارس... من أجل سقاية بني إسرائيل بحكمة التوراة، رغم ما بلغنا من العديد من الناس: على أنه لا أمل في خلاصكم، لكن قلوبنا تدفعنا لأن نفعل أقصى ما في وسعنا... ففي نجاحنا نيابة عنكم سوف يذكرنا... بما فعله الصالحون من غير اليهود لإخواننا، وأنه من واجبنا الثابت واليومي أن نشكر حكام أوروبا وممثليها الدبلوماسيين... الذين وقفوا معنا في كل المناسبات وفي كل مكان أيضا، كما نشيد بحكامكم، لأنهم لم يمتنعوا عن الاستماع إلى صلواتكم لأجل إنقاذ الصالحين من الأشرار... ومع ذلك، فإننا**

---

[1] - Ibidem.
[2] - A. Kaspi, Op. cit,. p. 229.
[3] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 46.

نطلب منكم شيئا واحدا ونأمل أن تستجيبوا بذلك لما فيه مصلحتنا ومصلحتكم: من فضلكم لا تعملوا على إثارة غضب مواطنيكم... والأهم من ذلك... يجب الامتناع عن القول في مسامع الناس الأشياء التي قد تحرك وتثير مشاعر الغضب تجاهكم... وهو الأمر الذي سيحد من تعاطف السلطان ومستشاريه نحوكم... لذلك، تذكروا حكمة آبائنا: إن "الحكمة هي في كثير من الأحيان القدرة على الصمت"، وامتنعوا عن التباهي بالمساعدة التي تحصلون عليها من الحكومات الأجنبية ...»[1].

إن السبب وراء الإعلان الذي أصدرته اللجنة المركزية للرابطة هو شعورها بالقلق من أن يعتقد اليهود والمسلمون المغاربة، بأن الرابطة واليهود الأوروبيون الأثرياء هم بمثابة المنقذ لليهود من كل أزماتهم، وهو ما سعت الرابطة لتوضيحه لأن الاعتماد الكبير عليها سيجعل من المسلمين والأوروبيين على حد سواء يعتقدون بأن المنظمة تسيء استخدام السلطة، وبالتالي سيتم رفض وجودها في المغرب. بالإضافة إلى ذلك، يعكس الإعلان حذر المنظمة في تقييمها الواقعي لقدرتها على التدخل والتعامل مع المشاكل المعقدة، ومن المفهوم أن بعض قادة الجماعات المغربية اليهودية قد استاءت من التعليمات المتضمنة في الإعلان، لأنهم يرون في الرابطة قوة سياسية قوية قادرة على تحقيق نتائج ملموسة بالنيابة عنهم ودون تأخير، كما أنهم لم يعوا أن مجرد إبداء الطاعة للسلطان، يمكن أن يترتب عنه نتائج إيجابية[2].

وفي الوقت الذي دعمت فيه الحكومة البريطانية سلطان المغرب لأجل اعتماد الإصلاحات الداخلية عبر ممثلها القنصلي جون دريموند هاي "John Drummond Hay" ومن بينها رفع الحماية القنصلية عن اليهود، وجدت الرابطة اليهودية حليفا في الجمعية الأنجلو يهودية (A.J.A.) ومجلس نواب اليهود البريطانيين (B.D.B.J.) اللذين أعلنا خلافا لإرادة حكومتهما أنهما لن يدخرا أي جهد لمنع ممثلي الدول بالمغرب من التملص من الحماية القنصلية، وأن كل الجهود يجب أن تبذل لحث هذه القوى على توجيه ممثليهم الدبلوماسيين لمواصلة حمايتهم لليهود في المغرب[3].

وبالفعل شكل كل من الجمعية الأنجلو يهودية. ومجلس نواب اليهود البريطانيين وفدا، في منتصف شهر ماي 1880 لبسط وجهة نظرهم بخصوص الحماية القنصلية أمام إيرل جرانفيل

---

[1] - M. M. Laskier,**The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 47.
[2] - Ibid,. p. 48.
[3] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 48.

Earl Granville وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية، مكونا من سرجنت سيمون Serjeant Simon، آرثر كوهينArthur Cohen، ج. م مونتيفيور J. M. Montefiore، أ. غ. أنريكي A. G. Henriques، ف. د. موكاطا F. D. Mocatta، أ. لوي A. Lowy وليوبولد دي روتشيلد Leopord de Rothschild[1]، وقد ترأس هؤلاء سرجنت سيمون الذي لم يطالب بمنح اليهود حصانة مميزة بل أكد فقط على أهمية الإبقاء على مبدإ الحماية القنصلية؛ لأن لها جذورا ضاربة في التاريخ تصل إلى القرن الثاني عشر الميلادي، مركزا على أن هناك بنودا واضحة في معاهدة 1856 بين بريطانيا والمغرب تزكي هذه الحماية، كما أن مبدأ استخدام الحماية لم يقتصر على المغرب فقط بل سبق أن اعتمده الأتراك بدورهم عند سيطرتهم على أوروبا، وبالتالي فإن الإبقاء على الحماية القنصلية هو تمسك بالحقوق المدرجة في معاهدات مختلف الحكومات (البريطانية والفرنسية والإسبانية) التي أكدت على صواب توفير الحماية للمغاربة اليهود لأهميتهم التجارية والحضارية، لأنه بالتخلي عن الحماية القنصلية سيتركون إخوانهم اليهود تحت رحمة المغاربة الهمجيين، الجُهل، والمتعصبين[2].

وبالموازاة مع جهود كل من الجمعية الأنجلو يهودية (A.J.A.) ومجلس نواب اليهود البريطانيين، نحت اللجنة المركزية للرابطة اليهودية نحو اتخاذ إجراءات فورية من خلال إيفاد اثنين من أعضائها الأكثر تأثيرا إلى مؤتمر مدريد، وهما تشارلز نيتر Charles Netter وايمانويل فانزياني Emanuel F. Venezian، للمطالبة باستمرار حماية المغاربة اليهود[3]. وقبل شهر من مؤتمر مدريد وجهت الرابطة مذكرة إلى وزير الخارجية الفرنسي وباقي ممثلي الدول الأوروبية في أبريل 1880 توضح فيها معاناة اليهود من الإذلال والإهانة في الإمبراطورية الشريفة على يد ممثليها، من خلال بسطها لعدد من الحوادث التي جرت بين سنتي

---

[1] - Ibid,. p. 49.

[2] - Ibidem,. p. 50.

[3]- مكن البارون دي هيرش ممثلي الرابطة من موجز يلخص مظالم اليهود المغاربة سلماه لمندوبي كل من إيطاليا وإسبانيا والولايات المتحدة وفرنسا والبرتغال والنمسا بمؤتمر مدريد، يدور حول انعدام الأمن، وعدم وجود أي حماية قانونية أو أي عدالة، وبمثابة نداء للحفاظ على الحماية القنصلية، بمبرر أن اليهود في المغرب هم العنصر الأكثر تحضرا، لتوفرهم على أفضل المدارس إن لم تكن الوحيدة في البلاد آنطلاقا من تطوان، طنجة، العرائش، موغادور (الصويرة)، آسفي، كما أنهم صلة الوصل الضرورية بين المغرب والغرب، والحفاظ على الحماية القنصلية هو ضمان لتنمية الساكنة. ينظر:

- A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 111.

- **Vingt-cinquième anniversaire de la fondation de L'Alliance Israélite Universelle**, Op. cit,. p. 72.

1864 و1880 بعدد من المدن المغربية، والتي تعرض فيها عدد من اليهود للقتل وأعمال السخرة تحت طائلة الضرب[1].

كما جاء في المذكرة أنه بسبب الأزمة الداخلية الجارية في البلاد ليست هناك حاجة لرفع الحماية القنصلية، لأن الأمر سيزيد الطين بلة، فعلى الأقل يجب أن يسمح للنخبة اليهودية بأن تحيا حياة هادئة: **«إن حماية قوة أجنبية تمكن عدد معين من اليهود من تجنب البؤس المشترك (بين اليهود) والدخول في المعاملات التجارية دون خوف على أنفسهم»**[2]. وقد تعمدت الرابطة ربط الحماية القنصلية بالمصالح التجارية بقصد إذكاء فكرة تعرض المصالح التجارية الأوروبية للخطر من جراء رفع الحماية القنصلية، وفي نفس الوقت دفع فرنسا لمنح حمايتها لأكبر عدد من اليهود الأمر الذي يمكنه أن يعود بالنفع على المصالح الاستعمارية للكاي دورسيه.

وفي الأخير أشارت المذكرة إلى جملة من الأحداث المؤلمة في حق اليهود، وادعت أن السلطان بالمغرب لم يتمكن من تنزيل محتوى الظهائر الصادرة من طرفه، والتي تؤكد على احترام حقوق اليهود ومقدساتهم وممتلكاتهم ومعاملتهم على قدم المساواة مع نظرائهم المغاربة المسلمين[3]، وهو بالفعل ما أقرته عدد من الظهائر السلطانية في عدة محطات تاريخية، ولعل أهمها عند المغاربة اليهود هو ظهير سنة 1280هـ/1864م الممنوح للسيد مونتيفيوري من قبل السلطان محمد بن عبد الرحمان، والذي جاء فيه:

«بسم الله الرحمان الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نأمر من يقف على كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره من سائر خدامنا وعمالنا والقائمين بوظائف أعمالنا أن يعاملوا اليهود الذين بسائر إيالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الأحكام حتى لا يلحق أحدا منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام، ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام، وأن لا يتعدوا هم ولا غيرهم على أحد منهم لا في أنفسهم ولا في أموالهم، وألا يستعملوا أهل الحرف منهم إلا عن طيب أنفسهم وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، ونحن لا نوافق عليه لا في

---

[1] - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 1, 1er Semestre 1880,. pp. 33-36.
- **Vingt-cinquième anniversaire de la fondation de L'Alliance Israélite Universelle**, Op. cit,. p. 71.
- A.A.I.U., **XX E 321**, Lettre de Salomon Benoliel, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Larache 19 September 1877.

[2] -**B.A.I.U.**, Deuxième série N° 1, 1er Semestre 1880,. pp. 34.

[3] - Ibid,. pp. 36-37.

حقهم ولا في حق غيرهم، ولا نرضاه لأن الناس كلهم عندنا سواء، ومن ظلم أحدا منهم أو اعتدى عليه فإنا نعاقبه بحول الله، وهذا الأمر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه كان مقررا ومعروفا محررا لكن زدنا هذا المسطور تقريرا وتأكيدا ووعيدا في حق من يريد ظلمهم، وتشديدا ليزيد اليهود أمنا إلى أمنهم، ومن يريد التعدي عليهم خوفا إلى خوفهم، صدر به أمرنا المعتز بالله في السادس والعشرين من شعبان المبارك عام ثمانين ومائتين وألف»[1].

وبسبب حرص السلطة المغربية على تلميع صورتها مع الخارج، لم يفت محمد بركاش ممثل المخزن بمؤتمر مدريد الإشارة إلى الشكاوى التي يرفعها عدد من المغاربة اليهود لإخوانهم سواء خارج المغرب أم ممثلي الدول الأوروبية بطنجة، بسبب ما يدعونه من جرائم قتل وسرقة... في حقهم، محملين ممثلي المخزن مسؤولية التقصير في توفير الأمن لهم، مشيرا إلى أن الإرادة الشريفة تسعى إلى تحقيق العدالة دون تدخل من القوى الأجنبية، لأن اليهود هم من رعايا السلطان وهو على استعداد لتلقي شكاوى اليهود الذين لم ينصفوا من قبل ممثليه، كما أن المخزن مستعد لتوفير كل ما من شأنه تحقيق العدالة، فالجميع متساوون أمام القضاء[2].

بعد انتهاء مؤتمر مدريد وحتى فجر الحماية الفرنسية سنة 1912، واصلت الرابطة اليهودية تلقي الشكاوى من الحاخامات، ووجهاء اليهود بالمغرب احتجاجا على ما يرونه انتهاكا لحقوقهم. هذه الشكاوى ركزت بشكل رئيس على معاناة الجماهير اليهودية، وليس على المتمتعين بالحماية القنصلية، والتي اختلفت من منطقة إلى أخرى. ففي دمنات إحدى الحواضر الجنوبية الصغيرة بجبال الأطلس أصدر السلطان ظهيرين في سنة واحدة (1302هـ/1885م) فحواهما تجديد العهد بدمية اليهود في عنق السلطان، والتشديد على عامل دمنات بمعاملة اليهود على وفق أحكام دينهم وشريعتهم مساواة بغيرهم من المسلمين، وإسقاط كافة الكلف، ورفع يد الحيف والعدوان عنهم، على ألا يلزموا بشيء لم يلزمهم شرعا[3].

وعليه لعب مدير مدرسة الذكور فاس سليمان بنوليل Salomon Benoliel، والممثل الدبلوماسي الفرنسي بطنجة فيرو L. C. Feraud، دورا حاسما في إيصال شكوى يهود دمنات

---

[1] - أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، الجزء التاسع، 1997، صص. 113-114.

[2] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 52.

[3]- تختزن الظهائر طبيعة الإنتهاكات التي اشتكى منها يهود دمنات. ينظر:

- A.A.I.U., **XIII E 214 a.2**, Lettre de Salomon Benoliel, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 04 Juin 1885.

إلى مسامع السلطان بقصد التدخل لصالحهم، وإنصافهم من عاملهم، وهو الأمر الذي تكلل بإصدار الظهيرين الشريفين.

ظهيرين سلطانيين خاصين بالجماعة اليهودية بدمنات سنة 1302ه/1885م.

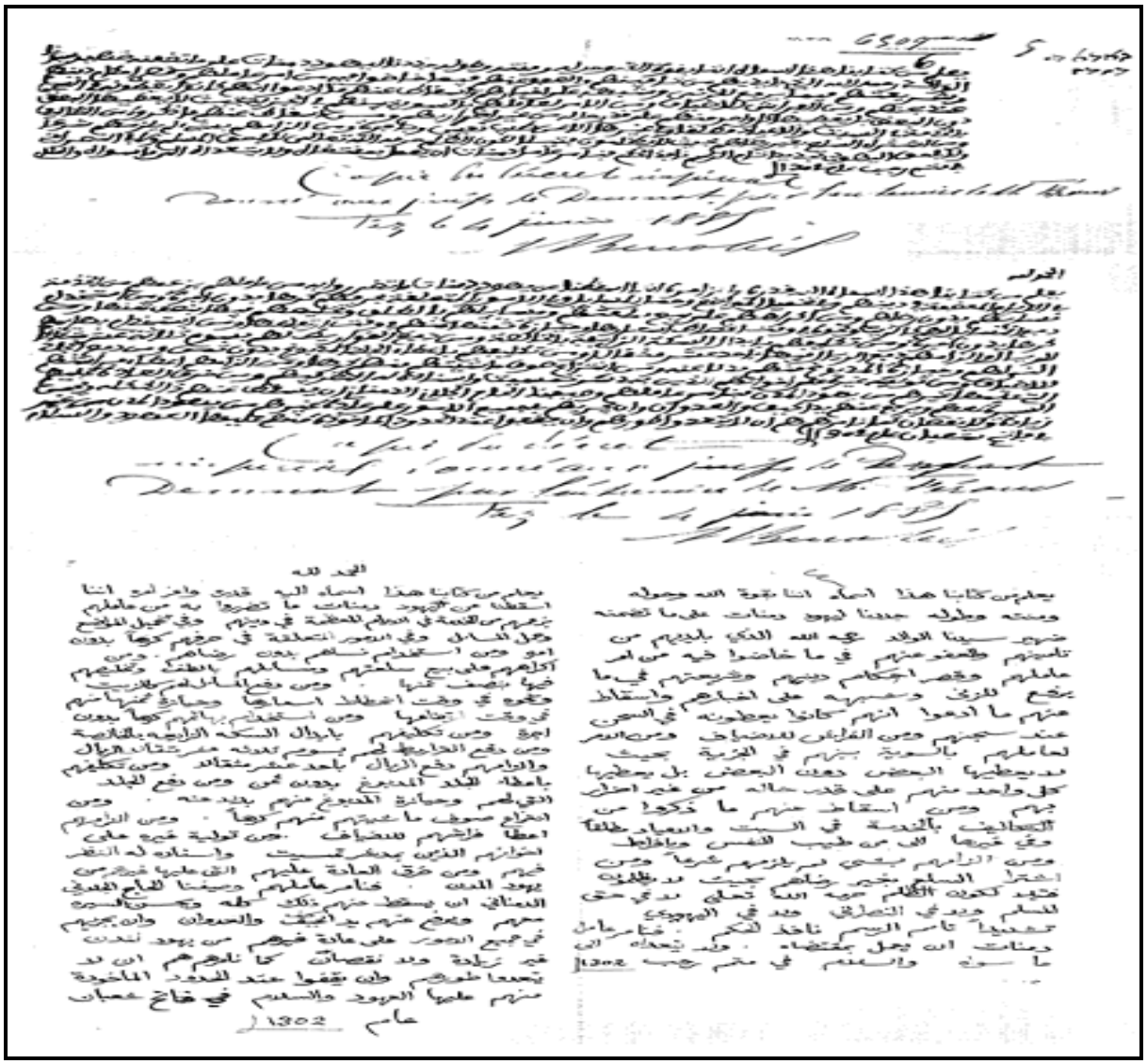

المصدر:

- A.A.I.U., **XIII E 214 a.2**, Lettre de Salomon Benoliel, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 04 juin 1885.

ومع ذلك، غالبا ما كانت هاته الظهائر غير مجدية، لأن السلاطين المغاربة لم تكن لديهم القوة والإمكانات اللازمة لإنفاذها. ففي مثال آخر، كتب قادة الجماعة اليهودية في وزان للرابطة سنة 1908 يشكون من أنهم أجبروا على العمل دون أجر، بالإضافة إلى كثرة الضرائب التي أثقلت كاهلهم.

رسالة من قادة الجماعة اليهودية في وزان موجهة إلى الرابطة اليهودية العالمية بباريس سنة 1908.

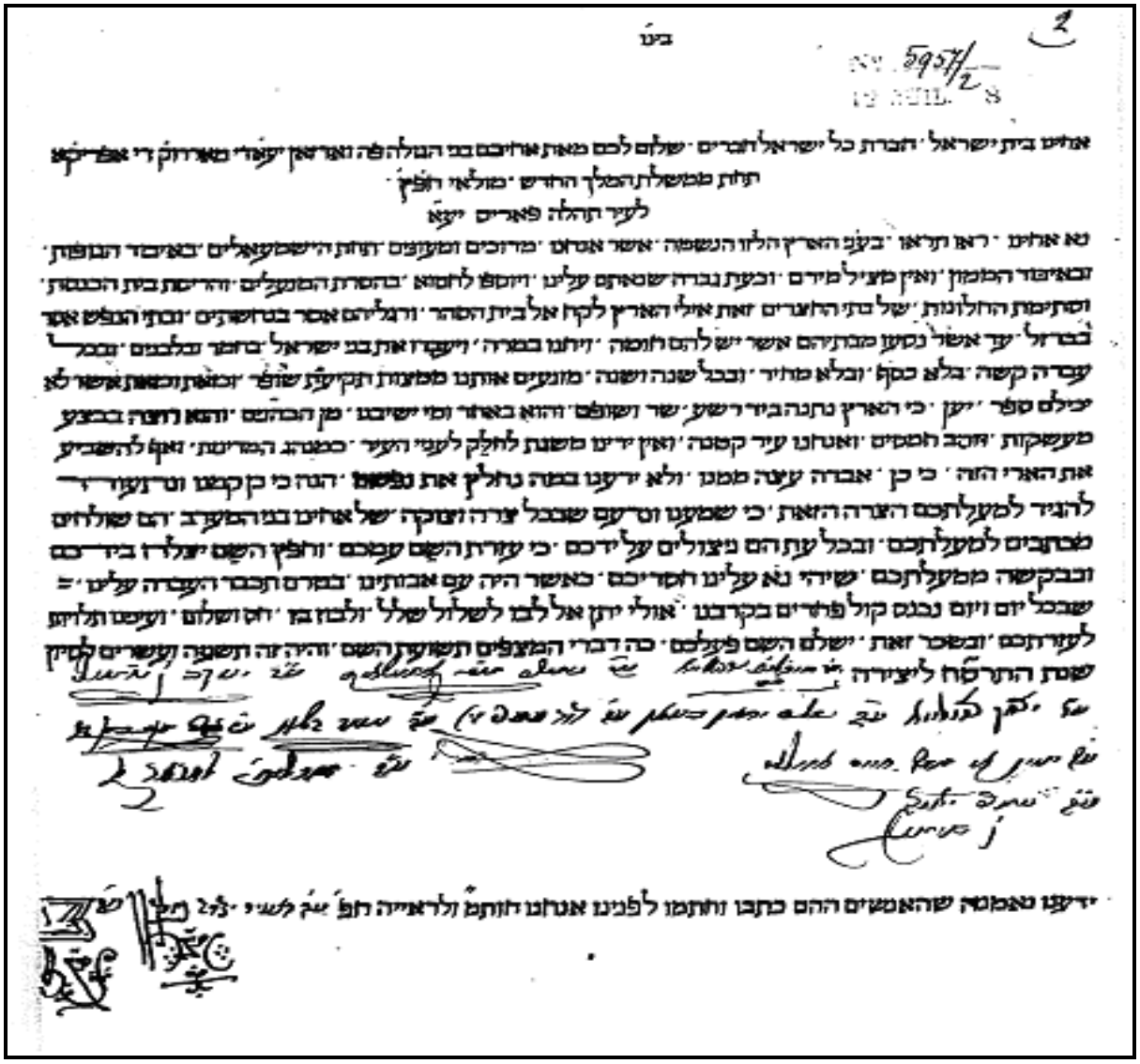

المصدر:

- A.A.I.U., **XX E 324**, Lettre de Joseph Benshimon, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Larache, 12 juillet 1908.

وعلى الرغم مما سبق أدركت الرابطة من جانبها أن أي تواصل إيجابي مع المخزن سيوفر قدرا أكبر من المرونة في توسيع شبكتها التعليمية، الأمر الذي من شأنه أن يسهل عملية

الضغط المباشر لليهود بدلا من اللجوء إلى الأوروبيين، وهو ما استغلته الرابطة للضغط على المغرب بطرق مباشرة وغير مباشرة لتحسين ظروف المغاربة اليهود.

إذ بعد تربع السلطان مولاي عبد الحفيظ على العرش سنة 1908 عرفت البلاد موجة من الاضطرابات الناتجة عن التغيير الحاصل في السلطة، وعن احتلال كل من الدار البيضاء ووجدة من قبل القوات الفرنسية بحجة حماية مواطنيها ومصالحها المتنامية بالبلاد، وهو الوقت نفسه الذي كان فيه السلطان الجديد يسعى جاهدا لتحصيل الاعتراف من قبل أوروبا[1]، بعد أن شاع في وسط الرأي العام الأوروبي حالتا اللا أمن واللا استقرار اللتان يعيشهما المغرب بفضل الدعاية التي وفرتها الصحف والرابطة اليهودية العالمية التي لم تتوان عن نشر ما كان يبعث به يهود المغرب من شكاوى عبر معلميها ومدرائها. وعليه تشكلت قناة تواصل مباشرة بين الرابطة والمخزن بعد أن أقدم رئيس الرابطة نرسيس ليفين على بعث رسالة بتاريخ 16 أكتوبر 1908 إلى أقوى رجل في الامبراطورية الشريفة آنذاك السي المدني الكلاوي الذي عينه مولاي حفيظ على مراكش يستفسره فيها عن التدابير التي اتخذت لأجل حماية اليهود والمدارس والمعلمين والتلاميذ بالمدينة[2]، ليجيب الكلاوي في 26 أكتوبر 1908 بأنه ملتزم بتوفير مستقبل أكثر إشراقا لليهود، مع تقديم كل ما يلزم لإعادة فتح مدارس الرابطة في مراكش، كما أنه ما فتئ يؤكد على أنه رجل غير متعصب كما تصفه الصحافة الأوروبية[3]، ولمزيد من التوضيح هنا، فالمدني الكلاوي ما كان ليفتح باب التواصل مع الرابطة لولا الحظوة التي كانت الرابطة تحظى بها لدى الكاي دورسييه، ووعي كل منهما أن المغرب جد حريص على صورته أمام الغرب، خاصة وأنه في أشد الحاجة إلى الاعتمادات المالية والقروض المقدمة من طرف أوروبا[4].

الفصل السادس: الرابطة وآليات تحديث التعليم اليهودي.

بعدما أيقنت الرابطة أن مستوى التعليم العبراني في الشرق عامة والمغرب خاصة، لا يرقى إلى المأمول، ولا يساير التطور في العلوم والمعارف والمستجدات، وبخلاف ذلك فهو يعمل

---

[1] - لم تعترف فرنسا بشرعية المولى عبد الحفيظ إلا سنة 1909، بعد أن تأكدت أنه لا جدوى من الشروط التي وضعها الفقهاء لبيعته. ينظر:

- M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 58.

[2] - N. Leven, Op. cit, T 1,. p. 370.

[3] - Ibid,. pp. 370-371. Voir aussi:

- **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 33, Année 1908,. pp. 83-87.

- كوستاف بابان، **الباشا الكلاوي: الأسطورة والحقيقة في حياة باشا مراكش**، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007.

[4] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 58.

على تكريس حالة الجمود والتقليد، كما أنه ليس بالتعليم الذي يحتاج إلى عدد من التعديلات حتى يستعيد عافيته وبريقه، بل اعتبرت هذا النوع من التعليم المسؤول الأول عن تكريس التخلف، وحالة الدونية التي يعيشها اليهود داخل البلدان التي يقطنون بها، لأنه لا يرتقي بعقول المتعلمين ولا يمنحهم الأدوات والآليات اللازمة لكي يتطوروا في تجاه كسر قيود الرجعية، للتحرر من قيود الماضي والأسلاف، والانفتاح على كل ما هو عصري وحداثي على جميع الأصعدة سواء اجتماعيا أم اقتصاديا وسياسيا. وسيبعث هذا الأمر لدى الرابطة تحديا يكمن في خلق مدارس نموذجية على شاكلة المدارس الفرنسية تتوفر فيها شروط ومقومات المدرسة الحديثة شكلا ومضمونا.

لذلك اعتمدت الرابطة اليهودية العالمية عددا من الآليات بغرض تحديث التعليم المقدم لليهود، واتخذت لأجل ذلك تدابير خاصة، منها التغلغل وسط الجماعات المغربية اليهودية بغية رصد مكامن القوة والضعف لديها، من خلال تسخير معلميها كمراقبين داخل الجماعة، يعملون على إعداد تقارير ومراسلات دورية للكشف والاضطلاع على الحياة اليهودية بالمغرب بكل ما تكتنفه على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية... حتى تتمكن فيما بعد من وضع مرتكزات ورسم مسارات التحديث المزمع تنفيذه.

1) رصد الحياة الاجتماعية والأخلاقية لليهود.

سنّت الرابطة اليهودية العالمية منذ تأسيسها سُنةً لم يحد عنها معلموها منذ البداية، ألا وهي ضرورة حرص المعلمين على الاندماج داخل الجماعات اليهودية التي يعملون بها، وكذا رصد كافة الأمور المتعلقة بالجماعة، سواء المتعلق منها بالمجال الديني والسياسي، أم بالمجال الاجتماعي والثقافي والأخلاقي، وغير ذلك من الأمور على بساطتها، لأجل التأسيس لقاعدة معلوماتية يتم على أساسها بناء آستراتيجيتها في التعامل مع أعضاء الجماعة اليهودية، و مع السلطة السياسية الحاكمة، ولأجل تحديث برامجها التعليمية بما يتلاءم وطبيعة هذه الجماعات، وهو الأمر الذي يجعل من أرشيف الرابطة مادة مصدرية ومرجعية لا غنى عنها في أي دراسة أو بحث، خاصة فيما يتعلق بالجماعة اليهودية بالمغرب.

وبناء عليه سأتخذ من تقارير ورسائل معلمي الرابطة مادة مرجعية أساسية، لتتبعها ووصفها لدقائق الأمور. وفي هذا الشأن تشكل مجريات وأجواء عيد البوريم "Pourim"[1]، داخل ملاحات الجماعة اليهودية بعدد من المدن المغربية مثل فاس، ومكناس، وتطوان، وسلا، والصويرة منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى حدود منتصف القرن العشرين، نموذجا لعدد من التقارير والرسائل التي لا تعد.

ويشكل البوريم بالنسبة إلينا فرصة لرصد مظهر من مظاهر الأجواء الاحتفالية للمغاربة اليهود داخل الملاح، وهي أجواء استطاع مدرسو مؤسسات الرابطة اليهودية العالمية بالمغرب نقلها إلينا بشكل مفصل ودقيق، يختلط فيها المقدس بالمدنس. حيث تكشف عن رغبة الرابطة في الإحاطة بكل ما هو متعلق بالجماعات المغربية اليهودية بغية تأسيس تصور شامل للكيفية التي يجب أن تتدخل بها لأجل تطوير العنصر اليهودي الشرقي، ليرتقي إلى مصاف يهود الغرب على شاكلة إخوانهم في الدين الفرنسيين. فإلى أي حد استطاع مدرسو الرابطة نقل صورة واضحة المعالم لواقع الحياة الثقافية والأخلاقية ليهود المغرب؟ وهل استطاعت الرابطة استثمار المعطيات الواردة في مراسلات معلميها بغية تحسين الوضع المادي والمعنوي للمغاربة اليهود؟.

لعل ما يميز هؤلاء المعلمون، أنهم لم يعملوا على إخفاء ارتساماتهم التي اختلفت فيما بينها، وذلك بناء على الدوافع التي جعلتهم يرصدون أجواء هذا العيد والطقوس الممارسة فيه،

---

[1] - عيد البوريم "أو الفوريم" أي عيد النصيب باللغة العربية و"بوريم" كلمة عبرية مشتقة من كلمة "بور" أو "فور" البابلية ومعناها "نصيب" أو " قرعة " وتقرر فيها الآلهة البابلية مصير البشر، ويكنى أيضا بـ "بعيد إستير" تكريما للدور الذي لعبته إستير في حماية اليهود من مذبحة الوزير هامان، والبوريم هو العيد الوحيد الذي يحمل اسما غير عبري. وتعود وقائع الاحتفال بعيد البوريم إلى مرحلة حكم الملك الفارسي أحشويروش "Ahasuerus" المعروف عند اليونانيين بـ "زركسيس Xerxès" (465-486 ق.م)، تخليدا لذكرى نجاة اليهود الذين استوطنوا بلاد فارس وبابل - بعد السبي الذي تعرض له اليهود على يد نبوخذنصر- من المؤامرة التي دبرها الوزير هامان "Haman" لإبادة اليهود هناك، والسبب في ذلك هو أن الملك أحشويروش عظم من شأن هامان ورقاه وجعله فوق الجميع حتى أصبح الكل يسجد ويجثو له إلا مردوخي "Mardochée" أحد أحبار اليهود، فبحث هامان عن السبب وراء عدم سجود مردوخي له، ثم خرج بمرسوم يقضي بهلاك جميع يهود المملكة، بعد أن عمل على استمالة الملك إلى المخطط الذي ينوي تنفيذه في حق كل اليهود، بحيث **"... قال هامان للملك أحشويروش أنه موجود شعب ما مشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكتك، وسننهم مغايرة لجميع الشعوب، وهم لا يعملون سنن الملك فلا يليق بالملك تركهم"**، لكن الأمر الذي خطط له هامان لم يسر على النحو المرجو، بل انعكست الخطة عليه بفعل الإيمان القوي لمردوخي بإلهه تعبدًا وصومًا، وكذا بفعل الملكة إستير إبنة مردوخي بالتبني التي اتخذها الملك أحشويروش زوجة له بسبب حسنها وجمالها، وكان لها بالغ الأثر في تجنيب اليهود مذبحة هامان. ومنذ ذلك الحين، اتخذ اليهود من التاريخ الذي حدده هامان لإبادة اليهود عيدا يحتفلون به، وهو الرابع عشر والخامس عشر من شهر مارس، واستمر الاحتفال بالعيد حتى لدى يهود الشتات على الطريقة التي احتفل بها لأول مرة. ينظر:

- **سفر إستير**، الإصحاح الثالث، الآية، 7-8.

- J. Goulven, Op. cit,. pp. 82-83.

- Abraham Dahan, **"Mieux vaut en rire"**, le shofar: Revue Mensuelle de la Communauté Israélite Libérale de Belgique, N° 311, Février 2010,. p. 7.

والتي تراوحت بين الإعجاب والاستحسان، وبين التذمر والاستهجان. حتى أن منهم من أبدى تعاطفه تجاه أحوال اليهود البئيسة داخل الملاح.

وقد تعددت الأسباب التي جعلت مدرسو الرابطة يحررون تقارير خاصة باحتفالية عيد البوريم، إذ منهم من كان دافعه الفضول وحب الاطلاع[1]، ومنهم من دفعته واجباته تجاه المدرسة لأجل استغلال كرم اليهود، وعادات التصدق في مثل هذه المناسبات، لجمع الهبات والأعطيات لصالح مدارس الرابطة[2].

والجدير بالذكر أن مراسلات مدرسو الرابطة اليهودية العالمية غطت تقريبا الفترة الممتدة مابين 1893 إلى سنة 1939، مع تركيز كبير خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، ويرجع ذلك في اعتقادنا للشهرة التي نالتها احتفالات عيد البوريم بالمغرب، سواء لدى المغاربة المسلمين أم حتى لدى الأجانب على اختلاف جنسياتهم، وقد ركزت تقارير المعلمين على عدة جوانب في عيد البوريم نجملها فيما يلي:

أ- أجواء الملاح.

الكثافة والاكتظاظ اللتان تعرفهما الملاحات تحيل، بالأخص في فكر معلمي الرابطة، على البؤس الذي يعيشه المغاربة اليهود، ملخصين ذلك من وجهة نظرهم أن الملاح مجرد آلية من الآليات المهينة للفصل العنصري[3]، التي تتجلى مظاهره في الكثافة السكانية المحصورة في رقعة جغرافية غير قابلة للتوسع، حتى أنه قد يصل الحال ببعض الأسر إلى أن تقطن المنزل ذاته، وكل أسرة تستغل فيه غرفة واحدة رغم كثرة أفرادها[4]، إلا أن جولات معلمي الرابطة لقيت، على الرغم من اختلاف دوافعها، الترحاب لدى مختلف العائلات مع الابتسامة التي لم تفارق وجوههم[5].

---

[1] - مثل: السيدة Mathilde Benozillo والسيدة Dorette Cadosch بمدينة فاس سنة 1931/1930، والسيدة Rodriguez بمدينة الصويرة سنة 1933.

[2]- مثل: الآنسة Fortunée Chayoohayo كعضوة داخل لجنة التموين واللوازم المدرسية بمدينة مكناس، والآنسة Renée Ruben التي عينها مدير المدرسة داخل لجنة جمع التبرعات بمدية سلا سنة 1936، والآنسة Yvette التي كانت ضمن لجنة الدعم المدرسي "L'aide Scolaire" لجمع التبرعات بمدينة فاس سنة 1939.

[3] - R. Spector Simon, M. M. Laskier, S. Reguer, Op. cit,. p. 481.

[4] - A.A.I.U., **VI B 27 j.07**, Lettre de Renée Ruben, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Salé, 16 Mars 1936.

- A.A.I.U., **II B 12.23**, Lettre de Fortunée Chayoohayo, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 29 Mars 1936.

[5] - A.A.I.U., **VI B 27 j.07**, Op. cit.

إن عيد البوريم مناسبة ينزع فيها اليهود عن الملاح رداء الكآبة والبؤس بعد أن يتم صباغة جدران المنازل بالجير وتنميق واجهات المحلات بالألعاب[1]، وسط جو تنافسي بين الخبازين وصناع الحلويات حول إعداد مختلف أنواع السكاكر والحلويات التقليدية[2]، إذ يعتبرون الأكثر استفادة من هذا اليوم الذي تستهلك فيه كمية كبيرة من المنتجات، وتبعا لذلك يعرف الملاح نشاطا تجاريا مهما، بسبب تهافت الأطفال على اقتناء الألعاب، والنساء على اقتناء الهدايا وتغليفها لإضفاء طابع الجمالية عليها[3].

والجدير بالذكر أن طقوس تبادل الزيارات في عيد البوريم تجعل الملاح يشهد حركة ونشاطا غير مسبوقين، على شاكلة المدن الإسلامية أيام عيد الأضحى[4]، إذ تمتلئ شوارعه عن آخرها بالأطفال والشباب الذين ينتقلون من منزل لآخر[5]، وبخاصة في أكبر شوارع الملاح الذي يعرف ازدحاما كبيرا يحول دون تقدم المارة، وأغلب هذه الحشود تبحث عن طاولات منخفضة يدعو أصحابها للعب الورق، ومعظمهم شبان في الثلاثينيات من العمر يتبادلون الصراخ والشتائم عند ضبط أحد الغشاشين، زد على ذلك أصوات التجار المرتفعة لأجل شد انتباه الزبائن صوب الحلويات المعروضة أو زجاجات العطر ذات الرائحة الكريهة...[6]، وتتخلل احتفالية البوريم ألعاب الرماية والقمار لأجل الفوز ببعض الأشياء مثل الدمى والسيارات البلاستيكية، بحيث يتم الاحتفال بالفائز وسط الحشود[7] التي تتباين أزياؤها ولغاتها، وحتى المسلمون والأوروبيون يتوافدون بدورهم على الملاح خلال هذا اليوم برفقة عائلاتهم[8]، بهدف البحث عن المتعة والبهجة، حيث

---

[1] - A.A.I.U., **I B 5.060**, Rapport de Dorette Cadosch sous titre: "En flânant, un jour de Pourim, dans les rues du Mellah", au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 10 Mars 1931.

[2] - A.A.I.U., **VI B 25.19**, Rapport de H. Coriat sous titre: "La fête de Pourim à Tétuan", au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tétuan, 08 Mars 1893.

[3] - A.A.I.U., **I B 5.002**, Rapport de Yvette sous titre: "La fête de Pourim à Fez", au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 12 Mars 1939.

[4]- A.A.I.U., **I B 5.064**, Lettre de Mathilde Benozillo, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 17 Mars 1930.

[5] - A.A.I.U., **VI B 25.03**, Rapport de M. Hasson sous titre: "Pourim à Tétuan", au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tétuan, 02 Avril 1916.

- A.A.I.U., **VI B 27 j.07**, Op. cit .

[6] - A.A.I.U., **VII B 11.04**, Rapport de Rodriguez sous titre: "La fête de Pourim au Mellah de Mogador", au président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Mogador, 19 Mars 1933.

[7] - A.A.I.U., **I B 5.060**, Op. cit .

[8] - A.A.I.U., **I B 5.002**, Op. cit .

تمتزج الأغاني بالصراخ والضحك المرتفع مع البكاء الذي يمكن سماعه جراء شجار الأطفال حول الألعاب، الشيء الذي يضفي على الملاح جوا مملوءً بالفرح، ممزوجًا بالضجيج[1].

يجمع كافة اليهود على أن أيام عيد البوريم هي أيام فرح ومرح وطرب، ولأجله تنشغل الأمهات في إعداد أنواع من الحلويات التقليدية مثل[2]:

- القنادل "Knadels": وهي عبارة عن حلوى نجمية تصنع من عجينة اللوز.
- الخبز الإسباني المدعو بالبسكوتة "Bsquotchas".
- "Palébés".
- أغريوز "Agariouz".
- "Sobritz" تكون على شاكلة أظرفة مثلثة منقوعة في محلول حلو.
- الشباكية "Sbaquia" حلوى بأشكال مختلفة ذات لون الصدإ منقوعة في العسل.
- خبز البوريم "Boyos" فطيرة يتوسطها بيض مسلوق تسمى بويوص.
- النوكة "Nougat" عبارة عن مكسرات.

وقد جرت العادة أن تعد هذه الحلويات بالمنازل نظرا لأثمتنها المرتفعة بالمحلات[3]، بحيث تنص التقاليد اليهودية في هذا اليوم على ضرورة تقديم الحلويات على اختلافها للزائرين مع الشاي المغربي الحلو بالنعناع[4]، غير أنه من عادة يهود مدينة سلا إضافة تقديم الكسكس المعد بالزبدة والحليب[5].

وفي ظل الأجواء البهيجة للبوريم تختفي الحزازات بين الأسر عن طريق تبادل الزيارات والهدايا، كما يعمد الآباء إلى تذليل أبنائهم[6] بتوزيع بعض القطع النقدية عليهم[7]، وعلى الأطفال

---

[1] - Ibid.
- A.A.I.U., **I B 5.064**, Op. cit .
[2] - Ibid.
- A.A.I.U., **I B 5.002**, Op. cit.
[3] - Ibid.
[4] - A.A.I.U., **II B 12.23**, Op. cit.
[5] - A.A.I.U., **VI B 27 j.07**, Op. cit.
[6] - A.A.I.U., **VI B 25.03**, Op. cit.
[7] - A.A.I.U., **I B 5.064**, Op. cit.

الذين يعترضون طريقهم في الحي[1]، وبدورهم يقوم الأطفال بصرف هذه القطع النقدية في اقتناء الألعاب مثل المفرقعات وركوب الأرجوحة التي تعد مصدر سعادة وفرح لهم[2].

إن الأجواء العائلية للبوريم لا تنتهي عند هذا الحد، بل فيه تجدد أواصر التواصل واللحمة بين المخطوبين، فالشبان الذكور يجتهدون ما أمكن لإرضاء زيجات المستقبل بتقديمهم أطباق فضية مملوءة بالحلويات المختارة والتمور ذات النوعية الجيدة، بالإضافة إلى الأساور والأقراط والخواتم والعطور، والكل مغطى بأثواب قيمة، وفي المقابل يقوم الأب بدعوة صهره المستقبلي وعائلته إلى تناول وجبة غذاء يحرص على أن تكون فخمة ما أمكن[3].

تعد الصدقات والعطايا من أهم الركائز التي يرتكز عليها عيد البوريم، ففي هذا اليوم لا ينسى اليهود بؤساء ومحتاجي الجماعة[4]، لذلك يستعد الفقراء صبيحة أول أيام البوريم للتمركز باكرًا أمام الكنيس "Synagogue" بعد قراءة لفيفة إستير "Megillat Esther"[5] لكي يجود عليهم المحسنون بما استطاعوا[6]، حتى أن فقراء المسلمين هم الآخرون يقصدون الملاح لبسط أيديهم طلبا للصدقة[7]، فاليهود مجبرون على التصدق في عيد البوريم لتخفيف وقع الأزمة عن إخوانهم الفقراء، فمنهم من يعتمد على عطايا هذا اليوم لشراء احتياجات ولوازم عيد الفصح[8].

الجمعيات هي الأخرى تستغل عاطفة التضامن هذه بين اليهود فتبادر إلى تنظيم لجان لجمع التبرعات والعطايا، ومنها مدارس الرابطة اليهودية العالمية بمعية جمعية قدماء تلامذتها، وغير ذلك من الجمعيات، مثل Hébra Bekour klohim و Hébra Eliaon Stenabi[9]، سواء بهدف محاربة الأمراض المنتشرة وسط اليهود مثل داء السل أم بهدف دعم مدارس الرابطة

---

1 - A.A.I.U., **VI B 27 j.10**, Rapport de Albert Gomel sous titre: "La fête de Pourim au Mellah", au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Salé, 14 Mars 1934.

2 - A.A.I.U., **I B 5.064**, Op. cit.

3 - A.A.I.U., **I B 5.002**, Op. cit.

4 - Ibid.

- A.A.I.U., **I B 5.060**, Op. cit.

5 - لفيفة إستير "Megillat Esther" أو سفر إستير، عبارة عن سفر من أسفار التناخ Tanakh وهي كلمة مركبة من الأحرف الأولى من كل قسم من أقسامه: -ت- توراه أي (التوراة)، -ن- نبيئيم أي (الأنبياء)، -ك- وكتوبيم/ختوبيم أي (الكتب)، والتناخ هو أكثر أسماء الكتاب المقدس العبري شيوعا في الأوساط العلمية. ينظر:

- F. Bataller M., **"The Significance of Purim in Judaism: the Bright and the dark"**, le shofar: Revue Mensuelle de la Communauté Israélite Libérale de Belgique, N°311, Février 2010,. p. 9.

6 - A.A.I.U., **VI B 27 j.10**, Op. cit.

7 - A.A.I.U., **VI B 25.19**, Op. cit.

8 - Ibid.

9 - A.A.I.U., **I B 5.002**, Op. cit.

- A.A.I.U., **II B 12.23**, Op. cit.

حتى تقوم بواجبها في تنوير وتطوير اليهود. فالجميع، أغنياء وفقراء بعد خروجهم من الكنيس يمنحون بعض الفرنكات لهذه اللجان[1]، وعلى سبيل المثال لا الحصر، استطاعت لجنة التموين واللوازم المدرسية التابعة لمدرسة الرابطة بمكناس أن تجمع تبرعات وصلت قيمتها إلى 2650 فرنك سنة 1936[2]، وهو أمر يعكس نبل مشاعر التضامن بين الإخوة في الدين[3].

ب- الطقوس الدينية.

نظرا للمكانة السامية التي يحتلها عيد البوريم في قلوب اليهود، فإن هذا الاحتفال لم يختف لدى الجماعات المغربية اليهودية المتشبثة بتنفيذ جميع مراسمه، وطقوسه سواء التي وردت في سفر إستير أو التي وضعها التلمود، مع الحرص على تصريف كم هائل من العادات والتقاليد المكتسبة عبر تاريخهم الطويل من الاحتفال، والتي أصبحت من أهم أركان عيد البوريم، وهي على الشكل التالي:

- صوم إستير.

يصوم اليهود صيام إستير من شروق شمس اليوم الثالث عشر من شهر مارس -اليوم الذي يسبق عيد البوريم- حتى مغيب الشمس، ويصومون تخليدا لذكرى اليوم الذي تحول من يوم حزن إلى يوم فرح، ليتذكروا أهمية العبادات ممثلة في الصلاة والصوم أثناء تلك المحنة، وبعد الإفطار

---

[1] - Ibid.

[2] - Ibidem.

[3] - لم تعمل الرابطة على إذكاء روح التضامن داخل الجماعة نفسها فقط، بل عملت على تدويل هذه الروح بحثها كافة الجماعات اليهودية المغربية للتضامن مع بني جنسهم في أوروبا الشرقية (بولندا وأوكرانيا وليتوانيا)، وكمثال على ذلك الحملة التي نظمتها الرابطة سنة 1919- 1920 بعد أن تحصلت على موافقة الإقامة العامة للحماية. ينظر:

- C.A.D.N., **Carton 1MA,100,265**, Direction des Affaires Indigènes, Lettre du Colonel Commandant de la Région de Marrakech à Monsieur Le Directeur des Affaires Indigènes, Marrakech 27 Novembre 1919.

- C.A.D.N., **Carton 1MA,100,265**, Direction des Affaires Indigènes, Circulaire du Général de division Lyautey, Commisaire Resident generel de la Republique Francaise au Maroc à Messieurs: Le Contrôleur Civil, Chef de la Région Civile de Rabat, le Contrôleur Civil, Chef de la Région Civile de la Chaouia à Casablanca , les Commandants des Régions de (Meknes- Fes- Marrakech-Taza), le Commandant du Cercle Autonome de Couverture du Gharb à Arbaoua, le Commandant du Cercle des Haha-Chiadma à Mogador, le Commandant du territoire des Tadla-Zaian, le Contrôleur Civil, Chef de la Circonscription civile des Doukkala à Mzagan, le Contrôleur Civil, Chef de la Circonscription civile des Abda à Saffi, le Chef de la Région Civile à Oujda, Rabat 31 Janvier 1920.

يتجهز اليهود في الكنيس لقرائة لفيفة إستير[1]، على شاكلة طقوس وشعائر المسلمين في شهر رمضان.

- **طقوس قراءة لفيفة إستير.**

تقرأ لفيفة إستير مرتين، الأولى بعد الإفطار من صيام إستير، والثانية صبيحة يوم الرابع عشر أول أيام العيد، بحيث يسمع فيها الرجال والنساء والأطفال لقراءة اللفيفة وجوبا، وإبان ذلك يتجهز الأطفال بعيدان الكبريت «المفرقعات» والمطارق والاستعداد للصراخ لأجل إحداث الكثير من الضوضاء والصخب في الوقت الذي يسمع فيه اسم هامان الذي يكن الجميع له الحقد هو وأسرته[2]، للدلالة على أنهم سيتجاوزون كل هامان يأتي به التاريخ[3]، وبعد ذلك يتم إخراج جميع الأطفال من الكنيس لأجل الصلاة[4].

ويتجنب اليهود في يومي الاحتفال بعيد البوريم، القيام بأعمالهم الاعتيادية التي يؤدونها في باقي أيام السنة[5] تقليدًا وتخليدًا للاستراحة التي اتخذها اليهود بمملكة أحشويروش بعد نجاتهم مما خطط له هامان[6].

ت- لعب الورق وشرب الخمر.

لا تخلو طقوس الاحتفال بعيد البوريم من بعض مظاهر التطرف التي شدت انتباه كل معلمي الرابطة اليهودية العالمية الذين حرروا تقارير عن هذا العيد، وأهمها انتشار لعب الورق (القمار) وشرب الخمر (الماحيا Mahia) بكميات كبيرة.

تصف تقارير مدرسي الرابطة هذه الظاهرة بدقة شديدة، لأن القمار تقليد يمارسه الكبار والصغار، الأغنياء والفقراء، في المقاهي وهم يدخنون السجائر ويشربون الخمر، وحولهم يتحلق عدد من المتفرجين ليشهدوا من سيفوز باللعبة[7]. وهذا الإقبال الكبير على لعب الورق مرده إلى سهولة ممارسته، بحيث يقوم أحد اللاعبين بجمع المال وتوزيع الورق - بيدين متسختين - على اللاعبين الذين يضعون المال فوق إحدى الأوراق التي يختارونها، فتقلب الأوراق أمام الجميع

---

[1] - A.A.I.U., **VI B 25.19**, Op. cit.
[2] - Ibid.
- **L'Avenir Illustré**, N° 12, 14 Janvier 1927,. p. 5.
[3] - A. Dahan, Op. cit,. p. 8
[4] - A.A.I.U., **VI B 25.19**, Op. cit.
[5] - J. Goulven, Op. cit,. p. 83.
[6] - **سفر إستير**، الإصحاح التاسع، الأية 17-32.
[7] - A.A.I.U., **VI B 27 j.10**, Op. cit.

ليتضح ما إذا كان اللاعب فائزا أم لا[1]، وتتم المراهنات بمبالغ متفاوتة من المال سواء بالقطع النقدية الصغيرة أم بأوراق النقود من فئة 20 فرنك و50 فرنك، وذلك حسب القدرات المالية للاعبين، ومدى قابلية إقدامهم على المغامرة[2]. وفي المقابل لا تتم كل المراهنات بالنقود، فقد وقفت المعلمة Rodriguez بمدينة الصويرة على إحدى صالات اللعب المميزة، حيث يراهن اللاعبون على الحلويات بدل المال، واللعب يتم بعدد من الرموز، وفي نهاية اللعبة تكون الحلويات من نصيب الفائز الذي قد يتحصل على 3 أو 4 كيلوغرامات منها[3].

إن لعب الورق هو بمثابة حمى تجتاح اليهود ليس فقط إبان أيام عيد البوريم فقط، ولكنها قد تمتد إلى 4 أو 5 أسابيع قبيل العيد، ينصرف خلالها اليهود عن كل اهتماماتهم لأجل تلبية رغبتهم هذه[4]، ويتجاوز الأمر ذلك إلى غيرها من الألعاب التي تجرى في المنازل مثل لعبة البوكر "Poker" والباكارا "Baccara" اللتين تستسهلكان فيهما أموال ضخمة (كمدخرات السنة، الحلي، الساعات، والخواتم...)[5].

ولا يقتصر لعب الورق وغيره من ألعاب الحظ "jeux de hasard" التي يقبل عليها اليهود في المنازل فقط، بل يمكن مشاهدتهم في وضعيات لعب أخرى على الأرصفة الضيقة والمظلمة وداخل الممرات[6]، وبحماسة كبيرة وكأنه مرض مزمن[7]، ومنهم من يقصد الكازينو "Casino" أو الكاباريهات "Les Cabarets"[8]، ومنهم من لا يكتفي باللعب على طاولة واحدة وإنما يقوم بحجز دورٍ آخر على طاولة أخرى لأجل التعويض عن خسارته، وفي خضم ذلك يتناسى اللاعبون مسؤولية الاهتمام بحاجيات العائلة والأطفال؛ فمنهم من يجلس على طاولة اللعب بدون أن يولي نفسه أي اهتمام غذائي، اللهم اهتمامه بمنطق الربح والخسارة وارتشاف

---

1 - A.A.I.U., **VII B 11.04**, Op. cit.
2 - Ibid.
3 - Ibidem.
4 - A.A.I.U., **II B 12.53**, Rapport de Sebbagh sous titre: "Le jeu à Pourim à Meknès", au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 31 Mai 1936.
5 - A.A.I.U., **I B 5.064**, Op. cit.
6 - A.A.I.U., **I B 5.002**, Op. cit.
7 - Ibid.
8 - A.A.I.U., **VI B 25.19**, Op. cit.

بعض كؤوس الشاي[1]. كما أن اللعب يتم تحت أعين شرطة الملاح التي تتجول في كل التجاهات أكثر من المعتاد مخافة نشوب الشجار بين اللاعبين داخل الأزقة الضيقة[2].

فاللاعبون الذين تتملكهم حمى اللعبة يعمدون بعد خسارتهم إلى مواصلة اللعب بغية التعويض عن الخسارة، غير أن الحظ قد يقف ضدهم فتزداد ديونهم، بحيث يتسببون في أزمة لأنفسهم ولأسرهم[3]، فيلتجئوا بعدها إلى بيع حلي زوجاتهم أو أثاث منازلهم[4]. وينتج عن دورات اللعب المستمرة إهمال اللاعب لأسرته (زوجته وأطفاله)، حتى أنها قد تطول إلى اليوم الموالي، فيصبح مفلسا، ووجهه شاحبا، وأغلب هؤلاء من العاطلين عن العمل[5]. فيما تتجاهل ربات المنازل الأزمة التي قد تدخل فيها الأسرة جراء لعب الورق، بانشغالهن في إعداد الحلويات وتلقي المواساة من الجيران، لكن هناك بعض الأمهات اللواتي يحاولن تجنيب أزواجهن هذه العادة السيئة بالدخول في مشاجرات معم. لذلك فالبوريم يتحول من لحظة فرح إلى تعاسة وشؤم بالنسبة لعائلات اللاعبين الخاسرين[6].

إن ظاهرة إقبال اليهود على القمار بشكل كبير، مع استعدادهم لخسارة كل ما يملكون من مال دون أدنى اكتراث، مرده إلى هستيريا الاحتفال بعيد البوريم[7]، ترافقها ظاهرة مقرونة بالعيد تتجلى في شرب الخمور وخاصة مشروب الماحيا الذي يبرع اليهود في إعداده محليا. لقد وقفت المعلمة Hasson على هذا الأمر لدى اليهود التطوانيين الذين يحتفلون بالبوريم بلعب الورق، واحتساء الخمر بشكل مبالغ فيه لأجل المتعة، في حين ينخفض تعاطيهم للخمور (الماحيا) خلال الأيام العادية[8].

---

1 - A.A.I.U., **II B 12.53**, Op. cit.
2 - A.A.I.U., **VI B 27 j.10**, Op. cit.
3 - A.A.I.U., **I B 5.064**, Op. cit.
4 - A.A.I.U., **VI B 27 j.10**, Op. cit.
5 - A.A.I.U., **I B 5.002**, Op. cit.
6 - A.A.I.U., **II B 12.53**, Op. cit.
- A.A.I.U., **VI B 27 j.10**, Op. cit.
7 - A.A.I.U., **VI B 25.19**, Op. cit.
8 - A.A.I.U., **VI B 25.03**, Op. cit.

ويأتي شرب الخمور أو الماحيا[1] بكميات كبيرة خلال عيد البوريم، تنفيذا للوصايا الواردة في لفيفة إستير[2] التي جعلت من يومي 14 و 15 من شهر مارس أيام شرب وفرح، إلى الدرجة التي يصبحون فيها غير قادرين على التمييز بين هامان الشرير ومردوخي الخيّر[3].

كرست العادات والتقاليد شرب الخمر بكميات كبيرة من أجل الاستمتاع به، والشرب هنا لا يقتصر على البالغين فقط بل حتى الأطفال ممن هم في سن الـ 13 و14 سنة، يمكن ملاحظتهم يترنحون من السكر معرقلين المارة في شوارع الملاح[4].

ث- تلاميذ مدارس الرابطة.

لم تكتف تقارير مدرسي الرابطة اليهودية العالمية برصد الأجواء الاحتفالية لعيد البوريم، بل تعدتها لتقف على عدد من الممارسات التي تنتقل بحكم العادة والتقليد داخل الوسط التلاميذي، فالأطفال بدورهم يجعلون من لعب الورق شغلهم الشاغل، فتصبح اللعبة الأكثر شعبية بينهم، لأنهم يتخذون من الكبار قدوة، فيعمدون إلى التواري في المناطق المنزوية خوفا من أن يراهم معلموهم أو آباؤهم وكبار السن[5].

لكن في إطار أداء المعلمين لرسالة الرابطة القاضية بتحديث وتطوير اليهود معنويا وماديا، يلجأ المعلمون إلى البحث في جيوب التلاميذ عن أوراق اللعب هذه، لأنهم غالبا ما يرصدون خلافات بين التلاميذ بسبب ديون القمار قبيل عيد البوريم[6]. والمثير للاهتمام أن هؤلاء التلاميذ يقومون بصنع أوراق اللعب بأنفسهم، الشيء الذي يكشف عن قدرات فنية بارعة[7]. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل للعائلة نصيب في تصريف بعض العادات التي لا تلائم أطفالهم، حتى أن إحدى المعلمات لاحظت أن طفل أحد الآباء الذين تناولت العشاء لديه وهو معروف بالاجتهاد والمواظبة في المدرسة، قد شرب في حضورها كمية كبيرة من الخمر حتى فقد

---

[1] - في عيد البوريم لا ينبغي لليهود شرب أي نوع من الخمر، سوى الماحيا Mahiya. لأن النبيذ يشرب في حالة الفرح، في حين تشرب الماحيا في الحداد. ينظر:
- Marie Berdugo-Cohen. Yolande Cohen et Joseph Lévy, **Juifs marocains à Montréal: Témoignages d'une immigration moderne,** Montréal, VLB Editeur, 1987,. p. 48.

[2] - **سفر إستير**، الإصحاح التاسع، الأية 17-32.

[3] - A.A.I.U., **I B 5.002**, Op. cit.

[4] - A.A.I.U., **I B 25.03**, Op. cit.

[5] - A.A.I.U., **VI B 27 j.10**, Op. cit.

[6] - Ibid.

[7] - Ibidem.

السيطرة. وخلصت إلى أن الآباء هم من عودوا أبناءهم على معاقرة الخمر بحضورهم، بل يشجعونهم بابتساماتهم[1].

وعليه، فإن انتقال العادات السيئة للأطفال هو ما دفع بمعلمي الرابطة لاقتحام فضاء الملاح بغرض الاطلاع على الوسط الذي يعيشون فيه[2]، بغية الوقوف على مسببات وجذور عدد من الظواهر غير الصحية السائدة في الوسط اليهودي عامة، وبين التلاميذ بشكل خاص، وقد أوصى بعض هؤلاء المعلمين بضرورة تخصيص دروس لأجل التحسيس، والتوعية بمضار القمار وشرب الماحيا وسط التلاميذ قبيل حلول عيد البوريم بغرض التخلص منها[3]، ما دامت شرطة الملاح عاجزة عن الحد من هذه الظواهر السيئة التي يتوارثها جيل.

ارتبط عيد البوريم في المخيال اليهودي الجمعي بالتحرر، والقدرة على الاستمرارية والنجاة من كل ما من شأنه أن يهدد وجودهم واستمراريتهم وأمنهم، وهو مثال صارخ على روح التضامن بين اليهود وتضحية الفرد لصالح الجماعة. ومع أنه ليس عيدا دينيا بمعنى الكلمة، إلا أنه مناسبة تؤرخ لمحطة من محطات التاريخ اليهودي بعد السبي[4]، لذلك هو عبارة عن احتفال يعمل على تكريس التقاليد، عن طريق التذكير بالتاريخ وإعادة رواية القصة للأجيال القادمة[5]، في إطار احتفالي يقوم بربط الجوانب الدينية والثقافية اليهودية بأنشطة احتفالية مدنسة[6].

وبغرض تخليص الحياة اليهودية مما يشوبها من عوالق وشوائب، أعطى مدرسو الرابطة بعض الاهتمام لما يتخلل عيد البوريم من سلوكيات تتنافى مع المثل والقيم التي يحملونها ويدعون إلى تبنيها، لذلك ركزت مراسلاتهم على الجوانب السلبية التي تتخلل هذا الاحتفال، وبناء على تقاريرهم هذه، تجتهد اللجنة المركزية للرابطة اليهودية العالمية بباريس لإعادة صياغة فلسفتها التعليمية بما يمكن أن يساهم في تصحيح النهج التربوي والأخلاقي للمغاربة اليهود، وهو ما عكسه عنوان كتاب «التوجيهات العامة للمعلمين» الصادر سنة 1903.

2) مرتكزات التحديث.

---

[1] - A.A.I.U., **VI B 25.03**, Op. cit.
[2] - A.A.I.U., **VI B 27 j.07**, Op. cit.
[3] - A.A.I.U., **I B 5.064**, Op. cit.
[4] - فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي (خلال القرنين 7-9ه/13-15م)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف خالد كبير علال، جامعة الجزائر- بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية –قسم التاريخ-، السنة الجامعية 2008-2009، ص. 162.
[5] - F. Bataller M., Op. cit,. p. 10.
[6] - Ibid.

ارتكزت أدبيات التحديث لدى قادة الرابطة اليهودية العالمية بباريس على قدرة المنظمة على منح الشباب اليهودي الوسائل الأساس، وتهيئة الظروف المواتية ليهود الشرق لتحقيق المساواة المدنية والعيش في وئام مع المواطنين ومع رعايا الدول الأخرى التي يستوطنون بها.

شكلت اللغة الفرنسية أولى الركائز التي ينبني عليها مسلسل التحديث بالمغرب، باعتباره أول دولة حاضنة لأول مؤسسة تعليمية تابعة للرابطة، تماشيا مع السياسة الخارجية الفرنسية لما وراء البحار، وعلى الرغم من أن الصورة الحقيقية لهذا التماهي أكثر تعقيدا، ولا يمكن فهمه إلا في سياق السياسة الخارجية للثقافية الفرنسية، فإنها ربطت التعبير عن القيم الفرنسية الحضارية، بمدى معرفة اللغة الفرنسية واتقانها على النحو الذي تقدمه المدرسة الفرنسية. فعلى حد تعبير Aulard Alphonse، فإن هذه المدارس تدرس **«لغتنا وعبقريتنا وروح فرنسا نفسها وأفكار العدالة والأخوة بين الأفراد والشعوب»**[1]، فضلا عن الإيمان السائد لدى الدوائر الرسمية والفكرية في باريس أن **«توسيع حدود اللغة الفرنسية إلى خارج الحدود السياسية الفرنسية»**[2]، أصبح أمرا وطنيا واجبا، لتهيئ الأرضية الملاءمة لتوسع النفوذ الاقتصادي الفرنسي لكون **«اللغة الفرنسية تنشر العادات الفرنسية، والعادات الفرنسية تؤدي إلى شراء المنتجات الفرنسية، والذي يتقن الفرنسية يصبح زبونا لفرنسا»**[3]. وتظهر أولى النصوص التي تدل على رغبة الرابطة في فرنسة وتغريب التعليم المقدم في المدارس المزمع إنشاؤها، في ما جاء في رسالة لويس .ج كونيغزفيغتر أحد الأعضاء الأوائل للجنة المركزية والهيئة الإدارية للرابطة، بحيث أعرب في كلمته المقدمة خلال اجتماع الجمعية العمومية للمنظمة في 18 يونيو 1863 عن أهمية التعليم ودوره في نشر أنوار الحضارة الغربية قائلا: **«هنا، كما في باقي الأماكن (في الشرق)، تحسن الأوضاع الاجتماعية لا يمكن أن يتحقق إلا بعد التطور المعنوي. لذلك، وقبل كل شيء، ينبغي نشر التعليم وأنوار الحضارة الغربية بين هؤلاء السكان»**[4]. وعليه اعتمدت الرابطة ما أوصى به كونيغزفيغتر، إذ إن شباب الجاليات اليهودية كي يمتلكوا القدرة وروح المبادرة للتفاوض على التحرر والمساواة المدنية بأنفسهم، ينبغي على الرابطة أن تقدم لهم تعليما حديثا، وهذا يعني، وفقا لمعايير تلك الفترة، تعليما على وفق النمط الغربي سواء من حيث اللغة أم المناهج والكتب المدرسية[5]. وكانت اللغة الفرنسية إحدى هذه الرهانات، لأنه وفقا لنارسيس ليفين،

---

[1] - A. Rodrigue, Op. cit,. p. 145.
[2] - Ibid.
[3] - Ibidem.
[4] - **B.A.I.U.**, Juillet 1863,. p. 3.
[5] - Danielle Omer, **"Une langue sans territoire?"**, Op. cit,. p. 376.

«... الفرنسية هي لغة التعليم لأنها هي الأكثر انتشارا في الشرق، وبالتالي هي ضرورية أكثر من جميع اللغات الأجنبية الأخرى...»[1]. واتخذ إيزيدور لوب Isidore Loeb التوجه نفسه عندما اقترح عليه مستشار القنصلية الفرنسية ببغداد سنة 1882، إمكانية التعليم باللغة العربية ضمانا لسير المدرسة بشكل سلس. حيث قال: **«على العكس، نريد أن تكون هذه اللغة (لغة التدريس) لغة غربية، ويفضل أن تكون الفرنسية، أو إذا لزم الأمر الإنجليزية، لأن غرض مدارسنا هو إقامة علاقة فكرية بين الشرق والغرب»**[2].

إلا أن اللهجات الأكثر تداولا لدى المغاربة اليهود كانت هي اليهودية الإسبانية والدارجة، وهو ما راعته الرابطة منذ بداية اشتغالها، بحيث لم تقطع نهائيا مع هذه اللهجات داخل أقسام الدرس، إلا أنها لم تكن لهجات متخذة بشكل رسمي في التدريس، فقد ظل استخدامها محدودا جدا، وبخاصة في تدريس التاريخ المقدس أو شرح آيات من الكتاب المقدس الذي تتم ترجمته من اللغة العبرية إلى اللهجة الأم للأطفال (اليهودية الإسبانية والدارجة والأمازيغية) وبخاصة لتلاميذ السنوات الأولى ابتدائي[3]. ولأن اللغة العبرية في هذه المرحلة كانت تدخل في إطار اللغات الميتة (أي غير المتداولة) أو على الأقل في نطاق اللغات الليتورجية (أي اللغة المرتبطة بالممارسة الدينية فقط)، هو ما جعل الرابطة تنحو نحو منحى توحيد اللغة بالنسبة للإخوة في الدين بحوض البحر الأبيض المتوسط، من خلال اتخاذ اللغة الفرنسية لغة للتعليم، تبعا لعدة أسباب: منها كونها لغة البلد الذي منح اليهود المساواة والحقوق المدنية بشكل رسمي، وبكونها الأكثر انتشارا في هذا المجال الجغرافي الذي يضم الكتلة الأضخم لليهود في العالم، بالإضافة إلى ارتباط حوض البحر المتوسط ببرنامج التوسع الاستعماري الفرنسي، وهو الأمر الذي ازدادت معه قناعة الرابطة بالتخلي عن اللغة العبرية[4]، وما تفرع عنها من يهودية إسبانية ويهودية عربية وغيرها[5]، وهو ما أكده موسى فريسكو Moïse Fresco نفسه في تقريره السنوي لسنة 1908 الخاص بمدرسة غلطة Galata التركية بقوله: **«يتفق الجميع على أن الأمر يحتاج إلى أكثر من اليهودية الإسبانية، وأنه ليس من الضروري الإبقاء على لغة المضطهدين السابقين»**[6]. وعلى الرغم من

---

[1] - Na. Leven, Op. cit, T 2,. p. 34.
[2] - Georges Weill, **Emancipation et humanisme**, Op. cit,. pp. 16-17.
[3] - Danielle Omer, **"Le français, l'allemand, l'anglais: l'impossible alliance?: L'exemple du réseau scolaire de l'AIU (1860-1913)" ,** Documents pour l'histoire du français langue étrangère et seconde, SIHFLES, 2014, Français, anglais, allemand : trois langues rivales entre 1850 et 1945,. pp. 173-194.
[4] - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 10, 2e Semestre 1885 – 1er Semestre 1886,. p. 69.
[5] - A. Kaspi, Op. cit,. pp. 246-247.
[6] - Danielle Omer, **"Une langue sans territoire?"**, Op. cit,. p. 382.

أن تصريح فريسكو هذا جاء في مرحلة تصاعدت فيها نداءات الصهيونية بضرورة إعادة إحياء اللغة العبرية سواء من حيث التداول أو الكتابة والتدريس، إلا أن الرابطة كانت تعادي كل مظاهر الثقافة اليهودية الشعبية، وبشكل خاص اللغات اليهودية المحلية التي تمثل صورة سلبية للغات والثقافات المحلية في أواخر القرن الثامن عشر بفرنسا[1].

لقد شكل حاجز اللغة المتعددة (اليهودية الإسبانية واليهودية العربية واليهودية الأمازيغية) بالنسبة للمغاربة اليهود عائقا أمام وحدة الجماعة اليهودية بالمغرب، والدليل على ذلك هو انقسامهم إلى وحدتين (التوشابيم: اليهود الأهالي) و (الميغوراشيم: اليهود القادمون من الأندلس) بسبب اختلاف الأصول والجذور، مع أنهم ينتمون إلى الديانة نفسها، ويؤدون الطقوس ذاتها تقريبا، إلا أنهم يؤدونها بألسن مختلفة، ما صعب عملية الاندماج فيما بينهم بسبب فقدانهم لرابط مشترك، على الرغم من أن موسى ناحون Moïse Nahon يرجع كلا الوحدتين إلى والجذور نفسها[2]، وقد نبه إلى أن مدارس الرابطة هي الفضاء الذي يمكن أن تذوب فيه الاختلافات وأن اللغة الفرنسية هي بمثابة أداة ممتازة لتوحيد اليهود[3]، ولو جزئيا عن طريق استخدام اللغة الفرنسية التي تعد لغة مشتركة في حوض البحر المتوسط.

استمرت الرابطة في الكشف عن مكامن الخلل التي تعيق عملية اندماج اليهود، وتوحيدهم على الأقل داخل الدولة التي يقيمون بها؛ ففي عام 1886 تعهدت الرابطة بتكثيف وتحسين تدريس «لغة البلاد La «Langue du Pays في مدارسها الخاصة، (العربية، التركية، البلغارية، اليونانية...) وذلك باستخدام المعلمين الأهالي، كما أوصت العائلات اليهودية باتخاذ كافة التدابير التي يمكن أن تمكن أبناءهم من تعلم لغة البلاد التي يقطنون بها، بحيث نصحتهم في حالة عدم وجود مدرسة للرابطة، ببعث أطفالهم للمدارس العمومية إن وجدت، والتي ستمكن أطفالهم من تعلم لغة تمكنهم من تحقيق التواصل والاتصال مع بقية السكان[4]، لكن مساعي الرابطة في هذا التجاه كان المراد منها القضاء على اللهجات المنبثقة عن اللغة العبرية «الميتة»، لأن إصرار اليهود على تداول هذه اللهجات يجعل منهم غرباء داخل دول عاشوا فيها لقرون، لكن هذا المسعى لم يتخذ الجدية اللازمة داخل مؤسسات الرابطة، لأنها ألقت بتكلفة تدريس هذه اللغات

---

[1] - A. Kaspi, Op. cit,. pp. 246-247.
[2] - Moïse Nahon, **"Roumis et forasteros"**, Revue des Ecoles de L'Alliance Israélite, N° 1, Avril-Juin 1901,. pp. 51-52.
[3] - Ibid,. pp. 55-56.
[4] - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 10, 2e Semestre 1885 – 1er Semestre 1886,. pp. 30-31.

على كاهل مجلس الجماعة الملزم بدفع رواتب المدرسين الأهالي لهذه اللغات، وهو الأمر الذي لم تستجب له معظم الجماعات لأنها ترى هذا التعليم لا يدخل ضمن مسؤليتهم المالية أو التربوية[1].

كان على الرابطة أن تتماهى مع أهدافها وخطها الإيديولوجي الكامن في عملية التحرر، التي كانت تقوم على تحويل اليهود إلى مواطنين صالحين أينما وجدوا، وهذا ما دفعها إلى تبني لغة البلد كلغة تدريس في المؤسسات التعليمية[2]، وهو ما حصل سنة 1903 بعد أن أدرجت تدريس لغة البلاد ضمن لائحة المواد الإجبارية[3]، لكنها لا تعدو أن تكون مجرد لغة مساعدة[4] فاقدة للمكانة والوزن أمام اللغة الفرنسية التي أولاها معلمو الرابطة المكانة الأرفع في عملية التدريس[5].

وبالموازاة مع محاولات الرابطة لترسيخ اللغة الفرنسية بصفتها لغة رئيسة للتعليم، نهجت سياسة أخرى تقضي بتحجيم عدد الساعات المخصصة للتعليم الديني الذي يشكل في حد ذاته حجر عثرة في إتمام المناهج الدراسية المتوافقة مع السياسة التعليمية للرابطة، لكنها اصطدمت في المغرب بأعضاء اللجان المحلية المكونة من أعضاء بالجماعة اليهودية المحتضنة للمدرسة، والتي تقوم بتمويل جزء مهم من ميزانية المدرسة، باعتبارها مساهما غير مباشر في ميزانية الرابطة. هذه اللجان ترغب، بناء على تاريخها التعليمي، في أن تقدم مدارس الرابطة تعليما دينيا يرتكز على التلمود والتوراة، في حين تسعى الرابطة اليهودية العالمية إلى خلق مدرسة ابتدائية على شاكلة المدارس الفرنسية تقدم تعليما دينيا بسيطا جدا، جعل المتنفذين داخل الجماعات اليهودية يتعاملون بشيء من الحذر والريبة مع مدراء ومعلمي الرابطة بفعل غيرتهم وتعصبهم تجاه كل ما هو رومي (أوروبي)، يعكس مظاهر الفشل والنقص في سياستهم التعليمية، وبسبب منافسة هذه المؤسسات التي تتوفر على مساحة شاسعة، وتهوية أفضل مغرية عددا أكبر من التلاميذ للالتحاق بها[6]، وقد برزت المنافسة بهذا الخصوص بين كلا الجانبين بمدينة طنجة في

---

[1] - Danielle Omer, **Une langue sans territoire?"**, Op. cit,. p. 389.

[2] - A. Kaspi, Op. cit,. p. 249.

[3] - المواد الإجبارية: هي المواد الملزم توفرها في برنامج التعليم، والتي لا يجب تحت أي ظرف من الظروف أن تسقط منه. ينظر:

- **Instructions Générales pour les professeurs**, Op. cit,. p. 26.

[4] - Ibid,. p. 27

[5] - خلال الخمسين سنة الأولى من وجودها، أرسلت الرابطة اليهودية بدون أي صعوبة المعلمين المدربين من قبلها حيثما رغبت، لكن بعد عام 1914، ظهرت مشاكل جديدة تكمن في أن يكون لدى المعلمين جنسية الدولة التي يدرسون بها، كما يجب أن يكونوا قادرين على التدريس باللغة الوطنية للدولة. ينظر:

- A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine**, Op. cit,. p. 186.

[6] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport " Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle ", Tanger 15 Mars 1908,. p. 4.

تقارير موسى فريسكو[1] خلال السنتين الدراسيتين 1885-1886 و1886-1887، ومن بين ما جاء في تقاريره أن أعضاء اللجنة المحلية (وأكثرهم تصلبا الحاخام بنزاكين Benzaquen) تعتبر مدرسة الرابطة بطنجة تدرس الكفر للتلاميذ الذين يتشربون الإلحاد داخلها، وهو ما نفاه فريسكو وعمل على دحضه علميا بقوله: **«لقد علمنا أطفالنا على سبيل المثال، أن المطر يرسل من قبل الله، لكني أشرح لهم أنه (يتساقط) بفعل التبخر الذي يشكل الغيوم وعن طريق التكثيف... وهذا التفسير لا يزعزع الإيمان بالله»**[2]، وعليه عقد فريسكو العزم على تقليص عدد الساعات المخصصة للتعليم الديني واللغة العبرية لصالح اللغة الفرنسية والعلوم، عن طريق الاستغناء عن ثمانية حاخامات كانوا يشكلون جزءا من هيئة التدريس يتقاضون أجورهم من قبل اللجنة المحلية، وإعادة ترتيب الفصول الدراسية بما يتلاءم والمستوى المعرفي للتلاميذ وأعمارهم[3].

ولم يقف موسى فريسكو عند هذا الحد بل تعداه إلى تقديم توصيات، يقترح فيها وجوب اقتحام عالم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين خمس وسبع سنوات الذي يسيطر عليه الحاخامات فيما يسمى التلمود توراة، وقال: **«... بدلا من التكرار المقزز لـ (בּ בּ בּ) سوف يرددون (ba, be,bi) إن كان الإصلاح يقتضي ذلك،... والقليل من هذا الترديد كاف لإيقاظهم من السبات ومنحهم الكثير من المفاهيم»**[4]. ولتحقيق ذلك كان قد سبق لفريسكو في 4 يناير 1886 أن اقترح على اللجنة المركزية للرابطة بأن تمده بأحد خريجي مدرسة تكوين المعلمين بباريس (E.N.I.O.) متمكن من اللغة العبرية ليتكلف بهذه المهمة عوض الحاخامات، على أن تتكفل اللجنة المحلية (أي مجلس الجماعة اليهودية بالمدينة) بدفع راتب المعلم[5]، وقد وافقت اللجنة المركزية على ذلك لكن اللجنة المحلية قابلته بالرفض.

---

[1] - Moïse Fresco (1859-1912)، شغل مهمة مدير مدرسة البنين بطنجة من نوفمبر 1885 إلى أبريل 1888. وبعد ذلك عين مديرا في القسطنطينية وغلطة بتركيا، وهو واحد من القلائل الذين ألفوا الكتب المدرسية لمدارس الرابطة اليهودية العالمية، ومن بينها:

- Moïse Fresco, **Méthode pratique pour l'enseignement de la langue française: à l'usage des écoles d'Orient et du Nord de l'Afrique**, Éditions Fresco, Paris et Istanbul, 8° Édition.

[2] - A.A.I.U., **LIII E 874**, Rapport de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 30 Novembre 1885.

[3] - A.A.I.U., **LIII E 874**, Letrre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 03 et 06 Décembre 1885.

[4] - A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 09 Mars 1886.

[5] - A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 04 Janvier 1886.

استمر فريسكو في البحث عن الطرق والوسائل التي من شأنها تغييب اللغة العبرية (ومشتقاتها: العبرية الإسبانية) والدين اليهودي، دون أن يلاقي في مسعاه هذا تقدما ملحوظا جعله يخلص إلى أن إمكانية تفعيل التدريس بمدرسة الرابطة على الطريقة الفرنسية ممكن، ولكن ذلك لن يتحقق دون تحجيم دور اللغة العبرية والدين اللذين يعتبران العقبة الكأداء أمام أي تغيير، إذ إنه لا يمكن تحقيق أي إصلاح أو تقدم دون المساس باللغة العبرية أو المكانة التي تحتلها[1]، وهو ما جعله يقتنع بأن فصل مدرسة الرابطة عن مدرسة التلمود توراة هو الحل الوحيد المتبقي، وترك كافة الحاخامات بها والاكتفاء بحاخام واحد ووحيد لكافة الفصول والأقسام، يقدم دورسا بمعدل ساعة ونصف لكل قسم في اليوم تحت إشراف المدير نفسه، ومن المهم أن يكون الحاخام شابا أعزب لأنه سيكون سعيدا براتب شهري يصل إلى 50 فرنكا، مع إعطاء اللغة الإسبانية حيزا في البرنامج التعليمي للمدرسة يتروح بين 3 و6 ساعات في الأسبوع، لأجل الإبقاء على تأثير الرابطة على السكان، وبهذه الطريقة سيزداد عدد التلاميذ الملتحقين بالمدرسة، وهو ما سيرفع أيضا من حصة التعليم الحديث الملقن باللغة الفرنسية الذي تقدمه الرابطة إلى 4 أو 5 ساعات يوميا. وبخصوص تمويل المدرسة فقد أكد فريسكو على أن المبلغ (4 فرنكات) الذي سيؤديها التلاميذ شهريا ستكون كافية لتسديد أجره وأجر الحاخام، ولن تتكفل الرابطة سوى بسومة إيجار المدرسة في بداياتها فقط، لأنه يتوقع ارتفاعا في نسبة الأطفال الملتحقين بالمدرسة الشيء الذي سيغطي جميع النفقات بما في ذلك الإيجار[2].

في 29 ديسمبر 1886 كتب فريسكو للجنة المركزية بباريس بأنه عثر على مقر مناسب لمدرسة الرابطة التي ألح على وجوب انفصالها عن مدرسة التلمود توراة، وهو عبارة عن منزل يرجع في ملكيته لسليمان بنوليل[3]، وقد وافقت اللجنة المركزية على اكتراء المنزل، وعليه بعث فريسكو رسما توضيحيا (رسم توضيحي رقم 1) للمنزل في 24 يناير 1887، ثم في 17 فبراير 1887 رسما توضيحيا آخر (رسم توضيحي رقم 2) يوضح فيه الهيئة التي ستصبح عليها المدرسة.

---

1 - A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 06 Octobre 1886.
2 - A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 21 Novembre 1886.
3 - A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 29 Décembre 1886.

رسم توضيحي رقم 1.

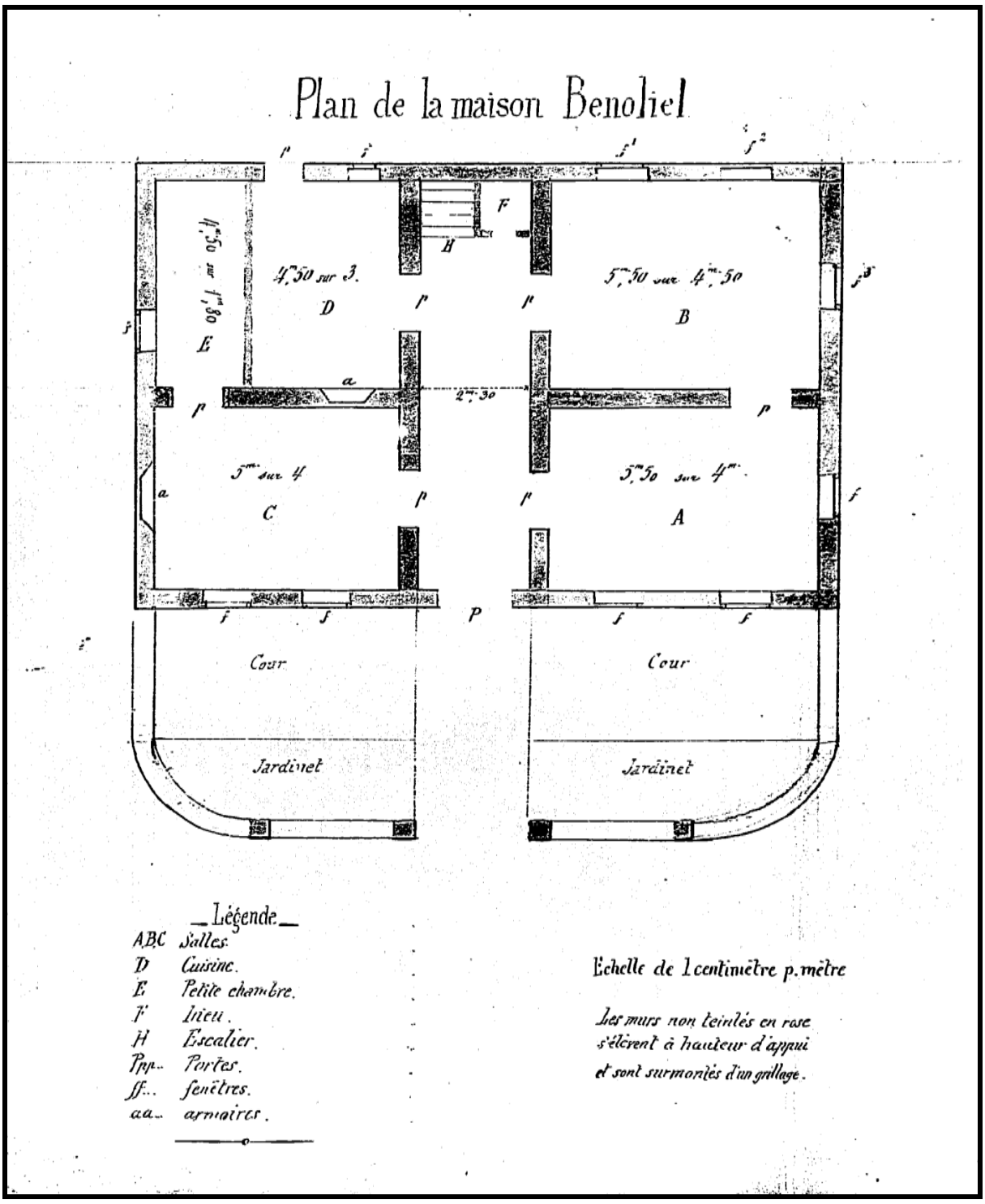

المصدر:

- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 24 Janvier 1887.

رسم توضيحي رقم 2.

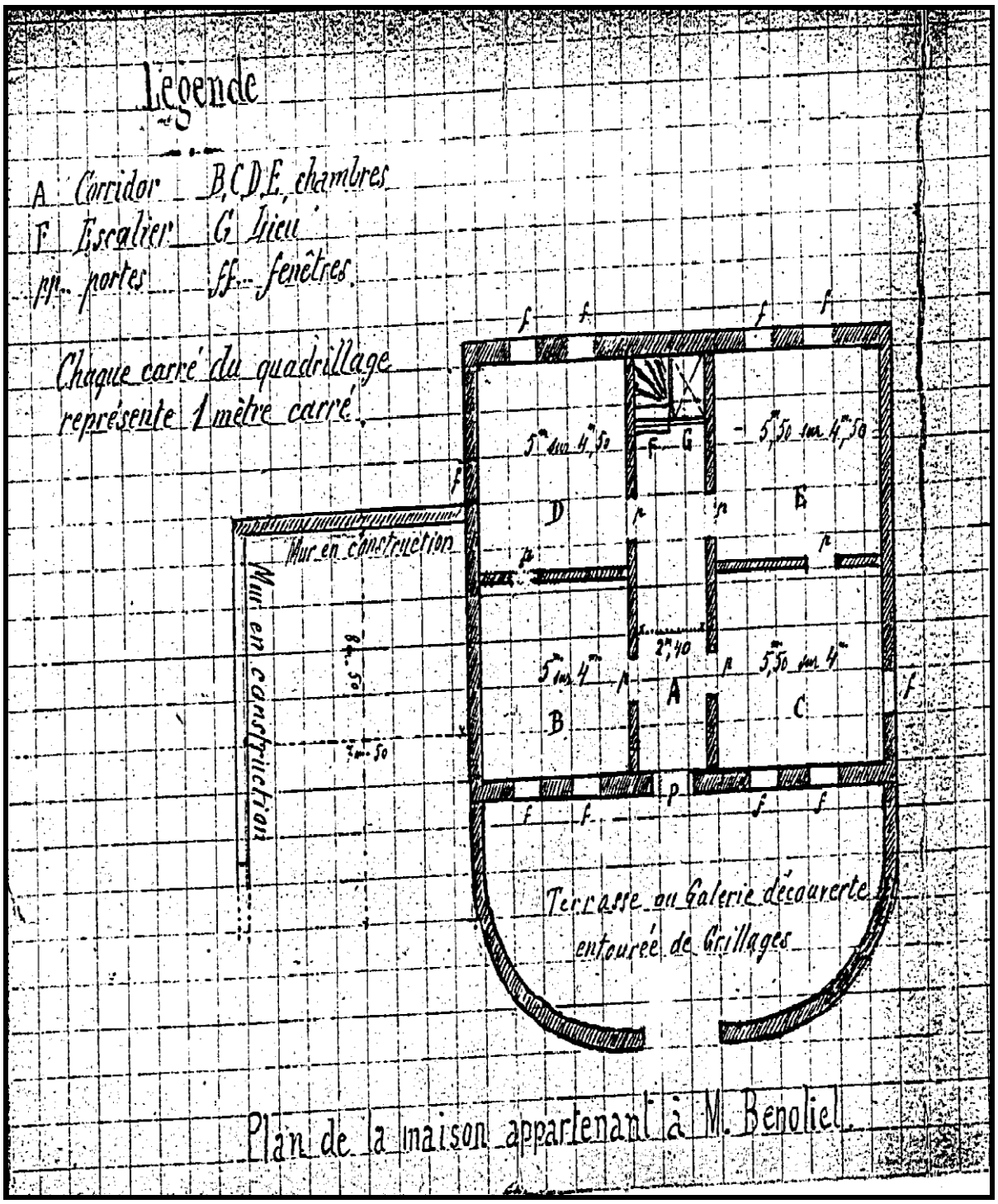

المصدر:

- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 17 Février 1887.

في 07 مارس 1887 قرر فريسكو بمعية اللجنة المركزية افتتاح المدرسة في مقرها الجديد بعد تجهيزه. وبالفعل افتتحت المدرسة أبوابها في 15 من الشهر نفسه بأربعة عشر تلميذا فقط، وسبب ذلك هو أن الحاخام الأكبر بالمدينة بنزاكين عمل على منع الأطفال بالقوة من الالتحاق بالمقر الجديد للمدرسة بحجة أنه يقع خارج أسوار المدينة، وعمل على إعادة توجيه

التلاميذ من جديد إلى مقر المدرسة القديمة[1]. وبهذه العراقل التي وضعت في وجه فريسكو، عاد ليستأجر مقرا آخر داخل أسوار المدينة[2]، لتستعيد المدرسة عافيتها شيئا فشيئا مع وضعه حلا لمسألة اللغة العبرية وذلك بقيامه بترجمة النصوص العبرية إلى اللغة الفرنسية، وهو ما مكن التلاميذ من سماع وتكلم اللغة الفرنسية طوال اليوم، واستقدامه لحاخام جيد هو جاكوب ليفي Jacob Levy [3]. وبالرغم من الأحداث التي عاشتها مدرسة الرابطة بمدينة طنجة مع موسى فريسكو فقد اختتمت سنتها الدراسية 1886- 1887 بما يناهز 63 تلميذا، مع إمكانية ارتفاع العدد مع بداية السنة الدراسية الموالية، لكن فريسكو التمس من اللجنة المركزية بباريس في 12 غشت 1887 أن تقوم بتنقيله إلى مدينة القسطنطينية[4]، وهو ما تم فعلا بعد تعيين مدير جديد هو دافيد حاييم David Haym وعلى عهده سيتم إغلاق مدرسة الرابطة للبنين في شتنبر 1888 ليعاد فتحها سنة 1889.

إن التجربة التي خاضتها الرابطة بالمغرب خلال سنواتها الأولى بالمغرب أثبتت، بما لا يدع أي مجال للشك، أن أي نجاح يمكن أن تلاقيه المدرسة سواء على مستوى التقبل لدى الجماعات اليهودية المحلية، أم على مستوى فرض اللغة الفرنسية لغة أساسية في التعليم، يكمن في تحجيم وتقليص تدريس اللغة العبرية والدين لصالح علوم أخرى مثل الرياضيات والفيزياء والجغرافيا والتاريخ ...، لكن ذلك أكسبها قناعة بصعوبة تحقيق ذلك، بسبب سيطرة الحاخامات المحافظين على المكون اليهودي الذي يأبى التغيير وينهج التقوقع على ذاته والتحصن داخل أسوار الملاح، وخير دليل على ذلك تجربة موسى فريسكو التي أوصلته إلى قناعة مفادها أن استمرار مدرسة الرابطة في طنجة لن يتحقق إلا إذا أرسلت الرابطة مديرا كفؤا ومقتدرا، ملمحا إلى أنه يجب أن يكون ذا أصول محلية بما يمكنه من تجنب العداوات الشخصية[5]، وهو الشيء الذي تفطنت له الرابطة منذ 1867 عندما سارعت إلى إنشاء مدرسة تكوين المعلمين بباريس (E.N.I.O.) لأجل تدريب وخلق كفاءات تعليمية قادمة من الدول المحتضنة لمدارسها، بحيث دأبت الرابطة على استقدام أنجب التلاميذ من خريجي مدارسها الابتدائية (ذكورا وإناثا)

[1] - A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 07 et 15 et 17 Mars 1887.
[2] - A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 02 Mai 1887.
[3] - A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président t du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 24 Juin 1887.
[4] - A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 12 Août 1887.
[5] - Ibid.

قصد تكوينهم في مدرسة تكوين المعلمين بباريس، وإعادة توجيههم إلى مدارسها بمسقط رأسهم[1] بعد سنتين من التكوين تتوج بالحصول على الشهادة الابتدائية "Brevet élémentaire"، ويمكن أن يمتد التكوين إلى سنتين إضافيتين تنتهي بالحصول على الشهادة العليا " Brevet supérieur"[2]. وقد حرصت الرابطة على تنويع برنامج التكوين الذي تمحور حول: الأخلاق، علم النفس، علم الاجتماع، البيداغوجيا (Pédagogie) أو علم أصول التدريس، واللغة والأدب الفرنسي والأجنبي، التاريخ العالمي والجغرافيا، والرياضيات والفيزياء، اللغة الإنجليزية أو الإسبانية، مبادئ النظافة، الرسم، الموسيقى، الأعمال اليدوية، التربية البدنية[3]، لأجل خلق نخبة تعليمية متمكنة، وذات قدرات معرفية مهمة، قادرة على تقديم الحلول والنقد الإيجابي الفعال، لكنها أغفلت في بعض الأحيان حقيقة أن التعليم يجب أن يقترن بـالانضباط الأخلاقي، الذي يحققه التعليم الديني[4].

3) مسار تحديث تعليم اليهود داخل مؤسسات الرابطة.

فرض مسار تحديث التعليم اليهودي داخل مؤسسات الرابطة تبني وسائل وأهداف محددة تختلف من مدرسة إلى أخرى داخل الخارطة العامة لمدارس الرابطة اليهودية العالمية، إذ إن هذه الأخيرة لم ترسم برنامجا تعليميا واضح المعالم لمدارسها منذ 1862[5]، بل اضطرت للارتجال، وتركت مسألة البرامج والمواد المدرسة تحت تصرف مدراء مؤسساتها ومعلميها[6] بما يتناسب والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والثقافية للجماعات المحتضنة لهذه المؤسسات التعليمية، والتي تختلف من منطقة إلى أخرى[7]، فما ركزت عليه الرابطة هو تماهي التعليم المقدم مع أهدافها الثلاثة المسطرة في قانونها الأساس، وشرط اللغة الفرنسية بصفتها لغة أساسية

---

[1] - A. Navon. H, Op. cit,. p. 19.
[2] - Ibid,. p 30.
[3] - Ibdem.
[4] - A.Kaspi, Op. cit,. p. 244.
[5] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 187.
[6] - إن تطبيق البرامج يعتمد على شخصية المدراء، وخبرتهم في الميدان، وقدرتهم على تقييم الاحتياجات المحلية والآفاق المستقبلية. ينظر:
- Esther Benbassa, **"L'éducation féminine en Orient: l'école de filles de L'Alliance Israélite Universelle à Galata, Istanbul (1879-1912)" ,** Histoire, économie et société, N° 4, 10e année, 1991,. p. 540.
[7]- فالبنسبة للرابطة كان الغرض الحقيقي من مجهودها هو القيام بتغيير وضعية الإخوة اليهود داخل البلدان التي يقيمون فيها **«... إنهم يعملون، ويدخلون في صراع مستمر ضد الجهل للحصول على التعليم...حتى يطوروا في نفوسهم الشعور بالكرامة الأخلاقية...والحرية... فبالنسبة لنا يجب وضع ذلك بين أيديهم بتوفير المعلمين والمدارس والكتب»**. ينظر:
- **B.A.I.U.**, 2e Semestre 1866,. pp. 12-13.

ورسمية في التعليم، تاركة باب الاجتهاد مفتوحا أمام معلميها، بما يسهم في ترسيخ وتعزيز دور المدرسة داخل الجماعة اليهودية، عبر تقديم نظام تعليمي حديث، يكون التعليم فيه وفقا للمعرفة العلمانية، التي تستند إلى الدراسات التقنية والعلمية واللغوية بعيدا عن الأساليب التقليدية التي كانت قائمة، بغرض تطوير قابليتهم الذاتية مع أفضلية إتقان لغات عدة في ضوء الإمكانيات المتوفرة.

فالمدارس بالنسبة للرابطة فضاء يمكنها من انتشال التلاميذ من البيئة الأخلاقية للملاح[1]، وتمكنهم في البداية من عادات النظام، والنظافة، وقواعد السلوك المدني، وكذلك إيقاظ مشاعر الكرامة والشرف والشجاعة لديهم، وجعلت من أولوياتها تطوير الفضول الغريزي لزيادة الرغبة في المعرفة لديهم، والحاجة إلى البحث عن الحقيقة والعدالة دون توقف، من خلال الحرص على تنوير عقول التلاميذ وتقوية شخصيتهم وعصرنتها[2]، عبر اختراق بيئتهم المنزلية الشيء الذي شكل أمرا خطيرا، ولا سيما على المستوى الديني[3]. بالتركيز على المبادئ الأساس للبر، والصدق، والخير، والإحسان، التي تجعل من الأخلاق مفهوما واسعا للغاية من شأنه تمكينهم من لعب دور حاسم في العلاقات الاجتماعية.

وبناء عليه نلاحظ أن إدارة الرابطة في باريس أخذت بعين الاعتبار في البداية الواقع المتخلف الذي كان عليه يهود المغرب، لذا نهجت خلال سنوات عملها الأولى منهاجا قائما على أساس مفاهيم مبسطة في الحساب والتاريخ والجغرافية، فضلا عن اللغة الفرنسية إلى جانب دراسة العلوم الدينية التي لها علاقة بالديانة اليهودية، واللغة العبرية التي فرضتها الظروف المحيطة بالجماعات آنذاك تلبية للاحتياجات التقليدية المحلية.

وبخصوص الأفكار المستمدة من المصادر الأدبية، الطقسية والفلسفية والتاريخية للحضارة اليهودية، لا يظهر اليهود الفرنسيون، الذين يتوقون أكثر إلى استيعاب القيم الفرنسية وتأكيدها في سلوكهم الاجتماعي، أي حماسة أو حنين للعودة مرة أخرى إلى جذور ماضيهم. ومع ذلك، تأخذ

---

[1] - راجع المحور المعنون برصد الحياة الاجتماعية والأخلاقية لليهود.

[2] - **Revue des Ecoles de L'Alliance Israelite**, Op. cit,. pp. 377-378.

[3] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine**, Op. cit,. p. 183.

الرابطة هذه الأفكار وتعيد تكييفها مع الذوق الفرنسي وتترك كل ما لا يتناسب مع الأفكار القومية والعلمانية[1].

جدول رقم 3: البرنامج المعتمد في مدرستي تطوان سنة 1873 والذي يعد حجر الزاوية في أول أنشطة الرابطة التعليمية بالمغرب.

مدرسة الذكور	مدرسة الإناث
الفرنسية	الفرنسية
الحساب	الحساب
الجغرافيا الأوروبية	الجغرافيا الأوروبية
تاريخ الكتاب المقدس	تاريخ الكتاب المقدس
العبرية	العبرية
الإسبانية	الإسبانية

المصدر:

- Michael M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle and the Jewish Communities of Morocco: 1862-1962**, Published by State University of New York Press, Albany, 1983,. p. 100.

يمكننا أن تستشف من هذا البرنامج الجنيني بمدينة تطوان عدة أشياء:

- تشابه المواد المدرسة في كل من مدرستي الذكور والإناث في البدايات الأولى لإنشاء هذه المدارس.
- تدريس اللغة الاسبانية لتلبية الاحتياجات المحلية، في وسط ذي أصول قشتالية (إسبانية) حيث يتحدث اليهودية هذه اللغة.
- غياب اللغة الإنجليزية في السنوات الأولى لإنشاء المدارس.
- غياب تدريس كل من اللغة العربية، والتاريخ والجغرافيا المحليين في السنوات الأولى لانطلاق الأنشطة التعليمية للرابطة.
- تم إدخال تدريس اللغة العبرية ضمن مناهج مدارس الرابطة منذ افتتاح أول مدرسة لها، إلا أنها لم تتعد كونها لغة الدروس الخاصة بالعلوم الدينية اليهودية، بغرض مكافحة الدعاية التبشيرية من جانب الإرساليات التبشيرية المسيحية، ورفع الوعي الديني حتى لا يتأثروا بها. وإلى جانب ذلك، أرادت إضعاف الحجج التي استندت إليها الأطراف

[1] - Georges Weill, **Emancipation et humanisme**, Op. cit,. pp. 12-13.

المحافظة والمعارضة لأنشطتها من كونها تسعى إلى إضعاف ارتباط اليهود بدينهم، أو بدعوى أن الأساليب التعليمية للرابطة تفتقر إلى الأصالة، وأن طرقها مستلهمة أو بالأحرى مستنسخة عن الطرق التربوية الفرنسية، لأنها لا تشجع بما فيه الكفاية على تدريس اللغة العبرية[1].

لكن في ثمانينيات القرن التاسع عشر سنلاحظ خصائص مغايرة في البرنامج المقدم بمدارس الرابطة اليهودية خاصة بمدينة فاس، وهذا ما يكشف عنه الجدول أدناه:

جدول رقم 4: البرنامج التعليمي المعتمد في مدرسة الذكور بمدينة فاس سنة 1884.

البرنامج		
	قراءة الفرنسية	من الساعة 8 إلى الساعة 9
حصة الصباح	الخط	من الساعة 9 إلى الساعة 10
المدنس	الحساب (الطرح، الضرب)	من الساعة 10 إلى الساعة 11
	الصلاة داخل القسم، أو الكتابة	من الساعة 11 إلى الساعة 12
القسم الأول	الجمارا	من الساعة 8 إلى الساعة 12
المقدس		
القسم الثاني	الكتاب المقدس، أو الترجمة إلى العربية لـ Sidra كل أسبوع أو وجزء من الأنبياء	من الساعة 8 إلى الساعة 12
	قراءة الفرنسية مع ما يقابلها بالعربية	من الساعة 1 إلى الساعة 2
	الخط	من الساعة 2 إلى الساعة 2 و45 دقيقة
حصة المساء	الحساب (،،،)	من الساعة 2 و45 دقيقة إلى الساعة 4
المدنس	مواضيع أو جدول أو الترجمة من العربية	من الساعة 4 إلى الساعة 5
	تلاوة أو الواجبات المنزلية المكتوبة،،، جدول	من الساعة 5 إلى الساعة 6
	الصلاة داخل القسم	
القسم الأول	التلمود	من الساعة 1 إلى الساعة 6
المقدس		
القسم الثاني	الكتاب المقدس، وترجمته	من الساعة 1 إلى الساعة 6

المصدر:

- A.A.I.U., **XIII E 214 a**, Rapport de Salomon Benoliel, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 26 Septembre 1884.

يوضح الجدول أعلاه أن الرابطة حرصت على ملء اليوم الدراسي للتلاميذ بمدارسها ببرامج إضافية، وتمديده، بحيث يجب عليهم الحضور إلى المدرسة كل يوم ما عدا يوم السبت،

[1] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine**, Op. cit,. p. 187.

من الساعة 8 صباحا إلى حدود 12 ظهرا، ومن 1 ظهرا إلى حدود 6 مساء، لكن أثناء ارتفاع درجة الحرارة، تبدأ الدراسة وتنتهي في وقت مبكر من الصباح، في وقت لاحق من المساء[1]، والهدف من ذلك كله هو سحب الأطفال بعيدا عن تأثيرات الشارع ووضعهم في بيئة مدرسية أكثر ملاءمة.

وخلافا لعدد من المدارس (خاصة القائمة بالمدن الساحلية) تدرس مدرسة فاس اللغة الفرنسية منذ البداية، في حين لم يتضمن برنامجها أيا من اللغة الإسبانية أو الإنجليزية، ومرد ذلك إلى أن يهود فاس متأثرون بشكل كبير بالثقافة اليهودية العربية على الرغم من أن عددا من العائلات هم من ذوي الأصول الإسبانية، كما أن اللغة الإنجليزية لم تكن تخدم غرضا معينا، لأن مدينة فاس كانت تدخل في إطار المغرب المجهول على حد تعبير أوجيست موليراس Auguste Mouliéras الذي لم يعرف نشاطا تجاريا أوروبيا مثل ما عرفته مدن الساحل المغربي في فترة ما قبل الحماية، حتى أن تدريس اللغة الفرنسية نفسها ما كان يلبي غرضا مهما في حياة التلاميذ غير مقدرتهم على التحدث بها.

في حين تقدم مدرسة طنجة للبنين سنة 1886، مع موسى فريسكو على سبيل المثال، تطورا ملحوظا ودقيقا في البرنامج التعليمي المعتمد في مادة التاريخ مثلا:

جدول رقم 5: البرنامج التعليمي لمادة التاريخ في مدرسة الذكور بمدينة طنجة سنة 1886.

الأشهر	المراحل	البرنامج
ديسمبر ويناير	العصر الوسيط	الغزوات - تشكل الدول الحديثة – شارلمان – الإقطاع - الباباوات والأباطرة - الحروب الصليبية - تقدم الملكية في فرنسا – الميثاق العظيم في انجلترا - حرب المائة عام - أوروبا في العصور الوسطى المتأخرة
فبراير ومارس	التاريخ الحديث/ الجزء الأول	شارل كوينت والتوازن الأوروبي - الغزوات البرتغالية والإسبانية – النهضة – الإصلاح - أوروبا البروتستانتية وأوروبا الكاثوليكية
أبريل وماي	التاريخ الحديث/ الجزء الثاني	القرن السابع عشر - لويس الرابع عشر - الثورات بانجلترا - القرن الثامن عشر – روسيا - تشارلز الثاني عشر - مملكة بروسيا - جزر الهند الشرقية - الولايات المتحدة الأمريكية - تقسيم بولندا
يونيو	التاريخ المعاصر	الثورات الفرنسية – الإمبراطورية – التجديد - أوروبا في

[1] - **Instructions Générales pour les professeurs**, Op. cit,. p. 25.

ويوليوز		القرن التاسع عشر (اليونان، مصر، الخ ...)
غشت		موجز تاريخ المغرب

المصدر:

- A.A.I.U., **LIII E 874,** Rapport de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 01 Janvier 1886.

لقد تم تقسم هذا البرنامج بعناية فائقة بحيث ركز على كرونولوجيا للأحداث، والفترات التاريخية الكبرى (التاريخ الوسيط ثم الحديث مقسم إلى جزأين، يليهما التاريخ المعاصر)، ولكن ما يمكن أن يعاب على هذا البرنامج هو أن الأحداث التي يعالجها بعيدة عن محيط وبيئة التلاميذ، ولكنها أحداث محملة بالمعاناة الإنسانية (لليهود) في الإمبراطورية الروسية وبولندا مثلا، وفي الوقت نفسه حافلة بالمفاهيم التقدمية للثورة الفرنسية، التي يرجى منها تعزيز التضامن اليهودي بين الإخوة في الدين بكل بقاع العالم، كما أولى البرنامج فسحة زمنية ممثلة في شهر غشت مخصصة لدراسة بعض جوانب التاريخ المغربي، ويمكن إرجاع ضيق المدة الزمنية المخصصة لدراسة تاريخ المغرب إلى عدم توافر أدبيات تاريخية مناسبة للأطفال في مرحلة التعليم الابتدائي[1]، لكن هذا لم يمنع مدرسي الرابطة من البحث والاجتهاد لأجل توفير مادة مكتوبة للتلاميذ اليهود تقربهم من فهم بعض الجوانب التاريخية والثقافية للوسط الذي يحتضنهم، فعلى سبيل المثال أعرب إسحاق بنشيمول للجنة المركزية بباريس سنة 1890 أنه يفكر في **«إعداد دراسة عن تقاليد وعادات العرب، والسبب في ذلك ينبع من الحاجة إلى تثقيف يهود هذا البلد عن جيرانهم المسلمين الذين لا يعرفون سوى القليل عنهم»**[2]، وبالمثل أعدت أديل راينهارد، مدرسة بمدرسة الإناث بطنجة، درسا في التاريخ المغربي ووزعته على أنه مادة قراءة، نظرا لعدم وجود كتب في هذا المجال[3]، مع العلم أن اليهود بالمغرب كانوا يجيدون اللغة العربية المنطوقة (الدارجة) في حين يجهلون اللغة العربية الفصحى وقواعدها.

لم تول الرابطة، وعدد مهم من معلميها، أهمية تذكر للغة العربية داخل مدارسها بشكل منتظم، لعدة عقبات تكمن في عدم توفر الرابطة على معلمين أكفاء للقيام بهذه المهمة، حتى أنها لم تجد حرصا ورغبة لدى المؤهلين من المسلمين للتدريس في مدارسها، أضف إلى أن أولياء أمور

[1] - وقفنا في بحثنا بأرشيف الرابطة اليهودية العالمية على وثائق كثيرة تتضمن لوائح بالكتب التي ينبغي توفرها بمكتبات عدد من المدارس، لكننا لم نقف على اسم إي كتاب باللغة العربية، سواء في التاريخ أو غيره.

[2] - A.A.I.U., **LI E 830**, Rapport de Isaac Benchimol, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 15 Décembre 1890.

[3] - A.A.I.U., **LIV E 897 b**, Rapport de Adèle Reinhard, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 04 Janvier 1894.

التلاميذ كانوا يفضلون اللغات الأوروبية لتعدد الفرص التي تتيحها بسبب تزايد النفوذ الغربي والتي من شأنها أن تعود بالنفع على أطفالهم في إيجاد فرص عمل مربحة. إلا أن هذا لا يعني عدم وجود مبادرات تصب في تجاه تدريس اللغة العربية بعدد من مدارس الرابطة بالمغرب، ففي مدينة فاس تم تلقين اللغة العربية لعدد من التلاميذ المختارين ممن كان آباؤهم متحمسين لهذه الفكرة، التي تبناها مدير مدرسة الذكور هناك سليمان بنوليل وتكلف بتدريس مقرر اللغة العربية بنفسه لبعض الوقت سنة 1888، إلى أن حل محله الحاج حمادي Hadje Hamadi مسلم، كان يعمل وكيلا قنصليا لصالح فرنسا[1]. وبدوره برز موسى ناحون بصفته أهم المدافعين عن تعليم اللغة العربية في مدارس الرابطة، فبعد تعويضه لسليمان بنوليل على رأس مدرسة فاس سنة 1889، تكلف شخصيا بتدريس اللغة العربية هناك اعتقادا منه أن تعليم اللغة العربية يجب توسيعه، وهو ما دفعه إلى وضع برنامج مماثل بمدينة طنجة سنة 1889[2]. وفي جزء من هذا البرنامج استخدم ناحون مقتطفات من النص العربي «لألف ليلة وليلة» وحث اللجنة المركزية بشدة على إرسال كتب الأدب والنحو العربي لتطوير البرنامج[3]، قصد سد الفجوة العرقية بين اليهود والمسلمين بتعليمهم اللغة العربية الفصحى، أضف إلى أن رغبة ناحون وإصراره هذا نابعان من حبه للغة العربية وولعه بنغماتها وألحانها، فضلا تشابهها مع اللغة العبرية.

وفي الدار البيضاء سنة 1900، قام صامويل ليفي Samuel D. Levy، مدير مدرسة الذكور، بإدراج تعليم اللغة العربية بعد أن وجد مدرسا مؤهلا داخل الجماعة اليهودية يدعى M. Bensabat كلف بتقديم حصص تتراوح بين أربع ساعات ونصف إلى خمس ساعات ونصف أسبوعيا[4] بنية نشر اللغة والترويج لها. وذلك بسبب الارتباط بالمصالح التجارية الأوروبية بالدار البيضاء، إذ كان على الشباب اليهودي، كي يلعبوا دور الوسيط أن يكونوا على دراية بهذه اللغة، حتى يتمكنوا من الدخول في مراسلات كتابية مع التجار المسلمين. ووفقا لصامويل ليفي، فإن التجار اليهود في الدار البيضاء هم صلة الوصل فيما يخص المعاملات التجارية مع التجار المسلمين في الداخل المغربي[5]، إلى جانب ذلك فإن تطوير قدرات يهود المغرب في التحدث باللغة

[1] - A.A.I.U., **XIII E 214 b.3**, Rapport de Salomon Benoliel, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 12 Février 1888.
[2] - A.A.I.U., **LV E 913**, Rapport de Moïse Nahon, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 11 Mai 1892.
[3] - Ibid.
[4] - A.A.I.U., **VI E 132**, Rapport de Samuel David Levy, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 31 mai 1900.
[5] - Ibid.

العربية، يسهل من مهمة اندماجهم في ثنايا المجتمع المحلي، لاسيما أن إتقان هذه اللغة في ظل انتشار الأمية والجهل سوف يرفع من قيمة هؤلاء في المجتمع.

وإلى حدود سنة 1903 كان معظم مدراء المدارس يتمتعون بكامل الحرية في إعداد المناهج الدراسية، مع تدخل بسيط من قبل اللجنة المركزية بباريس[1]، لكن هذه الأخيرة ارتأت أنه من اللازم توحيد البرامج والأساليب داخل المنظومة المدرسية للرابطة بأكملها، بداية بتحديد سنوات الدراسة، وفي أي عمر سيتم استقبال التلاميذ؟ وفي أي سن يجب أن يتخرجوا؟ وخلال هذه الفترة الزمنية، ما هو عدد الدورات الدراسية التي يجب تقديمها؟[2]، كل هذه الإشكالات سيتم معالجتها بإصدار من قبل الرابطة مكون من 133 صفحة بعنوان التوجيهات العامة للمعلمين "Instructions Générales pour les professeurs"، يحدد قواعد التركيب البنيوي للبرنامج التعليمي بمدارس الرابطة المنتشرة عبر العالم[3]، ويحدد الفترة التي تنتهي فيها الدورة الدراسية والفترة التي تبدأ فيها الأخرى، وإعداد برنامج عام مناسب لجميع المدارس، مع الإشارة إلى الجدول الزمني لكل صف، ساعة بساعة، ويوما بعد يوم، على مدار السنة الدراسية بأكملها[4]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الرابطة اعتمدت على حجم الجماعة وموقعها الجغرافي في تحديد سنوات الدراسة، إذ يمكن إضافة سنوات إضافية إلى السنوات الأربع الأساس، حيث تصل إلى مستوى المدرسة الثانوية، وكان هذا هو الحال في المراكز اليهودية الرئيس مثل، الدار البيضاء وسالونيك والقسطنطينية وبغداد[5].

لقد وقفت الرابطة اليهودية على أن البرامج المقدمة في مدارسها متعددة، متغيرة وغير ثابتة، يحتل فيها التعليم الديني الجزء الأكبر يوميا من دون أية فائدة يمكن أن تعود على التلاميذ، لذلك اضطرت سنة 1903 إلى إخراج كتاب التوجيهات العامة للمعلمين قصد إنهاء حالة عدم الاستقرار، وتعدد البرامج التعليمية المعتمدة في مدارسها، والذي جاء على الشكل التالي:

---

[1] - **Revue des Ecoles de L'Alliance Israelite**, Op. cit,. p. 383.
[2] - Ibid,. p. 380.
[3] - **Instructions Générales pour les professeurs**, Op. cit.
[4] - **Revue des Ecoles de L'Alliance Israelite**, Op. cit,. p. 380.
[5] - A. Kaspi, Op. cit,. p. 231.

جدول رقم 6: الفصول الدراسية من السنة الأولى إلى السنة الرابعة: بنين.

المواد المدرسة	الفصل الأول والثاني		الفصل الثالث والرابع	
	عدد الساعات في الأسبوع		عدد الساعات في الأسبوع	
	الحد الأقصى	الحد الأدنى	الحد الأقصى	الحد الأدنى
تاريخ ما بعد الكتاب المقدس	2	1	»	»
التاريخ المقدس والتعليم الديني	2	1	2	1
العبرية	10	5	10	5
القراءة بالفرنسية	8	5	10	6
اللغة الفرنسية	6	5	6	6
الحساب	4	3	3	2
الجغرافيا	3	2	3	2
التاريخ	2	2	2	1
العلوم	2	1	1	1
دراسة الأشياء Leçons de choses	3	2	3	2
الخط	2	2	3	2
لغة...	10	5	10	5
الإنشاد	1	1	1	1
الرسم	2	1	»	»
رياضة الجمباز	2	2	2	1

المصدر:

-**Instructions Générales pour les professeurs**, Paris, 1903,. p. 49.

جدول رقم 7: الفصول الدراسية من السنة الأولى إلى السنة الرابعة: بنات.

المواد المدرسة	عدد الساعات في الأسبوع	
	الحد الأدنى	الحد الأقصى
تاريخ ما بعد الكتاب المقدس	1	2
التاريخ المقدس والتعليم الديني	1	2
العبرية	2	2
القراءة بالفرنسية	4	5
اللغة الفرنسية	4	4

الحساب	2	2
الجغرافيا	1	1
التاريخ	1	1
العلوم	1	1
دراسة الأشياء Leçons de choses	2	2
الخط	2	2
لغة....	4	5
الخياطة	7	10
الإنشاد (الفصل الأول والثاني)	1	1
الرسم	1	1
رياضة الجمباز	1	1

المصدر:

- **Instructions Générales pour les professeurs**, Op. cit,. p. 50.

جدول رقم 8: فصول رياض الأطفال.

المواد المدرسة	عدد الساعات في الأسبوع	
	الحد الأقصى	الحد الأدنى
التعليم الديني والعبري	10	7
القراءة بالفرنسية	10	5
الخط	5	5
دراسة الأشياء Leçons de choses	10	8
لغة...	6	4

المصدر:

- **Instructions Générales pour les professeurs**, Op. cit,. p. 50.

كافحت الرابطة بشكل مستميت للحد من هيمنة المدارس الحاخامية، ومن نفوذ معلمي هذه المدارس الذين يفتقدون في نظرها للطرق البيداغوجية الكفيلة بتعليم الأطفال كيفية قراءة الكتاب المقدس، وتلاوة الصلوات، بل جعلوا من مهنة التعليم ممارسة مربحة عوض جعلها مهنة الفكر والأخلاق. ففي نظر الرابطة ليس الأمر بالصعب إذا ما تم تخصيص ساعتين من العمل الجيد والتطبيق الجاد، وبه سيتلقى الأطفال تعليما أفضل للدين، وإفساح المجال للمعارف الأخرى التي يحتاجها الأطفال[1].

وبذلك مرت المناهج والبرامج الدراسية المطبقة في مدارس الرابطة في المغرب بمراحل تطور عدة، وكانت تعكس، في مجملها، مستوى التطور الذي بدأت تمر به الجماعة اليهودية من

[1] - N. Leven, Op. cit, T 2,. p. 14.

الناحية الثقافية والاجتماعية وحتى الاقتصادية. وبمرور الوقت بدأ يتصاعد مستوى البرنامج التعليمي كلما وجدت الرابطة أن هناك حاجة لتطويره بما يتلاءم مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تشهدها الجماعة اليهودية بالمغرب، وهو ما أضفى عليها صفة النضج والتكامل، بحيث مكنت التلاميذ من الحصول على معرفة شاملة وإن كانت مبسطة، حتى أنه لم يعد مستغربا إضافة دروس لها علاقة بحالة الرقي الاجتماعي والثقافي لليهود، تغطي جانبا من الأنشطة الفنية مثل المسرح[1] والموسيقى والغناء[2] والرياضة[3] بشتى أشكالها وأنواعها، وهي بطبيعة الحال تعكس انفتاح الجماعات على حياة جديدة تختلف عما كانت تعيشه. بل مرآة تعكس حالة الانسلاخ التي أخذت تعيشها الجماعات اليهودية عن واقعها الشرقي، لتتبنى معايير الحياة والسلوك الاجتماعي الغربيين، وتعكس جوانب من الرقي الاجتماعي والرخاء الاقتصادي المحاكية للثقافة الغربية.

صورة رقم 2: تلاميذ السنة الخامسة وهم يؤدون حركات رياضية بمدرسة الرابطة بفاس سنة 1949.

[1] - A.A.I.U., **XXIX E 471**, Rapport de Josué Cohen, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Mazagan, 03 Octobre 1915.
- Heller-Goldenberg Lucette, **L'initiation au théâtre dans les écoles de L'Alliance Israélite Universelle**, Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire, N° 58, 2008,. pp. 184-186.
[2] - A.A.I.U., **III B 18.19**, Rapport de Rose Albagli, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 20 Juil 1917.
[3] - A.A.I.U., **LXVI E 1003**, Rapport de Rachel Cohen, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tétuan, 15 Avril 1914.

المصدر:

- **https://www.aiu.org/fr/album/197**

وإلى جانب تحسين محتوى البرامج والمناهج المعتمدة داخل المدارس، ارتأت الرابطة أن لا تحديث ولا تحرر بدون تحرير وضع المرأة اليهودية، التي أولتها المناهج عناية خاصة، إذ أخذت بعين الاعتبار مدى استجابتها للارتقاء بقدراتها الذاتية، واستهدفت تغيير ثقافة الإزدراء تجاهها، لذا وجدت الرابطة بأنه لا يمكن للفتاة اليهودية أن تحظى بالمكانة التي يجب أن تحتلها ما لم تصبح بدرجة مساوية للرجل في المعرفة والثقافة، حيث جرى التركيز في مدارس الإناث على تعليمهن كل ما يمكن أن يطور من إمكانياتهن الذاتية، ويجعلهن ذوات أثر في مجتمعهن. فإلى جانب اللغات والعلوم المختلفة أدخلت دروس تنمي من قدراتهن مثل الحياكة والخياطة وصناعة اللوازم المنزلية، فضلا عن كل ماله علاقة بتدبير الشؤون المنزلية، كي تكون امرأة عصرية داخل المنزل وخارجه[1].

صورة رقم 3: ورشة الخياطة بمدرسة الرابطة والمدعمة من قبل لجنة التوزيع المشتركة بمدينة سلا سنة 1950.

[1] - A. Kaspi, Op. cit,. p. 274.

المصدر:

- A.A.J.D.C., **NY_08419**, Young Girls Learning to Sew at the JDC Supported Alliance Israelite Universelle school, Sale, 1950.

خلقت هذه الرعاية الاستثنائية، من جانب الرابطة بمناهج مدارس الإناث، حافزا للآباء على إلحاق بناتهم بالمدارس للاستفادة مما تقدمه من فائدة بما يضمن لهن مستقبلا أفضل، كما شكلت هذه الإنجازات، خطوة مؤثرة في تطور عقلية يهود المغرب في إدراك أهمية التعليم عبر غرس روح حب العلم والتعلم في نفوس الأمهات اللواتي سينقلنها تلقائيا إلى نفوس أطفالهن، بما يخدم مستقبلهم، ويحسن أوضاعهم، ولعل أفضل مفتاح هو جعل الدرس عمليا وجذابا.

على أية حال، اعتمدت الرابطة معايير خاصة في التدريس قريبة جدا من المعايير المعتمدة حاليا، والتي تنبني على تمكين الطفل ومنحه القدرة على مغادرة البيئة والفضاء الضيق والمحدود «والبائس أحيانا» الذي يحي فيه، وتسليحه بمعرفة دقيقة ودائمة عن الكون، وعن الطبيعة، والحضارة. وتبقى المعلومات التي يجب أن تنقل إلى الطفل دائما ابتدائية وبسيطة، بحيث على المعلمين أن يتجنبوا الخوض في التفاصيل التي هي جزء من التعليم العلمي العالي، والالتزام بحدود التعليم الابتدائي، بصرف النظر عن المعرفة الدقيقة التي يجب يمتلكها الطفل في مجال القواعد، والحساب، والجغرافيا، والدين والتاريخ، وهي معارف أساس ولا ينبغي أن تتعدى

مستوى معينا، بالاستناد إلى مفاهيم بسيطة وعامة، وبتوجيه التعليم من سياقه القديم المبني على الحفظ والذاكرة إلى توجه حديث يستفز فيه ذكاء وخيال التلميذ[1].

بعد الوقوف على نوعية مؤسسات التعليم العبراني بالمغرب، وتحديد تراتبيته، وبنياته، والأدوار المضطلع بها، والتي تصب إجمالا في تكريس الدين ودور الكنيس في حياة الفرد والجماعة، وهو الأمر الذي دفع الرابطة إلى تأسيس نظرة فوقية آستعلائية بخصوص هذا النوع من التعليم المقدم الذي يبقي على الجمود ويمجد التقليد، ويحجر على القدرات الذهنية والإبداعية للأفراد، وعملت الرابطة على تنصيب أولى مدارسها بمدينتي تطوان وطنجة، وهما المدينتان اللتان طغى فيها نفوذ قناصل الدول الغربية والذي استغلته هذه المنظمة لتثبيث مدارسها، بتوفير نوع من الحماية السياسية والدبلوماسية لها، ولأن هذه المدارس شكلت أنوية أولى للشبكة التعليمية للرابطة، والمؤسسات الأولى التي سيتم من خلالها اختبار مدى تقبل الجماعات لمثل هذه المؤسسات، كما أنها مثلت مجالا لاختبار المعلمين المستقدمين من منطقة الألزاس واللورين. حتى أن هذه المؤسسات ومدرائها مثلوا بالنسبة للجماعات اليهودية هناك مراكز تدل على نفوذ وقوة اليهود الغربيين الممتدين.

استغلت الرابطة هذا النفوذ ليس لنشر التعليم وتحديثه وسط اليهود فقط، بل أيضا للضغط على السلطات المغربية سياسيا ودبلوماسيا لتحسين وضع اليهود، وتحصين المكتسبات بما يمكنهم من تطوير وضعيتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بنهجها طرقا مكنتها من الوقوف على وضعية الجماعات اليهودية والوقوف على طرائق عيشهم وتفكيرهم. لتطوير آلياتها في التعامل مع هذه الجماعات بما يلائم مرتكزاتها في التحديث، ويحقيق أهدافها، كما عملت على تطوير نظمها التعليمية، سواء في شقها البيداغوجي أم في الجانب المتعلق بتكوين أطر هيئة التدريس.

[1] - **Instructions Générales pour les professeurs**, Op. cit,. p. 29.

الباب الثالث

علاقة الرابطة بمديرية التعليم العمومي ودورها وسط الجماعات المغربية اليهودية.

أدرك الفرنسيون جيدا جدوى الدعم اليهودي لنظام الحماية بفعل سياسة الموالاة التي نهجتها الرابطة تجاه فرنسا، وبفضل المجهود الذي بذلته هذه المنظمة طيلة نصف قرن من الزمن، لأجل تهيئ الأرضية الثقافية واللغوية بالمغرب لصالح التدخل الفرنسي[1]، بحيث رحب اليهود بالحماية

[1] - جليلة عفيف، **يهود مدينة صفرو على عهد الحماية الفرنسية 1912-1956**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، الجزء الأول، إشراف حسن الشافعي العلوي، جامعة سيدي محمد ابن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز- فاس، السنة الجامعية 2003-2004، صص. 233-234.

- تجدر الإشارة هنا إلى أن منطلقات عمل منظمة الرابطة اليهودية كان أساسا لغرض إنساني، وأن الخدمات المباشرة وغير المباشرة المقدمة من قبلها لصالح الاستعمار الفرنسي كان عن طريق المصادفة لا غير. ينظر:

- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport " Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle ", Tanger 15 Mars 1908,. p. 9.

الفرنسية التي اعتبروها وسيلة لتحقيق التحرر[1]؛ بمعنى نهاية وضع الذمة، وبداية ثقافة مدنية تحت الحكم الفرنسي المستنير، وعليه فقد **«وجدوا عند نزولهم (أي الفرنسيين) بالموانئ المغربية وتوغلهم في الداخل، والمراكز النائية بفاس وصفرو وسطات ومراكش، اليهود داخل الملاحات يستقبلونهم كمحررين، ورحبوا بهم بلغة فرنسا، وهم جميعا تلامذة مدارس الرابطة»**[2]، وهو ما ثمنه كل من المقيم العام ليوطي Lyautey، والمفوض الفرنسي برولار Le Général Brulard في طنجة، بعد الزيارة التي قاما بها على التوالي لمدارس الرابطة في مراكش سنة 1913. وهناك أعرب ليوطي عن استعداده لدعم مدارس الرابطة مؤكدا على أن المصالح اليهودية والفرنسية بالمغرب واحدة "Votre intérêt est le nôtre"[3]، في حين انبهر الجنرال برولار بالمستوى التعليمي للتلاميذ، ودعا وزارة الخارجية، للتعاون بشكل وثيق مع اليهود عن طريق دعم شبكة مدارس الرابطة ماديا[4].

ستتوطد علاقة الرابطة بمؤسسة الحماية بالمغرب عبر مديرية التعليم بناء على مصالح مشتركة، تتمحور حول تقديم الدعم الثقافي واللغوي وتوفير الأطر اللازمة لإدارة الحماية من قبل الرابطة، التي كانت سباقة للتعبير عن ذلك في نشرتها لسنة 1906 **«يجب أن يكون اليهود في هذا البلد (المغرب)، أفضل مساعد لنا، وسيط مثالي بين الفرنسيين والعرب الذين يعرفون عقليتهم وأخلاقهم ولغتهم... وسوف يساهمون بشكل ممتاز لصالح الاستعمار ومؤسستنا (أي الرابطة اليهودية)»**[5]، في حين تضطلع الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب بتوفير الدعم المادي والمعنوي للرابطة اليهودية العالمية.

وعليه، سوف يتم عقد اتفاقيتين مصيريتين في تاريخ الرابطة بالمغرب، هي اتفاقية 1915 التي ستستولى بموجبها إدارة الحماية على عدد مهم من مدارس الرابطة بشكل كامل، ثم اتفاقية 1924 التي ستعيد على إثرها مؤسسة الحماية هذه المدارس للمنظمة الأم ومعها المدارس اليهودية الفرنسية المستحدثة، فعلى أي أسس ارتكزت الإقامة العامة في الهيمنة على مدارس

---

[1] - ربير أصراف، م. س، ص. 124.

[2] - Y. D. Sémach, **"L'Alliance Israélite Universelle, 67 ans d'enseignement du français"**, Bulletin de l'enseignement public au Maroc, 4eme Année, N° 83, Octobre 1927,. p. 7.

[3] - A.A.I.U., **XXV E 394 a**, Lettre de Raphaël Danon, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Marrakech, 16 Mars 1913.

[4] - A.A.I.U., **XXV E 394 a**, Lettre de Raphaël Danon, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Marrakech, 08 Avril 1913.

[5] - **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 31, Année 1906,. p. 161.

الرابطة؟ وأية دوافع جعلتها تمكن الرابطة بعد ذلك من مدارسها وبقية المدارس اليهودية الفرنسية؟.

وعليه، سنخصص الفصل الثامن للدور الذي لعبته الرابطة داخل الجماعات المغربية اليهودية، والتأثير الذي مارسته داخلها عبر الاهتمام بتعليم الإناث اللواتي يشكلن لبنة أساسية داخل الجماعة والدين اليهودي، اللاتي بقين على الهامش بفعل طبيعة التقاليد والعادات الممارسة في الوسط اليهودي المغربي. وللحفاظ على مكانة الرابطة داخل هذا المكون المحافظ، انتبهت الرابطة إلى أن المهن والحرف اليدوية هي الثمرة التي يمكن أن يتغذى عليها أفراد الجماعات، وحلا سريعا لمشكل الفقر والبطالة والبؤس الذي يرزحون تحته.

الفصل السابع: علاقة الرابطة بمديرية التعليم العمومي.

بتوقيع معاهدة الحماية سنة 1912 تقرر إنشاء نظام للتعليم العام ذي أساس فرنسي علماني، تحت مسؤولية الجنرال ليوطي وبإشراف غاستون لوث "Gaston Loth" الذي أسس مصلحة التعليم "Service de l'Enseignement"، مستوحا ذلك من النموذج التونسي[1]. ووفقا لظهير 23 ديسمبر 1915 سوف تستبدل تسمية هذا النظام من مصلحة التعليم إلى مديرية التعليم "Direction de l'Enseignement" وبإشراف غاستون لوث نفسه[2].

كان الهدف من هذا النظام في السنوات الأولى، ينبع من الظروف والاحتياجات الفورية المملاة في المغرب، وتجلى ذلك حسب ليوطي في الحفاظ على التعليم الابتدائي الأوروبي واليهودي، وتطويره بقصد تزويد إدارة الحماية بأطر فرنسية محضة، ووضع لبنات لتعليم مهني خاص بالمغاربة المسلمين، وضمان تدريس اللغة العربية بغية تطوير وتجديد النخب المخزنية مستقبلا، وبهدف توظيف المترجمين اللازمين لسلكي الاحتلال والإدارة[3]، لكن سرعان ما تباطأ العمل في تحقيق هذه الأهداف بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، إلا أنه بنهاية الحرب كانت جل المدن المغربية تتوفر على مدرسة ابتدائية واحدة أو أكثر.

---

[1] - **B.O.**, Services de résidence Générale et de commandement en chef, Première Année, N° 1, 1 Novembre 1912,. p. 4.

[2] - **B.O.**, Dahir du 23 Décembre 1915 (16 Safar 1334) portant création d'une direction de l'Enseignemen, Cinquiéme Année, N° 167, 3 Janvier 1916,. p. 11.

[3] - Protectorat de la République Française au Maroc, **Direction Générale de l'Instruction Publique des Beaux-arts et des Antiquités : Historique (1912-1930)**, Publié à l'occasion de l'Exposition Coloniale Internationale de Paris,. p. 10.

ومن هذا المنطلق، كانت المدرسة أساسية لتنفيذ المشروع السياسي للمقيم العام، وابتداء من ديسمبر 1920 تم تعيين جورج هاردي "Georges Hardy" خلفا لغاستون لوث قادما من مدغشقر[1]، وأول ما قام به تغيير إسم مديرية التعليم لتصبح مديرية التعليم العمومي، والفنون الجميلة والآثار " Direction de l'instruction publique, des beaux-arts et des antiquités"، بموجب ظهير 17 ديسمبر 1920[2].

1) اتفاقية 10 أكتوبر 1915.

استمرت الرابطة في افتتاح المدارس بالمغرب منذ 1862، وتواصل ذلك حتى في أوقات الاضطراب السياسي والاقتصادي في البلاد خاصة في المرحلة الممتدة بين 1900 و1912[3]، ففي سنة 1904 بلغ عدد مدارس الرابطة المنتشرة عبر العالم 120 مدرسة منها 15 مدرسة بالمغرب[4]، وارتفع العدد ليصل إلى 28 مدرسة خلال سنة 1911[5]، واستمر طلب الجماعات افتتاح المدارس لديها (مثل: دبدو، دمنات، تازة ووجدة)، لكن النقص في عدد المعلمين المؤهلين كان سببا رئيسا في تأخر افتتاح المزيد من المدارس لدى هذه الجماعات[6]. ومن جهة أخرى فإن النفقات المالية تزداد بازدياد المدارس والمعلمين والتلاميذ، وهو ما حال دون استمرار الرابطة في افتتاح المزيد من المدارس بالوتيرة نفسها، مقارنة مع ازدياد رغبة الآباء في إرسال أطفالهم إلى المدرسة، سواء كانوا من الذكور أم من الإناث، الشيء الذي جعل من مشاكل الدخول المدرسي مادة دسمة للصحافة اليهودية المغربية في ذلك الوقت، والتي تعرضت لتفاصيل الوضع التعليمي، وما عرفه من اكتظاظ داخل قاعات الدرس، واستمرار هيمنة التعليم التقليدي أو التجوال في شوارع الملاح[7].

---

[1]- جورج هاردي: شغل منصب المفتش العام للتعليم في غرب إفريقيا الفرنسية. ينظر:
- Protectorat de la République Française au Maroc, **Direction Générale de l'Instruction Publique des Beaux-arts et des Antiquités : Historique (1912-1930)**, Op. cit.

[2] - **B.O.**, Dahir du 17 Décembre 1920 (5 Rabia II 1338) Portant modification et addition au Dahir du 26 Juillet 1920, créant une Direction de l'Enseignement, Neuvieme Année, N° 426, 21 Décembre 1920, pp. 2133-2134.

[3] - عرفت المرحلة الممتدة من 1900 إلى 1912 اضطرابات سياسية واقتصادية أثرت على العنصر اليهودي بالمغرب، ابتداء من انتقال السلطة السياسية من المولى عبد العزيز إلى مولاي حفيظ، ومبايعة المكناسيين لمولاي زين العابدين سلطانا بمكناس، ثم ثورة الجيلالي الزرهوني وتوالي سنوات الجفاف بالمغرب، والحضور العسكري الفرنسي، وما أعقب ذلك كله من اضطراب في الاقتصاد والأمن. ينظر:
- **B.A.I.U.**, Voir les N°s de 1900 à 1912.

[4] - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 29, Année 1904,. p. 19.

[5] - **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 36, Année 1911,. pp. 71-80.

[6] - Ibid.

[7] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. pp. 28-29.

جدول رقم 9: تطور نفقات ومؤسسات تعليم الرابطة اليهودية (1985_1911).

السنة	عدد المدارس الإجمالي للرابطة	عدد المدارس بالمغرب	عدد التلاميذ الإجمالي	عدد المعلمين المدربين من طرف الرابطة	عدد المعلمين الإجمالي	مساهمة الجماعات بالفرنك	مساهمة الرابطة بالفرنك	مجموع النفقات السنوية بالفرنك
1885	---	---	---	92	304	361402	258998	620400
1890	54	---	11500	---	---	---	---	---
1895	70	---	16000	---	---	---	---	---
1900	100	---	26000	---	---	---	---	---
1904	120	15	---	---	---	---	---	---
1905	129	---	36000	---	---	---	---	---
1907	134	17	---	---	---	---	---	---
1908	142	---	41000	282	1250	975000	1025000	2000000
1911	---	28	---	---	---	---	---	---

المصدر:

- **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 29, Année 1904,. p. 19.
- **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 31, Année 1906,. pp. 110- 161.
- **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 33, Année 1908,. p. 138.
- **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 36, Année 1911,. pp. 71-80.

وبتوقيع معاهدة الحماية رحبت الرابطة بالطفرة الجديدة التي يعرفها البلد تحت تأثير الدول المتحضرة التي جعلته تحت وصايتها، إذ من المهم، في رأيها، إشراك اليهود في جميع المبادرات التقدمية التي سيجلبها الاستعمار معه[1]، بحيث توسمت خيرا في الإقامة العامة لأجل مساعدتها على تحسين وضعية المدارس التي تمركزت في غالبيتها العظمى داخل الملاحات عن طريق اكتراء المقرات، لأن المخزن المغربي ما كان ليسمح ببناء المدارس خارج الملاح، وكذا مساعدتها على تجاوز كثرة النفقات المتزايدة بغية افتتاح مدارس تستوعب جميع الأطفال اليهود بالبلاد الذين تتراوح أعمارهم بين الست سنوات والأربعة عشرة سنة، موجهة بذلك إلى المقيم العام رسالة توضح فيها أنه على مدار خمسة عشر سنة تقريبا وهي تتحمل الجزء الأكبر من العبء المالي للمدارس، في حين كانت مساهمة الآباء والجماعة اليهودية أقل بكثير[2]. في إشارة

[1] - **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 38, Année 1913,. p. 86.

[2] - A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre du Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, au Résident Général de France au Maroc, Rabat, 22 Mars 1914..

إلى الجماعة اليهودية بالدار البيضاء التي أبلغت الرابطة أنها لم تعد قادرة على الاطلاع بواجباتها تجاه المدارس، وهو ما سيثقل كاهل الرابطة ماديا. علما أن مواردها لا تسمح لها بتولي هذه التضحية الثقيلة بمفردها، الشيء الذي يجعل الرابطة تفكر في إغلاق مدارسها بالدار البيضاء، وقد أشارت الرابطة للإقامة العامة أنه بناء على هذا الوضع تأمل في التدخل لتجنب هذه النهاية الخطيرة[1].

لقد شكلت هذه الرسالة بوابة استعطاف الرابطة للإقامة العامة لمساعدة مدارسها بالمغرب، وقد تكلل ذلك بالنجاح خلال اللقاءين اللذين جمعا كلا من رئيس الرابطة نارسيس ليفين، ومدير مصلحة التعليم بالمغرب في يوليوز 1914 بباريس. ومن مخرجاتهما، أن المقيم العام فضل من حيث المبدأ تقديم إعانة قدرها 40000 فرنك معتمدا في ذلك على المعلومات التي تلقاها من القادة الفرنسيين لمختلف المناطق، وفق توصيات محددة بشأن كيفية تقسيم هذه الإعانة التي جاءت على الشكل التالي:

جدول رقم 10: التوصيات المحددة بشأن كيفية تقسيم الإعانة المقدرة بـ 40000 فرنك.

المدينة	مقدار الإعانة المخصصة بالفرنك	مجال صرف الإعانة المخصصة
الدار البيضاء	7000	يحتمل أن تطالب بها الجماعة لتحل محل الإعانة التي يقدمها المجلس البلدي للتقليل من نفقاتها الخاصة بالمدارس
سلا	3000	ستخصص لدفع إيجار المقرات المدرسية
الجديدة	720	ستخصص لدفع إيجار المقرات المدرسية
مراكش	4000	منها 2500 فرنك ستخصص لدفع راتب معلم جديد و1500 فرنك مخصصة للرفع من قيمة الأجور
مكناس	4000	ستخصص على الأرجح لتحل محل الإعانة التي يقدمها المجلس البلدي
الرباط	3000	سيخصص للرفع من قيمة الأجور
فاس	13700	مابين 3000 إلى 4000 فرنك ستخصص للرفع من قيمة الأجور، و10000 فرنك لتحل محل الإعانة التي يقدمها المجلس البلدي
آسفي	1400	ستخصص للرفع من قيمة الأجور
الصويرة	3180	ستخصص للرفع من قيمة الأجور
المجموع	**40000**	

المصدر:

- A.A.I.U., **XLI E 703**, Rapport de Gaston Loth Président (Chef des Services de l'Enseignement), sous titre: "Note pour le Comité Central", adressé au Comité Centrale de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, 24 Juillet 1914.

[1] - Ibid.

إن التقسيم المقترح من طرف الإقامة العامة خيب آمال الرابطة التي رغبت في أن يكون لها الحق في التصرف الكامل في الإعانة المخصصة، بغية تغطية أجور ومستحقات معلميها، الأمر الذي سيخفف العبء على ميزانيتها، مع العلم أن السيد غاستون لوث ما فتئ يشدد على أن أجور معلمي الرابطة منخفضة جدا مقارنة بالتكلفة الباهظة للمعيشة، وأنه يتوجب الرفع من قيمتها للجميع ومضاعفتها على الأقل في بعض المناطق[1].

وما زاد من خيبة الأمل توقيف مؤسسة الحماية للإعانات المقدمة من طرف المجالس البلدية - سواء منها اليهودية أم الإسلامية- لمدارس الرابطة وأهمها بلديات فاس ومكناس والتي تقدر على التوالي بـ 10000 و4000 فرنك قصد تحقيق التوازن في ميزانية المدارس، بذريعة تخوف إدارة الحماية من سوء تدبير هذه الإعانات[2]. ومرد ذلك إلى تخوف بعض المسؤولين البارزين في إدارة الحماية، حيث لم يخف لوث قلقه من أن بعض المسؤولين البارزين في إدارة الحماية لديهم مواقف متحفظة أو معادية لعمل الرابطة بالمغرب وهو موقف تمليه معاداتهم للسامية[3].

وبفعل الأزمة التي سببتها ظروف الحرب العالمية الأولى وتداعياتها الخطيرة على ميزانية الرابطة، التي دفعتها الضرورة إلى أن تطلب من مؤسسة الحماية الزيادة في قيمة الإعانة المخصصة لمدارس الرابطة بالمغرب، على أن يخصص هذا الدعم لسداد أجور موظفي المدارس، وهو ما جاء في رسالة موجهة للسيد لوث بتاريخ 22 ديسمبر 1914 من قبل رئيس الرابطة يقول فيها **«إن مواردنا تقل وتنفذ دون أن تكون هناك إمكانية لزيادتها أو تجديدها، وعلى الرغم من الصعوبات التي تعرفها ميزانيتنا، نريد الإبقاء على جميع مدارسنا تعمل. ولكن لكم من الوقت يمكننا مواصلة هذا الجهد؟ إذا طال أمد الحرب كما يخشى جميع الأطراف ستدعونا الضرورة لتعليق جزء من عملنا. نتوقع منكم أن تمنحونا الدعم الذي نبتغيه، وعليه ستكون قد ساعدت في إنقاذ مدارسنا بالمغرب»**[4].

---

[1] - نعث غاستون لوث الأجور المنخفضة التي تقدمها الرابطة لمعلميها بأنها أجور المجاعة "Salaires de Famine" نظرا لهزالتها، وهو نعت أطلق على الأجور المنخفضة التي كانت تمنح للموظفين والعمال قبل سنة 1917. ينظر:
- A.A.I.U., **XLI E 703**, 24 Juillet 1914, Op. cit.

[2] - Ibid.

[3] - Ibidem.

[4] - A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre du Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, au Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), Rabat, 22 Décembre 1914.

لقد شكلت هذه الرسالة باعثا قويا للمقيم العام ليوطي لكي تباشر مديرية التعليم بأمر من الإقامة العامة ببسط هيمنتها على مدارس الرابطة بالمغرب، بفعل الأزمة التي كرستها الحرب العالمية الأولى التي كان من نتائجها، فقدان الرابطة لقدرتها على تعبئة اليهود الفرنسيين للعمل بمدارسها بالمغرب جراء كثرة الاستقالات المتوالية خاصة من طرف معلميها من ذوي الأصول التركية[1]، وقلة مصادر تمويل الرابطة، الشيء الذي انعكس على أجور معلميها مقارنة بغلاء المعيشة، حتى أن رواتبهم وعلاواتهم لا تكفي، في بلد يتسبب فيه غياب القانون الكامن في ارتفاع أسعار الغذاء وزيادة تكاليف المعيشة كل يوم[2].

وعليه كلف ليوطي غاستون لوث سنة 1915 ببدء التشاور مع الرابطة والبحث عن سبل جديدة لإدارة مدارسها في المغرب[3]، لتنتهي الأمور عند توقيع اتفاقية 10 أكتوبر 1915، التي شملت شروطها تقديم مساعدات مالية للمدارس للرفع من نسبة التحاق الأطفال اليهود بمؤسسات بالتعليم[4].

وفي ظل هذه الاتفاقية تشبثت الرابطة بإمكانية الرفع من نسبة المساعدة السنوية التي تقدمها الإقامة العامة، إلى 100000 فرنك، للحد من النزيف الذي تتعرض له مؤسساتها التعليمية جراء كثرة الاستقالات المقدمة من طرف المعلمين، وتجاههم نحو وظائف أكثر دخلا في البنوك وفي المجال التجاري والصناعي. وهي وضعية غالبا ما أثارها مدير مصلحة التعليم، معلقا أنه إذا استمر هذا الأمر، فإنه سوف يتحول إلى أزمة مزعجة تعيق سير عمل المؤسسات الخاصة

---

[1] - تبعا لتحالفات الحرب العالمية الأولى، فإن تركيا كانت في حالة حرب مع فرنسا، لذلك أجبرت الرابطة على الحد مستقبلا من نسبة المدرسين ذوي الأصول التركية بناء على توجيهات من غاستون لوث، وقنصل فرنسا بتطوان التي ندد بالسلوك الإنتقادي للسياسة الفرنسية والتقييمات المتشائمة لسير الحرب ونتائجها من قبل السيد والسيدة لوباطون Loubaton مديري مدارس الرابطة المدينة نفسها. ينظر:

- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 18 Avril 1917 et 11 Juillet 1917.

- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger: Légation et Consulat, Lettre du Consul honoraire de France à Tétouan à Monsieur Jean Boissonnas Ministre de France, Tanger, Tétouan, 22 Juillet 1917.

[2] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport " Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle ", Tanger 15 Mars 1908,. p. 3.

[3] - توفي رئيس الرابطة اليهودية العالمية نارسيس ليفين سنة 1915، وقد ظلت المنظمة بدون رئيس لمدة 5 سنوات واستمر تسييرها طيلة هذه المدة من طرف أرنولد نيتر "Arnold Netter" الذي كان نائبا للرئيس وهو في الوقت نفسه إبن أخت تشارلز نيتر، في 27 يونيو 1920 انتخبت اللجنة المركزية سيلفان ليفي "Sylvain Lévi" رئيسا للمنظمة. ينظر:

- A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine**, Op. cit,. p. 203.

[4] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 156.

بالرابطة، وهو أمر لا يمكن تجنبه إلا عن طريق تقديم أجور تعادل أجور موظفي مؤسسة الحماية[1]. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الأخيرة أبدت على لسان لوث، أنها متفقة من ناحية المبدإ على تقديم الدعم المالي للرابطة على وفق الميزانية المتاحة، وأنها لم تلتزم في أي وقت من الأوقات برفع المساعدة المقدمة سنويا إلى 100000 فرنك، بحيث يمكن أن يختلف مقدار المساعدة المالية التي تقدم من سنة إلى أخرى[2].

لم تسهم اتفاقية 10 أكتوبر 1915 في تحسين وضعية معلمي ومدارس الرابطة بالمغرب كما كانت تأمل المنظمة الباريسية، فإلى جانب كثرة الاستقالات المقدمة من طرف المعلمين وقف المقيم العام ليوطي في زيارة له إلى مراكش في ديسمبر 1918 على أحوال مدرسي ومدارس الرابطة بالمدينة، ولم يخف إعجابه بالمعلمين والمعلمات الذين يبذلون قصارى جهدهم في تنوير بني جنسهم، فعمد إلى توجيه عدد من الأسئلة إليهم مستقصيا عن أحوالهم الشخصية، وقد أجابوه بعدم كفاية رواتبهم واستحالة العيش بكرامة في ظل الوضع الراهن بالمغرب[3]، وإلى جانب هذا لم يبد ليوطي أي رضى تجاه المدارس التي لا تلقى العناية المناسبة[4].

إن الأمور التي وقف عليها ليوطي، في زيارته هذه، أعطت الضوء الأخضر لغاستون لوث كي يطلق سهام الانتقاد صوب الرابطة اليهودية العالمية، مؤكدا أن الوضع المادي للمعلمين في مراكش وباقي المدن ينبئ بتوالى الاستقالات مستقبلا، ملمحا أن ليوطي طلب منه أن يوجه انتباه الرابطة إلى هذه المسألة، وأنه سيعمل على البحث عن حلول أخرى مخافة ألا يبقى في مؤسسات الرابطة أي معلم[5]، ومتسائلا في الوقت نفسه عن مدى استعداد الرابطة للاستمرار في الحفاظ وتطوير المجموعات المدرسية بالوسائل المتاحة، في كل من فاس، ومكناس، والرباط، والدار البيضاء، والجديدة، والصويرة، ومراكش سواء من حيث أجور المعلمين أم من حيث المعدات

---

1 - A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 01 Janvier 1918 et 14 Juin 1918.

2 - A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 14 Juin 1918.

3 - A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 26 Décembre 1918.

4 - Ibid.

5 - Ibidem.

المتعلقة بالتعليم والتكوين الحديثين، والحرص على إيجاد مبان تتوفر فيها الشروط الصحية التي غالبا ما ينبه إليها أطباء المصالح الصحية[1].

ومما زاد من عجز الرابطة ماليا، إضافة إلى ظروف الحرب العالمية الأولى، هو رفض الجماعات والأسر اليهودية المغربية المساهمة في إنشاء أو صيانة المدارس، لأنهم يعلمون أن المدارس الابتدائية الأخرى الخاصة بمؤسسة الحماية مجانية، والآباء اليهود الذين يدفعون أبناءهم إلى مدارس الرابطة لا يستسيغون كيفية مطالبتهم بأن يقدموا تضحيات مالية لا يطالب بها غيرهم من الأوروبيين أو المسلمين، ففي رأيهم أن هذا الأسلوب كان له ما يبرره قبل إنشاء الحماية، عندما كانت الرابطة لوحدها تتولى مسؤولية تعليم أطفالهم، لكن حاليا، فإن قادة الجماعات مثلهم مثل أرباب الأسر اليهودية يتجهون صوب إدارة الحماية لطلب المساعدة الكاملة منها [2]، وبناء عليه ستجد الرابطة نفسها أمام الحالة التالية[3]:

- النقص في الموظفين بسبب كثرة الاستقالات الناجمة عن ضعف الأجور.
- أزمة مالية ناجمة عن عجز الجماعات اليهودية المحلية، ورفضها مواصلة تقديم مستحقاتها لصيانة المدارس.

لقد تجاهلت الإقامة العامة، في شخص مصلحة التعليم، ما تم التوصل إليه في اتفاقية أكتوبر 1915، بتأسيسها للمدارس الفرنسية الإسرائيلية "Les Ecoles Franco-Israélites" سنة 1916-1917، إلى جانب المدارس الفرنسية الإسلامية لكل من العرب والبربر بشكل مجاني وبدون أية رسوم دراسية، بهدف خلق تسلسل هرمي للمؤسسات التعليمية التي يسيطر عليها الفرنسيون[4]، الشيء الذي رسخ لدى قادة الرابطة بباريس آثار السياسة الخطيرة التي تهدف إلى تقويض نفوذ مدارسهم بين اليهود، خاصة بعدما واجههم غاستون لوث بطريقة مباشرة سنة 1918، بأنه إذا كانت الرابطة غير قادرة على الحفاظ على ازدهار مدارسها بالمغرب، فإن المصلحة تقتضي ترك رعاية تعليم أطفال الجماعات اليهودية بشكل كامل لمؤسسة الحماية[5].

---

[1] - Ibidem.
[2] - Ibidem.
[3] - A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 26 Juillet 1917.
[4] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 156.
[5] - A.A.I.U., **XLI E 703**, Op. cit, Rabat, 14 Juin 1918.

وبالفعل عمدت مديرية التعليم إلى تنفيذ هذه الخطوة مقدمة تطمينات للرابطة على أنها ستحافظ على الخطوط العامة لبرنامجها، بداية بالتعليم الديني الذي يقدمه الحاخامات، والمدارس التي ستنشأ تحت اسم المدارس الفرنسية الإسرائيلية، سيوضع على رأسها موظف من الديانة اليهودية قادر على التوفيق بين متطلبات التعليم الحديث مع الحفاظ على التقاليد[1]، في إطار اتفاقية أكتوبر 1915، وهذه المؤسسات هي: مؤسسات فاس والدار البيضاء ومراكش والجديدة والصويرة، في حين ستتولى مديرية التعليم المسؤولية كاملة على مؤسسات أسفي والرباط ومكناس وسلا وآزمور وصفرو[2]، وهي خطوة اعتبرتها مديرية التعليم بمثابة توجه سيسفر عن نتائج إيجابية لكل من الرابطة والجماعات اليهودية بالمغرب، ولم يكن بوسع الرابطة إلا الذعون لهذا الأمر، وهو ما يستشف من مضامين رسالتين موجهتين من طرف غاستون لوث إلى اللجنة المركزية للرابطة بباريس[3]، لكن الحقيقة الكامنة من وراء اتفاقية أكتوبر 1915 التي عبر عنها مدير إدارة التعليم في 18 فبراير 1918 هي مواصلة الامتداد التدريجي لسلطة فرنسا بشكل حذر، من خلال دعم مؤسسات الرابطة والسيطرة عليها، وهو ما سيجعلهم قادرين على الحد من نشاط هذه المنظمة، وتطهير الموظفين من ذوي الجنسيات غير المرغوب فيها (إسبان، عثمانيين، بلغاريين، نمساويين)، وبالتالي، إخضاعها خطوة بخطوة للسياسة الفرنسية العامة بالمغرب[4].

2) اتفاقية 25 يونيو 1924.

أدركت اللجنة المركزية للرابطة أن مديرية التعليم العام بالمغرب يمكنها أن تدير المدارس بكفاءة ونزاهة، ولكن نظرا لأنها ليست على دراية بعادات ومعتقدات الجماعات اليهودية، فإنها ستكون أقل قدرة من الرابطة على التوفيق بين احتياجات وميول الجماعات مع متطلبات السياسة الفرنسية[5]. متسائلة عن مدى قدرة معلمي إدارة الحماية لأداء مهامهم مثل نظرائهم من معلمي الرابطة؟ وهل سيعملون على خدمة مصالح الجماعات المحلية أفضل من الرابطة؟.

---

[1] - Ibid.
[2] - Ibidem.
[3] - A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 09 September 1918 et 08 Octobre 1918.
[4] - Daniel J. Schroeter, Joseph Chetrit, **"Emancipation and Its Discontents: Jews at the Formative Period of Colonial Rule in Morocco"**, Jewish Social Studies: History, Culture, Society, Vol 13, N° 1, Fall 2006,. pp. 180 - 181.
[5] - A.A.I.U., **XL E 685 e**, Lettre de Joseph Conquy, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 29 Octobre 1919.

عملت مديرية التعليم على طمأنة الرابطة ومعلميها باستمرار عن طريق إبراز الفوائد التي سيتم جنيها من الاتفاقية المبرمة -اتفاقية 10 أكتوبر 1915- وأن إدارة الحماية عازمة على بذل قصارى جهدها لتحسين وضعية المعلمين وتحفيزهم، وأنه لا داعي للقلق المنتشر في وسط المعلمين جراء عقد هذه الاتفاقية[1]، بعد أن توالت التقارير على الإقامة العامة التي تكشف عن محاباة الرابطة للسلطات الإسبانية، حيث وجهت تعليماتها للحفاظ على كل ما هو طبيعي وممتاز مع هذه السلطات، كما وجهت التماسا إلى المفوض السامي الإسباني للزيادة في المنحة التي تم تخصيصها لمدارس الرابطة في تطوان والعرائش والقصر الكبير، وهو الأمر الذي يحيل على إمكانية فقدان سلطات الحماية الفرنسية نفوذها على هذه المدارس، وبالتالي على السكان اليهود[2]، وهي مسألة وقف عندها غودفروي دومومبين Gaudefroy-Demombynes الذي رأى أن تخصيص المدارس الفرنسية الإسرائيلية للجماعات اليهودية بالمغرب كان سببا في التوتر بين الشباب والمعلمين غير اليهود، الذين اتهموهم بانعدام الاحترام واللباقة اللازمة في تعاملهم مع اليهود، وأن معلمي الرابطة هم الوحيدون المؤهلون أكثر من غيرهم للتأثير على التلاميذ اليهود[3]. وبتنامي التأثير الإسباني الذي استغل أزمة الرابطة المالية تنبه لوسياردي Lussiardi قنصل فرنسا للأمر نصحا جون بوازوناس Jean Boissonnas بالحفاظ على الاستقلال المطلق والطابع الفرنسي لهذه المؤسسات، إذا ما أرادت فرنسا أن تحتفظ بنفوذها وسلطتها المعنوية، سواء على مرتادي هذه المدارس أم على باقي السكان اليهود لنشر اللغة الفرنسية التي سيكون لها بالغ الأثر في الهيمنة التجارية الفرنسية[4]. ورأت الرابطة أن عملها في المغرب يتجاوز بكثير مهمة تقديم تعليم ابتدائي للأطفال، فهي تهدف إلى إعادة التأهيل المادي والمعنوي والفكري لجميع اليهود، وتعمل على إدخال عادات النظام في إدارة شؤون الجماعة، مع تشجيع إنشاء مؤسسات اجتماعية وخيرية، والرابطة تؤمن بأن يهود المغرب لم يصلوا بعد إلى مرحلة تمكنهم من تسيير أنفسهم بأنفسهم دون توجيه منها.

---

[1] - A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 06 Mars 1916.

[2] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger :Légation et Consulat, Lettre de Lucciardi Consul honoraire de France à Tétouan, à Monsieur Jean Boissonnas, Ministre de France à Tanger, Tétouan 27 Mai 1916.

[3] - Roger Gaudefroy-Demombynes, **L'œuvre française en matière d'enseignement au Maroc**, Librarie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1928,. p. 204.

[4] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger :Légation et Consulat, Lettre de Lucciardi Consul honoraire de France à Tétouan, à Monsieur Jean Boissonnas, Ministre de France à Tanger, Tétouan 01 Aout 1916.

وبخلاف تصور الرابطة هذا، كانت هناك أقلية قليلة من المثقفين اليهود الذين كانوا سنة 1924 يعدون من خريجي مختلف مدارس الحماية الفرنسية الذين يعتقدون أن المدارس الفرنسية الإسرائيلية هي المؤسسات الوحيدة القادرة على إعداد اليهود ليصبحوا جزءا من الحضارة والثقافة الفرنسيتين، ورأوا أن مدارس الرابطة كانت ذات طابع يهودي، ولم تكن متقدمة بما فيه الكفاية لإعداد خريجين مندمجين ذوي عقلية فرنسية[1]، وبعكس هؤلاء دعم خريجو مدارس الرابطة وقادة الجماعات المحلية الدور الذي تلعبه مدارس الرابطة، إذ هي بالنسبة لهم مؤسسات شبه علمانية تلائم اليهود مقارنة بالمؤسسات العلمانية البحتة التي توفرها مديرية التعليم العام[2].

اعترف جورج هاردي هو الآخر. المعين حديثا على رأس مديرية التعليم، في مقال له سنة 1920[3] بأن المدارس الفرنسية الإسرائيلية تفتقر إلى أي مشروع تربوي خاص، بل لا تكاد تظهر إلا كمكمل لمدارس الرابطة اليهودية العالمية[4]، ولم ينكر أيضا أن التعليم المقدم في هذه المدارس يستهدف عينة تختلف بالكامل عن باقي مرتادي المدارس الفرنسية، وأنه على المدارس أن تتكيف مع البيئة الاجتماعية التي تشتغل فيها، لأن التلاميذ اليهود داخل هذه المدارس هم أقرب إلى عادات الحياة والتعبير عن الأفكار العربية-الأمازيغية منهم إلى الفرنسيين[5]، بعد أن تقرر جعل التعليم بالمدارس الفرنسية الإسرائيلية مطابقا للتعليم المقدم بفرنسا[6].

إن وعي الرابطة بهذه الأمور أوصلها إلى سؤال جوهري وهو، كيف يمكنها الحفاظ على شبكتها التعليمية؟ وهو سؤال حاولت الرابطة الإجابة عنه بخلقها لمنصب مندوب الرابطة بالمغرب، مقيم بطنجة لمد قنوات الاتصال بين اللجنة المركزية للرابطة والسلطات الفرنسية من جهة، والجماعات اليهودية من ناحية أخرى، على أن يقوم هذا المندوب الذي تقدمه اللجنة المركزية، بإدارة المدارس وتوجيهها بتنسيق مع مديرية التعليم العام[7].

---

[1] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. pp. 159-160.

[2] - Ibid,. p. 160.

[3] - Georges Hardy, **"Plan d'études et programme de l'enseignement primaire franco-israélite"**, Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc, 7e Année, N° 24, Octobre 1920,. pp. 420-438.

[4] - Ibid,. p. 420.

[5] - Ibidem.

[6] - للإطلاع أكثر على البرنامج الدراسي المعتمد بالمدارس الفرنسية الإسرائيلية. ينظر:
- G. Hardy, Op. cit,. pp. 420-438.

[7] - أشهر مناديب الرابطة هم على الشكل التالي: ألبرت سجوس Albert Sagues مدير مدرسة طنجة الذي عين بعد ألبرت كونفينو Albert Confino في الجزائر في شتنبر 1939، ويومتوب دفيد سيماخ Yomtob David Semach، الذي سيحل محله روبن تاجوري Ruben Tajouri مدير مدرسة البنين في الدار البيضاء. كما أن صفة مندوب الرابطة بتونس عهد به منذ عام 1935 إلى جاك طاهر Jacques Tahar عوض كليمنت أوزييل Clément

واجهت منظمة الرابطة معضلة مواصلة تشغيل شبكتها المدرسية في ظل الأزمة المالية، ورغبة مديرية التعليم في الهيمنة على الشبكة، وهو ما دفع مندوبها بالمغرب يومتوب دفيد سيماخ Yomtob David Semach سنة 1920، إلى دعم رغبة مديرية التعليم هذه عندما قال **«إن الأوقات تتغير ومؤسسة الحماية تقوم بتطوير نظمها التعليمية الخاصة بالمسلمين واليهود، ومقارنة مع الرابطة، فإن مواردها المالية لا تنضب»**[1]. وتساءل بصراحة عما إذا كان بإمكان الرابطة الاستجابة لجميع الاحتياجات الحيوية للمدارس والجماعات المغربية اليهودية الفقيرة في هذه المرحلة[2]، ولكن على الرغم من حضور المدارس الفرنسية الإسرائيلية بعدد من المدن المغربية إلا أنها لم تستطع الحلول محل مدارس الرابطة أو إغراء أكبر عدد من الأباء اليهود بتسجيل أطفالهم بهذه المدارس التي تقدم تعليما مجانيا[3]. وقد وقف سيماخ خلال جولته بمنطقة الحماية الفرنسية على هذه الحقيقة سنة 1924، واقتنع فجأة بأن مهمة الرابطة في المغرب لم تنته بعد[4]، وبالفعل توصلت مؤسسة الحماية إلى النتيجة نفسها بعدما أدركت أن المعلمين الذين توفرهم السلطات الإسبانية يعملون على تكريس اللغة الإسبانية عبر المدارس الأسبانية العبرية المستحدثة Hispano-Hébraïque[5]، وأن الجماعة اليهودية تشعر بالرضا عن هذه المدارس التي يناسب التعليم المقدم فيها الشباب اليهودي، وتطمح لاحتضانها والحفاظ عليها[6]، وبالتالي شكل ذلك منافسة قوية للنفوذ الثقافي الفرنسي بمنطقة الحماية الإسبانية، علما أن الرابطة تعاني من أزمة مالية تحد من قدرتها على تجديد مدارسها المهددة بالإغلاق من طرف السلطات الإسبانية[7].

Ouziel الذي شغل هذا المنصب خلال الفترة مابين 1900-1935، إلا أن الرابطة لم تعمل على خلق مثل هذا المنصب في فلسطين وسوريا ولبنان والعراق، خوفا على الأرجح من أن تصبح هذه البلدان ذات ميول وجاذبية بالنسبة لنخبة معلميها، وفي ذات السياق لم تخل هذه البلدان من مدراء مميزين لعبوا دور الوسيط بين الرابطة وبقية زملائهم من المدرسين، مثل المدير سيلفر Silver في القدس، في بنصو Penso في بيروت، لاريدو Larédo في بغداد، وكوهن Cohen في طهران. ينظر:

- A. Kaspi, Op. cit,. pp. 296-297.

[1] - A.A.I.U., **LXI E 946 c**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 31 Mars 1920.

[2] - Ibid.

[3] - A.A.I.U., **IV E 82**, Lettre de Joseph Bensimhon, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 15 Mars 1918.

[4] - A.A.I.U., **XLVII E 717 s 2(anc. syst. 8531, n°57)**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 21 Octobre 1924.

[5] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport de la Direction Politique et Commercialee, Tanger, 20 Juin 1916,. pp. 1-6.

[6] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport sous titre "Note sur les Ecoles de Larache", Tanger, 08 Avril 1925.

[7] - Ibid.

وعلى أية حال، قامت السلطات الفرنسية بإعادة النظر فيما يخص مصير مدارس الرابطة، بنهجها لسياسة جديدة أسفرت سنة 1924 عن عقد اتفاق جديد تتنازل فيه عن السيطرة على معظم المدارس الفرنسية الإسرائيلية لصالح الرابطة مع إعادة المدارس التي تم الاستيلاء عليها بعد عام 1915[1]، وجعلها المسؤولة عن تعليم جميع الشباب اليهودي نيابة عن مؤسسة الحماية بدعم كامل من قبل المرشال ليوطي، ولم تكتف السلطات الفرنسية عند هذا الحد بل قدمت اعترافا صريحا بأنها أخطأت عندما خلقت المدارس الفرنسية الإسرائيلية تحت إشراف المعلمين المستقدمين من فرنسا غير المهيئين بشكل كاف. وأن سلطات الحماية مستعدة، ليس فقط لتسليم الرابطة المدارس التي سيطرت عليها قبل 1920، بل جميع المدارس الفرنسية الإسرائيلية التي أنشئت في مدن مثل فاس والدار البيضاء، والصويرة ... وفي وقت لاحق باقي المدارس بباقي المدن[2]. وقد نص الاتفاق إجمالا، على أن تقوم مؤسسة الحماية بتخصيص إعانات سنوية لصالح الرابطة اعتمادا على عدد التلاميذ الملتحقين بالمدارس، والمساعدة في بناء أو تأجير المباني المدرسية بناء على طلب اللجنة المركزية للرابطة[3]، كما ستخضع المدارس لإشراف مفتشي التعليم الابتدائي التابعين لمديرية التعليم العمومي، بالشروط المطبقة على المدارس العمومية نفسها، بحيث لن تقتصر مراقبة المفتشين على النظافة والمعدات فحسب، بل أيضا على أداء المدارس والتدريس والانضباط[4].

إن التحول المفاجئ في السياسة الفرنسية تجاه الرابطة عموما تمليه عدة اعتبارات، منها:

- إصرار الرابطة على مواصلة عملها وسط الجماعات المغربية اليهودية.
- المنافسة الإسبانية للنفوذ الثقافي الفرنسي بمنطقة الحماية الإسبانية.

---

[1] - اقتنعت مديرية التعليم أن المرحلة الممتدة من 1915 إلى 1924 لم تطبق فيها بنود اتفاقية 10 أكتوبر بدقة أو بالشكل الذي يبعث على الارتياح، ما جعل مديرية التعليم تأخذ مسارا آخر، تمثل في خلق المدارس الفرنسية الإسرائيلية، وهي نوع مماثل للمدارس الفرنسية الإسلامية، تدار من قبل معلمين فرنسيين، وقد عرفت نجاحا بعد أن لاقت عددا من الصعوبات. ينظر:

- A.A.I.U., **XLVII E 717 s 1**, Note Présentée à M. le Commissaire Résident Général de la République Française au Maroc par le Directeur Général de l'Instruction Publique des Beaux-Arts et des Antiquités sur la Situation des Ecoles Israélites au Maroc, 30 Juin 1927.

[2] - أعرب جورج هاردي عن أن عملية التخلي عن المدارس لصالح الرابطة لا يمكن القيام به دفعة واحدة، وبغية الوصول إلى نتائج مرضية سيستغرق الأمر من 3 إلى 4 سنوات، وهي المدة التي ستمكن الرابطة من توفير الموظفين اللازمين لمتابعة عملها. ينظر:

- A.A.I.U., **XLI E 696**, Rapport sous titre: "Nos Ecoles au Maroc", au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 04 Décembre 1923.

[3] - A.A.I.U., **XLI E 696**, Convention entre la Directeur Général de l'Instruction Publique, des Beaux Arts et des Antiquités, agissant au nom du Gouvernement Chérifien, et la L'Alliance Israélite Universelle, 18 September 1924.

[4] - Ibid.

- اقتناع السلطات الفرنسية بأن التعليم المقدم من طرف معلمي الرابطة بالمغرب يتمتع بجودة عالية وينبغي الإبقاء عليه.
- التحاق اليهود بالمدارس الفرنسية الإسرائيلية وتلك الموجهة إلى الأوروبيين، قد يجعلهم أكثر اندماجا في الحياة السياسية الفرنسية.
- المكانة التي تحتلها الرابطة لدى الجماعات المغربية اليهودية منذ 1862، وهي مكانة لم تستطع مؤسسة الحماية أن تحد منها في الوسط اليهودي المغربي.

كل هذه الاعتبارات حاضرة في السياسة الفرنسية الجديدة بخصوص التعليم اليهودي، مخافة أن يتحول التقليد الأعمى لنمط الحياة الفرنسية والاستيعاب غير المسؤول إلى مطالب يهودية للمشاركة بشكل أكبر في الحياة السياسية، بل أكثر من ذلك فقد يتطور إلى المطالبة بالجنسية الفرنسية كما في الجزائر، مما يمكن أن يؤثر على العلاقات بين كل من اليهود من جهة، والمسلمين والأوروبيين من جهة أخرى، وهو الأمر الذي ما كان ليوطي ليسمح بحدوثه حفاظا على التسلسل الهرمي الاجتماعي داخل الإمبراطورية الشريفة. إذ في الجوهر، التزم الفرنسيون في المغرب بالصيغ والنهج السياسي العام لليوطي، الذي يقوم على تجنب أي شيء يمكن أن يعادي الأوروبيين دون داع، أو يظهر أنهم أكثر سخاء تجاه اليهود منه للمسلمين، مما يمكن أن يسهم في زعزعة التوازن الاجتماعي الدقيق لعموم السكان الأهالي، وهي مشاكل يمكن تفاديها من خلال تمكين الرابطة من تعليم اليهود تعليما حديثا ولكن ليس إلى الحد الذي يمكن أن يصبحوا فيه أوروبيين، وهو ما لمح له بوضوح شديد غودفروي دومومبين بخصوص هذه المسألة: **«من المؤسف أن الإسرائيليين لا يختلطون بالسكان الأوروبيين، فليس لدينا مصلحة في عزلهم وإبعادهم، ومع ذلك وصولهم إلى المدارس الابتدائية الأوروبية لن يكون مقبولا من قبل العائلات الأوروبية وسيثير المسلمين... (علاوة على ذلك)، فإن يهود المغرب وهم رعايا السلطان، يخضعون لحمايتنا كما هو الحال بالنسبة للمسلمين المغاربة. لا يمكننا تمكين هؤلاء اليهود من الوصول إلى وضع محترم في البلاد اقتصاديا واجتماعيا على حساب أسيادهم بالأمس، إذا ما أعطينا أولوية لتطوير تعليم اليهود فسنكون في وضع يتخلف فيه تعليم المسلمين وراءه، وبذلك سوف نهيئ ظروف الإستياء والاضطراب بين المسلمين... مما سيحدث اختلالا اجتماعيا واقتصاديا عاجلا أم آجلا، وهذا ما نود تأجيله قدر الإمكان»**[1].

الفصل الثامن: تأثير الرابطة على الجماعات المغربية اليهودية.

[1] - R. Gaudefroy-Demombynes, Op. cit,. pp. 206-208.

استندت الرابطة اليهودية العالمية في توسيع تأثيرها ليشمل مجالات متعددة، على أربعة مبادئ سطرتها في كتاب التوجيهات العامة للمعلمين، تنبني بالأساس على إعطاء الأولوية للتعليم الأخلاقي على التعليم الفكري[1].

المبدأ الأول: يكمن في دفع التلاميذ إلى إبراز قدراتهم المعرفية والإدراكية في تفسير الأشياء، إذ عمليات الابتكار والإبداع والقدرة على التفسير والتحليل هي أهم شيء في منظومة التدريس.

المبدأ الثاني: يحث على أن يكون نمط التعليم مبنيا على طرائق من شأنها أن ترفع من معنويات التلاميذ، وتساهم في خلق جو ودي فيما بينهم، وعلى المعلمين أن يتقمصوا دور آباء التلاميذ.

المبدأ الثالث: يقوم على تفعيل دور المدرسة العلمانية على غرار الرسالة الحضارية للاستعمار الفرنسي القائم على قهر العقول أخلاقيا، بالقضاء على العادات السيئة من أنانية ومغالاة، وخرافة... وغرس مبادئ النزاهة والولاء والكرامة، ومحبة الصالح العام.

المبدأ الرابع: ينبني على غرس فضائل حب الوطن والإنسانية، بهدف تعزيز أواصر التضامن اليهودي والتسامح الديني تجاه غير اليهود.

وهو نهج حاولت الرابطة اتباعه لتجعل من التعليم قضية حتمية في عمليتي التحديث والتغيير الاجتماعي والثقافي، عبر الاهتمام بتعليم الإناث وترسيخ مبدأ التكوين المهني باعتباره آلية من آليات الترقي، وبالتالي هل تعليم الأطفال اللغات، والعلوم، والمهن بالضرورة ينطوي على تغيير اجتماعي وثقافي، في ظل بيئة محافظة؟ وهل سيمكنهم ذلك من التخلي عن العادات والتقاليد الموروثة؟ وهل للتكوين المهني دور في درء جوانب النقص في التعليم العام المقدم؟.

1) تعليم الإناث.

يعتبر عام 1865 بداية تحرير المرأة اليهودية الشرقية والمغربية على وجه الخصوص، بعد أن عملت الرابطة على افتتاح قسم لتعليم الإناث ملحق بمدرسة الذكور بتطوان كخطوة أولى، ثم فتحت مدارس الإناث الواحدة تلو الأخرى بشكل سريع جدا. ومن ناحية أخرى، كان هناك شعور قوي بالحاجة إلى تعليم المرأة في المدارس، فالأوساط اليهودية المغربية أبدت حرصا على

[1] - **Instructions Générales pour les professeurs**, Op. cit,. p. 28.

أن تكون المرأة قادرة على تقديم المساعدة، من خلال العمل الذي قد يجلب الرفاهية إلى منزلها[1]. وقد لعب الحاخام صموئيل ناحون Samuel Nahon بتطوان ومن بعده الحاخام السرفاتي Sarfati بفاس دورا مهما في دعم إنشاء مدارس الإناث في الوقت الذي لم يكن فيه توسيع نطاق تعليم الإناث مبادرة مرحبا بها دائما. ويبرز ذلك جليا فيما كتبه جاك بيغارت تعبيرا عن صعوبة إحداث مدارس للبنات **«إذا كان الذكور... قد تم التسامح مع تعليمهم باعتباره شرا ضروريا من قبل العقول المحافظة لتلك البلدان البعيدة، فقد امتد بدوره ليشمل الإناث الصغيرات، وقد بدا وكأنه ابتكار محفوف بالمخاطر»**[2].

افتتحت المدرسة الثانية للبنات في طنجة في عام 1866، وقد سبق افتتاح مدرسة طنجة هذه نداء لليهود في العالم من قبل نرسيس ليفين بتاريخ 1 مارس 1865 يحثهم فيه على المشاركة ودعم مجهودات الرابطة[3]، ومن بين ما جاء فيه **«نحن بحاجة إلى مدارس للبنين. نحن بحاجة إلى مدارس للبنات... ستشكل المدارس أمهات للأسر بالشكل المطلوب لهذا الجيل الجديد... والمدرسة هي العلاج الذي يمكن تقديمه لتحرير الإناث من براثن الجهل، من خلال تعليمهن القراءة والكتابة، وهو ما سيمكنهن من التفكير والبحث عن العمل والتحرر... المهمة عظيمة، ولكن أقل مما نفترض، فلعرقنا بطبيعة الحال روح اجتماعية: لكن الاضطهاد والخوف جعلهم في عزلة عن باقي الناس، والجهل هو الذي ساهم في إخضاع المرأة...»**[4]. ولتحقيق هذه الغاية عمدت الرابطة، تحت غطاء تقديم تعليم مهني محض، يهدف إلى تكوين ربات البيوت الصالحات، وتعليمهن الخياطة والتطريز والترقيع، إلى تلقيهن تعليما عاما يشمل القراءة والكتابة والحساب[5].

---

[1] - Zénaïde Tsourikoff, **L'Enseignement des filles en Afrique du Nord**, Editions A. Pedone, Paris, 1935,. p. 160.
[2] - A. Kaspi, Op. cit,. p. 265.
[3] - N. Leven, Op. cit, T 2,. p. 16.
[4] - N. Leven, Op. cit, T 2,. p. 17.
[5] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport " Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle ", Tanger 15 Mars 1908,. p. 5.

صورة رقم 4: مدرسة الرابطة للبنات بالدار البيضاء.

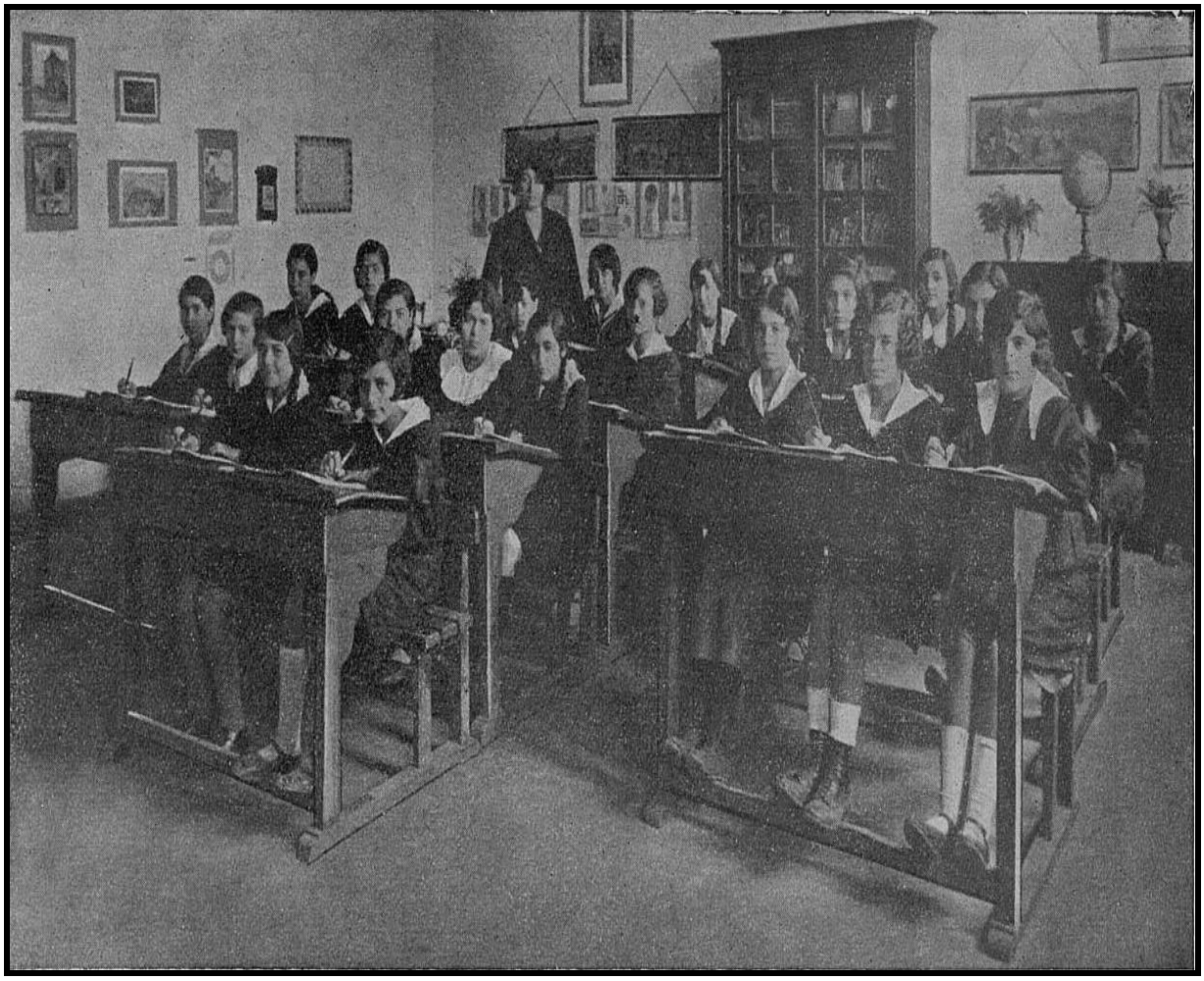

المصدر:

- Protectorat de la République Française au Maroc, **Direction Générale de l'Instruction Publique des Beaux-arts et des Antiquités: Historique (1912-1930**), Op. cit,. p. 44.

وسرعان ما أدركت الرابطة أن النهوض بالأهداف التي سطرتها لنفسها، يقتضي التعامل مع تعليم الإناث بالاهتمام نفسه الذي توليه لتعليم الذكور في الوسط المغربي، حيث كان تعليم الإناث اليهوديات فيه يوازي شكل تعليم الإناث المسلمات. وقد أدت السيطرة الذكورية إلى إبقاء

المرأة اليهودية بعيدة عن الحياة العامة، والحياة التي تعيشها لا تنفك تخرج عن إطار خدمة الزوج ورعاية الأسرة والأطفال، شأنها في ذلك شأن المرأة المسلمة، ولكن المرأة من وجهة نظر الرابطة ليست صالحة فقط للقيام بالأعمال المنزلية وتربية الأطفال، بل يجب أن تتلقى تعليما يجعلها زوجة وأما تتكيف مع الحياة الاقتصادية الحديثة، بالتركيز على أن يحتل التعليم الأخلاقي والعمل اليدوي مكانة بارزة في برامجها[1]، مع تشجيعهن على التحلي بصفات تريد الرابطة أن تكون قاسما مشتركا بين كل التلاميذ بمؤسساتها، مثل: الاستقامة وحب الحقيقة والخير. في حين على الإناث أن يتمتعن بخصال إضافية خاصة، تكمن في الأنوثة والوداعة، التواضع والبساطة، حتى أن الرغبة في التألق من وجهة نظر الرابطة لا ينبغي أن تكون مرتبطة بالمجوهرات ونوعية الملابس، تكريسا للشعور بالمساواة بين الأغنياء والفقراء[2].

لهذا قطعت الرابطة اليهودية مع التقاليد القديمة، وعملت بجد على توفير البنيات المناسبة لتعليم الإناث والذكور على حد سواء، بحيث وصل الرقم الإجمالي للفتيات في مدارسها سنة 1912 ما يناهز 2023 تلميذة، وهو الرقم الذي كاد أن يعادل الرقم الإجمالي للتلاميذ الذكور بمدارس الرابطة الذي وصل إلى 3213 تلميذا[3].

جدول رقم 11: مسار تطور إنشاء وسعة الإستقبال بمدارس الإناث بالمغرب.

المدينة	سنة التأسيس	عدد التلاميذ الإناث	ملاحظات
تطوان	1865	استقبلت 60 تلميذة، وفي سنة 1867 ارتفع عددهن إلى 107، ليصل العدد إلى 450 سنة 1920	عبارة عن قسم ملحق بمدرسة الذكور
طنجة	1866	استقبلت هذه المدرسة سنة 1904، 297 تلميذة، و397 تلميذة سنة 1913	
العرائش	1874	استقبلت هذه المدرسة سنة 1920 ما يقرب من 90 تلميذة	

[1] - **Instructions Générales pour les professeurs**, Op. cit,. p. 99.
[2] - Ibid.
[3] - Protectorat de la République Française au Maroc, **Direction Générale de l'Instruction Publique des Beaux-arts et des Antiquités: Historique (1912-1930)**, Op. cit,. p. 45.

القصر الكبير	1881	حضر هذه المدرسة سنة 1918 ما يناهز 85 تلميذة	
فاس	1899	استقبلت المدرسة عنذ افتتاحها 20 تلميذة، وارتفع الرقم إلى 80 تلميذة سنة 1900، و137 في سنة 1913	
الدار البيضاء	1901	استقبلت المدرسة 161 تلميذة	
مراكش	1901	حضر المدرسة 61 تلميذة وارتفع الرقم إلى 136 تلميذة في سنة 1906	بسبب التوتر السياسي، أغلقت المدرسة سنة 1907 وأعيد فتحها مرة أخرى سنة 1908
آسفي	1906		
مزاغان أو الجديدة	1906		
الرباط	1910	استقبلت المدرسة 110 تلميذة	
مكناس	1910	استقبلت المدرسة 70 تلميذة	
أزمور	1911	استقبلت 50 تلميذة سنة 1913	مدرسة مختلطة
سلا	1914	استقبلت المدرسة 90 تلميذة	

المصدر:

- Zénaïde Tsourikoff, **L'Enseignement des filles en Afrique du Nord**, Op. cit,. pp. 160-162.

لم تخرج مدارس الإناث هذه عن الطرائق المعمول بها في مدارس الذكور من حيث الشكل والمضمون، كما أنها كانت مفتوحة في وجه كل من الإناث المسلمات والمسيحيات على حد سواء، وهن على شاكلة التلاميذ الذكور، فمنهن من يتلقى تعليما مجانيا، ومن يتلقى تعليما مأجورا حسب الوضعية الاجتماعية للآباء، وهو ما يضفي بعدا إنسانيا على عمل الرابطة التعليمي.

حققت الرابطة نجاحا في استقطاب الإناث للمدارس بفعل جملة من الإغراءات المقدمة، إذ يتم الحرص على نظافة الأطفال كل صباح، والإشراف على أمراض العيون ومعالجتها من قبل المعلمين، والمدرسة تعمل على تطعيم النظام الغذائي لهؤلاء الأطفال المحصل عليه داخل أسرهم، والمتمثل في قطعة من الخبز الجاف مدعم بحساء جيد، أو طبق من الخضروات يتم أغرفاقه

بقطعة من اللحم في بعض الأحيان، وبفضل هذه الخدمات المقدمة سرعان ما أصبحت مدارس الرابطة أكثر شعبية بسبب الرفاه الذي توفره للأطفال[1].

صورة رقم 5: تلاميذ الرابطة وهم يتناولون إحدى الوجبات المدعمة من قبل لجنة التوزيع المشتركة (J.D.C.) بمدينة الرباط سنة 1950.

المصدر:

- A.A.J.D.C., **NY_08422**, Children having a Meal at JDC-supported Alliance Israelite Universelle School, Rabat, 1950.

في الذكرى الخامسة والثلاثين لتأسيس الرابطة، أعربت المنظمة عن افتتاح 26 مدرسة للبنات من إجمالي سبعين مدرسة تحتضنها البلدان الإسلامية، ومن بين التلاميذ البالغ عددهم 16350، هناك 5200 فتاة[2]. ويرجع القنصل الإسباني بتطوان رامون لون Ramon Lon تطور أعداد الإناث الملتحقات بالتعليم في رسالة بعث بها إلى رئيس مجلس نواب اليهود البريطانيين (B.D.B.J.) بلندن في 31 ديسمبر 1872 **«أنه جدير بالملاحظة، أن الإناث يحققن**

[1] - Z. Tsourikoff, Op. cit,. pp. 169-170.
[2] - **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 20, 1er et 2e Semestre 1895,. pp. 12-13.

تقدما ملموسا سواء من ناحية التعليم أو التشبث بالعادات والتقاليد، في حين أن التقدم لدى صغار الذكور هو دائما أكثر صعوبة، ونتائجه متأخرة»[1]، والسبب الحقيقي لهذا الاختلاف الملحوظ في نظر القنصل يأتي من العادات التي يتشربها الأطفال في الحي اليهودي، بينما حياة الإناث الأكثر تقييدا كانت تحميهن من تشرب عادات الشارع اليهودي البذيئة[2]، لكن الرابطة ستعطي تفسيرا مخالفا لهذا سنة 1908 بعد أن خلصت إلى أن مدارس الإناث كلها تقريبا أفضل من مدارس الذكور[3]. والسبب الذي تذرعت به لم يكن له علاقة بحياة الملاح وشوارعه، بل في حقيقة بقاء الإناث في المدرسة حتى الانتهاء من دراستهن. الشيء الذي لم يتحقق مع كثير من التلاميذ الذكور الذين ما إن يصلوا إلى المدرسة في أعمار مختلفة، حتى يغادروا جميعا في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة لكسب رزقهم[4].

ومن المثير للاهتمام أن مدارس الرابطة أعطت الأسبقية للمعرفة الدينية المقدمة للذكور على المعرفة الروحانية المقدمة للإناث، وذلك تماشيا مع المفهوم التقليدي لمكانة المرأة داخل الجماعة اليهودية، والنص الديني اليهودي، ويظهر ذلك جليا من خلال مقارنة بسيطة لعدد الساعات المخصصة للتعليم الديني بين كل من مدارس الذكور والإناث الموصى بها في دليل التعليمات العامة للمعلمين سنة 1903، الذي أعطي فيه الأولوية لتعليم الخياطة للبنات بمعدل أقصى يصل إلى 10 ساعات أسبوعيا، مقابل ساعتين للتعليم الديني كحد أقصى[5].

لقد استثمرت الرابطة من الناحية المالية والفكرية بشكل كبير في إنشاء وتوطين مدارس الإناث التي شكلت شرطا لا غنى عنه في عملية التحديث والتغريب[6]، مقتحمة هذا الميدان بخطوات ثابتة بغية تلبية احتياجات الجماعات المحلية، وبهدف تحسين الظروف المادية للمرأة، ورفع مستواها الفكري والأخلاقي، وتكريس الوعي بالكرامة والحقوق، وفهم دورها الحقيقي داخل

---

1 - **B.A.I.U.**, 2e Semestre 1872,. pp. 82-83.
2 - **B.A.I.U.**, 2e Semestre 1872,. pp. 82-83.
3 - **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 33, Année 1908,. p. 27.
4 - Ibid.
5 - **Instructions Générales pour les professeurs**, Op. cit,. pp. 49-50.
6- بالنسبة للتكوين المهني للبنات، فقد كان اختيار المتدربات من الإناث اللواتي تتراوح أعمارهن بين 12 و 14 سنة، اللواتي التحقن بمدرسة الرابطة والقادمات من عائلات فقيرة. وكان على الآباء أن يقدموا تعهدا كتابيا بترك بناتهم مسجلات في ورش العمل حتى نهاية تدريبهن المهني لما يناهز ثلاث سنوات. لأنه إن لم يكن مستحيلا، يصعب إقناع الآباء بترك بناتهم لكي يتلقون تكوينا مهنيا في الورش الخاصة بالمدينة، وهو ما حتم على الرابطة وضعهن في ورش عمل مرتبطة بمدارسها، على عكس طريقة التكوين المهني المقدمة للمتدربين الذكور. ينظر:
- A. Kaspi, Op. cit,. pp. 274-275.

الأسرة[1]، على غرار النموذج الغربي للمرأة البرجوازية[2]، فمن خلال تثقيف المرأة (كزوجة وأم) يتم تثقيف الجماهير.

2) التكوين المهني.

راكمت الرابطة سنوات من الخبرة والتجربة مكنتها من أن تخلص إلى أن التثقيف وحده غير كاف، على الرغم من أن المدارس هي حجر الأساس في تجديد وتطوير الجماعات اليهودية. لكن تأثيرها يمكن أن يظهر على المدى الطويل، لكن الغرض من برنامج التكوين المهني هو تحقيق نتائج فورية قصيرة المدى[3]. وعليه استأنفت اللجنة المركزية بباريس حملة تطوير التعليم المهني الحديث بغية تعزيز الحضور اليهودي في المهن الحديثة، بعد فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912، وهو ما دفع الرابطة إلى التفكير في إنشاء مدارس مهنية ثانوية لدى أهم الجماعات المحلية على الأقل؛ لأن الفرص التي تقدمها الرابطة تنتهي بنهاية التعليم بمؤسساتها الابتدائية، ولا يمكن للتلاميذ متابعة الدراسات الثانوية المؤدية إلى البكالوريا إلا في المدارس الثانوية الأوروبية التي تديرها عادة البعثة الثقافية الفرنسية، في حين شكلت المدرسة العبرية العادية بالدار البيضاء Ecole Normale Hébraïque (E.N.H.) الاستثناء الوحيد أمام خريجي مدارس الرابطة الذكور فيما بعد[4].

وجدت الرابطة في عدد من الشخصيات المؤثرة سندا في توجهها الجديد، مثل يحيى زاغوري Yahya Zagoury رئيس الجماعة اليهودية بالدار البيضاء الذي كتب إلى الرابطة سنة 1925، مبرزا آمتنامه لها على الجهود التي بذلتها نيابة عن اليهود على مدى السنوات الثلاث والستين الماضية، لكنه اعتبر أن الأهداف المتوخاة للمنظمة لا تزال بعيدة المنال، وأشار إلى أن الدار البيضاء تجتذب أعدادا كبيرة من يهود المناطق الداخلية الذين هم في الغالب من فئات اجتماعية متواضعة، وعند وصولهم كان على الجماعة عبء توفير عمل لهم، وهو ما استحال في

---

[1] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine**, Op. cit,. p. 190.
- **Vingt-cinquième anniversaire de la fondation de L'Alliance Israélite Universelle**, Op. cit,. p. 80.
[2] - E. Benbassa, **"L'éducation féminine en Orient"**, Op. cit,. p. 537.
[3] - A. Kaspi, Op. cit,. p. 238.
[4] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. pp. 27-28.

بعض الأحيان، ثم أكد أنه من واجب مدارس التعليم الابتدائي أن تبدأ في تقديم تعليم مهني على نطاق واسع لمكافحة البطالة المتفاقمة[1].

وفي ذات السياق وجه فيليكس غودج Félix Guedj أحد وجهاء الجماعة اليهودية بالدار البيضاء هو الآخر، رسالة إلى المقيم العام ثيودور ستيغ Théodore Steeg في يناير 1926 يوضح فيها دوافع هذا التوجه: **«إن الساكنة اليهودية، خاصة بالمدن الكبرى تتزايد باستمرار، وهو وضع تتولد عنه مخاطر واضحة تتبدى على محيا وجهاء مدينة الدار البيضاء... ويمكن تلخيص هذا الخطر في كلمة واحدة: البؤس، الذي سيعم في غضون سنوات قليلة الوسط اليهودي الفقير، لأنه على الرغم من كل الجهود وجميع المبادرات السخية، سيكون من المستحيل تماما التوصل إلى أي حلول... هناك حل واحد نأخذه بعين الاعتبار... دفع الأطفال والشباب وتوجيههم للعمل اليدوي أو الصناعي أو الزراعي... (إن الحل يكمن في) تشكيل لجنة من أولويات برنامجها: إنشاء مدرسة مهنية...»**[2]، وقد وافق المقيم العام على هذه المبادرة، وعلى ترأسه بشكل فخري للجنة المشرفة على إنشاء المدرسة، وأكد على أن المبادرات من هذا القبيل أحب إليه من المبادرات الإحسانية والخيرية، لكونها تؤسس لمستقبل المغرب المنشود[3].

إن الدوافع التي جعلت من غودج يوجه رسالة إلى المقيم العام ستيغ باسطا من خلالها أهم الأمور التي يجب بناء عليها دعم مشروع الرابطة في تأسيس مدرسة مهنية بالدار البيضاء، معززا ذلك بعدد من الوقائع والنتائج التي عادت بالإيجاب على الجماعات المغربية اليهودية، وأهمها الحركية والدينامية التي عرف بها مدراء ومعلمو الرابطة بالمغرب الذين لم يدخروا جهدا في إنشاء أوراش عمل صغيرة تحت رعاية الرابطة في جميع أنحاء المغرب، ولم يكتفوا بهذا القدر بل عملوا على البحث عن وظائف لخريجي المدارس الابتدائية بصفتهم متدربين، وهو تكتيك معتمد من فترة ما قبل الحماية، وذلك بالاتفاق مع بعض الأوروبيين الذين يعيشون في المغرب على توظيف عدد كبير من الشباب اليهودي في أعمالهم التي تقع في الأحياء الأوروبية

[1] - A.A.I.U., **VII B 1.04**, Lettre de Yahya Zagoury, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 20 Juin 1925.
[2] - Félix Guedj, **L'enseignement professionnelle à Casablanca**, L'Avenir Illustré, N° Spécial, Décembre 1928,. p. 12.
[3] - Ibid.

المبنية حديثا[1]، وهو ما ساعد الشباب اليهودي وأعطاهم دافعا للبدء في التأسيس لحياة غير الحياة التي عاشوها في الملاح.

وقد انخرطت، في هذا السبيل، أيضا جمعيات قدماء تلامذة مدارس الرابطة اليهودية العالمية بالمغرب[2]، وأهمها جمعية قدماء تلامذة مدارس الرابطة بالدار البيضاء التي استطاعت أن تجد لـ 98 متدربا عملا في تخصصات مختلفة وهم على الشكل التالي:

رسم بياني رقم 3: عدد التلاميذ الذين تم دمجهم في الحياة العملية من قبل جمعية قدماء تلامذة الرابطة بالدار البيضاء سنة 1927.

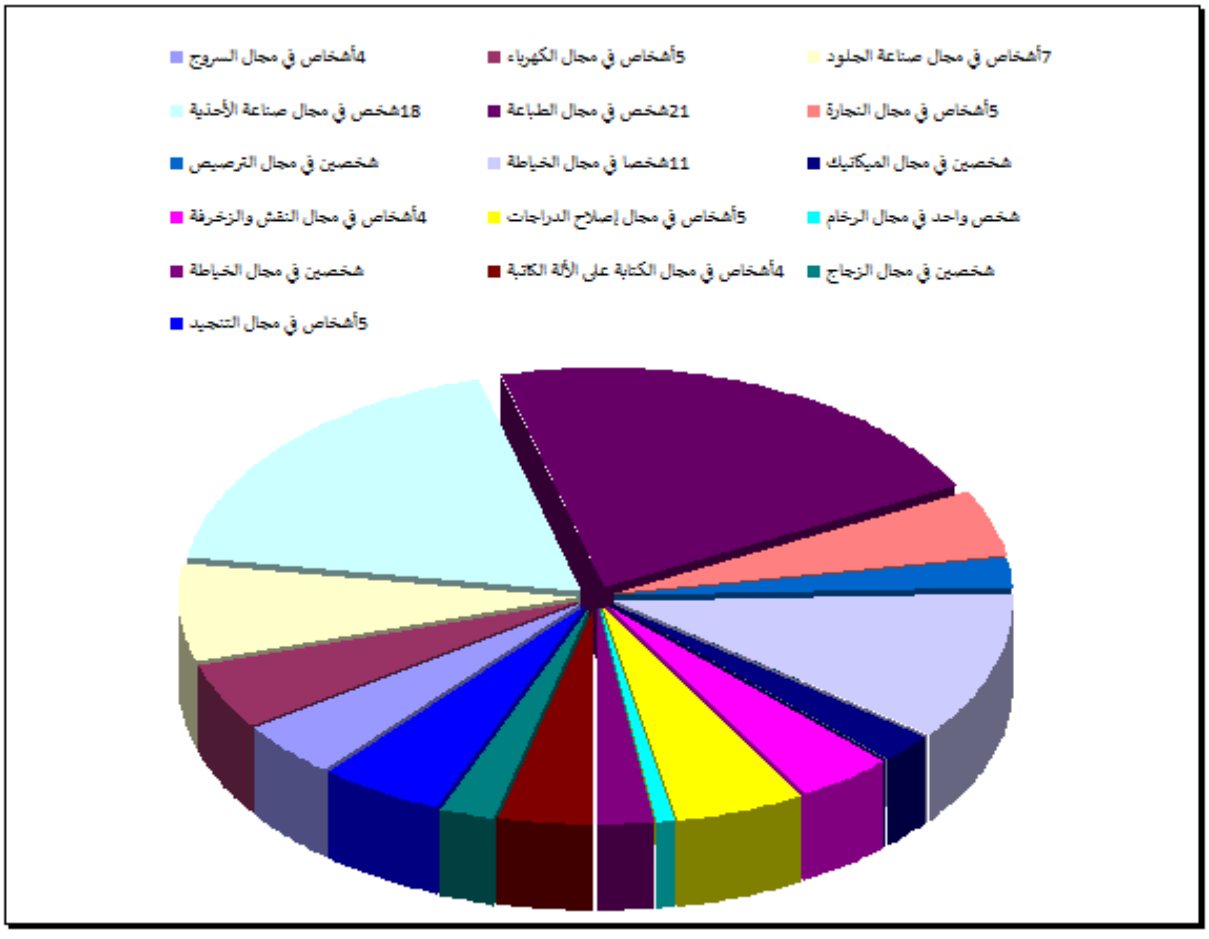

المصدر:

- A.A.I.U., **IX E 172 a**, Rapport de Reuben Tajouri, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 22 Février 1927.

[1] - A.A.I.U., **IV E 87**, Lettre de Moïse Bibasse, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 02 Juin 1925.

[2] - C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport "Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle", Tanger, 15 Mars 1908,. p. 6.

واصلت جمعية قدماء تلامذة مدارس الرابطة بالدار البيضاء جهودها في دمج اليهود في الحياة المهنية الحديثة بوتيرة متصاعدة، إذ أشار تقرير للجمعية بالدار البيضاء في 22 نونبر من سنة 1927، على أنهم وضعوا **«... 110 من الخريجين -خريجي مدارس الرابطة-، كعمال متدربين في مختلف المصانع وورش العمل اليدوية المحلية. ويتم مراقبتهم وتتبع وضعيتهم عن كثب، وتوفر الجمعية لهؤلاء المتدربين الملابس والطعام ومبلغ 30 فرنكا في الشهر لمدة عام، وبفضل هذه التحفيزات فإنهم يثابرون في تعلمهم وغالبا ما يصلون إلى نتائج مشجعة»**[1]. وقد ساهمت هذه المنح في الرفع من عدد الملتحقين بالتكوين المهني نظرا للفرص الواعدة التي يوفرها هذا النوع من التعليم بالنسبة لليهود في إيجاد عمل مربح.

تعود هذه الاستراتيجية في تكوين الحرفيين اليهود إلى داود كازيس David Cazès مدير مدرسة فولوس Volos في اليونان العثمانية سنة 1872 بعد حصوله على موافقة اللجنة المركزية. وعلى وفقه، كانت المشكلة الرئيسة لليهود الشرقيين، تكمن في البؤس الاقتصادي العميق الذي كانوا منغمسين فيه، بحيث إن كل هؤلاء الأطفال فقراء جدا ومعدمون. وهم لا يهتمون كثيرا بالتعليم ولا يدخل ضمن أولوياتهم، إلا بعد تحقق شرط توفير ما يكفي من الطعام[2]، وإزاء هذه الوضعية لم يكن كازيس راضيا على المهن التي يتقلدها خريجو المدرسة الذين ينخرطون في العمل نفسه الذي يزاوله آباؤهم، وبالتالي يساهمون في استدامة العلل الاجتماعية ذاتها من خلال مشاركتهم في استمرار الوظائف والمهن غير المستقرة، مثل الباعة المتجولين. ولتغيير هذا الوضع، اقترح نظاما للتعليم يتضمن وضع التلاميذ المتدربين لدى الحرفيين ذوي الخبرة في المدينة، ويقوم المدير بالإشراف ومراقبة عمل هؤلاء المتدربين في ورش العمل، مع ضمان مواصلة تعليمهم من خلال إعطائهم دروسا قبل العمل وبعده[3].

الاستراتيجية نفسها طبقها صمويل هيرش Samuel Hirsch مدير مدرسة الرابطة بطنجة سنة 1873، بعد أن اعتمدت اللجنة المركزية هذا النظام الجديد في التعليم مستشرفة فضائله ونجاعته، الشيء الذي سيشجعها على اتخاذ خطوة أخرى في سنة 1882 بإنشاء مدرسة القدس المهنية، التي قدمت دورات تدريبية أقوى وأطول في مجال الحرف اليدوية والصناعة،

---

[1] - A.A.I.U., **III E 52**, Lettre de l'Association des Anciens Elèves, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca 22 Novembre 1927.
- R. Spector Simon, M. M. Laskier, S. Reguer, Op. cit,. p. 153.
[2] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine**, Op. cit,. p. 172.
[3] - A. Kaspi, Op. cit,. pp. 237-238.

مستقطبة بذلك أفضل المتدربين في شبكة الرابطة التعليمية إليها لاستكمال تكوينهم، واستمرت الرابطة في تدعيم مدارسها بإحداث أقسام وورش للتكوين المهني حتى أصبحت تتوفر سنة 1908 على ثلاثة وثلاثين برنامجا للتكوين المهني للبنين في شبكتها بما في ذلك مدرسة القدس المهنية[1].

وسيرا على خطى الحكومة الفرنسية التي افتتحت مدرسة مهنية بطنجة سنة 1918[2]، والمدرسة الصناعية بالدار البيضاء Ecole Industrielle de Casablanca، افتتحت الرابطة أيضا مدرسة مهنية بالدار البيضاء سنة 1927، وهو ما شكل نقطة تحول مهمة في عمل الرابطة بالمغرب، بحيث التحق بها خمسة وخمسون متدربا في نهاية سنة 1927، منهم سبعة وعشرون خريجا من المدرسة الفرنسية الإسرائيلية بالدار البيضاء وثمانية وعشرون خريجا من مدارس الرابطة[3]، وسيليها سنة 1936 مؤسستان مماثلتان في كل من فاس، والرباط، في محاولة منها لتجنيد الشباب للعمل بالمؤسسات والشركات الأوروبية، سعيا وراء خفض عدد المقرضين والباعة المتجولين اليهود، معتبرة أن مثل هذه «المهن» لم تعد قادرة على الاستجابة لحاجيات التقدم الاقتصادي[4].

وعليه لم تقدم الرابطة تعليما مهنيا جافا، بل حرصت على إعطاء دروس عامة من قبيل: اللغة الفرنسية، والحساب، والهندسة، وعدد من العلوم المساعدة في عملية التكوين المهني، وعيا منها أن إدارة الحماية تخشى عدم استطاعة اليهود توظيف مكتسباتهم التعليمية، أو أن يكون تطوير التعليم المهني أسرع من التطور الاقتصادي للمغرب. فبالنسبة لها ليس من الضروري أن يتضاعف عدد المهنيين والحرفيين ما لم يستوعبوا المعرفة بما فيه الكفاية، ما دام التكوين في المهن والحرف سطحيا وجافا، ومن شأن ذلك أن يحدث اختلالا في التوازن الأخلاقي للمتعلم، وانعدام الفهم المتبادل للجيل الجديد والجيل القديم[5]، لذلك أخضعت المدارس والورش المهنية لتتبع

---

[1] - Ibid.

[2] - A.A.I.U., **LXII E 946 e**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 26 Mai 1925.

[3] - A.A.I.U., IX E 172 a, Lettre de Ruben Tajouri, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 24 Novembre 1927.

[4] - Jacques Taieb, **Regards sur le Tunis juif de la "Belle Epoque" 1895-1913**, Les Nouveaux Cahiers, N° 60, Printemp 1980,. p. 44.

[5] - R. Gaudefroy-Demombynes, Op. cit,. pp. 207-208.

دقيق من قبل إدارة التعليم العام، والتي تقود المتدرب بعد ثلاث سنوات من الدراسة لاختبار شهادة الكفاءة المهنية التي تتوافق مع نوعية وصنف المهنة[1].

تأسست العلاقة بين كل من الرابطة اليهودية العالمية وإدارة الحماية بالمغرب على المصالح المتبادلة بين كلا الطرفين، فمصلحة الرابطة تتمثل في مدى رسوخها في الوسط اليهودي المغربي الذي يضمن الاستمرارية الطبيعية للعمل الذي تضطلع به لردم هوة التباين الثقافي والاجتماعي بين كل من الشرق والغرب، ثم الدور الذي يمكن أن تلعبه الحماية الفرنسية القائمة على بعث ونشر الرسالة الحضارية لفرنسا في الوسط الشرقي المتخلف. لذلك كانت مصالح الطرفين تسيير بالتوازي في تجاه تعميم مكتسبات، ومعالم التحضر، والرقي الغربي، وإن كان ذلك بأساليب وآليات مختلفة.

اصطدمت مصالح الطرفين بظروف الحرب العالمية الأولى التي حالت دون تحقيق الرابطة لأي تقدم في مجال اختصاصها بفعل نقص الموارد المالية والبشرية، وبالرؤية الاستراتيجية للإقامة العامة في مجال التعليم بالمغرب، لتنشأ عن ذلك اتفاقية أكتوبر 1915 التي ستفقد الرابطة بموجبها مسؤولية الإشراف على مدارسها لما يناهز عشر سنوات، لصالح مديرية التعليم العمومي التي ستعمل بدورها على استحداث المدارس اليهودية الفرنسية التي ستسبب شرخا في التوازن التربوي لليهود؛ لأن مؤسسة الحماية لم تراع في هذا النوع من التعليم خصوصيات الجماعات اليهودية وما يمكن أن يثير من حزازات عرقية، وهو الأمر الذي ستتفطن له سنة 1924 بعد أن تشكلت لديها قناعات بضرورة إعادة ترتيب الدور الذي يمكن أن تلعبه الرابطة في مجال التعليم اعتبارا للتاريخ المتميز لهذه المنظمة في مجال تعليم اليهود، إضافة إلى استحضار قراءة سياسية متعلقة بالمطالب اليهودية بمنح الجنسية الفرنسية.

أدركت الإقامة العامة المكانة المتميزة التي تحصلت الرابطة عليها لدى المغاربة اليهود وأهلتها لأن تنطق بلسان حالهم، خاصة وأن طبيعة هذه المطالب المقدمة تعتبر موضوعية على الرغم من صعوبة تحقيقها، إلا أنها شكلت بدورها صمام أمان يحول دون انفجار أوضاع اليهود بالنظر للدور والخدمات التي تقدمها، خاصة في مجال التعليم والتكوين المهني اللذين شكلا منفذا لتحقيق مطلب مهم من مطالب اليهود القاضية بتوفير فرص الشغل وتحقيق حياة كريمة.

[1] - **Enseignement professionnel dans les écoles de l'A.I.U au Maroc**, Op. cit,. p. 8.

الباب الرابع

الرابطة اليهودية وقضايا اليهود خلال فترة الحماية.

سنعرض في هذا الباب لمسألة الرسوخ الذي تمتعت به الرابطة داخل الوسط اليهودي المغربي، بفعل المهام التي زاولتها في حياة الجماعات اليهودية، وجعلها ممثلة بشكل ضمني لهم ومشرفة على مستقبل المغاربة اليهود، نظرا للحظوة التي اكتسبتها المنظمة ورجالاتها داخل الأوساط اليهودية وغير اليهودية بالدول الغربية. ونظرا لكونها تمتلك من المقومات والبرامج المسطرة ما يؤهلها لاحتلال هذه المكانة في نظر المغاربة اليهود والشرقيين كافة وفي نظر سلطات الدول الغربية بالخصوص.

هذه الحظوة ستدفع الرابطة لتتبوأ مكانتها بصفتها مدافعا عن المغاربة اليهود وممثلا لقضاياهم أمام سلطات الحماية الفرنسية، سواء من ناحية المطالبة بالتجنيس الجماعي أم من حيث المساواة في الحقوق المدنية والسياسية. وحفاظا على مكانتها هذه وقفت الرابطة في وجه الحركة الصهيونية ومشروعها بالمغرب إلى اللحظة التي أدركت فيها الرابطة أنه قد آن الأوان لمراجعة أهدافها ومبادئها، وذلك تبعا لمستجدات الساحة الدولية بعد الإعلان عن تأسيس دولة إسرائيل، وتطور خط مطالب الحركة الوطنية من مطالب إصلاحية مستعجلة إلى مطلب الاستقلال.

والباب نفسه ضمناه بعض أوجه حصيلة هذه المنظمة في مجال التعليم بالوسط اليهودي المغربي الذي تبدى في جمعيات قدماء التلاميذ، والدور الذي اضطلعت به هذه الجمعيات، وفي قدرة الرابطة على تغيير الهيكل المهني للمغاربة اليهود من خلال تبنيها لبرامج التكوين المهني، ومساهمتها في الحد من زواج الأطفال القاصرين، وبالتالي الحد من تأثير الأعراف والتقاليد، الذي ما كان ليتم لولا إدخال تغيير على بنية المدارس الحاخامية نفسها، إلا أن هذه الحصيلة اسطدمت بجدار الهجرة صوب أرض الأجداد أو في تجاه دول الغرب المتحرر، الشيء الذي أضعف من تواجد مؤسسات الرابطة بالمغرب مع استمرار نزيف الهجرة.

كل هذه المواضيع التي سيتم معالجتها في هذا القسم من البحث ستنبني على عدد من الأسئلة المحورية التي حصرناها في مدى تحول ارتباط تحديث، وتحرير اليهود عبر قناتي التربية والتعليم في مفاهيم الرابطة إلى عملية إجرائية مرتبطة بالتجنيس الجماعي؟ وعلى طبيعة المعارضة التي اضطلعت بها الرابطة في مواجهة الدعاية الصهيونية بالمغرب؟ وماهية الظروف والعوامل التي حالت دون تشكيل قطب وطني يهودي/ مسلم قادر على صياغة مطالب إصلاحية موحدة؟ ثم محاولة الوقوف على حصيلة الدور التعليمي للرابطة.

الفصل التاسع: موقف الرابطة من بعض القضايا المطروحة على الساحة المغربية خلال فترة الحماية.

شكلت معاهدة الحماية مرحلة مفصلية في تاريخ المغرب بعد أن أصبحت السيادة فيه للدول الحامية، وبطبيعة الحال سيصاحب ذلك تغيير في طبيعة المطالب المرفوعة من قبل الرابطة اليهودية نيابة عن اليهود بالمغرب لتحسين وضعهم الأخلاقي والمادي، وهو الأمر الذي سيؤطر علاقتها بمؤسسة الحماية التي جلبت أنوار الحضارة الغربية عن طريق الاستعمار.

وحفاظا على المكتسبات التي يمكن للاستعمار ترسيخها وينال منها اليهود الحظ الأوفر في نظرهم، كان لزاما على الرابطة أن تؤسس لموقف صريح تجاه الحركة الصهيونية تماشيا مع إيديولوجية ومتطلبات الوضع القائم بالنسبة للحماية الفرنسية، وهو الواقع نفسه الذي أطر علاقتها بدعوات الحركة الوطنية لليهود لصالح تنسيق الجهود في إطار المطالبة بالإصلاحات.

1) علاقة الرابطة بمؤسسة الحماية.

انبنت أولى العلاقات بين الرابطة ومؤسسة الحماية الفرنسية على الدفاع عن مجموعة من مطالب ممثلي الرابطة نيابة عن اليهود، لأجل إدخال إصلاحات قضائية فرنسية، وذلك لإيمانهم بأن الجمهورية بإمكانها رد الجميل لهم بعد أن أنجزوا نصيبهم من عمل الاختراق، ويسروا مأمورية فرنسا في بسط حمايتها على المغرب[1] باستيعابهم كما فعلت مع إخوانهم في فرنسا والجزائر، وذلك إما بتوسيع دائرة القوانين والمؤسسات الفرنسية، أو بمنحهم الجنسية الفرنسية، بذريعة أن المبادئ الدينية لليهود يمكنها استيعاب القوانين المدنية المشتركة للجميع، إذ لم يعد ممكنا ربط اليهود بالمسلمين. فكل واحد يجب أن يتطور بحرية على وفق كلياته، وتقاليده وإمكانياته[2]، ومن هذا كله ليس لليهودي المغربي غرض معين، فهو مدين بكل شيء لفرنسا، التي يحبها فوق كل شيء، ويخدمها بتفان في كل مناسبة[3].

فبالنسبة للرابطة والمغاربة اليهود تسبق مسألة الجنسية كمسألة قانونية، قضية الجنسية كمسألة هوية، وقد عبر عن ذلك في الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس الرابطة، حيث خصصت

---

[1] - Y. D. Semach, **L'avenir des israélites Marocains (II), Paix et Droit**, Huitième Année, N° 6, juin 1928,. p. 4.
[2] - Y. D. Semach, **L'avenir des israélites Marocains, Paix et Droit**, Septième Année, N° 6, juin 1927,. p. 10.
[3] - Ibidem.

فقرة تحت عنوان الاضطهاد القانوني Persécution légale[1] للإشارة إلى حاجة اليهود لحماية أجنبية تقيهم التحيز المتأصل في القوانين والمحاكم المحلية.

ارتأت الإقامة العامة بقيادة الجنرال ليوطي أن الحكمة السياسية تقتضي التوفيق بين المصالح السياسية لفرنسا، وبين العادات والأعراف والقوانين التي يمارسها المخزن لقرون، والتأكيد على أن جميع المغاربة يهودا ومسلمين هم رعايا للسلطان، لكن الرابطة ما فتئت تطالب بالمساواة بشأن التقاضي أمام المحاكم الفرنسية بعد أن عملت السلطات الفرنسية والإسبانية، وسلطات المنطقة الدولية على إلغاء نظام الحماية والمحميين بمجرد توقيع عقد الحماية[2]، وقيام فرنسا باستصدار ظهير 12 غشت 1913 الذي بموجبه أنشئت محاكم فرنسية مستقلة عن محاكم السكان الأهالي للنظر في القضايا التي يكون أطرافها فرنسيين أو رعايا فرنسيين[3]، لكن واقع الحال استدعى من ليوطي إدخال إصلاح قضائي يهم الأحوال الشخصية التي تختص بمسائل تسجيل المواليد والطلاق والميراث التي ينظمها القانون الموسوي بالاستشارة مع عدد من الشخصيات اليهودية المؤثرة مثل ناحوم سلوشNahum Slouschz، ويحيى زاغوري Yahia Zagury، وكبير حاخامات سلا رافايل انقاوا Raphaël Ancaoua، غير أن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون تحقيق ذلك في وقت مبكر بسبب استدعاء ليوطي إلى باريس لتقلد مهام وزارة الحرب من شتنبر 1916 إلى غاية ماي 1917[4]، وهو ما تكلل في وقت لاحق بإعادة تنظيم المحاكم اليهودية بالمغرب بإنشاء المحكمة الحاخامية العليا بالرباط Haut Tribunal Rabbinique بناء على ظهير 22 ماي 1918[5]، وهذا الإصلاح غير المتوقع من قبل اليهود خيب آمالهم وآمال ممثلي الرابطة بالمغرب الذين سعوا بكل جهد للحصول على الجنسية الفرنسية لليهود والتقاضي أمام المحاكم الفرنسية.

---

[1] - **Vingt-cinquième anniversaire de la fondation de L'Alliance Israélite Universelle**, Op. cit,. pp. 29-30.

[2] - أولت اللجنة المركزية للرابطة اهتماما جادا بالإصلاح القضائي الذي يمكن تطبيقه بالمغرب بعد أن انتفت مسألة الحمايات القنصلية مع توقيع معاهدة الحماية في 1912، الشيء الذي سيزيل امتياز الاختصاص الذي يتمتع به عدد مهم من اليهود المحميين، ويضعهم تحت طائلة سلطة المحاكم المغربية. واعتقدت اللجنة المركزية التي درست التجربة في تونس أنها ستكون غير عادلة، والضمانة الوحيدة لتطبيق العدل تكمن في السماح لليهود المغاربة بتسوية نزاعاتهم في المحاكم الفرنسية التي ستنشأ في المغرب. ينظر:

- **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 38, Année 1913,. pp. 87-88.

[3] - **B.O.**, Dahir relatif à l'Organisation judiciaire du protectorat Français du Maroc, Numéro Spécial (Hors Série), N° 19, 12 Septembre 1913,. pp. 9-12.

[4] - Daniel J. Schroeter, Joseph Chetrit, **"Emancipation and Its Discontents"**, Op. cit,. pp. 181-185.

[5] - **B.O.**, Dahir du 22 Mai 1918 (11 Chaabane 1336) portant institution d'une Haut Tribunal Rabbinique, Septième Année, N° 292, 27 Mai 1918,. pp. 524-525.

ومع ذلك، لم يكن أي من اليهود المتعلمين أو الرابطة اليهودية على استعداد للتنازل على هذا المطلب، ففي وقت مبكر من سنة 1912 التقى ألبرت ساجوس Albert Saguès عن مدرسة الذكور بالدار البيضاء مع الجنرال ليوطي لتداول وضعية يهود سطات والدار البيضاء. وأثناء مداولاتهم، أعرب ليوطي لساجوس بأنه صديق مخلص لليهود، لكنه اتهم فئات يهودية مختلفة في المنطقة الفرنسية بتقديم يد العون للمصالح الإسبانية، كما أبدى غضبا على وجه الخصوص من الجهود التي يقوم بها يهود الدار البيضار للحصول على الجنسية الإسبانية، لأنه لم يستطع فهم سبب مطالبة اليهود بالجنسية من بلد اضطهدهم وطردهم، و الغضب نفسه دفعه للتساؤل عما إذا كان اليهود يرغبون في تقويض النفوذ الفرنسي في المغرب[1]، وقد اعتبر ساجوس اللهجة الحادة لليوطي عبارة عن رسالة قوية وواضحة تجاه كل المظاهر المؤيدة لمدريد، وحذر من أن مثل هذه الخطوات قد تؤدي إلى حدوث شرخ في العلاقة بين الإقامة العامة واليهود[2].

أظهر ساجوج لليوطي أن اليهود يفضلون الجنسية الفرنسية وأن مطلبهم للجنسية الإسبانية ما هو إلا حصيلة ناتجة عن عدم تحمس فرنسا لمطلب التجنيس، وبالتالي هم يقصدون وجهات أخرى لتغيير وضعيتهم القانونية[3]، إلا أن ليوطي أكد بما لا يدع مجالا للشك أنه من المعارضين لمرسوم كريميو الذي منح الجنسية الفرنسية لليهود بالجزائر بشكل جماعي، غير أنه لم يستبعد في الوقت نفسه إمكانية إجراء عملية اختيار دقيقة، حيث تقوم مؤسسة الحماية بفحص المرشحين الأفراد للحصول على الجنسية الفرنسية بمجرد أن يتم استيعابهم بشكل كامل في الثقافة الفرنسية[4].

ورغم ما صرح به ليوطي، فإن عزيمة الرابطة لم تلن، وعقدت العزم على متابعة هذه القضية التي تصدر لها ثلة من المتنورين المتنفذين الذين نهجوا استراتيجيات مختلفة لبلوغ هدفهم. تمثلت في محاورة المسؤولين الفرنسيين للتأكيد على الحاجة إلى التجنيس على نطاق واسع لفئة خضعت لمختلف أوجه عدم المساواة السياسية والقانونية في ظل ولاية المخزن القضائية، ثم التعريف والدفاع عن القضية في الدوريات والنشرات الصادرة عن الرابطة اليهودية العالمية، والصحف والمجلات اليهودية الفرنسية التي كانت تقرأ في المغرب وخارجه، من أجل حشد وتنوير وكسب الدعم اليهودي في الداخل الفرنسي تجاه هذا المطلب.

---

[1] - A.A.I.U., **VIII E 155**, Lettre de Abraham Albert Saguès, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 02 Septembre 1912.
[2] - Ibid.
[3] - Ibidem.
[4] - Ibidem.

ومن أهم الذين انتصبوا للدفاع عن أحقية اليهود في التجنيس هو يومتوب دفيد سيماخ حتى قبل تعيينه مندوبا للرابطة بالمغرب، ففي رسالة له بتاريخ 1913 موجهة للجنة المركزية بباريس، أكد فيها أن يهود المغرب لن يصبحوا مواطنين فرنسيين بين عشية وضحاها مثل جيرانهم الجزائريين، لكنهم لن يظلوا في وضعية أدنى مثل إخوانهم التونسيين[1]، مشددا على أن معظم التراب المغربي أصبح تحت السيطرة الفرنسية، مبشرا بعهد جديد وواعد بالرخاء والعدالة لجميع السكان، وأن اليهود ينظرون لفرنسا على أنها وطنهم الأم بالتبني[2]، مع أن هذا يتناقض مع أهداف الرابطة التي يؤمن بها هو نفسه، والرامية إلى زرع حب وطن الإقامة لدى الشباب. ويبدو أن هذا الموقف المتناقض مشترك بين العديد من أطر الرابطة اليهودية نفسها[3]، ويزداد تضخما لدى يهود المنطقة الإسبانية، حيث أكد ذلك نارسيس ليفين في إحدى رسائله لليوطي سنة 1913، ينبهه فيها إلى أن إسبانيا منافسة لفرنسا في شمال المغرب بمنحها اليهود هناك وضعا قانونيا تفضيليا[4].

بقي سيماخ هو الأخر متمسكا بموقفه من التجنيس، إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى وتصاعد وتيرة العمليات العسكرية الفرنسية بالمغرب لبسط نفوذها عليه، وإخضاع كل مقاومة يمكن مواجهتها، عقبة أمام تحقيق حلم المنادين بالتجنيس من اليهود، وبحلول سنة 1927 التي ستعرف تغييرا على مستوى هرم السلطة بالإقامة العامة بتعيين ثيودور ستيغ خلفا لليوطي، قام بدعم طرح تجنيس اليهود في خطاب أمام رابطة حقوق الإنسان في باريس Ligue des droits de l'homme à Paris، قائلا: **«إن التطور الكامل لهذه الفئة من السكان سريع للغاية، ونحن نبحث عن وسيلة تسمح لنا، شيئا فشيئا، إفساح المجال أمام اليهود الأكثر تعليما ليصبحوا مواطنين فرنسيين»**[5]، وعليه ارتأى سيماخ أن الوقت قد حان لطرح هذه القضية من جديد عبر مجلة السلام والقانون Paix et Droit التي نشر فيها مقالتين عن مستقبل المغاربة اليهود، يبين من خلالهما أهمية اليهود بالمغرب باعتبارهم وسطاء تجاريين ومتعلمين متشبعين

---

[1] - A.A.I.U., **LX E 946 a**, Lettre de Yomtob David Semach, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 16 Juin 1913.

[2] - Ibid.

[3] - أنظر بهذا الخصوص:

- A.A.I.U., **XXIX E 471**, Lettre de Josué Cohen, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Mazagan, 22 Avril- Juin 1915.

[4] - Daniel J. Schroeter, Joseph Chetrit, **"Emancipation and Its Discontents"**, Op. cit,. p. 179.

[5] - Jonathan Wyrtzen, **Constructing Morocco: The Colonial Struggle to Define the Nation, 1912–1956**, PhD Dissertation, Georgetown University, 2009,. p. 225.

بالثقافة الفرنسية، مما جعلهم أول من ساعد على الترويج للتحديث والتنمية الاقتصادية[1]، ويدحض فيهما المبررات التي تتحجج بها الإقامة العامة في تباطئها تجاه منح الجنسية الفرنسية للمغاربة اليهود.

ففرنسا على الرغم من وعود ستيغ لم تعبر أبدا عن أن هذا النوع من الإجراءات سيكون قابلا للتطبيق، وذلك بسبب الخوف من أن التجنيس سيهدد الشرعية الدولية لمعاهدة الحماية، وقد يؤدي إلى مراجعة المواقف السياسية الأساس لها[2]، كما أنها تخشى من تفشي أعمال النهب والعنف جراء اتخاذها أي بادرة في هذا التجاه؛ لأن المواثيق الدولية التي تربطها بالمغرب وأهمها مقررات مؤتمر مدريد 1880، فرضت قيودا معينة جعلت من الجنسية المغربية غير قابلة للتصرف[3]، كما هو موضح في المادة 15 من الاتفاقية التي تنص على أن **«أي مغربي يتم تجنيسه في الخارج، عند عودته إلى المغرب، يجب عليه بعد فترة إقامة مساوية لتلك التي كانت مطلوبة بشكل منتظم للحصول على الجنسية، أن يختار بين خضوعه الكامل لقوانين الإمبراطورية، أو مغادرة المغرب ما لم يتبين أن الجنسية الأجنبية قد تم الحصول عليها بموافقة الحكومة المغربية»**[4]. وفي المقابل يبحث المغاربة اليهود عن التجنيس بأعداد كبيرة بدلا من اتباع نهج تدريجي بطيء مبني على الاختيار الفردي، وهو ما دفع سيماخ للقول: **«ليس لنا أن نبحث عن طرق التنفيذ: هل سيكون هناك مرسوم؟ هل سيتم صياغة قانون خاص؟ ... نشعر بالرضا عن قرار بسيط بقبول طلبات التجنيس لليهود والأهالي بنفس طريقة قبول الأجانب، وفقا للقوانين الحالية؟ أيا كان الوضع، فإن الشيء الرئيسي هو الدخول في مسار الإنجاز... ومن جانبنا، نفضل التجنيس الجماعي حسب الفئات، والتجنيس التلقائي يفرض نفسه كواجب عام نقبل به لأنه لا توجد وسيلة لتجنب ذلك»**[5]. ظل إصرار الرابطة بالدفع في هذا الاتجاه تحديا خطيرا لفرنسا، خاصة أنها تخشى من طبيعة رد الفعل المحتمل للمغاربة المسلمين إن هي أقدمت على هذه الخطوة، لأنها مقيدة بمعاهدة الحماية التي تؤكد أحكام اتفاق مدريد (1880) ومعاهدة

---

[1] - Y. D. Semach, **L'avenir des israélites Marocains**, Op. cit,. pp. 9-10.
[2] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p. 104.
[3] - Ibid,. pp. 104-105.
[4] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 112.
[5] - Y. D. Semach, **L'avenir des israélites Marocains (II)**, Op. cit,. p. 6.

الجزيرة الخضراء (1906) بشأن الولاء الدائم للسلطان، وأن المغربي بغض النظر عما إذا كان مسلما أو يهوديا لا يستطيع تغيير جنسيته بينما هو مقيم على الأراضي المغربية[1].

لقيت جهود سيماخ هذه دعما قويا من قبل ألفريد بيرل Alfred Berl أحد المدافعين والمتحمسين للتجنيس الجماعي، بحيث وجه اتهاما صريحا سنة 1928 لسلطات الحماية بكونها تنهج سياسة اللامبالاة تجاه مطالب المغاربة اليهود، بحجة أنهم لا يتمتعون بعد بوضع قانوني واضح، الشيء الذي يجعلهم معرضين لكل التدابير التعسفية، لأنهم من وجهة نظره مجرد مغاربة وليسوا رعايا للسلطان، ومن حيث المبدأ هم في حمى الحماية، ومن الناحية القانونية هم بدون جنسية واضحة "des heimatlos"[2]، وأنه ليس هناك رجل قانون يمكنه أن يؤيد هذا الوضع الشاذ الذي يضرب أكثر من مائة ألف شخص في بلد يبلغ عدد سكانه ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة[3]، مضيفا أن النموذجين الجزائري والتونسي خير مثال على قدرة اليهود على التكيف والاستيعاب، وأن الشريحة العظمى من السكان الأهالي المسلمين بعيدون جدا عن الحضارة الأوروبية، وذلك ليس بسبب الأصول العرقية ولكن بسبب مانعهم الديني[4].

ولم يفت ألفريد بيرل أن ينوه بمرسوم كريميو الذي عارضه بعض الفرنسيين في البداية، ولكنه أصر على أن العبرة بالنتائج المتحصل عليها، سواء بالمشاركة في المجهود الحربي إلى جانب فرنسا في الحرب العالمية الأولى، أم في جيش العمالة والتجارة والمصارف والصناعة والمحاماة والطب والصحافة والأدب والتدريس، في إشارة إلى قوة الحضور اليهودي ضمن جميع فروع الأنشطة التي تشكل محرك الدول الحديثة[5]، لكنه حذر قائلا **«تميل المذاهب المقلقة ــ الشيوعية والصهيونية- إلى الانتشار داخل البروليتاريا اليهودية، المحرومة من الموارد الاقتصادية والوضعية القانونية»**[6]، ومرد ذلك إلى تفشي الكراهية الدينية، والشوفينية، والخوف

---

[1] - Doris Bensimon-Donath, **"Les Debuts du Mouvment Sioniste au Maroc: quelques Documents des Archives Sionistes de Jerusalem"**, Michael: On the History of the Jews in the Diaspora, Tel Aviv University, 1978,. p. 18.
[2] - Alfred Berl, **Au Maroc,** Paix et Droit, Huitième Année, N° 4, Avril 1928,. p. 2.
[3] - Ibid.
[4] - Ibidem.
[5] - Ibidem.
[6] - Ibidem

من المنافسة، كونهم بدون جنسية واضحة، أو إطار قانوني يمكنهم من الحصول على الحقوق السياسية، التي نادرا ما حصلوا عليها من خلال طلبات التجنيس الفردي[1].

لقد شكلت سنوات 1912، 1927 و1928 محطات صعدت خلالها الرابطة من دعايتها المؤيدة للتجنيس. ومع ذلك، فإن إمكانية التجنيس على نطاق واسع كانت غير واقعية، بسبب كون العديد من اليهود لم يكن لديهم سوى الحد الأدنى من المعرفة باللغة الفرنسية، ومنهم من لم يكن لديه أي اتصال بالتعليم الفرنسي على الإطلاق، وهو ما أثبته الإحصاء الذي أجراه الفرنسيون في منطقتهم سنة 1936، والذي خلص إلى أن 20000 يهودي من أصل 161942 يعرفون الفرنسية[2]، لكن سيماخ طعن في صحة هذا الرقم الذي قدره بما لا يقل عن 40000 أي بما يناهز 25٪ من المغاربة اليهود في المنطقة الفرنسية يستطيعون الكتابة والتحدث باللغة الفرنسية[3]، ويرجع التضارب في المعطيات إلى استحالة تحديد مستوى الكفاءة اللغوية بين اليهود بناء على إجراء إحصائي محض.

غالبا ما استشهد المدافعون عن مبدإ التجنيس بالسياسة الاستعمارية الفرنسية بكل من الجزائر وتونس، على الرغم من إدراكهم للاختلافات الحاصلة من بلد إلى آخر، ففي 24 أكتوبر 1870 وبموجب مرسوم كريميو، منحت الحكومة الفرنسية الجنسية الفرنسية لليهود الجزائريين بشكل جماعي، بغض النظر عن مستوى الاستيعاب الفرنسي لليهود، وعلى الرغم من حقيقة أن معظمهم لم يسبق لهم تقديم أي خدمات حيوية لفرنسا، لكن يهود المناطق الصحراوية بالجزائر لم يستفدوا من هذا الامتياز، حيث إن الأراضي التي يعيشون فيها لم تخضع للسيطرة الفرنسية حتى سنة 1882، لتدار بعد ذلك من قبل إدارة عسكرية فرنسية توقفت عن متابعة مسألة التجنيس[4].

في تونس، انقسم عدد السكان اليهود إلى ثلاث فئات: تونسيون، فرنسيون وأجانب، واستمر هذا التقسيم حتى سنة 1956، حيث كان ثلاثة أرباع اليهود ينتمون إلى الفئة الأولى، ومعظم الفئة الباقية فرنسيون، وقد تم تحديد الهوية التونسية في المعاهدة المؤرخة بـ 10 شتنبر 1857، وفي الدستور التونسي في 26 أبريل 1861، أي أنه لم يتم التمييز بين المسلمين التونسيين واليهود

[1] - Comité des Délégations Juives auprés de Conférence de la Paix, **Les droits nationaux des Juifs en Europe orientale: recueil d'études**, Paris, 1919,. p. 111.
[2] - Y. D. Semach, **Le recensement de 1936 au Maroc**, Paix et Droit, Dix-Neuviéme Année, N° 6, juin 1939,. p. 9.
[3] - Ibid.
[4] - Michael M. Laskier, **North African Jewry in the Twentieth Century: The Jews of Morocco, Tunisia, and Algeria**, New York University Press, 1994,. p. 23.

التونسيين، كما ينص الدستور أيضا على الولاء الدائم لريجنسي Régence[1]. وذكر أن جميع التونسيين الذين غادروا البلاد، لأي سبب كان، سواء تم تجنيسهم في بلد آخر أم لا، سيصبحون رعايا تونسيين عند عودتهم إلى تونس، وأن جميع اليهود الذين ولدوا في تونس غير المجنسين بجنسية أجنبية هم تونسيون بموجب القانون، والاستثناء الوحيد لمبدإ الولاء الدائم هو الحكم على أن التونسي يمكن أن يصبح مواطنا فرنسيا بناء على طلب شخصي، وأعيد تأكيد هذا الأمر سنة 1923، بموجب قانون مورينود Morinaud الذي مكن اليهود من الحصول على الجنسية الفرنسية على أساس فردي فقط[2].

مبرر آخر ساقته السلطات الفرنسية بخصوص عدم إمكانية استصدار مرسوم على شاكلة مرسوم كريميو بالمغرب، معتبرة أن هذا الأخير ليس مستعمرة مثل الجزائر بل محمية، وبالتالي تفتقر إلى السلطة في الترويج لسياسة التجنيس الواسعة النطاق، أو حتى على شاكلة قانون 1923 المؤطر للتجنيس بتونس على وفق صيغة انتقائية مبنية على ما يكنه يهود المغرب من عاطفة وحب تجاه فرنسا[3]، ويعزى ذلك إلى عدم وجود اتفاقيات (مثل مؤتمر مدريد) في تونس تؤطر مسألة منح الجنسية، وساهم في ذلك جزئيا قلة الحزازات الإثنية بخلاف المغرب، وإلى إدارة فرنسية أكثر ليبرالية.

كما أن سلطات الإقامة العامة كانت تأخذ بعين الاعتبار كل ما من شأنه أن يثير سخط الوطنيين المغاربة المعارضين للتجنيس الجماعي لليهود[4]، الذين عبروا عن موقفهم الرافض لأي تفرقة بين المغاربة سواء في الأحكام القضائية أو في الإنتماء الوطني، كما أن عملية التجنيس تتطلب موافقة السلطان، بالنسبة للمسلمين واليهود المطالبين بالحفاظ على الولاء الدائم لشخصه والملزمين بالوفاء بيمين البيعة الدائمة للسلطان[5]، ومن المؤكد أن محمد الخامس الذي ظهر في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين بصفته رمزا قوميا وداعية للتضامن العربي/الأمازيغي/اليهودي، لم يكن ليتماشى مع مثل هذا المخطط[6]، ولعل المعارضة الساحقة التي واجه بها الوطنيون ظهير 16 ماي 1930 (الظهير البربري) جعل الإقامة العامة تنأى بنفسها

---

[1] - Régence، تعني الوصاية على العرش، أو الحكم بالوصاية.

[2] - Ibid,. pp. 23-24.

[3] - A. Chouraqui, **Between East and West**, Op. cit,. p. 169.

[4] - Daniel J. Schroeter, Joseph Chetrit, **"Emancipation and Its Discontents"**, Op. cit,. p. 171.

[5] - ربير أصراف، م. س، ص. 137.

[6] - M. M. Laskier, **North African Jewry in the Twentieth Century**, Op. cit,. p. 25.

عن إجراء أي إصلاحات قضائية، وهو ما قضى على حلم المغاربة اليهود في التجنيس الجماعي بحيث كتب سيماخ سنة 1936 للجنة المركزية بباريس قائلا: **«لا أعتقد أنه من المفيد إثارة مسألة التجنيس في هذه الآونة، لقد فوتنا اللحظة المناسبة، واليوم من المستحيل الحصول على أدنى فائدة بخصوص هذا المطلب»**[1]، وبهذا سيظل النقاش حول تجنيس المغاربة اليهود نقاشا أكاديميا في مجمله[2].

استثمرت الرابطة تاريخها الطويل في النضال من أجل نيل الحقوق السياسية والمدنية لليهود عبر العالم، في تحديد طبيعة العلاقة التي ستربطها بمؤسسة الحماية الفرنسية بالمغرب، لكنها اصطدمت ببنود عقد الحماية لـ 30 مارس 1912 التي نصت على خلق نظام جديد يسمح بإجراء إصلاحات إدارية، وقضائية، وتعليمية، واقتصادية، ومالية، وعسكرية على الشكل الذي تراه الحكومة الفرنسية ضروريا[3]، لكن بنود الاتفاقية لم تتضمن أي إشارة لليهود أو حقوقهم، وهذه البنود نفسها كبلت قدرة الإقامة العامة على إدخال أي تغيير على الأنظمة القانونية الأساسية السائدة في المغرب، لذلك حرصت الإقامة العامة على الحفاظ على علاقات متينة مع الرابطة لأجل طمأنة المغاربة اليهود، وضمان رفاههم والرفع من ثقتهم، دون تقديم أي شيء ملموس بخصوص مطلب التجنيس الجماعي، مادامت حقيقة موالاة المغاربة اليهود لفرنسا قبل 1912 وبعدها غير ملزمة لمؤسسة الحماية لدخول هذه المغامرة؛ لأن صانعي القرار داخل المنظومة السياسية الفرنسية يرون في التجنيس تجربة فاشلة، وأن يهود المغرب احتاجوا في المقام الأول إلى تحسين ظروف الصحة والتعليم، وليس إلى النهوض بوضعهم السياسي[4].

2) موقف الرابطة من الحركة الصهيونية بالمغرب.

نشأت الصهيونية الحديثة في أعقاب مؤتمر بال بسويسرا سنة 1897 ، ونشأ معها خلاف حاد بين الرابطة والحركة الصهيونية لصعوبة التوفيق بين رؤى الطرفين. فقد اعتبرت الرابطة المشروع الصهيوني على أرض الواقع غير قابل للتطبيق[5] ولم ترى فيه طموحا تحرريا بل عزلا

---

[1] - A.A.I.U., **XLV E 717 j**, Lettre de Yomtob David Semach, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 30 Octobre 1936.

[2] - ربير أصراف، م. س، ص. 140.

[3] - **B.O.**, Traité conclu entre la France et le Maroc le 30 Mars 1912, pour l'Organisation du Protectorat Français dans l'Empire Chérifien, N° 1, Op. cit,. p. 1-2.

[4] - J. Wyrtzen, Op. cit,. pp. 222-223.

[5] - Catherine Nicault, **"L'Alliance Israélite Universelle et le sionisme (1914-1919)"** , Tsafon: Revues d'études juives du Nord, N° 74, 2017,. p. 49.

جديدا على شكل غيتو[1]، وظلت في المقابل متشبثة بعمق إيدولوجيتها القائلة بأن النموذج الفرنسي للتحرر والاستيعاب هو أفضل حل ممكن للمسألة اليهودية[2]. وقد اتهمت الرابطة في مقاومتها هاته للصهيونية بأنها تعمل على التضحية بالأهداف والمصالح اليهودية لصالح المصالح الوطنية لفرنسا، لأن الدعم المالي والسياسي الفرنسي ضروري لأجل استمرار أنشطتها التعليمية والسياسية نيابة عن اليهود، وهو ما يجعل كل الأنشطة التي تزاولها الرابطة مقرونة بموافقة الحكومة الفرنسية في نظر الحركة الصهيونية، ما جعلهم يعتقدون أن الرابطة والجمعيات الأخرى التي على شاكلتها مثل الجمعية الأنجلو-يهودية هي عبارة عن منظمات طيعة في يد كل من الحكومتين الفرنسية والإنجليزية، وهو ما انعكس في كتابات ريشارد غوتيل Richard Gottheil، أستاذ اللغات السامية في جامعة كولومبيا بنيويورك، ورئيس اتحاد الصهاينة الأمريكيين في وقت مبكر في كتابه المعنون بـ "Zionism" سنة 1914: **«لقد وصلنا إلى حقبة عندما قرر كل عرق أن يطالب بأن تكون له أرضه الخاصة، منزله، لغته، ومعبده... كنا قد تفرقنا حول العالم... لا نريد أن نكون مجموعة بعد الآن، نريد أن نكون شعبا، الاسم المثالي للأمة لا يكفينا، فالأرض الإقليمية الثابتة ضرورية لنا... لقد حاول السويسري هنري دونان Henry Dunant، مؤسس الصليب الأحمر والملهم لاتفاقية جنيف بين عامي 1863 و1876، إيقاظ اهتمام اليهود باستعمار فلسطين. وعبثا طرق أبواب الرابطة اليهودية سنة 1863، وعبثا ناشد اليهود في برلين سنة 1866، وأخيرا الجمعية الأنجلو-اليهودية في لندن... كان يهود أوروبا الغربية ولا يزالون ملتفين حول الأمن الظاهري الذي جلبه لهم التحرر القانوني الكامل»**[3].

إن الاختلاف الحاصل في الإيديولوجية المتبعة من قبل الطرفين له مبرراته في الوسط الاجتماعي المشكل لهما، فالرابطة منظمة تسيرها نخبة غربية (فرنسية بالأساس) مثقفة تعتبر تأسيس وطن قومي لليهود لامعنى ولا مبرر له تاريخيا وفلسفيا، وهو مجرد تحد للرابطة وقادتها[4]. في حين أن المنظمة الصهيونية العالمية Organisation sioniste mondiale (O.S.M.) هي في الحقيقة انبثاق لحركة شعبية، تجسد آمال قوى العالم اليهودي الذي هيمنت

---

[1] - A. Kaspi, Op. cit,. p. 191.

[2] - Ibid,. p. 192.

[3] - Richard J.H. Gottheil, **Zionism**, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1914,. pp. 42-43.

[4] - رفضت الرابطة بشكل كامل مفهوم الدولة اليهودية الإقليمية، وبدلا من ذلك، طورت بنية سياسية خاصة بها تعمل خارج الإطار القانوني الرسمي لأي حكومة. ينظر:

- M. Paz, Op. cit,. pp. 1257-1258.

عليه على مدى عدة عقود نخب يهودية غربية (فرنسية بالخصوص)، لكن المنظمة الصهيونية العالمية لا تخفي نيتها في سلب هذه الأوليغارشية، وخاصة الرابطة مكانتها الرائدة[1].

وأضاف غوتيل، على أنه في ذلك الوقت **« كانت الفكرة راسخة في أن الرابطة هي بمثابة قوة توحيد، والجمعيات الموازية التي تأسست في بلدان أخرى تبنت الآمال التي وضعها البرنامج العام للرابطة، وكان محكوم عليها بالسير في أعقاب الهيئة الأم، في طبيعة تكوينها، والمساعدة التي لا بد أن يطالبوا بها من الحكومات التي يتبعون لها، والتي تعمل على تغيير وجهتهم، فيما يتعلق بخدمة المصالح اليهودية العامة»**[2]، ولم تتوقف الانتقادات الموجهة للرابطة عند المؤمنين الأوائل بالفكرة الصهيونية، بل لم تسلم الرابطة من انتقادات هرتزل نفسه حيث كان يعتبرها منظمة تافهة تضر أكثر مما تنفع، وهي في نظره لا تتصف لا بصفة العالمية ولا بصفة الرابطة، إنما تحمل إسما رنانا أجوف ساهم في استدامة أسطورة معاداة السامية[3].

تجاوزت انتقادات الحركة الصهيونية للرابطة كل الخطوط لتصل مجال التعليم نفسه، فعلى سبيل المثال وجه ناحوم سوكولوف Nahum Sokolow سهام الشك والريبة تجاه اللغة التي يجب أن يتلقى بها اليهود تعليمهم داخل مدارس الرابطة، من خلال التساؤل حول جدوى اعتماد اللغة الفرنسية في التدريس وليس اللغة التركية أو العربية؟ ولماذا لاتكون العبرية اللغة الطبيعية لليهود؟. لكنه على الرغم من ذلك نوه بأعمال الرابطة في مجال التكوين المهني والزراعي وخاصة مدرسة Mikveh Israel الزراعية بفلسطين، ودعاها إلى توسيع مجال هذا النوع من التكوين الذي سيساعد على خلق نوع من الفلاحين اليهود مشابه لأولئك الذين هم في فرنسا بدلا من السعي إلى استيعابهم في الثقافة الفرنسية[4].

كانت أماني الحركة الصهيونية في أن تصبح الرابطة داعمة لقضيتها، من خلال تطويع المدارس والبرامج لتلائم المخطط الصهيوني، بغية تكوين نخبة من السواعد يشكلون العمود الفقري للوطن القومي، لكن اللجنة المركزية للرابطة لم تكن متحمسة للانخراط في هذا المشروع، بل أبدت معارضتها لتجميع يهود الشتات في فلسطين، وأعربت عن هذا الرفض بشكل رسمي سنة 1921 عبر افتتاحية نشرتها السلام والقانون تشرح من خلالها منطلقاتها في معارضة النوايا الصهيونية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، بحيث وصفت الافتتاحية ثيودور هرتزل

[1] - A. Kaspi, Op. cit,. pp. 192-193.
[2] - R. J.H. Gottheil, Op. cit,. p. 214.
[3] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 195.
[4] - Ibid,. p. 196.

Theodor Herzl، وليون بنسكر Leon Pinsker، وماكس نوردو Max Nordau بالمتطرفين، وبغض النظر عن ميولاتهم للاندماج السابقة، إلا أنهم أصبحوا يدعون إلى شكل من أشكال القومية المدمرة، وذلك بتأسيس كيان يهودي منفصل. فمن وجهة نظر الرابطة، فإنه حتى لو كان هذا النوع من الدعوات مرغوبا فيه بالإجماع من قبل اليهود، فإنه سيواجه حتما عقبات تجعل حلم تأسيس وطن قومي في فلسطين كابوسا[1].

لقد عددت الرابطة عدة عقبات تحول دون تأسيس وطن قومي لليهود بفلسطين، من بينها المسيحيون الذين يصل عددهم إلى 80000 نسمة باللإضافة إلى 700000 نسمة من المسلمين الذين استقروا هناك منذ فترة ماقبل الحروب الصليبية دون أدنى أمل في أن يوافقوا على تسليم الأرض لأحد عشر مليونا من يهود الشتات. من ناحية أخرى، لا يوجد مثال معروف في التاريخ لهجرة عدة ملايين من الناس في أي بلد كان، بالإضافة إلى أزمة النقل الحالية التي لا تواتي مثل هذه السابقة، ولكن حتى لو تم تدليل هذه العقبات، فإن أرض فلسطين لا تتناسب مع الدور والغرض المنشودين، سواء على المستوى الجغرافي أم الاقتصادي، فوفقا للتقديرات الشائعة، فإن مجرد تدفق مائة وخمسين ألف مهاجر يمكن أن يساهم في تجاوز موارد وإمكانيات البلد إلى حد كبير[2].

لم تكتف الرابطة عند الوقوف على عقبات تأسيس الوطن القومي، بل حاولت نسف الفكرة الصهيونية والتشكيك فيها، لأنه في نظرها لم تخرج من أعماق الروح والفلسفة اليهودية، وإنما هي مجرد فكرة روحانية منبعها سفر إشعياء الثاني[3] le deuxième Isaïe وثمانية عشر قرنا من التحول في تجاه الأوربة. ونجاح الدعاية الصهيونية لا يعود إلى سبب داخلي متأصل في الدين، لكنه يعزى إلى أسباب خارجية، ظرفية، وطارئة. فبالنسبة لأولئك الذين يدرسون بموضوعية أصول وتطور الصهيونية يشيرون إلى تاريخ ومكان نشأتها «الإمبراطورية الروسية

---

[1] - **Nationalisme ou Assimilation,** Paix et Droit, Première Année, N° 4, Avril 1921,. p. 1.

[2] - Ibid.

[3]- سفر إشعياء هو من أول وأطول الكتب الرئيسة من الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. ويستمد اسمه من النبي إشعياء، الذي عاش في القدس، وامتدت مسيرته النبوية نصف قرن تقريبا، من 742 ق.م إلى 701 ق.م. وأهم ما جاء في سفر إشعياء هذا، هي الفقرات التالية:

* ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم.

* وتسيير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب.

* فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد.

- سفر إشعياء (الإصحاح الثاني)، الأية 2-4، ص. 35. ينظر:

- http://www.smcfag.org/HTML/FrAntoniousBooks/PDF/OT/Isaiah.pdf

ورومانيا»، وليس هناك شك في أن هذه الحركة تولدت مباشرة من معاداة السامية وتجاوزاتها، وأن أسباب انتشار الفكر الصهيوني مرتبط أساسا بارتفاع نسبة معاداة السامية[1].

لم يرتبط الصراع بين الرابطة والحركة الصهيونية بطبيعة الأهداف وطرق تنزيلهما فقط، بل تعداه إلى مجالات أضيق تتمثل في قدرة كل طرف على استمالة واستقطاب اليهود إيديولوجيا. وبناء عليه انتقلت هذه المعركة إلى الساحة المغربية في وقت مبكر عبر تأسيس الجمعيات الصهيونية، وأهمها جمعية العودة إلى صهيون «شيفات سيون Shivat Sion» سنة 1900 بتطوان، والتي أنشأت مكتبة تحتوي على كتب باللغة العبرية بقصد نشر اللغة والفكر الصهيوني بين اليهود. وفي الوقت نفسه، تأسست جمعية ثانية في الصويرة تحت إسم بوابات صهيون «شعر سيون Shaar Zion» ويعتقد أن هذه الجمعية هي الأولى من نوعها التي أشاعت مسألة شراء الشيكل في المغرب وشمال إفريقيا[2]، كما تأسست جمعية ثالثة في مدينة آسفي تحت إسم حب صهيون «أهافات سيون Ahavat Sion»[3]، لكن أول اهتمام للرابطة بالخلايا والجمعيات الصهيونية المؤسسة بالمغرب كان سنة 1911 من قبل مدرائها، وبصفة خاصة مدير مدرستها بفاس عمرام المالح Amram Elmaleh الذي أثار انتباه الرابطة إلى تواجد خلية صهيونية مكونة من 30 عضوا لديهم علاقات مالية وسياسية مع الحركة الصهيونية بكولونيا في ألمانيا[4]، ويرجع المالح تأسيس هذه الخلية إلى سنة 1908 على خلفية أحداث 1907 بالمغرب، ولديها امتداد في كل من مكناس وصفرو بما يقارب 100 عضو ملتزمين بتوفير مبالغ مالية سنويا للحركة الصهيونية بكولونيا، وقد ترأس هذه الخلية الصهيونية كل من رحميم بنزيمرة Rahamim Benzimra وقبله حاييم كادوش دلمار Haim Cadosh Delmar أحد الأشخاص النشيطين وأحد قدماء خريجي مدرسة الرابطة بفاس[5].

إن الاهتمام المبكر الذي أولته الرابطة بالجمعيات وبالخلايا الصهيونية في المغرب، ينم عن قلق كبير تجاه هذه الظاهرة التي تشكل تحديا لوجودها، خاصة أنها تضم بين جنباتها خريجين من مدارسها، وقد اقترح المالح تأسيس جمعية تعمل تحت غطاء الرابطة للحد من استقطاب مثل هذه

---

[1] - **Nationalisme ou Assimilation, Paix et Droit**, Première Année, N° 4, Avril 1921,. p. 2.

[2] - اشترطت الحركة الصهيوني في البدايات على أن تكون نسبة مشاركة الجماعات اليهودية في المؤتمرات الصهيونية المزمع عقدها رهينا بنسبة شراء الشيكل، وهو ما لم تستغله جماعة الصويرة آنذاك. ينظر:
- M. M. Laskier, **North African Jewry in the Twentieth Century**, Op. cit,. p. 32.

[3] - **Nationalisme ou Assimilation, Paix et Droit**, Première Année, N° 4, Avril 1921,. p. 2.

[4] - A.A.I.U., **XVI E 248 b**, Lettre de Amram Elmaleh, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 02 Mars 1911.

[5] - Ibid.

الجمعيات لتلامذتها، بينما لا تزال مجرد خلايا جنينية[1]، وعموما لم يبال ممثلو الرابطة كثيرا بالتحركات الصهيونية بالمغرب قبل سنة 1920 إلا بعد أن امتدت إلى كل من طنجة والدار البيضاء؛ لأن هذه الجمعيات لم يكن لها تأثير مهم على عمل الرابطة، بما أن أنشطتهم تقتصر بشكل أساس على ما هو ثقافي وبتوزيع الشيكل وجمع الأموال، حتى أن سيماخ اعتبر أنشطة الجمعيات الصهيونية ليس لها صدى وشبهه **«كصدى يتردد في الصحراء»**، لأن نداءاتهم لم تلاق قبولا بسبب الجهل بأنشطة الحركة ومثلها وسياساتها وأساليبها[2]. هكذا استنتج سيماخ أن الصهيونية المغربية لا تتمتع مرحليا بأي مستوى من الأهمية، وقد تصبح نشطة فقط إذا وجدت دعاية قادرة على وضعها في اتصال مع الصهيونية الأوروبية[3].

يعود التقليل من حجم وحضور الحركة الصهيونية بالمغرب من قبل الرابطة في الفترة السابقة لسنة 1920 في جزء منه إلى سلطات الحماية الفرنسية والإسبانية اللتين بخستا بدورهما قيمة التواجد الصهيوني[4]، ويعبر عن ذلك هنري جيلارد Henri Gaillard[5] الذي قزم دور الصهيونية في شمال إفريقيا حينما كتب مقالة حول الصهيونية والقضية اليهودية في شمال إفريقيا، جاء فيها: **«وجدت الدعاية الخاصة بهم أرضية مواتية بشكل خاص لدى الجماعات الروسية البولندية ولدى بعض الجماعات الشرقية... من ناحية أخرى، لم تحقق الصهيونية نجاحا كبيرا في فرنسا وإنجلترا، حيث معظم اليهود هم من الطبقات العليا (ليبراليين) وحيث الجمعيات اليهودية الكبرى "الرابطة اليهودية العالمية (A.I.U.) والجمعية الأنجلو يهودية (A.J.A.)" التي تطالب بالمساواة المدنية والقانونية لصالح إخوانهم في الدين، ونفس الأمر بالنسبة لليهود في الجزائر الذين يستفيدون كثيرا من كونهم مواطنين فرنسيين، وفي تونس والمغرب تمتلك الجماعات اليهودية بشكل جزئي الحكم الذاتي الذي يطالب به الصهاينة. فاليهود المتعلمون الذين مروا عبر مدارس الرابطة اليهودية، لديهم ميل للاندماج مع الأوروبيين، والرغبة بالنسبة**

---

[1] - Ibidem.

[2] - A.A.I.U., **LXI E 946 c**, Lettre de Yomtob David Semach, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 19 Octobre 1919.

[3] - A.A.I.U., **LXI E 946 c**, Tanger, 19 Octobre 1919, Op. cit.

[4] - للإشارة، قبلت السلطات الفرنسية الوجود الرسمي للحركة الصهيونية في كل من الجزائر وتونس، لكن في المغرب لم ترغب أبدا في الاعتراف بالوجود الرسمي للحركة الصهيونية نظرا لحداثة تواجدها الاستعماري بالبلد وخوفها من ردود الفعل المتوقعة. أنظر :

- D. Bensimon-Donath, **"Les Debuts du Mouvment Sioniste au Maroc"**, Op. cit,. pp. 17-18.

[5] - هنري جيلارد (1869-1937): هو أحد القناصل الفرنسيين الأوائل بمدينة فاس، وقد دامت مهمته بالمغرب 17 سنة فيما بين 1900 و1917 وشغل خلالها مهمة الكاتب العام لمؤسسة الحماية بالمغرب، ويعد أحد أعمدة ومهندسي الاستعمار الفرنسي بالمغرب.

للجزء الأكبر منهم في أن يصبحوا مواطنين فرنسيين»[1]، لكنه لم يستبعد أن تكون الصهيونية السياسية والقومية العربية والإسلامية في نهاية المطاف خطرا على الاستعمار الفرنسي، وحث مؤسسة الحماية على منع تصاعد المد القومي اليهودي، من خلال تشجيع التطور البطيء والحذر لليهود في تجاه الثقافة والحضارة الفرنسيتين، ويمكن الاعتماد في ذلك على الرابطة اليهودية التي قامت مدارسها برفع المعايير الأخلاقية للشباب الإسرائيلي، ونشر اللغة والثقافة الفرنسيتين[2]. غير أن هذه الجسور، التي شددت فرنسا على نسجها بين المغرب وأوروبا، هي التي مكنت من ربط اليهودية المحلية بالتيارات التي يعرفها العالم اليهودي، كما مكنت الصهيونية الحديثة من الوصول إلى الشواطئ المغربية، والجمع بين التقاليد السائدة لدى الجماهير اليهودية ومفاهيم الحرية والكرامة التي ينشرها النفوذ الفرنسي بشكل موات ومؤثر لتطور الصهيونية في هذا البلد[3].

تمكن الصهاينة من توسيع أنشطتهم في المغرب خلال سنة 1920 وما بعدها، خاصة بعد الإعلان عن أهم خلاصات مؤتمر سان ريمو San Remo[4] المنعقد في أبريل 1920، الذي منح بريطانيا تفويضا على فلسطين باعتباره خطوة أولى نحو تحقيق التطلعات اليهودية في تأسيس وطن قومي، وقد روج للدعاية الصهيونية السياسية بالمغرب صحفيون من أصول أوروبا الشرقية، الذين نشطوا في أهم جريدة صهيونية بالمغرب المستقبل المصور L'Avenir Illustré، ونهضة إسرائيل Renacimiento de Israel التي تصدر في الجزيرة الخضراء والمخصصة للمغاربة اليهود، كما ساهم المبعوثون الصهاينة للصندوق القومي اليهودي " Keren Keyemeth Leyisael (K.K.L.)" وصندوق مؤسسة فلسطين " Keren Hayesod (K.H.)"[5] في جمع الأموال والتعريف بالقضية الصهيونية لدى الجماعات اليهودية المحلية، بفعل تساهل سلطات الحماية التي فشلت على ما يبدو في التمييز بين جمع الأموال للحركة الصهيونية والأموال التي جمعها الحاخامات للعناية بأمور الجماعات المحلية أو تلك المرسلة إلى فلسطين في كثير من الأحيان.

---

[1] - Henri Gaillard, **"Le sionisme et la question juive dans l'Afrique du Nord"**, Renseignement Coloniaux et Documents, N° 1, 2 et 3, Publiés par le Comité de l'Afrique Française et le Comité du Maroc, Année 1918,. p. 4.

[2] - Ibid,. p. 7.

[3] - Salomon Kagan, **Le sionisme au Maroc**, Le Reveil Juif, N° 81, 26 Mars 1926,. p. 1.

[4] - مؤتمر سان ريمو، مؤتمر دولي عقد في الفترة ما بين 19-26 أبريل 1920 بإيطاليا في أعقاب الحرب العالمية الأولى، لرسم حدود الأراضي التي احتلتها قوى الحلفاء، وحضرته كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان وبوجود الولايات المتحدة الأمريكية بصفتها مراقبا محايدا، والمؤتمر بمثابة استمرار لاجتماع سابق نظمته دول الحلفاء في لندن في فبراير 1920. حيث تقرر، ضمن أمور أخرى، وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

[5] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 222. (هامش رقم 24)

لقد شكل تنصيب المقيم العام ثيودور ستيغ على رأس الإقامة العامة منعطفا للحركة الصهيونية في المغرب، خاصة بعدما عمل على بعث رسالة شكر وتقدير لرئيس اللجنة التنفيذية للفدرالية الصهيونية بفرنسا (قسم المغرب) بالدار البيضاء (la Fédération Sioniste de France (Section du Maroc ردا على عبارات الإطراء في حق ستيغ التي ضمنتها الفدرالية في الصفحة الأولى لنشرتها[1]. وقد جاء في رسالة ستيغ المقتضبة ما يلي: **«عبارات الإطراء التي جاءت على الصفحة الأولى هي علامة على الثقة والصداقة. أنا متأكد من أن الصهاينة المغاربة سيعرفون بينما نسعى لتحقيق حلمهم الأعظم، كيف يعملون على ازدهار وعظمة هذا البلد»**[2]، وبذلك يكون ستيغ قد ظهر بشكل علني بمثابة مؤيد للحركة الصهيونية وأنه لن يدخر جهدا لتعبيد الطريق أمامها في المغرب على الأقل.

والمؤكد أن الأقامة العامة سمحت لهم بجمع الأموال شريطة تلبية بعض الضمانات التي من شأنها أن تجنب أي رد فعل سلبي من المسلمين، وذلك بالالتزام بعقد الاجتماعات في إطار الملاح، وحظر تداول قوائم الاشتراكات (المساهمات) والنشرات الدعائية، والتشديد على المحاضرين بأن يوجهوا مناقشاتهم صوب الجانب الاجتماعي والديني، والعزوف عن أي نقاش يخوض في المجال السياسي[3].

وبناء عليه، استعد القسم الصهيوني المغربي لتنظيم حملة كبيرة تصدر لها ناثان هالبرن[4]Nathan Halpern الذي يعد من بين أهم مبعوثي الحركة الصهيونية إثارة للجدل. فقد جاب عددا من المدن برفقة يحي زاغوري رئيس الجماعة اليهودية بالدار البيضاء، الشيء الذي أثار انتباه سيماخ لهذا الأمر الذي برره زاغوري بكونه قد أجبر على مرافقة هالبرن بطلب من الإقامة العامة، في حين تأسف سيماخ لكثرة الأموال التي تمنح لصالح الحركة الصهيونية في مقابل غرق الملاحات المغربية في البؤس والتعاسة، مما جعله يعترف بأن الرابطة قد هزمت بفعل الدعاية الصهيونية النشطة للغاية، وأنه عليها أن تقبل بالوضع رغما عنها[5]. لقد أصبح

---

[1] - **Le Sionisme au Maroc**, le Reveil Juif, N° 87, 16 Juillet 1926,. p. 2.

[2] - Ibid.

[3] - Etienne Coidan, **Le Sionisme au Maroc: Contribution à l'étude du judaïsme du Marocain**, Rabat 1946,. p. 14.

[4] - ناثان هالبيرن: لتواني الأصل عاش في زمن القيصرية، وتجند في صفوف الجيش الروسي. ينظر:
- A.A.I.U., **XLII E 717 a**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat 29 Décembre 1926.
- **Le Sionisme au Maroc**, le Reveil Juif, N° 83, 14 Mai 1926,. p. 2.

[5] - A.A.I.U., **XLII E 717 a**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 12 Décembre 1926.

هالبيرن في نظر سيماخ شخصا يمتلك سلطة غير مألوفة على الجماهير بتمكنه من فن الخطابة مستعينا بما تحفظه ذاكرته من رعب المذابح التي رأها، لتحريك المشاعر الصهيونية وإيقاظ الوعي اليهودي بأعمال التضامن المحلي لصالح فلسطين[1]، ومع ذلك استمر سيماخ في الدفاع عن أهداف الرابطة وإيديولوجيتها، ففي إحدى اللقاءات التي جمعته بهالبرن أكد على أن المغاربة اليهود ينعمون بوضع متقدم في ظل الحماية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، وأن الدعاية الصهيونية تعد عقبة أمام هذا التقدم، وخطرا وجب التصدي له، لأنها تعمل لصالح إنجلترا على حساب فرنسا[2]، وقد دفعه موقفه هذا إلى معارضة كل ما هو صهيوني حتى أنه أعتبر صحيفة المستقبل المصور معادية لعمل الرابطة منذ تأسيسها، فالصحيفة أرادت التقرب من الرابطة بعدما وقفت على عملها الراسخ الذي اكتسب احتراما وتعاطفا من الجميع[3].

حرصت الحركة الصهيونية بعد سنة 1920 على التأثير على التوجهات التعليمية للرابطة اليهودية بتسخير مبعوثيها، والصحف التي تؤمن بخطها الإيديولوجي، وكذلك بالترويج إلى أهمية تعليم اللغة العبرية والعمل على إحيائها، وتكثيف برامج التكوين الزراعي والمهني على حساب التعليم الذي يؤدي بأصاحبه إلى الوظائف المكتبية «ذوي الياقات البيضاء»[4]، بغرض تشجيع التعليم الذي من شأنه أن ينتج العمال المهرة الذين ستحتاجهم أرض إسرائيل عند بناء الدولة «ذوي الياقات الزرقاء»، كما عملت على استقطاب أكبر قدر ممكن من خريجي الرابطة الذين سيكون لهم دور في الضغط على اللجنة المركزية لافتتاح أكبر قدر ممكن من المدارس المهنية والزراعية، وبالتالي سيصبح الصهاينة قادرين على تسخير إمكانيات الرابطة لخدمة مصالحهم الخاصة[5].

وفي ذات الصدد ردت اللجنة المركزية للرابطة على ليون بنحاس Léon Pinhas الذي كتب تقريرا يرصد فيه نشاطا لتوريك Turek أحد مبعوثي صندوق مؤسسة فلسطين (.K.H)،

---

1 - A.A.I.U., **XLII E 717 a**, Rabat, 29 Décembre 1926, Op. cit.

2 - Ibid.

3 - A.A.I.U., **XLIV E 717 g**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 04 Mars 1935.

- **L'Avenir Illustré**, N° 237, 28 Février 1935,. p. 21.

4 - A.A.I.U., **L E 784**, Rapport de Léon Pinhas sous titre: "le Sionisme et les Istituteurs", au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Safi, 13 Mars 1934.

5 - استطاعت الحركة الصهيونية ابتداء من سنة 1919 فصاعدا التأثير على طبيعة الهجرة اليهودية إلى فلسطين –على قلتها- والتي كانت موسومة بطابع ديني وروحاني دافعه الإيمان وحده، ليصحب ذلك رغبة وأمل في تحقيق حياة مادية أفضل. ينظر:

- E. Coidan, Op. cit,. p. 10.

معربة عن أنها غير مكترثة بمساعي الصهيونية، لأن الرابطة كانت أول من سعى لإنشاء مكفيه إسرائيل (أمل إسرائيل) Mikveh Israël لتحويل النشاط اليهودي الفلسطيني في تجاه العمل الزراعي[1]، وحاربت لسنوات من أجل غرس فكرة التحرر الكامل لليهود، والاندماج داخل أوطانهم، فكيف للرابطة أن تتقييد بحركة تنكر جهودها، وتدين عملية التحرر والاندماج[2]؟.

رسم توضيحي رقم 4: التصميم المعتمد في بناء المدرسة الزراعية مكفيه إسرائيل سنة 1870 بيافا.

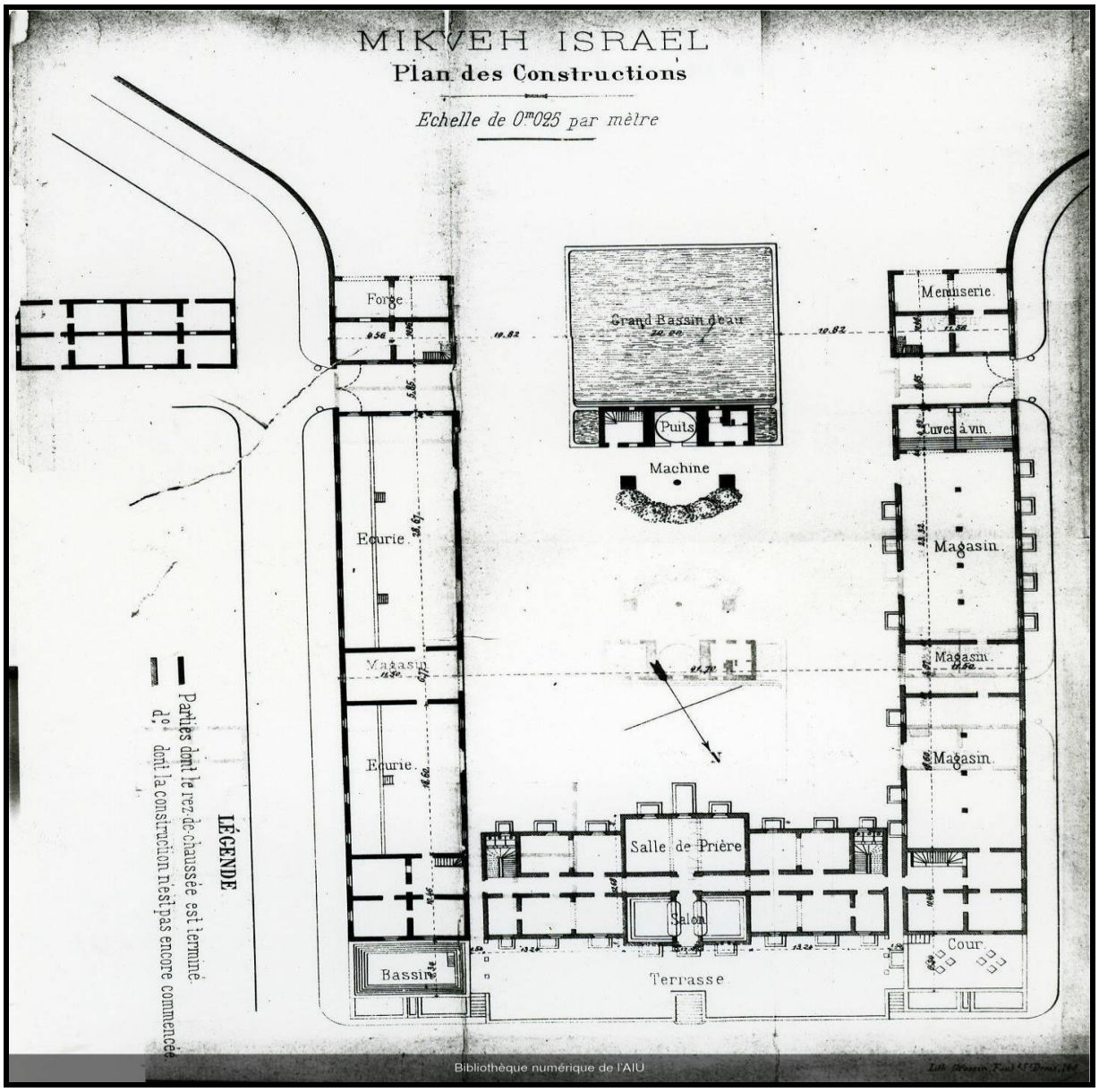

المصدر:

- http://bibliotheque-numerique-aiu.org/viewer/8582/?offset=44#page=1&viewer=picture&o=bookmarks&n=0&q=

[1]- A.A.I.U., **L E 784**, le Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle, au Léon Pinhas à Safi, Paris, 05 Avril 1934.
[2]- Ibid.

لقد أظهرت الرابطة اهتماما خاصا بفلسطين وكل ما يمكن أن يسهم في الانتعاش الاقتصادي والمعنوي للسكان اليهود في هذا البلد، ولكن مثلما كانت (الرابطة) دائما تنأى بنفسها بعيدا عن المشاحنات الدينية التي تعرفها اليهودية، لا يمكن لها أن تنحاز إلى جانب الطروحات المتعلقة بالصهيونية، والتي تثير مشاكل سياسية، تقتضي التوصل إلى اتفاق بشأنها بين الإسرائيليين أنفسهم، لذلك توجب عليها أن تستمر في موقف الحياد على الأقل مرحليا[1].

إن الموقف الرافظ للرابطة من نسج أي علاقة للتكامل مع الحركة الصهيونية، جعلها محط انتقاد من طرف الصهاينة بالمغرب، فخلال مؤتمر المتعاونين مع الصندوق القومي اليهودي (K.K.L.)، وصندوق مؤسسة فلسطين (K.H.) المقام بالدار البيضاء، الذي روجت له إعلاميا صحيفة المستقبل المصور في عددها 243 لسنة 1936، صرح أبرهام لاريدو Abraham Laredo في مداخلة بعنوان **«الثقافة اليهودية بالمغرب»** أن مدارس الرابطة تعتبر مدارس دينية رغم تظاهرها بأنها علمانية، وهي في رأيه لا هذا ولا ذاك[2]؛ لأنها تفتقد للإحساس بالاحتياجات اليهودية، واعتبر أن أي نقد موجه نحو أنشطة الرابطة ليس دليلا على الجحود أو العداء، بل هو تعبير عن المحبة والإعجاب لهذه المؤسسة الجليلة[3].

عملت الحركة الصهيونية بالمغرب على تطبيق التعليمات الصادرة عن المنظمة المركزية بجعل اللغة العبرية الحديثة لغة مشتركة بين جميع اليهود، وتبعا لذلك تم إحداث مراكز مختلفة لتدريس العبرية القديمة والحديثة، وتعزيز الثقافة اليهودية الدينية والعلمانية[4]، في حين لم تكن سلطات الحماية تنظر بارتياح كبير لمثل هذه المراكز واللجان التي تعطي تعليما مجانيا مشبعا بالفكر الصهيوني[5]. وفي ظل تخوف الحماية بالمغرب من تداعيات هذه المراكز في الوسط المسلم عملت على تقييد أنشطة بعض المراكز وفقا لظهير 24 ماي 1914[6] في كل من الدار البيضاء، وفاس، ووجدة، صفرو (بين سنتي 1920 و1943)، في حين رفضت السلطات الترخيص

---

[1] - Catherine Nicault, **"L'Alliance Israélite Universelle et le sionisme (1914-1919)"** , Op. cit,. pp. 63-64.

[2] - Abraham Laredo, **La culture juive au Maroc**, L'Avenir Illustré, N° 243, 29 Février 1936,. pp. 9-10.

[3] - Ibid.

[4] - للإطلاع أكثر حول الأنشطة التعليمية والثقافية للجمعيات الصهيونية بالمغرب . ينظر:

- E. Coidan, Op. cit,. pp. 57-67.

[5] - Ibid,. pp. 59-60.

[6] - **B.O.**, Dahir du 24 Mai 1914 (28 Djoumada II 1332) Dahir sur les Associations, Troisième Année, N° 85, 12 Juin 1914,. pp. 431-433.

والاعتراف بجمعيات أخرى في كل من الصويرة، ومراكش، والرباط، وآسفي، والجديدة، الدار البيضاء ووجدة (بين سنتي 1919 و1945)[1].

وعلى الرغم من انتشار الجمعيات الصهيونية بالمغرب إلا أن تأثيرها في الوسط اليهودي ظل محدودا بفعل افتقادها لرؤية موحدة عن كيفية العمل وأدوات الاستقطاب، ولا أدل على ذلك من النسبة المنخفضة لهجرة اليهود في تجاه فلسطين قبل 1948. فقد كشف قائد منطقة فاس الجنرال موريال Maurial سنة 1922 على أن الهجرة الجماعية لفلسطين بالنسبة للعائلات اليهودية المنحدرة من مدينتي فاس وصفرو لم تنجم عن دواع سياسية، بل عن دوافع دينية محضة، يغذيها الكساد التجاري الحاصل[2]، وفي ذات السياق فندت مجلة السلام والقانون لسان حال الرابطة اليهودية سنة 1923 إحدى الشائعات التي تقول بأن ملاح فاس فقد نصف ساكنيه، بالقول إنه من بين 9000 يهودي، فقط 340 هاجروا في تجاه فلسطين ينقسمون إلى 95 رجلا و125 امرأة و120 طفلا[3]، ولعل الإجراءات الإدارية المقيدة لحركة التنقل من قبل إدارة الحماية هي التي حدت من هجرة اليهود في تجاه فلسطين خلال هذه المرحلة[4]، لكن من الصعب تقدير حجم الهجرة اليهودية من المغرب إلى فلسطين، لأن الحركة الصهيونية لعبت على وتر اللامساواة أمام القانون، والفقر والعوز الذي تشترك فيه كثير من الجماعات اليهودية بالمغرب، وتسويقها لصورة منمقة عبر جريدة المستقبل المصور لفقراء اليهود تعدهم فيها بأن صعوبات الحياة ستكون أقل في بلد يحمل لهم آفاقا غير محدودة[5].

لقد شكلت فترة الحرب العالمية الثانية إلى حدود سنة 1956 وما بعدها مرحلة حاسمة في تاريخ الحركة الصهيونية بالمغرب، بحيث ساهمت عدة عوامل في اتساع قاعدة علاقاتها الدولية،

---

[1] - E. Coidan, Op. cit,. pp. 59-60.

[2] - C.A.D.N., **Carton 1MA,100,265**, Direction des Affaires Indigènes, Le Général Maurial Commandant la Région de Fez à Monsieur le Délégué à la Résidence Générale de la République française au Maroc (Secrétariat Général du Protectorat) Rabat, Fes 02 Novembre 1922.

[3] - **L'exode des juifs de Fez vers la Palestine, Paix et Droit**, Troisieme Année, N° 1, Janvier 1923,. pp. 6-7.

[4]- Ibid.

- من بين الإجراءات المقيدة للهجرة هو توفر المعني بالأمر على إيصال صادر عن الخزينة العامة للحماية يثبت دفع 1000 فرنك، كضمان لسداد النفقات التي قد تتكبدها إدارة الحماية، ضمانا لعودة المغترب إلى أرض الوطن. ينظر:

- **B.O.**, Dahir du 27 Octobre 1931 (16 Joumada II 1350) Portant réglementation de la sortie des travailleurs Marocaine, Vingtieme Année, N° 994, 13 Novembre 1931,. pp. 1310-1311.

[5] - **L'exode des juifs de Fez vers la Palestine, Paix et Droit**, op.cit,. pp. 6-7.

ومنها العلاقة مع يهود أمريكا منذ الإنزال الأمريكي سنة 1942[1]، ثم تجربة حكومة فيشي[2]، والمحرقة اللتين استغلهما الصهاينة لشحن الرأي العام اليهودي بمعاناة إخوانهم في أوروبا، وازدياد نسبة اختراق ممثلي الوكالة اليهودية للجماعات اليهودية المغربية، ثم تنامي وتطور مطالب الحركة الوطنية المغربية ابتداء من ثلاثينيات القرن العشرين التي شكلت مصدرا للقلق بين اليهود، خاصة بعد تعارض المواقف القومية بشأن فلسطين، بعدما أبدى الوطنيون المغاربة دعمهم للتطلعات السياسية العربية في فلسطين. في حين دعم المغاربة اليهود الموالون للصهيونية التطلعات اليهودية لإقامة وطن قومي، وهو ما عزز موقف الصهاينة الذين عملوا على تغذية مخاوف اليهود وتضخيمها، وتدمير ثقتهم في الحماية الفرنسية بعد أن حطمت تجربة حكم فيشي أي أمل متبق في أن الاندماج والثقافي الفرنسي من شأنه أن يسفر عن حقوق سياسية[3]، الشيء الذي سهل مأموريتها في نهج استراتيجية التهجير الجماعي للمغاربة اليهود نحو فلسطين.

إن الحذر الذي أبدته سلطات الحماية والقوميون المغاربة تجاه الحركة الصهيونية بالمغرب جعل الرابطة أكثر تخوفا تجاه أي دعم للأنشطة القومية اليهودية في فلسطين، مخافة انعكاس ذلك سلبا على اليهود في المغرب، وفي الوقت ذاته بدأ عدد متزايد من معلمي الرابطة بإعادة النظر في عدم اكتراثهم بالفكرة الصهيونية، ومن بينهم داود بهار David Béhar الشغوف بالأخبار الواردة من فلسطين، والذي كتب للجنة المركزية يحدثها عن ظهور كل من النازية والفاشية اللتين عكستا أوجه النقص في إديولوجية الرابطة المبنية على دمج اليهود في أوطانهم، وأن خلاص اليهود يكمن في الصهيونية التي تمثل الأمل في مواجهة هذا الوضع الدولي[4]. وعلى الرغم من وعيه بأن الرابطة قد توفقت في تحقيق أهم أهدافها في حوض البحر الأبيض المتوسط والقاضي بتحقيق اندماج اليهود في المجتمع ككل، إلا أن هذا التوفيق في رأيه محصور في مجالي التعليم والاقتصاد؛ لأن اليهود فشلوا في الاندماج بشكل كلي، وهو شذوذ أصبح عقبة خطيرة أمام

---

[1] - كان للإنزال الأمريكي نصيب مهم في التطور السياسي الداخلي للمغرب، خاصة إذا ما علمنا أن الأمريكيين مناهضون لسياسة الاستعمار بشكل علني، وقد فتح اجتماع الرئيس روزفلت بمحمد الخامس في 22 يناير 1943 آفاق مستقبل جديد للمغرب. ينظر:

- D.Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p. 111.

[2] - خلال مرحلة حكومة فيشي ترك مندوب الرابطة كما بقية المناديب لأنفسهم في الخط الأمامي لمواجهة وتدبير التحديات المنبثقة عن المرحلة التي جمدت فيها كل الهياكل المركزية للرابطة بباريس. ينظر:

- A. Kaspi, Op. cit,. p. 319.

[3] - J. Wyrtzen, Op. cit,. p. 251.

[4] - A.A.I.U., **XLVIII E 731**, Lettre de David Béhar, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Saffi, 12 Décembre 1938.

الرابطة[1]، حتى أنه ما فتئ يطلب الانتقال للعمل في إحدى مدارس الرابطة في تل أبيب متذرعا بأن والديه قد هاجرا من تركيا إلى تل أبيب، وأن الأزمة التي تعيشها فلسطين جعلت والده يفقد عمله، وبالتالي عليه أن يقوم بدوره تجاه والديه، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا بالانتقال إلى فلسطين[2].

كذلك أعربت إستير حسون Esther J. Hasson عن أن الأفكار الصهيونية لم يعد من الممكن تجاهلها من قبل الرابطة، وأن الهتليرية Hitlérisme هي أكثر أعداء اليهود، وأن الأوان قد حان لنقد الذات وإعادة النظر في الأفكار السابقة الخاصة بالرابطة[3]، ونصحت أيضا بتهويد البرامج الدراسية للمدارس تأكيدا على القيم اليهودية مقابل كل القيم الأخرى، سواء من حيث العرق والعقيدة الدينية أم من حيث الأخلاق والثقافة اليهودية[4]، لذا يجب على الرابطة، التي هي في طليعة المنظمات اليهودية، أن تأخذ زمام المبادرة في التجاه الجديد[5].

عكست الأراء التي أفصح عنها بعض معلمي ومدراء الرابطة تأييدا للتوجهات الصهيونية تحديا داخليا لهذه المنظمة، مما دفعها إلى أن تعيد النظر في توجهاتها بناء على معطيات واقع الحال، بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية والاحتلال الألماني لفرنسا وصعود حكومة فيشي، مما أدى إلى توقف التوسع في العمل المدرسي مؤقتا[6]، في حين أن ما تبقى من شبكة مدارسها المنتشرة بحوض البحر الأبيض المتوسط، يقع في فضاء يعد في قلب التطورات الجيوسياسية للفترة ما بين الحربين العالميتين، بحيث يجب أن تأخذ في الاعتبار تنامي مد الصحوة القومية في تركيا وإيران ومصر، كما يجب أن تفكر في التنافس بين كل من فرنسا وبريطانيا في الشرق الأوسط، وإمكانيات الحركة الصهيونية في إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، مما يعقد ظروف العمل[7]، في ظل التأثير العميق للحرب على الرابطة؛ لأنه لا يمكن أن تبقى غير مبالية بالصهيونية.

---

[1] - Ibid.
[2] - A.A.I.U., **XLVIII E 731**, Lettre de David Béhar, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Saffi, 10 Juin 1938.
[3] - A.A.I.U., **V E 106**, Lettre de Esther J. Hasson, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 09 Décembre 1938.
[4] - Ibid.
[5] - Ibidem.
[6] - Grison Laurent, **"L'Alliance Israélite Universelle dans les années noires"**, Archives Juives, Vol 34, 2001/1,. p. 11.
[7] - Ibid,. pp. 12-13.

شكلت السنوات السوداء، التي عاشتها الرابطة خلال الحرب العالمية الثانية على عهد رئيسها رينيه كاسان René Cassin الفقيه القانوني وعضو حكومة ديغول في المنفى، ونائبه جول براونشفيغJules Braunschvig، مرحلة أعادت فيها المنظمة تقييم موقفها من جديد تجاه الصهيونية من دون أن تصبح منظمة صهيونية المنحى، وقد عبر عن ذلك واضعو نداء 11 نونبر 1945 بأن **«الرابطة اليهودية منذ سنة 1939، هي مؤسسة من بين مؤسسات أخرى، لم يعد بإمكانها أن تبقى المخول الوحيد للتكلم نيابة عن اليهود أجمعين... ففي البلدان، حيث لا يزال الأطفال اليهود محرومين من التعليم الابتدائي، يجب على الرابطة مضاعفة أعمالها التعليمية، مستعينة بتجربتها التربوية الطويلة، كما أنها لا تنوي أن تكون أسيرة لأساليبها: فهي على استعداد للتأقلم، والتجديد، واستئناف تدريب المعلمين المؤهلين. كما أنها على استعداد لتنويع الدروس وفقا للأماكن مع الحفاظ على الدور التقليدي للغة الفرنسية، ولن يتم إهمال اللغات الوطنية في أي مكان، وفي كل مكان سيكون للغة العبرية مكانها... بالعودة إلى الينابيع المقدسة، التي نشأت بسيناء... والرابطة لن تستطيع مستقبلا كما في السابق، أن تبقى حبيسة التصورات ذات الطبيعة العامة...»**[1]. ولعل ظروف الحرب العالمية الثانية ومخرجاتها، وكذا الإعلان عن تأسيس دولة إسرائيل حتمت على رينيه كاسان تليين إديولوجية الرابطة وتوجهاتها[2]. بحيث صرح سنة 1956 أنه على الرابطة أن تكون يقظة في علاقتها مع بقية المنظمات المؤثرة والمنتشرة في العالم، وأنه لا مناص للرابطة من نسج علاقات معها، لأنها تمثل الوسط الذي يمكن الرابطة من مواصلة تطوير عملها من الناحية الأخلاقية والمادية[3]، وشدد على أنا لن تتدخل أبدا في التنظيمات الثقافية للجماعات، باستثناء تقديم خدمات تعليم العبرية، ولن تتدخل أيضا في أي مشاكل سياسية بحتة[4]، وباحترام هذين الحدين ستحافظ الرابطة على علاقاتها مع جميع المنظمات، سواء كانت دولية أم قومية، مثل منظمة إغاثة الأطفال (O.S.E.) أو منظمة إعادة الاعتبار بالعمل Reconstruction Travail Organisation (O.R.T.)[5]، أو المنظمات ذات

---

[1] - **Déclaration du 11 Novembre 1945**, Bl. AIU, 1er Année, N° 3, Décembre 1945,. pp. 2-3.
[2] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine**, Op. cit,. p. 169.
[3] - **La réunion annuelle de L'Alliance Israélite Universelle 18 Juin 1956**, C. AIU, N° 100, Juillet 1956,. p. 6.
[4]- Ibid,. p. 7.
[5] - منظمة يهودية تعنى بالعمل اليدوي والحرف والزراعية، تأسست في سانت بطرسبورغ سنة 1880، و تطورت في برلين سنة 1921 ثم في باريس سنة 1933، ويوجد مقرها في جنيف منذ عام 1943 وفي لندن أيضا. وارتبطت تاريخيا بجمعية إغاثة الأطفال OSE، وكذلك بلجنة التوزيع المشتركة اليهودية الأمريكية JDC. وتهدف الـ ORT إلى بسط توفير الدورات التكوينية ومدارس المهن اليدوية، والحرف والتقنيات لليهود المعوزين. ينظر:

الغايات السياسية، مثل المؤتمر اليهودي العالمي Congrès mondial juif، ومثل الرابطة اليهودية الصهيونية l'Alliance juive sioniste، أو المنظمات الإنجليزية والأميركية التي تتعاون معها[1].

برز تراجع الرابطة في مواقفها تجاه الحركة الصهيونية في تأييدها لحاجة اليهود للهجرة إلى فلسطين، ولا سيما ضحايا ألمانيا النازية، وأن استحالة هجرة اليهود إلى أي مكان آخر جعل من فلسطين مكانا طبيعيا للجوء عبر ما يعرف بنداء 11 نونبر 1945 الذي جاء فيه **«علينا أن نعترف، ولأسباب مختلفة، ومأساوية في الغالب، أن بعض السكان اليهود لا يستطيعون، أو لم يعودوا، يرغبون في الاندماج في الاقتصاد والمجتمع في مناطقهم الأصلية أو في الإقامات الحالية. عليهم إما أن يهلكوا على الفور أو أن يذهبوا إلى أماكن أخرى أكثر إنسانية»**[2]، كما أشادت الرابطة بالمشاريع التي تسعى الحركة الصهيونية إلى إقامتها في فلسطين قصد تحويلها إلى بلد حديث، الشيء الذي من شأنه أن يمكن العديد من اللاجئين من الاستقرار هناك، حتى يتسنى لكل من اليهود والعرب العيش معا[3]؛ لأن الرابطة شعرت بأنه لا حق لها في معارضة الرغبة المشروعة لليهود في الاستقرار في فلسطين[4]، خاصة إذا ما تم استبدال الانتداب البريطاني بوصاية دولية تتمثل مهمتها في تسهيل الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين[5].

ولعل أهم المشاريع التي تثبت تماهي الأهداف لدى كل من الرابطة والحركة الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية هي تأسيس المدرسة العبرية العادية (E.N.H.) سنة 1946 بالدار البيضاء بالتنسيق مع جمعية ماجن دفيد Maghen David التي تعنى بإحياء وتدريس اللغة

- Emmanuelle Polack, **"Les Ecoles professionnelles de l'ORT-France et la transmission du judaïsme 1921-1949"**, Archives Juives 2002/2, Vol 35,. pp. 60-76.
- A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine**: cent Ans d'histoire, Presses Universitaires de France, 1965,. p.173.

[1] - **La réunion annuelle de L'Alliance Israélite Universelle 18 Juin 1956**, Op. cit,. p. 7.
- Catherine Nicault, **"L'Alliance au lendemain de la Seconde guerre mondiale: ruptures et continuités idéologiques"**, Archives Juives, Vol. 34, 2001/1,. pp. 31-32.

[2] - **Déclaration du 11 Novembre 1945**, Op. cit,. pp. 4-5.
- **Les Nouveaux Cahiers**, N° 45, 1976,. p. 22.

للاطلاع على النص الكامل، ينظر:
- **La Question Palestinienne: Mémorandum de L'Alliance Israélite à L'O.N.U**, C. AIU, N° 14-15, Juin-Juillet 1947,. pp. 1-2.

[3] - **Déclaration du 11 Novembre 1945**, Op. cit,. pp. 4-5.

[4] - Catherine Nicault, **"L'Alliance au lendemain de la Seconde guerre mondiale",** Op. cit,. p. 34.

[5]- لقد كان مقترح استبدال الانتداب البريطاني بوصاية دولية من قبل الرابطة إلى هيئة الأمم المتحدة مبنيا على أساس أن المشكل ذو طابع دولي. ينظر:
- **La Question Palestinienne: Mémorandum de L'Alliance Israélite à L'O.N.U**, C. AIU, N° 14-15, Juin-Juillet 1947,. p. 1.

العبرية الحديثة، بعدما أظهر براونشفيغ رغبته عبر مندوب الرابطة روبن التاجوري إلى جانب S. D Lévy رئيس جمعية ماجن دفيد في تحويل مقرها بالدار البيضاء إلى مدرسة لتكوين الحاخامات ومعلمي اللغة العبرية الحديثة[1]، للحلول محل المعلمين الحاخامات الذين عفا عنهم الزمن، تحت ضغط الطلب المتزايد لأنصار الحركة الصهيونية وأباء التلاميذ لأجل تلقين أبناءهم اللغة العبرية، وعلى الرغم من ذلك ظلت الرابطة متمسكة بالتحرر باعتباره حلا سياسيا للمشكلة اليهودية.

صورة رقم 6: واجهة المدرسة العبرية العادية بالدار البيضاء (E.N.H.)

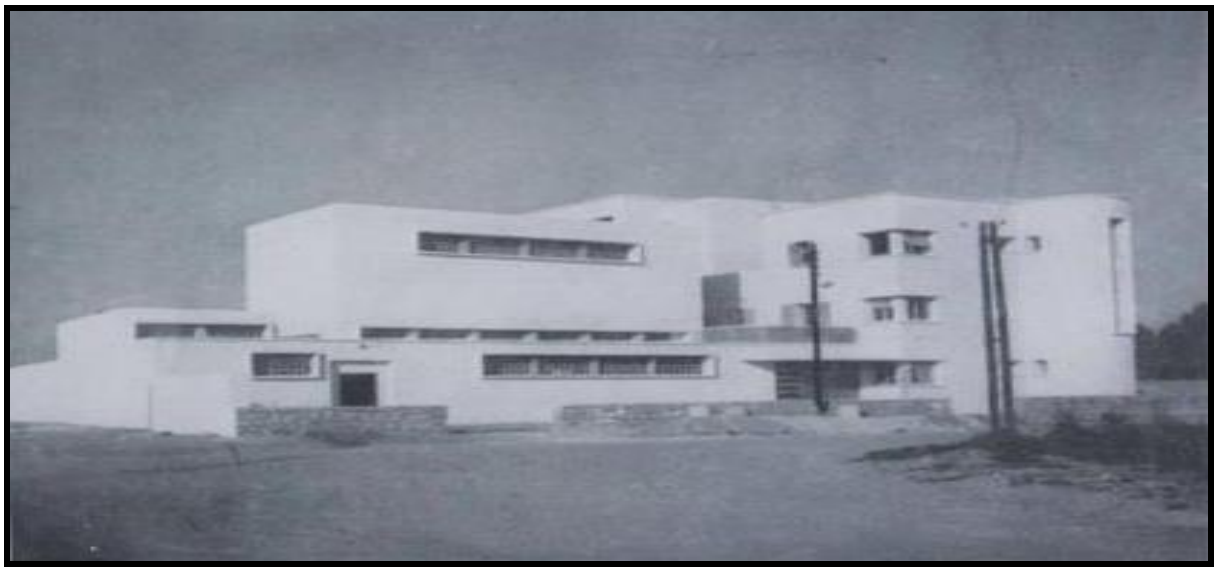

المصدر:

- Alliance israélite universelle: 1860-1960 Programme des manifestations du Centenaire, Comité Régional d'Alger, Avril 1960.

إن تاريخ العلاقات بين الرابطة والصهيونية هو نتيجة للصراع الإيديولوجي والنضال من أجل النفوذ، الذي تحول منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى مصلحة الحركة الصهيونية، بفعل تراجع دور الرابطة السياسي الذي يمكن فهمه من خلال تطور عملها التعليمي. ويظهر جليا مما سبق أن الخلاف الحاصل بين كل من الرابطة اليهودية والحركة الصهيونية يتمحور حول عدد من النقاط الظرفية المتمثلة في فهم كل منهما للكيفية والاتجاه الذي يجب أن يتطور فيه اليهود، وكذا حول الأسبقية وأحقية تمثيل اليهود دوليا. لكن الإعلان عن تأسيس دولة إسرائيل بشكل رسمي خلق جوا ملائما للالتقاء وضم الجهود إلى بعضها، مادامت العديد من الأهداف مشتركة بين

[1] - **l'Ecole Normale Hébraïque**, Information Juive, N° 42, Février 1953,. p. 2.

الطرفين تتمحور حول استعادة الكبرياء اليهودي، وإضفاء الطابع المؤسساتي للتضامن بينهم، بوصفه أساسا لسياسة الدفاع عن اليهود المضطهدين بالارتكاز على مجهود التطوير والتحديث[1].

3) الرابطة اليهودية والحركة الوطنية.

اتسمت التوجهات الأولى للحركة الوطنية داخل كتلة العمل الوطني -خاصة بعد الحركية التي أثارها ما يسمى بالظهير البربري 16 ماي 1930- بالانفتاح على اليهود بغرض تحقيق نوع من التقارب بينهما، في إطار استقطاب جميع التوجهات السياسية وكسب رهان تحقيق مطالب الشعب المغربي، ولا أدل على ذلك محتوى مطالب كتلة العمل الوطني لسنة 1934 التي تضمنت عددا من الحقوق المشتركة بين اليهود والمسلمين على حد سواء[2]. وقد شكلت صحيفة عمل الشعب L'Action du Peuple منبرا لهذا التوجه، وصوتا يندد بنشاط الحركة الصهيونية بالمغرب وجريدتها المستقبل المصور L'Avenir Illustré، وقد جاء نداء الحركة الوطنية للعمل المشترك على يد محمد الخلطي، بقوله: **«أنه من من واجب النخبة المسلمة التي تعكس مواقفها الرأي العام المغربي، أن تشدد على أن مصلحة العنصرين (اليهودي والمسلم) تكمن في تحقيق التوافق،... وفي حالة تأسيس هذا التوافق على الصدق والإخلاص، فإنه سيكون نقطة انطلاق بالنسبة لشبيبة الطرفين في العمل المشترك الهادف لتحقيق الإصلاحات العاجلة التي تفرض نفسها في مجال العدل ومجالات أخرى... إننا حين ندعوهم للإلتحاق بنا ونمد يدنا، نريد أن نبرهن لهم على أن الشبيبة المسلمة المعاصرة تريد أن تتعاون في تفعيل مشروع مشترك يرمي إلى تحديث وطننا بفضل المساعدة الكريمة لفرنسا... ويستوجب على جميع الفرنسيين التواقين للسلام والأمن، أن يساندونا في حملتنا من أجل توافق يهودي مسلم»**[3].

لقد كان سيماخ من الأوائل الذين تلقفوا دعوة الحركة الوطنية للعمل المشترك لأجل تحقيق المطالب الإصلاحية للشعب المغربي[4]، كما تنبه أيضا للحالة الذهنية للشباب المغربي الذين يؤمنون بأنهم رواد وقادرون على حكم أنفسهم دون مساعدة من فرنسا[5]، خاصة عندما رفض

---

[1] - A. Kaspi, Op. cit,. pp. 189-191.

[2] - الحركة الوطنية في بداياتها لم تدع إلى استقلال البلاد بقدر ما دعت إلى إشراك المغاربة في تسيير البلاد وتقديم اقتراحاتهم والمشاركة في اتخاذ القرارات التي تهم المواطنين. ينظر:
- محمد براص، م. س،. صص. 77-72. أنظر أيضا:
- أحمد الشرقاوي، **مطالب الشعب المغربي**، المطبعة الملكية، الرباط، 1979،. ص. 1.

[3] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 1، م. س،. ص. 309.

[4] - A.A.I.U., **XLIII E 717 d**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 13 Septembre 1933.

[5] - Ibid.

الوطنيون المغاربة دعوة للانضمام إلى الحزب الإشتراكي الفرنسي على لسان محمد بن الحسن الوزاني بجريدة عمل الشعب بتاريخ 25 غشت 1933، حيث كتب متسائلا **«ألا يعتبر انضمامنا إلى هذا الحزب بمثابة استيعاب واحتواء؟ ونحن نناهض كل أنواع الاستيعاب والاحتواء»**[1]، وقبل أي تجاوب غير محسوب العواقب مع اليد الممدودة للحركة الوطنية، حاول سيماخ مندوب الرابطة بالمغرب تأطير حدود هذا التقارب بطرحه لعدد من الأسئلة[2] التي ينبغي الإجابة عنها أولا، وتتمحور حول:

- كيفية الإجابة عن هذه الدعوة؟
- ماذا ستستفيد اليهودية المغربية من إبرام مثل هذا التحالف؟
- هل سيكون الشباب اليهودي أمام هذه التطورات قادرين على تمييز مصالحهم الحقيقية؟
- هل ستدع - اليهودية المغربية - نفسها تنجر إلى حماس غير محسوب العواقب؟

خلص سيماخ بمعية عدد من أصدقائه بعد تدارسهم لهذه الأسئلة الجوهرية، إلى أنه ليس هناك رغبة لإثارة أي نقاش في هذا الأمر، وأن ما تستدعيه الضرورة هو الكشف علانية عن وضع اليهود مقارنة بنظرائهم العرب وتحديد طموحاتهم، والغرض من جهودهم[3]، وعليه أعد سيماخ مشروع مقال يمكن لـ l'Union Marocaine أن تنشره دون توقيع يعكس هذه الأفكار عبر هذه الصحيفة[4]، لكن رغم هذا التريث والحذر من قبل مندوب الرابطة، تم التفاعل مع الدعوة الموجهة لليهود عبر جريدة عمل الشعب من خلال عدد من المقالات لعدد من اليهود، أهمها مقال إسحاق بنديان Isaac Bendayan وهو شخص له سابقة قام من خلالها سنة 1912 بتأسس جمعية يهودية عربية، لكن السلطات الفرنسية المحلية قامت بحلها[5]، وبنديان هذا صرح عبر جريدة عمل الشعب بتاريخ 8 شتنبر 1933 بأن الشباب اليهودي سيسعد بالعمل مع الشباب المسلم من أجل تكوين وتأطير الشعب المغربي[6]، كما شجب فيه الأسباب التي أدت إلى وقوع أحداث ماي 1933 بالرباط، وتأسف لعدم إعطاء دروس في اللغة العربية بالمدارس اليهودية، وندد بكل المحاولات التي تسعى إلى تغييب وجود أمة مغربية، وبعبثية المطالبة بمرسوم كريميو جديد لفائدة

---

[1] - جورج سبيلمان، **المغرب من الحماية إلى الإستقلال 1912 - 1956**، ترجمة محمد المؤيد، منشورات أمل، 2014، ص. 73.

[2] - A.A.I.U., **XLIII E 717 d**, Op. cit.

[3] - Ibid.

[4] - Ibidem.

[5] - يشار في موقع آخر إلى أن بنديان قام بتأسيس جمعية «إتحاد الشبيبة الإسلامية اليهودية المغربية» سنة 1928 وليس سنة 1912 كما ذكر سيماخ، وبالفعل رفضت من قبل السلطات الفرنسية. ينظر:
- J. Wyrtzen, Op. cit,. pp. 242-243.

[6] - A.A.I.U., **XLIII E 717 d**, Op. cit.

النخبة اليهودية المتنورة التي لم تناضل حتى من أجل إصلاح النظام القضائي بالمغرب، وأضاف أنه لا يوجد أمام إخوانه في الدين الذين لا يشعرون بالإرتياح لمقامهم بالمغرب بديلا منطقيا آخر للخيار الفلسطيني[1]، لكنه أعرب أيضا عن قلقه إزاء انتشار معاداة السامية في أوساط الشعب المغربي ودعا الشباب المغاربة (الذين يشرفون على صحيفة عمل الشعب) إلى التنديد بها[2].

وعليه نصح سيماخ اللجنة المركزية بباريس بأن تحث إيلي نطاف Elie Nataf مدير تحرير جريدة l'Union Marocaine المقربة من الرابطة، كي يمتنع على الأقل في الوقت الحالي، عن الدخول في أي تجاوب مع دعوة الحركة الوطنية، وانتظار التصريحات الجديدة لجريدة عمل الشعب[3]، لأنه ليست له معرفة بالخلطي وما إذا كان اسما مستعارا يخفي شخصية أوروبية مثلا، إلا أن المقال استحق اهتمام مندوب الرابطة الذي عبر عن شكره للمؤلف مهما كان، وذلك لموضوعية المقال المكتوب، ومنبع تردد المندوب هو أنه لا يعرف ما إذا كان الخلطي هذا يتحدث نيابة عن مجموعة كبيرة من الشباب المغربي أم إنه يصدر آراء بشكل عام[4].

إن اختلاف وتنوع المنابع والمشارب الفكرية لمكونات الحركة الوطنية ساهمت في خلق تطور على مستوى العقليات داخل الحركة، خاصة فيما يخص النظرة لوضع اليهود داخل الجماعة الإسلامية. فإكراهات الذمة سقطت من تلقاء نفسها تدريجيا؛ لأن المجتمع لم يعد في حاجة إليها لتقنين وضبط علاقاته بأقلية اليهود[5]، وفي ظل هذا السياق فتحت جريدة عمل الشعب أبوابها أمام اليهود للتجاوب مع الدعوة التي وجهها محمد الخلطي، ونشرت مقالا آخر لجوزيف دنان Joseph Danan بتاريخ 22 شتنبر 1933 رحب فيه بالفكرة، وعبر عن ارتياحه لفتح الصحيفة الباب في وجه المغاربة اليهود للنقاش والحوار بين الطرفين المسلم واليهودي، وفي الوقت نفسه أقر بأن هذا التقارب لم يصل إلى المستوى المرغوب فيه، مما يحتم على المسلمين تحقيق المزيد من الانفتاح والتسامح، وجعل من الطريقة التي تعامل بها فرنسا المغاربة اليهود نموذجا يمكن الاحتداء به، ولم يفت دنان هو الآخر انتقاد التعليم بمدارس الرابطة اليهودية، التي

---

[1] - محمد براص، م. س،. ص. 76.
- محمد كنبيب، **يهود المغرب 1912-1948**، ترجمة إدريس بنسعيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1998، صص. 154-159.

[2] - J. Wyrtzen, Op. cit,. pp. 242-243.

[3] - A.A.I.U., **XLIII E 717 d**, Op. cit.

[4] - Ibid.

[5] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 1، م. س،. ص. 303.

تقدم وفق تقديره تعليما أوليا موجها يتسم بالنقص، ولا يحقق ما تطمح له الأقلية اليهودية، مختتما مقاله بتوجيه دعوة صريحة لتحقيق توافق حقيقي بين الفرنسيين والمسلمين واليهود[1].

هذا ونشرت صحيفة عمل الشعب مقالا ثالثا لموسى أزنكوط Moses Aznacot بتاريخ 27 أبريل 1934، والذي أكد فيه على استحالة قيام توافق بين المسلمين واليهود، لأن غاياتهما مختلفة، والسبب في ذلك يرجع لكونهما لم يأخذا بعين الاعتبار الجانب الديني في تصوراتهما[2].

وعلى الرغم من المواقف المتناقضة التي عبر عنها هؤلاء في تفاعلهم مع مقالة الخلطي، فقد ظل العنصر اليهودي في صميم انشغالات الحركة الوطنية، والتي عرّفها محمد بن الحسن الوزاني في صحيفة الدفاع عدد 6 بتاريخ 5 اكتوبر 1937، بأنها **«... حركة لا تعتمد إلا على جميع الشعب بجميع عناصره، لا تخدم إلا قضية الشعب بجميع طبقاته »**[3]، وقد عبر أحد نشطاء الحركة الوطنية عن التوجه نفسه بصحيفة عمل الشعب تحت اسم مستعار «المسكين El Mesquine» بتاريخ 17 يونيو 1937، **«... يجب على اليهود أن يفهموا حقيقة الحركة الوطنية، فهي ليست حركة فاشية أو نازية، بل حركة تهدف إلى مناهضة الإستعمار بشتى أشكاله وتدافع من أجل توفير الخبز للفقراء... ومن هنا على اليهود أن لا يأخذوا بالأمور البسيطة التي قد تحدث بين أفراد منعزلين من الطائفتين، بل أن ينظروا إلى المسألة بشكل أكثر واقعية وتفهما، فلا يجب أن ينسى كل من المسلم واليهودي أن لديهم أما مختلفة، لكن عليهم أن يتذكروا أن لديهم أبا واحدا هو إبراهيم عليه السلام...»**[4]، ملحين على الوحدة الضرورية لكل المغاربة بهدف الحصول على الحقوق بدون تمييز ديني، غير أن النخب اليهودية وخاصة أنصار الرابطة تجنبوا الاصطفاف العفوي والمباشر إلى جانب الوطنيين المسلمين، نظرا للأمال المعقودة على الإقامة العامة التي ربما تحتذي بالإسبان الذين أعلنوا عن نيتهم في توفير مرونة أكبر بخصوص تجنيس اليهود[5]، والتي كانت في حقيقة الأمر مجرد وعود لا غير.

والحال أنه لم تكن الرابطة اليهودية في حاجة إلى شركاء في النضال، لأنها حظرت سنة 1937 كل ما من شأنه أن يشكل إعلانا للانتماء السياسي والديني، أو أي شكل من أشكال التبشير

---

[1] - محمد براص، م. س، ص. 75.
[2] - نفسه، ص. 76.
[3] - نفسه، ص. 81.
[4] - محمد براص، م. س، ص. 85.
[5] - محمد كنبيب، م. س، ص. 159.

والدعاية داخل فضاء مؤسساتها[1]، بل فضل قادتها بباريس ومندوبها بالمغرب اللجوء إلى الحذر والدبلوماسية في ضوء اعتماد المنظمة المالي على الفرنسيين، بتجنبهم أي عمل قد ينفر الفرنسيين ويعرض وجود المنظمة في المغرب للخطر[2]، خاصة وأن سيماخ تعمد إلقاء المسؤولية على اللجنة المركزية حول الطريقة التي يمكن التعامل بها مع الحركة الوطنية[3]، إضافة إلى أنه أدرج متعمدا بالرسالة نفسها - التي بعثها للجنة المركزية لإطلاعها على فحوى مقالة الخلطي– إشارة تتعلق بالميزانية ومحادثته مع السيد غوتلاند Gotteland بخصوص التعليم الإسرائيلي وحاجة الرابطة إلى مزيد من المباني في ظل العجز الذي تعرفه ميزانية الحماية (عجز يصل إلى أكثر من 150 مليون فرنك)، وأنه من المتوقع أن يتم تخفيض في جميع الاعتمادات المخصصة من قبل الحماية، لكنه طمأن اللجنة المركزية إلى أنه طلب من غوتلاند أن يدافع، لدى مديرية المالية، عن مبلغ الدعم الذي سيخصص للرابطة في سنة 1934، حفاظا على الرقم المقرر لها من أجل أن تحافظ المنظمة على قدراتها في القيام بالأعباء الجديدة التي تتحملها[4].

حافظت الرابطة اليهودية على استراتيجية الحذر تجاه كل ما من شأنه أن يعكر صفو العلاقة التي تربطها بفرنسا، خاصة في الفترة التي تزامنت مع حكومة فيشي Vichy والإنزال الأمريكي بالمغرب فيما بين 1940-1942 وما بعدها. وقد شكلت محاولة حكومة فيشي تطبيق مقتضيات المرسوم الألماني المؤرخ بـ 24 أكتوبر 1940 القاضي بأرينة Aryanisation المؤسسات والمنظمات التي تشكل تحديا للثقافة الألمانية، وهي مقتضيات مثلت تهديدا مباشرا للرابطة في حساباتها المصرفية ومقراتها خاصة في فرنسا[5]. وفي المغرب كان إقدام الإقامة العامة على إدخال قوانين فيشي للمغرب ومحاولة تطبيقها على المغاربة اليهود - على عهد المقيم العام شارل نوجيس Charles. H Noguès الموالي لنظام فيشي والخاضع لأوامره -، يتسم بالنسبية، لأن

---

[1] - **L'histoire de la laïcité à l'école**, C. AIU, N° 28, Novembre 2003,. p. 19.
[2] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 188.
[3] - A.A.I.U., **XLIII E 717 d**, Op. cit.
[4] - A.A.I.U., **XLIII E 717 d**, Op. cit.
[5]- تنبأت الرابطة سنة 1931 بالسياسة المعادية لليهود من قبل الحزب الاشتراكي الوطني الألماني الذي طورت قيادته مبادئ توجيهية مسبقة من أجل حل المسألة اليهودية، سيعمل على تطبيقها بمجرد وصوله إلى السلطة، وهي القوانين العنصرية نفسها والمعادية لليهود التي طبقتها حكومة فيشي. ينظر:
- **Allemagne: L'agitation raciste, Paix et Droit**, Onzieme Année, N° 10, Décembre 1931,. pp. 11-12.
- كما احتل الألمان المقر الرئيس للمنظمة الكائن بشارع لا بروبير La Bruyère في العاصمة باريس ونهب مكتبتها هناك، كما تم الاستيلاء على مدرستي تكوين المعلمين بباريس وفرساي، وتم تحويلهما إلى ورشة لإعادة تأهيل السجناء الصغار في سجن Fresnes. ينظر:
- G. Laurent, Op. cit,. pp. 11-14.

الدعاية الألمانية لم تتوفق في إقناع الأوساط الوطنية أو استمالتها[1]، أضف إلى أن المغاربة اليهود هروبا من قوانين فيشي استنجدوا بمقتضيات التشريع الإسلامي مطالبين السلطان بعدم تبني الظهير الذي أعدته الإقامة العامة على أساس القانون الفرنسي الصادر بتاريخ 3 يونيو 1941، وأكدوا بهذا الصدد **«أن صاحب الجلالة الشريفة سوف يخرق القوانين الشرعية إذا صادقت بواسطة ظهير على إجراءات منافية لروح النص القرآني ولفظه، التي تبيح لأهل الذمة من النصارى واليهود العيش في دار الاسلام، وممارسة كل الحرف والصنائع غير الشرعية شريطة دفعهم الجزية واحترام الدين الإسلامي»**[2].

الإجراءات التمييزية لفيشي المتعلقة بالتعليم في المغرب، لم تشمل إلا عددا محدودا من الأطفال اليهود، والسبب في ذلك يعود إلى أن السواد الأعظم منهم يتمدرسون في مدارس الرابطة اليهودية العالمية[3]، التي لم تتأثر شبكتها التعليمية بالمغرب كثيرا بفعل أرينة المنظمة الأم بباريس، لأن هذه الأخيرة لم تستخدم سوى ٪20 من ميزانيتها للأعمال المدرسية[4]، وبالتالي استطاعت المدارس بالمغرب أن تحافظ على تواجدها بفضل الدعم السخي لأعضاء الجماعات اليهودية بالمغرب، وفضيلة نكران الذات من قبل معلميها.

وفي سنة 1943 ستنضم الرابطة إلى المعسكر الديغولي بعد أن شغل رينيه كاسان René Cassin منصب المفوض الوطني للعدل والتعليم العام Commissaire National à la Justice et à l'Instruction Publique في حكومة الجنرال شارل ديغول Charles de Gaulle في المنفى[5]، وقد وجه كاسان ما يعرف بنداء 11 نونبر 1945 يثني فيه على تماسك الرابطة إبان مرحلة فيشي، ويشكر كل من ساهم في هذا التماسك بالقول: **«من المغرب إلى بلاد فارس، على الرغم من سياسة فيشي البغيضة وفوضى الحرب التي عمت كل مكان،... وخلال الأعمال العدائية، واصلت مئات المدارس التابعة للرابطة فتح أبوابها لأكثر من خمسين ألف تلميذ، بفضل الدعم المادي للسكان الإسرائيليين الذين قاموا بجمعه، وبفضل حماس ونكران**

---

[1] - محمد كنبيب، م. س، ص. 211.

[2] - انطلاقا من عدة اعتبارات، أبدى السلطان محمد الخامس بشكل صريح تعاطفه مع رعاياه اليهود، واستقبل بعض أعيانهم في رحاب القصر خاصة خلال ماي ويونيو وغشت 1942، وأكد لهم بهذه المناسبة حق التمتع بحمايته مشددا على المساواة في التعامل التي يجب أن توفر لهم إسوة بمواطنيهم المسلمين. ينظر:
- محمد كنبيب، م. س، صص. 229-230.

[3] - نفسه، ص. 223. أنظر أيضا:
- A. Kaspi, Op. cit,. pp. 320-321.

[4] - G. Laurent, Op. cit,. p. 15.

[5] - Ibid,. p. 18.

الذات لمعلمينا، وكذلك بفضل الدعم السخي للجمعيات الشقيقة، وبفضل مبادرات الفرنسيين الأحرار والجنرال ديغول»[1].

ساهمت السنوات السوداء التي مرت بها الرابطة مع حكومة فيشي والوقائع المؤلمة للحرب العالمية الثانية، في تفتق الوعي الصهيوني لأعضاء اللجنة المركزية للرابطة وعلى رأسهم جول براونشفيغ ورينيه كاسان[2]، بدون أي مراعاة لمجموع الآراء السياسية التي تتبناها مختلف القوى القومية بالمغرب، أو الاتهامات التي يمكن توجيهها للمنظمة، مثل التعاون مع المستعمر، وخدمة المصالح التعليمية للدولة الصهيونية الجديدة[3]، وبالفعل تموقعت الرابطة إلى جانب الصهيونية بعدما تبدى أن مشروع الدولة اليهودية ليس سرابا ابتداء من 1948[4]، وهي السنة التي أعلن فيها عن قيام دولة إسرائيل بشكل رسمي، والسنة نفسها التي ستعرف أحداثا دامية بين اليهود والمسلمين بالمغرب الشرقي، فيما يعرف بأحداث جرادة ووجدة[5]. وعلى إثر هذه المستجدات ستعلن الرابطة عن فشل النموذج الغربي في الاندماج داخل الأماكن التي كانت تعد معقلا لنجاحها[6]، وأن كل هذه المآسي هي بمثابة هزيمة أخلاقية لها وللمثل والمبادئ التي طالما اجتهدت أطرها التربوية في الدفاع عنها وترسيخها[7]، وبمعنى آخر العمل على رسم مسار جديد لعمل الرابطة دون المساس بهويتها، ومواءمة عملها بشكل أفضل مع تطلعات العالم اليهودي، وخاصة في الجانب الذي يعنى بالوطن القومي، عبر مد جسور التضامن مع باقي المنظمات اليهودية الأخرى[8].

---

[1] - **Déclaration du 11 Novembre 1945**, Op. cit,. p. 2.

[2] - Tsur Yaron, **"L'AIU et le judaïsme Marocain en 1949: l'émergence d'une nouvelle démarche politique"**, Archives Juives, 2001/1, Vol 34,. p. 56.

[3] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. pp. 330-331.

[4] - T. Yaron, Op. cit,. p. 56.

[5] - للإطلاع أكثر على تفاصيل أحداث جرادة ووجدة سنة 1948، يمكن العودة إلى:
- عبد الله لغمائيد، **يهود سوس: المجال والتمثلات الاجتماعية والسياسية، 1860-1960**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ المعاصر، إشراف محمد كنبيب، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال- الرباط، السنة الجامعية 2001-2002.
- محمد كنبيب، م. س.
- محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب، ج 1**، م. س.
- محمد براص، م. س.

[6] - T. Yaron, Op. cit,. p. 56.

[7] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 1، م. س، ص. 249.

[8] - إن تعاون الرابطة مع باقي المنظمات اليهودية الدولية مدفوعا في المقام الأول بهاجس الدعم المالي. لأنه إذا كان لدى الرابطة مشروعات تنموية طموحة -خاصة في مجال التعليم- فإن ميزانيتها جد منهكة، والتبرعات والمساهمات تمثل الحل الأول الذي وضعته اللجنة المركزية واللجنة المالية التي أنشئت في بداية عام 1946، عبر إطلاق حملات اشتراكاتية كبيرة في أمريكا بالخصوص. ينظر:

وفي الوقت ذاته تصاعدت نداءات الحركة الوطنية بضرورة رص صفوف المجتمع المغربي بكل طوائفه، لمواجهة الاستعمار الفرنسي والإسباني، بغية تحقيق المزيد من المطالب والإصلاحات في أفق المطالبة بالاستقلال التام، ومن خلال ذلك عادت الرابطة لتؤكد على رفضها انخراط تلامذتها في العمل السياسي، الذي هو مضر في نظرها، بالشباب وبسكان الملاحات، وبالقدر نفسه هو مضر بالأحزاب التي تضطلع به[1]. وهو توجه مستمد من قلقها على مصير اليهود الذين يعيشون في البلدان الإسلامية التي لا تزال تحت الحكم الاستعماري الفرنسي، وعلى وجه التحديد في شمال إفريقيا، ففي نظر الرابطة يعد أي توجه سياسي علني للشباب اليهودي سواء كان مناصرا للقضايا الوطنية أم الصهيونية مضر بموقعهم لدى مؤسسة الحماية الفرنسية من جهة، وعند الغالبية المسلمة، وبخاصة عناصر الحركة الوطنية التي أصبحت أقرب ما يكون من السلطان محمد الخامس الذي حذر في خطاب 24 ماي 1948، بعد الإعلان عن تأسيس دولة إسرائيل وقبيل أحداث المغرب الشرقي، اليهود من القيام بأي عمل فيه تأييد للصهيونية أو إبداء أي تضامن معهم لما في ذلك من المساس بحقوقهم الخاصة[2]، بعدما هيمنت القضية الفلسطينية على المشهد السياسي للمسلمين واليهود في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة.

بعد أن تبين للجميع التقارب الحاصل بين السلطان وأعضاء الحركة الوطنية، وتشبثه بمقررات جامعة الدول العربية فيما يخص درء العدوان الصهيوني في فلسطين، توجه كاسان برسالة مطولة إلى السلطان محمد الخامس بتاريخ 29 مارس 1949، فحواها الإشادة بتجذر عطف السلاطين المغاربة على اليهود بإمبراطوريتهم، منتهزا الفرصة لتقديم عدد من المطالب الملحة للمغاربة اليهود كما تراها الرابطة، والتي تتمحور حول الحرية والمساواة، أي الحرية في الذهاب والإياب كما يرونه مناسبا والتمتع بجميع إمكانيات الحياة إلى الحد الذي لا يضر الأقران[3]، والمساواة في المعاملة على جميع الأصعدة، وتمكينهم من الوصول إلى جميع الوظائف العمومية، وضمان العدالة نفسها للجميع، بل على الأقل يجب تمكينهم من المشاركة في ممارستها في النطاق الذي يتعلق بهم. وأنه بتحقيق هذه المطالب سيخلد السلطان اسمه في التاريخ، وأن الرابطة منظمة كبيرة لم يعد عليها أن تثبت حسن نيتها وتفانيها في خدمة الصالح العام، وأن المطالب المقدمة

- Catherine Nicault, **"L'Alliance au lendemain de la Seconde guerre mondiale"**, Op. cit,. p. 29-36.

[1] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 1، م. س،. ص. 97 . (هامش رقم 5).

[2] - نفسه،. ص. 238.

[3] - للإطلاع على الرسالة كاملة، ينظر:

- T. Yaron, Op. cit,. pp. 70-72.

تدخل في إطار الأنشطة التي تزاولها لخلق عالم أفضل وأكثر سلما من خلال الاعتراف العالمي بحقوق الإنسان[1].

جاء الرد سريعا على رسالة كاسان من قبل السلطان محمد الخامس بتاريخ 18 ماي 1949، يثني فيها السلطان على اعتراف كاسان بالعطف التاريخي للسلاطين المغاربة على يهودهم، بما في ذلك معاملتهم على قدم المساواة مثل بقية مواطنيهم المسلمين، وأشار إلى استماتته في الدفاع عنهم خلال مرحلة حكومة فيشي والحرب العالمية الثانية وفي مناسبات مختلفة، ليس سوى تأكيد على هذه السياسة الراسخة، ولفت انتباه كاسان إلى أنه في مملكته الشريفة لا يوجد نص قانوني لصالح عنصر من المغاربة على حساب البعض الآخر، بل يستفيد المغاربة اليهود بشكل خاص من حماية القانون فيما يتعلق بممارسة عباداتهم وتطبيق أحوالهم الشخصية[2].

وفيما يخص الحريات المدنية التي رغب كاسان في منحها إلى إخوانه في الدين، بناء على روح المبادئ المعتمدة من قبل لجنة حقوق الإنسان التي يعد هو نفسه واحدا من ركائزها الأساس، فإن جلالته –السلطان- يحرص على تعميم هذه الممارسة على جميع رعاياه دون أي استثناء أو تمييز، أما بخصوص الحالة المتردية للمغاربة اليهود على وفق رسالة كاسان، فقد اعتبرها السلطان واحدة من الصعوبات الحالية التي يشترك فيها نسبة من العنصر اليهودي وعدد لا يستهان به من مواطنيهم المسلمين، وأنه لا يدخر جهدا للدفاع عن حقوق جميع الطبقات الفقيرة لشعبه، مسلمين ويهود على حد سواء. حتى يكون مستوى معيشتهم عاليا وذلك بالرغم من وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية، ولم يفت السلطان محمد الخامس التنويه بجهود كاسان النبيلة التي يبذلها انتصارا لحقوق الإنسان وضمان ممارسة هذه الحقوق[3].

لكن في مرحلة الأربعينيات بدأت السلطات الفرنسية بالمغرب تستشرف معالم التطرف في تحركات الحركة الوطنية، بعدما تبين لهم أن السلطان قد أصبح أكثر حسما تجاه الفرنسيين، وأكثر استقلالية عن مؤسسة الحماية من ذي قبل، مستعيدا قدرا كبيرا من هيبته وسلطته، بفعل تشبثه بالسيادة والشرعية، وهو ما تقبلته فرنسا على مضض حفاظا على تقبل المغاربة لنظام الحماية. وبالطريقة نفسها جعل الوطنيون من السلطان شخصية محورية مقدسة لتبرير مواقفهم للشعب،

---

[1] - Ibid.

[2] - للإطلاع على الرسالة كاملة، ينظر:

- Ibidem,. pp. 72-73.

[3] - Ibidem.

وكسب دعم السلطان لمطلب الاستقلال[1]، بعدما أسست عناصر الحركة الوطنية لتحقيق الإصلاحات – معظمهم ينتمون إلى حزب الاستقلال- في يناير 1944، لفكر المطالبة باستقلال المغرب بإصدار الحزب لوثيقة المطالبة بالاستقلال التي تقوم على وحدة التراب في إطار الملكية الدستورية للحكم، والاعتماد على الشريعة الإسلامية أساسا لتشريع القوانين، مع تمثيل وطني يعكس بأمانة تطلعات الجماهير[2]، وجعلوا من ذلك هدفا لا بديل عن تحقيقه، بعد أن أدركوا أن تعيين غابرييل بو Gabriel Puaux على رأس الإقامة العامة بالمغرب من قبل شارل دوغول الذي رآى فيه الوطنيون المغاربة أنه أقل احتمالا من أسلافه في منح المغرب استقلاله، وقد قدمت الوثيقة للسلطان ونسخ منها للإقامة العامة ولدول الحلفاء إيمانا منهم بوجود منتدى دولي يستطيع الضغط على فرنسا، وفي رد سريع من قبل المقيم العام أوضح أنه على استعداده للنظر في الاصلاحات، وغير مستعد للنظر في الاستقلال، وأنه لا يمكن لأي مستعمرة فرنسية أن تفكر في مثل هذا الخيار[3]، لكن خطاب طنجة يوم 10 أبريل 1947[4] اعتبرته كل من فرنسا والوطنيين المغاربة بمثابة الضوء الأخضر للشعب المغربي لأجل الالتفاف والانخراط إلى جانب رجالات الحركة الوطنية المتشبثة بمطلب الاستقلال، وعيا من السلطان بأن مصالح الوطن الفضلى اجتماعيا واقتصاديا لم يعد يخدمها الفرنسيون، وبالتالي اكتسبت الحركة الوطنية ثقل وزخم التقليد المغربي لقضيتها، لتنتقل من طور حركة استقلالية نخبوية متطرفة في مطالبها، إلى حركة اجتماعية ذات أبعاد قومية ووطنية حقيقية[5].

---

[1]- كان الوطنيون المغاربة حريصين في مطالبهم واحتجاجاتهم بعدم تعريض السلطان للخطر أو الإشارة إلى أن مقارباته لمشاكل الحماية اختلفت بأي شكل من الأشكال عن ما ينتظرونه، ووافقوا على أنه لا يحسد على تحفظه وتردده في التنازل أمام الفرنسيين. ومع ذلك، بدا محمد الخامس ثابتا في وجه المراسيم المعادية للسامية، وحاسما أمام المقيم العام الجنرال نوجيس، بعد أن رفض التوقيع على أي هدنة مع ألمانيا وأنه لن يدع رعاياه يقاتلون ضد الأمريكيين أثناء الإنزال، وجعل من اجتماعه مع روزفلت دليلا على أنه على استعداد لأن يكون صارما مع السلطات الفرنسية بصفته رئيسا للدولة المغربية. ينظر:

- E. G. H. Joffé, **"The Moroccan Nationalist Movement: Istiqlal, the Sultan, and the Country"**, The Journal of African History, Vol 26, N° 4, 1985,. p. 302-303.

[2] - **Les mouvements nationalistes Marocains**, Noar, N° 42, 20 Novembre 1951,. p. 1.

[3] - E. G. H. Joffé, Op. cit,. p. 303.

[4] - مقتطف من خطاب طنجة 10 أبريل 1947، **«... استيقظت الأمة متنبهة لحقوقها، وسلكت لإدراك مجدها أنفع طرقها، ولكن شتان مابين ما حصلته في ذلك السبيل ومنتهى مرماها، فإنما هي في فاتحة الجهود، وكم ينبغي لها أن تبذل قبل أن تحمد سراها، ثم إذا كان ضياع الحق في سكوت أهله عنه، فما ضاع حق من ورائه طالب، إن حق الأمة المغربية لا يضيع ولن يضيع، فنحن -بعون الله وفضله- على حفظ كيان البلاد ساهرون، ولضمان مستقبلها الزاهر المجيد عاملون، ولتحقيق تلك الأمنية التي تنعش قلب كل مغربي سائرون، فما علينا إلا أن لا ننى في الجد وراء ما يجب للوطن من السعي الحميد، ولا نزال دائبين لإدراك ما نطمح إليه من حفظ مجدنا القديم وتحصيل الجديد...»**. ينظر:

- عبد الرحمان الزياني، **"محمد الخامس الملك الرائد العبقري"**، مجلة دعوة الحق، العدد 1، السنة 22، مارس 1981، ص. 129.

[5] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 1، م. س، ص. 296. أنظر أيضا:

- E. G. H. Joffé, Op. cit,. p. 307.

لقد انتبهت فرنسا أخيرا إلى أن السلطان محمد الخامس قد انحاز إلى جانب الوطنيين في مطالبهم حينما اختار الامتناع عن توقيع الظهائر والمصادقة على قرارات الإقامة العامة، الشيء الذي استدعى سحب الشرعية الدينية عن السلطان محمد الخامس بصفته إماما، بتنحيته على عهد المقيم العام الجنرال أوغستين ليون كيوم Augustin Léon Guillaume، فخلقت عن دون قصد شخصية «السلطان الشهيد» المستقطب لجميع القوى التي كانت لحد قريب متنافرة ومتناحرة[1]. وفي خضم هذه الأزمة السياسية التي عرفتها البلاد وضرورة تحديد مواقف صريحة تجاه أزمة العرش والحركة الوطنية وأقطابها، وعن التواجد الفرنسي بالمغرب برمته. اختار المغاربة اليهود نخبا وعامة الاصطفاف خارج الصراع، بعدم إبداء أي موقف واضح بدعوى أن اليهود لم يستشاروا يوما في أمور العرش[2]، ولأن قوانين فيشي التقييدية أجبرتهم على توخي الحذر والامتناع عن إبداء أي تصريحات غير محسوبة العواقب، بعد أن تملكتهم خيبة الأمل تجاه سلطات الحماية، مقابل عطف السلطان الذي كان له تأثير عميق على التطور السياسي للمغاربة اليهود[3]. ولهذا التموقع ما يبرره إذا ما تم إمعان النظر في الصحف اليهودية الصادرة في المغرب خلال هذه المرحلة التي نقلت كل ما من شأنه أن يشكل هاجسا ومصدر ريبة بخصوص وضعية المغاربة اليهود مستقبلا[4]. خاصة إذا ما تبدت الريبة والشكوك في تنبؤات السياسيين والصحفيين الفرنسيين مثل سليمان جرومباخ Salomon Grumbach، الذي أعرب عن مخاوفه تجاه

---

[1] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 2، م. س، ص. 336. (هامش رقم 2).

[2] - نفسه، ص.337. (هامش رقم 5)

[3] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p. 110.

[4] - كأنموذج لذلك عرضت صحيفة النوار Noar سنة 1952 مقتطفات صادرة عن صحف وطنية أهمها الرأي العام والعلم جاء فيها:

« **"بعد تلخيص دور جامعة الدول العربية في هيئة الأمم المتحدة بخصوص المسألة المغربية، تخلص صحيفة الرأي العام إلى:**

يجب أن نحذر الشعب المغربي من التفاؤل المفرط والإنتظارية. القضية المغربية هي مسألة إستقلال والإستقلال ينتزع ولا يعطى... الجامعة العربية لا تعتقد أن الإستقلال المغربي سيتم الحصول عليه عن طريق الخطابات... أو القرارات التي تتخذ بعد الاستماع إلى طرفي النزاع. الجامعة العربية، وعلى رأسها عزام باشا، مقتنعين مثلنا أن نضال الشعب المغربي هو السبيل الوحيد لتحقيق تطلعاته الوطنية العظيمة. إن دور الجامعة العربية هو دعمنا دوليا ... فهل سينهض الشعب المغربي من أجل قضيته العظيمة ويثبت أنه يستحق الحرية والإستقلال".

وأضافت أيضا مقتطفا من بيان عن الجبهة الوطنية المغربية الصادر بصحيفة العلم الذي جاء فيه:

***) إن المغرب، الذي يمتلك السيادة والوحدة الإقليمية المكفولة بموجب المعاهدات الدولية السارية، يرفض أي التزام يقع على عاتقه دون التشاور المسبق مع حكومته ودون موافقته بحرية تامة.**

***) طالما أن الشعب المغربي يخضع للنظام الاستعماري للحماية، يحق له ألا يعتبر نفسه حليفا للقوى التي لا تعترف بحقهه في الحرية والديمقراطية. ».** ينظر:

- **Revue de la Presse Arabe au Maroc**, Noar, N° 48, 5 Avril 1952,. p. 3.

تركز السلطات في يد السلطان بصفته زعيما مطلقا، وعليه فإن المغاربة اليهود في نظره لن يتمتعوا حتى بالمساواة الأساس في الحقوق مع مواطنهم المسلمين[1].

لكن الرابطة اليهودية العالمية بالنيابة عن يهود المغرب سارعت للقاء محمد الخامس بعد عودته من منفاه بمدغشقر، بمدينة سان جيرمان أونلي Saint-Germain-en-Laye بقلعة هنري الرابع التاريخية، وهي الزيارة التي قام بها رئيس الرابطة رينيه كاسان برفقة أمينها العام يوجين ويل Eugène Weill لمناقشة مستقبل الرابطة بالمغرب، بحيث أعرب لهم السلطان عن تشجيعه لها على مواصلة أنشطتها وأكد لهم مدى التعاطف والحماية التي ستحظى بهما في ظل النظام الجديد[2]، لكن واقع الحال سيأخذ مناحي متعددة بعد 2 مارس 1956 وهو التاريخ الذي ستضطر بعده الرابطة للتأقلم مع الواقع الجديد في المغرب بدون فرنسا، وهي المرحلة التي ستستغلها الحركة الصهيونية للانتقال من طور الدعاية والاستقطاب إلى طور التهجير الجماعي، الشيء الذي شكل تهديدا للرابطة في أحد أهم معاقلها بالبحر الأبيض المتوسط.

وعلى إثر ذلك سيوجه كاسان رسالة خلال الاجتماع السنوي للرابطة اليهودية العالمية بتاريخ 18 يونيو 1956[3]، مفادها أن الظروف السياسية بالمغرب قد تغيرت، والرابطة أضحت أمام حكومة مغربية مستقلة، وهي حريصة على تأكيد ولائها للمؤسسات الجديدة ورغبتها في التعاون بشكل كامل[4]. وردا على اتهامات الحركة الوطنية الموجهة ضد المنظمة، مثل التعاون مع المستعمر، وخدمة المصالح التعليمية للدولة الصهيونية الجديدة، شدد كاسان على الطابع العالمي للرابطة وبأنها ذات بعد إنساني، تهدف إلى تكوين الرجال والنساء بجعلهم أفضل المواطنين وأفضل اليهود أينما كانوا، لأنها تريدهم أن يخدموا البلد الذي يختارونه[5]، كما أنه عبر عن امتعاض واضح جراء قرار الحكومة المغربية حل منظمة كاديما Cadima في 10 يونيو 1956 بعد استفحال نشاطها في تهجير المغاربة اليهود نحو اسرائيل[6]، بالقول إن الرابطة لا تقبل

---

1 - **Nous avons lu pour vous**, Noar, N° 45, 21 Janvier 1952,. p. 4.
2 - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 337.
3 - **La réunion annuelle de L'Alliance Israélite Universelle 18 Juin 1956**, Op. cit,. pp. 1-7.
4 - Ibid,. p. 5.
5 - Ibdem.
6 - قررت الحكومة المغربية أمام تصاعد نشاط الحركة الصهيونية بالمغرب العمل على إيقاف نشاط جميع الجمعيات التي تبث اتصالها بالحركة الصهيونية، وأبرزها منظمة كاديما، وقد جاء قرار حلها من طرف مدير الأمن الوطني يوم 10 يونيو 1956 بعد استفحال نشاطها، وهي منظمة تم تأسيسها سنة 1949 من طرف جرسوني Gerszuni عضو الوكالة اليهودية بباريس، وقد عملت المنظمة على تحمل تكاليف السفر إلى إسرائيل إما جزئيا أو كليا بالنسبة للعائلات المعوزة شريطة أن يكون أحد أعضائها قادرا على تحمل أعباء الأسرة في إسرائيل. ينظر:

حظر السفر أو الهجرة، لأن اليهود كلما تم تقييد حركتهم كلما رغبوا أكثر في الهجرة، وفي المقابل إذا تبدى لهم الاهتمام بمؤسساتهم «كالرابطة» وتوفير الأمن لهم، فإن خياراتهم ستكون حرة إذ ذاك، سواء لأولئك الذين يرغبون في المغادرة أم أولئك الذين يريدون البقاء في أرض أسلافهم[1].

عند التمعن في تصريحات كاسان هذه، نجد أن الرابطة في الظاهر تبدي قلقها على سلامة اليهود، لكنه في الواقع تكتيك لثني المغاربة عن فرض قيود على مدارسها[2]. وبعبارة أخرى، التلميح إلى أنه في حالة تقييد أو تأميم مؤسسة الرابطة وغيرها من المؤسسات، فإن اليهود سيرون في ذلك تهديدا وإخلالا بأمنهم بالمغرب.

تحققت مخاوف الرابطة في سنة 1957 بعد تبني الحكومة المغربية لبرنامج تعريب التعليم بالمغرب، وهو إصلاح حظي بتأييد مجمل القوى الوطنية في ذلك الوقت، وأهم الداعين إليه هو حزب الاستقلال عبر زعيمه علال الفاسي الذي كتب في هذا الشأن **«بأن لغة التعليم في المغرب يجب أن تكون واحدة، ويجب أن تكون هي اللغة العربية، فإذا أخذت لغتنا مركزها من كل المدارس لم يعد علينا بأس بعد ذلك إذا أضفنا لها لغة أو لغات حية تفتح لنا آفاق الاتصال بالعالم الغربي الذي نتطلع إلى الاقتباس من تجاربه وفلسفاته»**[3]، وأن أهم خطوة في سبيل إصلاح التعليم هو جعله بلغة واحدة هي لغة البلاد، وذلك هو الهدف القومي الذي يجب أن يسعى له الجميع على حد تعبير علال الفاسي[4]، الذي أشار متعمدا إلى أن مدارس الرابطة اليهودية لا تعير في الغالب آلتفاتا للغة البلاد، ولا تلزمها الإدارة العامة للعلوم والمعارف بتعليمها[5].

- محمد براص، م. س، صص. 433-434. (هامش 123).

- **Apres l'Interdiction de l'Emigration des juifs Marocaine**, Information Juive, N° 79, Juillet 1956,. p. 5.

[1] - **La réunion annuelle de L'Alliance Israélite Universelle 18 Juin 1956**, Op. cit,. p. 5.

[2] - خلال مرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها تشبثت العديد من الدول بمطالبها القومية سواء في شرق المتوسط أم في شمال إفريقيا، ما جعل من تأميم البرامج التعليمية وملاءمتها مع الهوية القومية لهذه الدول مطلبا غاية في الأهمية، لكن تدريس اللغة الفرنسية ظل نقطة قوية في الشبكة المدرسية للرابطة، التي انزلق مركز ثقلها من شرق البحر الأبيض المتوسط إلى شمال إفريقيا التي ظل فيها المغرب يحتضن حوالي نصف المؤسسات التي تمتلكها الرابطة. ينظر:

- A. Kaspi, Op. cit,. p. 296.

[3] - حتى أحمد بلافريج كان من مؤيدي تعريب التعليم، وتأييده هذا ورد في إحدى الرسائل التي بعث بها إلى علال الفاسي والتي تضمنت جملة بقيت عالقة في ذهن الرجل وحرص على تضمينها في كتابه، وجاء فيها: **«إن العلم إذا أخذته بلغتك أخذته، وإذا أخذته بلغة غيرك أخذك»**. ينظر:

- علال الفاسي، **النقد الذاتي**، المطبعة العالمية- القاهرة، ط 1، 1952، صص. 333-334.

[4] - نفسه، ص. 335.

[5] - نفسه، ص. 332.

وبناء على الضغوط الرسمية للحكومة المغربية في تجاه تعريب التعليم، استجابت الرابطة لهذا التوجه عن طريق توظيف معلمين يهود لهم دراية بلغة الضاد، ومهامهم تنصب على تعليم التلاميذ وبالموازاة مع ذلك تلقين تقنيات تعليم اللغة العربية لباقي الأطر العاملة[1]، ومع ذلك لم تأخذ الرابطة مسألة التعليم على محمل الجد لأن مسؤوليها اعتقدوا أن الأمور ستكون صعبة لو تحتم عليهم التدريس باللغة العربية لوحدها، فالحكومة الفتية ستقتصر على تعليم بعض المواد باللغة العربية، ولا يمكنها على كل حال الاستغناء عن دعم الدولة الفرنسية التي تولي أهمية قصوى للإبقاء على مكانة لغتها في المغرب كمطية لتأثيرها السياسي. وظل اعتقادهم راسخا بأن دور اللغة الفرنسية سيبقى حاسما ولمدة طويلة لأنها اللغة الأوروبية الأكثر انتشارا، ولأن المغرب بلد ذو ثقافة غربية[2].

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة العبرية كانت تحتل في الجدول الزمني الأسبوعي للتدريس خمس ساعات منذ سنة 1957، بعد أن تفاوض حاييم الزعفراني -وهو عضو في الهيئة الملكية للإصلاح التربوي- على هذا الامتياز. في حين اعترض العديد من أعضاء اللجنة على مقترحه بدعوى أن هذا سيعني أن الرابطة تقوم بنشر لغة الصهاينة، لكن مقترح الزعفراني لقي دعما من قبل عضوين مؤثرين في اللجنة وهما المهدي بن بركة ومحمد الفاسي -وزير التربية-، اللذين أقرا بأن اللغة العبرية لغة اليهود ويجب أن تحترم تماما كما هو الحال بالنسبة للغة العربية بين المسلمين، وقد تم تمرير هذا المقترح بفضل شفاعة الرجلين[3].

لقد كان معلمو الرابطة واعين تماما بظرفية ما بعد الاستقلال، وبما هو مطلوب منهم للمشاركة بنشاط في الحياة الوطنية، بشرط عدم المساس بالقيم الروحية لليهود، أو وقف الأعمال الثقافية والاجتماعية، وبضرورة الولاء المطلق للبلاد، وواعين تمام الوعي بكامل واجباتهم بصفتهم مواطنين مغاربة[4]، ومدركين للمهام الجديدة المنوطة بهم للتأليف بين كل من الثقافة الفرنسية والثقافة اليهودية، والثقافة العربية والوطنية[5]، بعدما أدى إدخال اللغة العربية الفصحى إلى تقليص الساعات المخصصة للغة الفرنسية. ما أثار مخاوف المعلمين حول مستقبل التعليم بالمغرب، لكن التطمينات بددت مخاوفهم، بعد عزم الحكومة المغربية الحفاظ على تدريس اللغة

---

[1] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 2، م. س، ص.487.
[2] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 2، م. س، ص.487. (هامش 4)
[3] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 334.
[4] - Charles Bensimhon, **La mission de l'instituteur Marocain de l'Alliance**, Op. cit,. p. 61.
[5] - Ibid.

الفرنسية في المدارس الإسلامية نفسها، وأعلنت ذلك في عدة مناسبات ومنها ما أعلن عنه بلافريج وزير الخارجية والأمين العام لحزب الاستقلال، **«أن الارتباط بالثقافة العربية والإسلامية... لا يمنعنا عن السعي وراء إثراء ثقافتنا وتطوير شخصيتنا... في ظل حيوية وديناميكية الفكر الغربي بشكل عام والثقافة الفرنسية بشكل خاص...»**[1].

على الرغم من المخاوف التي راودت أطر الرابطة العاملين في مدارسها عند بداية تدريس اللغة العربية، أصبح لزاما على الأطفال البالغين من العمر ستة أعوام تعلم ثلاث لغات مختلفة، هي العبرية والفرنسية والعربية ولكل منها منطقها الخاص وأبجديتها المتميزة[2]، على أساس أن هؤلاء الأطفال الصغار لن يتعلموا في نهاية المطاف أيا من العناصر الضرورية الأولية للغات الثلاث، لكن تلاميذ الرابطة أبانوا عن قدراتهم الاستيعابية للغة الفرنسية والإنجليزية، وبفضل الجهود المبذولة لتعليم اللغة العربية اندهش وزير التعليم محمد الفاسي عند زيارته لمدارس الرابطة بمكناس والدار البيضاء بالمستوى الذي ضاهى نظيره العمومي من حيث القراءة والكتابة، والتلاوة[3].

صورة رقم 7: زيارة السيد محمد الفاسي وزير التعليم لمدرسة الإناث "ويليام وليد William Oualid" بالدار البيضاء سنة 1957، وقف خلالها على درس للغة العربية في أحد الأقسام الابتدائية الأولى، بحضور المعلمة بنابون Bénabon.

[1] - Ibid,. pp. 61-62.

[2] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 2، م. س،. ص. 488. أنظر أيضا:
- Charles Bensimhon, **La mission de l'instituteur Marocain de l'Alliance**, Op. cit,. p. 62.

[3] - إن تدريس اللغة العربية الفصحى، بمدارس الرابطة حقق بالفعل نتائج ممتازة، بفضل الحماس لدراسة اللغة العربية الذي لا يقل أهمية بين المعلمين عنه بين التلاميذ، بحيث دأب معلمو الرابطة على أخذ دروس مسائية خاصة بهم تنتهي بحصولهم على دبلوم اللغة العربية الفصحى. ينظر:
- محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 2، م. س،. ص. 488. أنظر أيضا:
- **La rentree scolaire d'octobre 1956 dans les ecoles de L'A.I.U**, C. AIU, N° 103, Novembre 1956,. p. 17.
- Charles Bensimhon, **La mission de l'instituteur Marocain de l'Alliance**, Op. cit,. pp. 62-64.

المصدر:

- **https://www.aiu.org/fr/album/180**

غير أنه في يناير 1960، عندما كانت الرابطة تمتلك شبكة مدرسية بالمغرب تصل إلى 77 مدرسة تضم 28702 تلميذا[1]، كانت قد انخرطت الدولة المغربية الحديثة في مسلسل إجبارية التعليم بما يصاحبه من مشاكل تتمثل في نقص البنيات التحتية والأطر التربوية ومحدودية ميزانية الدولة، ما جعل علال الفاسي يقترح مسبقا في كتابه النقد الذاتي **«لكي تستطيع الدولة أن تنفذ هذا التصميم –إجبارية التعليم بالنسبة لكل الأطفال الذين هم في سن التمدرس- يلزمها أن لا تهتم بالمظاهر الشكلية فحسب، وأن لا تظل تنفق من الأموال الضخمة على بناء المدرسة الواحدة فتجعل منها قصرا فخما يفوق أجمل مساكن الآباء الأغنياء، ولكن يجب عليها أن تقتصد في الإنفاق وتكتفي بالأماكن الصحية، وأن تقوم بصفة خاصة بمراقبة الذين يتولون صرف أموال الدولة في هذا السبيل. ومثل ذلك يمكن أن نقوله لأهل الفضل الذين يتبرعون لبناء المدارس وإعدادها، فخير لهم أن يبنوا أربع مدارس أو خمسا من أن يبنوا مدرسة واحدة بمبالغها جميعا...»**[2]. ولتطبيق هذا المشروع وضع علال الفاسي سقفا زمنيا يصل إلى عشر سنوات[3]. وفي

---

[1] - **C. AIU**, N° 126, Janvier 1960,. p. 16.

[2] - علال الفاسي، م. س،. صص. 345-346.

[3] - **«لكي تقوم الدولة بهذا الواجب يجب أن تضع له تصميما لمدة عشرة أعوام توزع فيها المملكة الشريفة على عشر مناطق تعليمية بحسب عدد الأطفال الذين هم في السن المدرسي»**. ينظر:

محاولة لاختصار الوقت والجهد والمال وضع وزير التعليم محمد الفاسي مؤسسات الرابطة نصب عينيه بإدراجها في المخططات العامة التي تصبو من خلالها الوزارة إلى تحقيق أهدافها التربوية[1]، بتأميم ثلث مدارس الرابطة بالمغرب بما في ذلك التلاميذ لصالح وزارة التربية الوطنية، في حين يبقى ثلثا المدارس تحت تصرف الرابطة، وقد قدمت الوزارة تعهداتها بالإبقاء على اللغة العبرية بالمناهج الدراسية للمدارس المزمع تأميمها[2].

بحلول سنة 1961 ستقوم الحكومة المغربية بإصدار ظهير 20 فبراير (ظهير رقم 1-61-006) الذي بموجبه تقرر بعد الإطلاع على الاتفاقية المبرمة بباريس في 15 فبراير 1928، بين المديرية العامة للتعليم العام والفنون الجميلة والآثار والرابطة اليهودية العالمية، ولا سيما المادة 14 منها، توقيف العمل بالاتفاقية اعتبارا من 1 أكتوبر سنة 1960[3]، وبناء عليه لم يتبق للرابطة من مدارس تحت تصرفها سوى 66 مدرسة تضم 20844 تلميذا[4]، بمعنى أن الرابطة فقدت 11 مدرسة و7858 تلميذا بعد مرور زهاء السنة عن قرار ضم المدارس، وهو ما ضخم من مخاوف الرابطة التي خشيت من أن يؤدي قرار توقيف العمل باتفاقية 15 فبراير 1928 إلى نهج الحكومة المغربية لعملية تأميم شاملة لمدارسها بالتدرج بعد فقدان الرابطة لمندوبين مؤثرين من طينة سيماخ والتاجوري، وإقدامها على دمج معلميها ذوي الجنسية المغربية في صفوف وزارة التربية الوطنية المغربية، وهو القرار الذي جندت له الرابطة شخصية مؤثرة للتفاوض بشأنه هو مارسيل فرانكو Marcel Franco[5]، لكن بدون نتيجة، ليطلق بعد ذلك اسم مدارس اتحاد المغرب Ittihad-Maroc على ماتبقى للرابطة من مدارس والتي تقلصت بالتدريج فيما بعد[6].

- علال الفاسي، م. س،. ص. 345.

[1] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب**، ج 2، م. س،. ص. 491.

[2] - Joseph Schechtman, **On Wings of Eagles: The Plight, Exodus, and Homecoming of Oriental Jewry**, New York. Tomas Yoseloff. Lodon, 1961,. p. 303.

[3]- تعد اتفاقية 15 فبراير 1928 عبارة عن اتفاقية تكميلية لإتفاق 25 يونيو 1924. ينظر:

- **B.O.**, Dahir N° 1-61-006 du 4 Ramadan 1380 (20 Février 1961) portant dénonciation de la convention conclue à Paris le 15 Février 1928 entre la direction Générale de l'instruction publique, des beaux-arts et des antiquités et L'Alliance Israélite Universelle, Cinquentiéme Année, N° 2523, 3 Mars 1961,. p. 325.

[4] - **C. AIU**, N° 134, Septembre-Octobre 1961,. p. 34.

[5] - **Entretien avec le gouvernement Marocain sur l'avenir de L'Alliance Israélite Universelle**, C. AIU, N° 135, Février 1962,. p. 1.

- **C. AIU**, N° 202, Octobre 1980,. pp. 54-55.

[6] - انخفضت مدارس الرابطة بشكل كبير حتى وصلت في اكتوبر 1965 إلى 46 مدرسة و11386 تلميذا، وبعدها بسنة فقط انخفض عدد المدارس إلى 34 مدرسة و9062 تلميذا. ينظر:

- **C. AIU**, N° 155, Octobre 1965,. p. 8.

- **C. AIU**, N° 159, Octobre 1966,. p. 8.

هذه المدارس التي عرفت بمدارس اتحاد المغرب قادتها شخصيات مغربية، بعد الاتفاق مع وزارة التربية الوطنية المغربية التي عهد إليها إدارة الشبكة المدرسية للرابطة اليهودية العالمية في المغرب. على أن تقوم مدارس اتحاد المغرب بتقديم التعليم الابتدائي والثانوي والتقني بالإضافة إلى التعليم الديني للشباب اليهودي المغربي، في حين تستمر الرابطة في توفير الدعم الفني والمالي لهذه المؤسسات الجديدة[1].

الفصل العاشر: حصيلة دور الرابطة التعليمي بالمغرب.

على مدار قرن من الزمن تقريبا، ساهمت الرابطة اليهودية العالمية في تغيير البنى التقليدية للجماعات اليهودية بالمغرب وتحديثها، سواء على صعيد الرقي الأخلاقي والثقافي أو على المستوى المهني والاجتماعي، كما أن التغيير الذي قرنته الرابطة بالتعليم خاصة من حيث الطبيعة أو الصورة التي يجب أن يكون عليها وأن يقدم بها، أعطى مفعوله ونتائجه لدى الشباب خريجي مدارسها، لأنهم هم المعنيون بالأمر ومن خلالهم يتم تصريف الحداثة وتكريس التغيير[2]، ونبذ كل ما له علاقة بالتقاليد وقيود الماضي المتضمنة في الدين اليهودي.

لم يكن التعليم الصرف داخل المؤسسات التعليمية للرابطة كفيلا لوحده بإحداث فروق وتغييرات داخل الجماعات اليهودية، بل عززت الرابطة ذلك بمجهودات موازية لتسريع وثيرة التحديث والاندماج عبر بوابة تحديث المدارس الحاخامية للحد من قنوات تسرب التقليد الذي كان من أهم مساوئه زواج الأطفال دون سن الرشد، وبالانفتاح على عالم المهن الحديثة التي يمكنها أن تفتح في وجه اليهود آفاقا جديدة تحد من بؤسهم الاجتماعي.

لكن الهجرة أرخت بظلالها على المجهود الذي بذلته الرابطة خلال قرن من الزمن تقريبا وفوتت على المغرب الاستفادة من حصيلة هذا المجهود المبذول.

1) خريجو مدارس الرابطة.

---

[1] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine**, Op. cit,. p. 170.

[2] - وكمثال على ذلك، تشبه الشباب اليهودي خريجي مدارس الرابطة بالأوروبين سواء من حيث اللغة أم الزي، الشيء الذي ساهم في تقلص الطلب على الأزياء التقليدية، وفي تغيير المظهر الخارجي لليهود مواكبةً للتغير الحاصل على مستوى تبني العادات والأخلاقيات الخاصة. ينظر:

- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport " Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle ", Tanger 15 Mars 1908,. p. 7.

حققت الرابطة بحلول سنة 1956 إنجازا مهما حيث استطاعت أن تضم مؤسساتها مابين 85٪ و90٪ من مجموع الأطفال - في المدن الكبرى على الأقل - الذين هم في سن التمدرس والمتراوحة أعمارهم بين خمس وست سنوات[1]. وعلى مدى مئة سنة تقريبا دفعت الرابطة في تجاه الخروج من الملاح ونبذ تقافته، ورغم صعوبات تنفيذ هذا الإجراء عمليا قبل 1912 إلا أن الأمر أصبح ممكنا بالتدريج بعد ذلك، خاصة بعد إنشاء كل من الحماية الفرنسية والإسبانية للأحياء السكنية الأوروبية التي شكلت نواة المدن الحديثة بالمغرب، ذات طابع كوسموبوليتاني Cosmopolitan يعيش فيها أشخاص من جنسيات مختلفة معا، وهي من الناحية القانونية مفتوحة في وجه جميع أولئك الذين لديهم الوسائل والرغبة في العيش هناك[2]، وكانت جميع المدن الرئيسة مثل الدار البيضاء، الجديدة، مراكش، فاس، مكناس، والصويرة، قد أضيفت إليها مثل هذه الأحياء التي شكلت ملاذا لليهود، وحلا لمشاكل الازدحام والصرف الصحي التي يواجهونها في الملاحات بلا نهاية[3]، واستغلت الرابطة هذا الأمر لتقدم التماسا لرئيس الجمهورية الفرنسية بطلب من الجماعة اليهودية بفاس أعربت فيه عن رغبتها في فسح المجال أمام اليهود للعيش في المدينة الجديدة بفاس وأن يسمح لهم بتملك محلات تجارية للبيع بالتجزئة بالمدينة العتيقة[4].

أتاحت هذه المدن الواعدة فرص التطور خلال فترة الحماية لخريجي الرابطة اليهودية الذين تبنى أغلبهم فكرة الانعتاق من سجن الملاح، واعتقدوا أن التعليم الحديث والحماية سيعززان الروابط مع الأوروبيين عبر الاندماج معهم. ففي فاس على سبيل المثال، حيث تتجذر التقاليد اليهودية، أظهر مسح أجري سنة 1960 طريقة توطن السكان اليهود في المدينة الأوروبية، فمن سنة 1917 إلى سنة 1943، كان من أصل 635 قطعة أرض تم طرحها للمناقصة في المدينة الجديدة، تم منح 155 قطعة منها للمغاربة (منها 97 قطعة لليهود و58 قطعة للمسلمين). وتجدر الإشارة أنه قبل 3 شتنبر 1939 استوطن المدينة الجديدة بفاس 21 عائلة مسلمة و270 عائلة يهودية. وفي نهاية يناير 1941 ارتفعت هذه الأرقام على التوالي إلى 39 عائلة مسلمة و342

---

[1] - **La réunion annuelle de L'Alliance Israélite Universelle 18 Juin 1956**, Op. cit,. p. 5.

[2] - Charlotte Jelidi, **La fabrication d'une ville nouvelle sous le Protectorat français au Maroc (1912-1956): Fès-nouvelle**, Volume 1, Thèse de Doctorat en Histoire, Sous la direction Bernard Heyberger, UFR de Droit, d'Economie et des Sciences Sociales, Université François Rabelais - Tours, Septembre 2007,. p. 113.

[3] - Ibid,. p. 126.

[4] - C.A.D.N., **Carton 1MA,100,265**, Direction des Affaires Indigènes, Lettre de Peretti De La Rocca, Le President du Conseil, Ministre des Affaires Etrangeres à Monsieur le Marechel Lyautey, Commissaire Resident Général de France à Rabat, Paris 17 Janvier 1923.

عائلة يهودية، في حين أنه سنة 1948 كان من بين 1730 مبنى في المدينة الجديدة، 215 مبنى ملكا للمسلمين و110 فقط في ملكية المغاربة اليهود[1].

وقد حدث الأمر نفسه في باقي المدن الأخرى حيث انتقل الشباب والمثقفون خريجو مدارس الرابطة بشكل خاص من الملاح إلى الأحياء الأوروبية التي تتوفر على مرافق تنعدم في الملاحات مثل دور السنيما والمسارح[2]، وهي خطوة ساعدت على تغيير الأفكار ونمط العيش، وتوطد معها التغريب وتبدت آثاره السطحية والرمزية في اللغة المحكية، والأسماء، ونوعية الملابس، والأثاث المستخدم في المنازل، وأقبلوا أكثر من أي وقت على استكمال دراستهم بالخارج وبشكل خاص في فرنسا[3].

---

[1] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p. 51.

[2] - A.A.I.U., **I B 5.057**, Rapport trimestriel de Ménaché Mathilde " Développement de la ville nouvelle de Fez" , au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fes, 24 Mai 1932.

- أقيمت المدن ذات الطابع الأوروبي الجديدة بجوار المدن القديمة بالمغرب لإبراز التباين بينهما ولتصبح مرادفا وعنوانا للنظافة، الحداثة، الكبر والشساعة، وتعبير عن قوة الدولة ومدى تقدمها وتفوقها في العلم. ينظر:

- Gaëlle Gillot, **"La ville nouvelle coloniale au Maroc: moderne, salubre, verte, vaste"**, Editions de la Maison des sciences de l'homme, 2014,. pp. 71-96.

[3] - جدول رقم 13: يوضح الإقبال الكبير للتلاميذ المغاربة اليهود الملتحقين بمدرسة تكوين المعلمين بباريس سنة 1948-1949.

الدولة	ذكور	إناث	المجموع
الجزائر		1	1
المغرب	24	7	31
تونس	1	1	2
إسرائيل	1	4	5
لبنان	2	2	4
إيران		1	1
العراق	3	2	5
المجموع	31	18	49

- **C. AIU**, N° 27, Novembre 1948,. p. 4.

- جدول رقم 14: يبين الإقبال الكبير للتلاميذ المغاربة اليهود الملتحقين بمدرسة تكوين المعلمين بباريس سنة 1951-1952.

الدولة	ذكور	إناث	المجموع
الجزائر		1	1
المغرب	27	32	59
تونس	3	1	4
اليونان	1		1
لبنان	1	1	2
إسرائيل	1		1
إيران	5	2	7
المجموع	38	37	75

- **C. AIU**, N° 57-58, Novembre-Décembre 1951,. p. 7.

لقد احتفظ خريجو مدارس الرابطة بعاطفة قوية تجاه المنظمة التي مكنتهم من أساليب التفكير، والنقد، وآليات التواصل التي جعلت منهم النخبة الأوفر حظا خلال مرحلة الحماية لتبوؤ المناصب الإدارية والمهنية الحديثة، وألهمتهم مقوماتها الثقافية إلى تأسيس جمعيات قدماء تلامذة مدارس الرابطة اليهودية العالمية التي ستأخذ على عاتقها استكمال جوانب النقص في عمل المنظمة الأم، بعد أن تفتق لديهم وعي ذاتي وجماعي بأنهم يشكلون المظهر الحديث للمغاربة اليهود بمحاكاتهم لمعايير البرجوازية الأوروبية[1]. وقد كان الهيكل التنظيمي للجمعيات المؤسسة نسخة مطابقة للجنة المركزية للرابطة اليهودية بباريس، وهو ما عكسته اللجنة التوجيهية سنة 1894 باعتبارها أول جمعية نوعية تتأسس بمدينة طنجة سنة 1893:

جدول رقم 15: أعضاء اللجنة التوجيهية لسنة 1894.

الاسم	الصفة
إسحاق لاريدو Laredo Isaac	الرئيس Président
صامويل أ, ناحون A. Nahon Samuel	نائب الرئيس Vice-Président
جوشوا س, لاريدو Laredo .Joshua S	أمناء عامين Secrétaires
موسى ناحون Moise le Nahon	
رفائيل بندلاك Bendelac Raphael	أمين المال Trésorier
مردوخي بندلاك Beudelac Mardochée	مساعد أمين المال Trésorier auxiliaire
يوسف ج, طوليدانو J. Toledano Joseph	أعضاء مساعدين Membres assesseurs
ميمون ج, كوهن Mimon J. Cohen	

المصدر:

- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 1, Tanger 1893,. p. 2.

وقد سعت جمعية طنجة إلى وضع أهداف ثلاثة على غرار أهداف الرابطة المسطرة سنة 1860، واختصروها في الدعاية، وجمع الأموال، وتوزيع المساعدات[2]، وقد لخصت المادة الرابعة من القانون الأساس للجمعية طبيعة العمل الذي ستقوم به هذه الجمعية وهي كالتالي[3]:

المادة 4: الأموال المحصل عليها ستكون من أجل:

- تغطية النفقات العادية للجمعية.

[1] - Jessica Marglin, **"Modernizing Moroccan Jews: The AIU Alumni Association in Tangier 1893-1913"**, Jewish Quarterly Review, Vol 101, Issue 4, Fall 2011,. pp. 575-589.
[2] - **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 1, Tanger 1893,. p. 5.
[3] - Ibid,. p. 13.

- المساهمة في العمل العام للرابطة اليهودية العالمية.
- تشجيع تطوير التعليم في المغرب، وتوزيع المساعدات على التلاميذ الفقراء بمدارس الرابطة بالمغرب.
- منح الإعانات التي تراها اللجنة مناسبة.

بالإضافة إلى الإعانات المقدمة من طرف الرابطة ومن باقي الهيئات، حصنت هذه الجمعيات قوتها المالية من خلال تحصيل مستحقات العضوية من المنتسبين الذين اختلفت نسبة مشاركتهم السنوية من شخص إلى آخر[1]، وعبر تنظيم المؤتمرات والأمسيات على غرار المناسبات الاجتماعية المميزة للمجتمع البورجوازي الغربي، باعتبارها استراتيجيات ميزت بها النخب الحديثة نفسها عن هياكل السلطة القديمة[2]، كما حصلت هذه الجمعيات[3] على أموال إضافية تم استخدامها في أغراض مختلفة. وبالتعاون مع اللجنة المركزية للرابطة[4] والجمعية الأنجلو يهودية قامت جمعيات قدماء التلاميذ بشراء آلات الخياطة والأدوات المهنية اللازمة لتدريب التلاميذ الفقراء، ووفرت الطعام والملابس للمحتاجين منهم، وقدمت دروس تقوية في اللغات لتعزيز فرص العمل لدى الخريجين الجدد.

لقد استطاعت الرابطة غرس فضيلة التضامن في نفوس تلاميذها، وجمعيات قدماء التلاميذ خير دليل على ذلك. بل الأكثر من ذلك، أفادت مديرة مدرسة الإناث في طنجة أديل رينهارد Adél Reinhard أن الخريجين الذين هاجروا خارج المغرب إلى الجزائر وأوروبا وأمريكا

---

[1] - Ibidem,. pp. 14-15.

- قامت جمعيات الخريجين على غرار المنظمات الخيرية الموجودة في الجماعات اليهودية على سبيل المثال، باتباع نهج جمع الأموال من الخيرين بالطريقة المتبعة منذ قرون، فالجزء الأكبر من ميزانيتها يتم جمعه في المعابد وفي مناسبات الاحتفالات الدينية (Kipur وPesah)، واحتفالات سن البلوغ بالنسبة للذكور (Bar Mitzvah) والإناث (Bat Mitsvah)، ووكل المناسبات السعيدة (كالولادات) منها والأليمة (كالوفاة)، وحفلات الزفاف. ينظر:

- **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 17, Tanger 1910,. p. 29.
- **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 13, Tanger 1905,. p. 22-26.

[2] - J. Marglin, Op. cit,. p. 588.

[3] - أدت جهود أعضاء جمعية قدماء التلاميذ بطنجة في الدعاية بين اليهود بمدن أخرى بالمغرب في النهاية إلى إنشاء جمعيات مصممة على شاكلتها. ففي عام 1900، أنشأ عضو سابق في جمعية طنجة جمعية قدماء تلامذة مدارس الرابطة اليهودية العالمية في الدار البيضاء، وبعد أربع سنوات أي في 1904 تم تأسيس جمعيات أخرى في كل من فاس والصويرة. كما أن أعضاء هذه الجمعيات الوليدة يفتخرون بكونهم خريجي الرابطة، وبكونهم مرتبطين بجمعية طنجة، باعتبارها أول جمعية تتبنى هذا الاسم. ينظر:

- J. Marglin, Op. cit,. pp. 587-588.
- **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 8, Tanger 1900,. pp. 3-4.
- **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 12, Tanger 1904,. p. 41.

[4] - عرضت جمعية طنجة على رئيس الرابطة جولدشميت Goldschmidt قبول الرئاسة الفخرية للجمعية سنة 1894، والذي قبلها بدوره. ينظر:

- **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 2, Tanger 1894,. p. 2.

اللاتينية[1] وكثيرا ما أرسلوا أموالا لأسرهم، وغالبا ما أرسلوا أموالا أيضا للمساعدة في دعم وتجديد محتوى خزانة جمعية قدماء التلاميذ بطنجة[2]، وأرجعت هذه الأفعال السخية إلى الآثار الثقافية والمعنوية للمدارس[3].

ومن جانب آخر اتجهت حصيلة التعليم العلماني بمدارس الرابطة، نحو خلق خريجين رافضين لأي تأثير للثقافة الإسلامية المغربية، بحيث يرجعون تخلف إخوانهم في الدين إلى الاتصال الدائم بالأغلبية المسلمة[4]، حتى أصبحت أعرافهم وتقاليدهم مصممة على الشاكلة الإسلامية، لذلك فالمستقبل الذي يطمحون إليه ويركزون أعينهم عليه، هو في التقدم الذي لا يقتصر على محاكاة الثقافة الأوروبية فحسب، بل الرافض لأي شيئ له علاقة بالثقافة الإسلامية[5]، لأن التطور في نظرهم لا يمكن أن يحدث إلا في ظل محيط وظروف ملاءمة، وتحت تأثير العوامل الخارجية، وليس بالاختلاط مع شعب جعل من الجمود عقيدة عالمية، أو تبني لغته التي ساهمت في إدامة هذا الوضع وأبقتهم بعيدا عن تقاطبات العالم الحديث[6]، غارقين في العيوب والرذائل بسبب اتصالهم بساكنة تتميز بـ «الفظاظة»، «الجهل والتعصب»[7]، وهي تصورات تقاسموها مع التصور العام لرواد الرابطة اليهودية في ما يخص وضعية اليهود داخل الأغلبية المسلمة.

إن جمعيات قدماء تلامذة الرابطة ربطت أهدافها بأهداف المنظمة الأم، بفعل تأثرهم بفكرها وإيديولوجيتها، الشيء الذي خلق نوعا من التماهي في العمل، وفي النتائج المنشودة بسبب الاعتقاد

---

[1] - شكل الركود الاقتصادي الذي عرفه المغرب وتوقف تطوره نتيجة للأزمة والفوضى الداخلية، إلى قيام الرابطة لعدة سنوات بتشجيع هجرة الشباب اليهودي إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية. ينظر:
- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport " Les Ecoles du Maroc: Oeuvre de L'alliance Israilite Universelle ", Tanger 15 Mars 1908,. p. 6.

[2] - قامت جمعية قدماء التلاميذ بطنجة بتعزيز رؤيتها لمجتمع حديث من خلال دعم أسلوب التنشئة الاجتماعية التي تم تعلمها في مدارس الرابطة، وكان من أبرز مهامها إنشاء مكتبة في طنجة سنة 1896 عبارة عن غرفة صغيرة مجاورة لمدرسة الرابطة مخصصة للتلاميذ وغيرهم من القراء. تحتوي على 340 كتابا، منهم 204 كتابا باللغة الفرنسية، و100 باللغة الإسبانية و36 باللغة الإنجليزية. وقد تم اختيار هذه الكتب بعناية فائقة، من أجل تقديم غذاء فكري صحي، ممتع ومتنوع لزبنائهم. بحيث تتم إعارة الكتب وأخذها إلى المنزل بإيجار خمسة سنتات لكل مجلد في الأسبوع لمنخرطي الجمعية و10 سنتات لغير المشتركين. ينظر:
- **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 4, Tanger 1896,. p. 9.

[3] - A.A.I.U., **LV E 897 c**, Lettre de Adèle Reinhard, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 20 Février 1895.

[4] - **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 2, Tanger, 1894,. p. 5.

[5] - **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 12, Tanger 1904,. p. 39.

[6] - **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 7, Tanger 1899,. p. 4.

[7] - N. Leven, Op. cit, T 2,. p. 102.

المشترك في الثقافة الفرنسية، إلا أنه من خلال النشرات الصادرة عن هذه الجمعيات ومنتسبيها[1]، لم يثبت عنهم موالاتهم للطموحات الإمبريالية والسياسية الفرنسية أو أنهم رحبوا بإمكانية الحكم الفرنسي في المغرب، وبما أن اللغة التي يتحدثها المرء أو يدرس بها غالبا ما ترمز إلى ولاء سياسي معين، إلا أن جمعيات قدماء التلاميذ لم تنهج مسار الرابطة اليهودية بخصوص اللغة نفسها، فمثلا قدمت جمعية طنجة خدماتها على نفس القدر والمساواة نفسيهما لتلامذة المدرسة الإنجليزية بالمدينة بما في ذلك الأعمال الخيرية ومنح الجوائز، بحيث خصصت الجمعية خمسين فرنكا لاقتناء الجوائز الممنوحة سنة 1895 لصالح تلامذة الرابطة الأكثر تميزا، وتضمنت الجوائز خمسة كتب بالفرنسية بما في ذلك جائزة خوسيه لاريدو Josué Larédo وكتابين باللغة العربية، وواحد بالإسبانية، وآثنين بالعبرية[2]، كما خصصت الجمعية أربعين فرنكا لشراء عشرة كتب فاخرة قدمت للسيدة إسرائيل Israël مديرة مدرسة الرابطة للبنات بطنجة، ومبلغ عشرين فرنك للغرض نفسه بالنسبة للمدرسة الإنجليزية[3]، في حين تضمنت الجوائز الممنوحة في إطار مسابقة لاريدو لسنة 1904 قواميس بلغات مختلفة (قاموس إنجليزي-فرنسي وفرنسي-إنجليزي، وقاموس فرنسي وأخر إسباني)[4].

صور رقم 8: مأخوذة من حفل توزيع الجوائز والمنح على التلاميذ المتفوقين بمدارس الرابطة بالدار البيضاء سنة 1930.

[1] - اعتمدنا بشكل كبير جدا على النشرات التي أصدرتها جمعية قدماء تلامذة الرابطة اليهودية بطنجة، لسببين: أولهما حصولنا على أربعة عشر عددا من نشرات هذه الجمعية (ما بين 1893 إلى 1910)، وهو الأمر الذي نفتقده بالنسبة لنشرات باقي الجمعيات في باقي المدن (اللهم نشرتين لجمعية الدار البيضاء بتاريخ 1925/1924- و1936)، والأمر الثاني لأن جمعية طنجة تعتبر أول جمعية من هذا القبيل وباقي الجمعيات ما هي إلا امتدادا طبيعيا لأنشطتها، وقد سبقت جمعية طنجة في تأسيسها جمعيات أخرة ذات تقل مهم مثل: جمعيات سلونيك Salonique، وسميرنا Smyrne، وأدرنة Andrnopole. ينظر:

- **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 11, Tanger 1903,. pp.33-35.

[2] - **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 3, Tanger 1895,. p. 9.

[3] - Ibid.

[4] - **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 12, Tanger 1904,. p. 9-10.

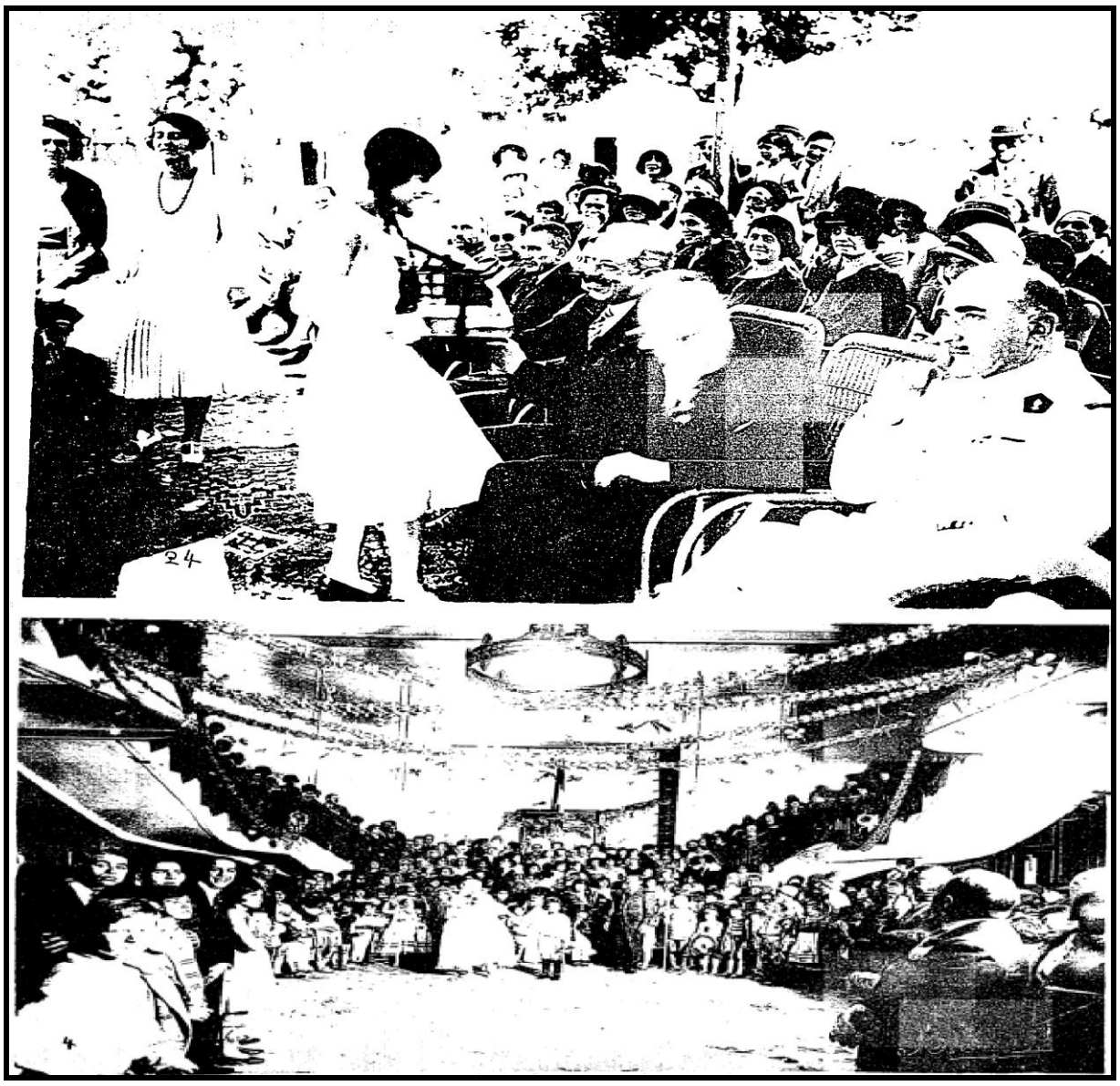

المصدر:

- A.A.I.U., **IX E 172 b**, Ruben Tajouri, Casablanca – Maroc.

ولتنويع مصادر الدعم المالي ظلت الجمعية وفية بمنح منصب الرئيس الفخري لرئيس الرابطة اليهودية العالمية، وأضافت إلية منصب نائب رئيس فخري منح لإدوارد ستيرن Edward Stern أحد أعضاء الجمعية الأنجلو يهودية[1]، وابتداء من سنة 1901 أضافت الجمعية اللغة الإسبانية إلى جانب اللغة الفرنسية في نشرتها السنوية[2]، حتى أن مكتبة جمعية قدماء التلاميذ بالدار البيضاء قد ضمت بين جنباتها كتبا باللغة الفرنسية والإسبانية واليهودية-العربية، وقدمت دروسا مسائية في اللغتين الأسبانية والإنجليزية للكبار، ودروسا في اللغة الإنجليزية

[1] - **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 6, Tanger 1898,. p. 51.
- **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 7, Tanger 1899,. p. 3.

[2] - أنظر أعداد نشرة الرابطة الخاصة بسنوات: 1901- 1902 – 1903- 1904 - 1905.

لتلاميذ مدارس الرابطة بالمدينة[1]، وعليه يتضح أنه بالرغم من احتلال اللغة الفرنسية مكانة متميزة لدى هذه الجمعيات، إلا أنه لم يكن مستبعدا الانفتاح على لغات أو انتماءات ثقافية أخرى.

وبخلاف ما روجت له الرابطة، لم يخف حاييم توليدانو Haim Toledano أحد الرؤساء السابقين لجمعية طنجة قلقه من التحدي الاقتصادي الذي يفرضه النظام الاستعماري والوجود الأوروبي المتزايد في المغرب، لأن الأوروبيين أصبحوا فجأة في وضع أفضل بكثير للتعامل مع المسلمين المغاربة بشكل مباشر، مما سيكسر دور اليهود كوسطاء، وبدلا من الترحيب بالأوروبيين بأذرع مفتوحة، أعرب توليدانو عن شكوكه بشأن المستقبل الاقتصادي للمغاربة اليهود في ظل النظام الاستعماري[2].

وبدلا من الترحيب بالفرص المتزايدة التي يمكن أن تحقق بالإتصال بالأوروبيين، وصف توليدانو هؤلاء بأنهم انتهازيون وجشعون يهددون رفاه المغاربة اليهود حيث عبر عن ذلك بقوله: **«طوفان من المهاجرين ينتشر على السواحل المغربية. يسارع الناس إلى المغرب برغبة محمومة في الكسب والاستغلال، يأتون إلى هنا وكأنهم يذهبون إلى بلد غني بالذهب أو الألماس، يغريهم سراب الثروة المكتسبة بسرعة»**[3]، لقد شكل توليدانو مثالا للشباب اليهودي المتوجس من المنافسة الاقتصادية الأجنبية لليهود، وهو شعور اقتسمه معه العديد من اليهود، ومنهم نسيم فالكون Nissim Falcon مدير مدرسة الرابطة بمراكش سنة 1907 الذي أعرب عن تخوفه للجنة المركزية عبر رسالة جاء فيها **«طوال الوقت، كان اليهودي هو المتجر الوحيد في البلاد، والوسيط الوحيد بين البربر والحضارة، يمكنه عبور البلاد دون خطر كبير، بفضل مرونة شخصيته ومعرفته للغة والطرق. يمكن أن يذهب إلى أي مكان، بما في ذلك المناطق الأكثر تسيبا في ظل أسوأ الأحوال، من دون أن يهدده أحد. يزور الأسواق ويشترى الحبوب والحيوانات وما إلى ذلك، ويبيع السكر والشاي والقطن... ما هي الميزة الحديثة التي جلبها الأوروبي لهذا البلد؟ هل هو تحسين وضعه الأخلاقي؟ على العكس تماما. لقد أثار الأوروبيون الغيرة فقط، دائما يحتقرونهم باعتبارهم منبوذين. فالدار البيضاء كأكبر مركز تجاري بالمغرب،**

---

[1] - **AAE. AIU**, Bulletin Annuel, N° 11, Tanger 1903,. p. 33.
[2] - J. Marglin, Op. cit,. p. 599.
[3] - Ibid.

معروفة بأنها معقل لمعاداة السامية، والقنصل الفرنسي نفسه لا يكاد يبدي اهتماما تجاه إخواننا في الدين»[1].

إن توافد الأوروبيين على المغرب بشكل كبير غذى الشعور بالمنافسة والقلق، بشأن ارتفاع معاداة السامية بين الأوروبيين في المغرب، وما زاد من ذلك هو رفض مؤسسة الحماية منح المغاربة اليهود الجنسية الفرنسية على غرار يهود الجزائر سنة 1870، وخيبة الأمل في التقاضي على الأقل أمام المحاكم الفرنسية[2]، وكل هذه الأمور أضعفت حماس كثير من اليهود للنظام الاستعماري، بل كشف أيضا عن شكوك حول حسن نوايا الحكومات الاستعمارية تجاه المغاربة عموما واليهود بشكل خاص.

إن مدارس الرابطة اليهودية لم تسع إلى خلق شباب يهودي مثقف ذي أخلاق وقادر على المشاركة في الحياة الثقافية والخيرية للبلاد التي يحيا بها، أو أن يتبنى مواقف سياسية معينة نابعة من خلفيته الثقافية العلمانية المكتسبة تراعي مصالح الجماعة التي ينتمي إليها، ثم تتخلى عنه وتتركه لمصيره بمجرد مغادرته للمدرسة، لكن ترسيخ عمل المدارس يقتضي من اللجنة المركزية دعم وتتبع وتشجيع جميع أعمال ما بعد المدرسة، التي من شأنها أن تمنح التوسع والاستمرارية لعمل المدرسة[3]. وحرصت الرابطة أيضا على ضمان مستقبل مهني لخريجيها بحيث أسست لتكوين مهني فريد من نوعه ولأول مرة في كل من مدينتي طنجة وتطوان[4]، ثم تلتهما باقي المدن التي تحتضن الشبكة المدرسية للرابطة عبر العالم، بحيث يتم توجيه التكوين في كل مدينة من قبل لجنة إشراف محلية مسؤولة عن إدارة أموال التكوين، وعن وضع المتدربين لدى الحرفيين والمهنيين مقابل مبالغ تشجيعية، والحرص على ضمان حسن سير التكوين وسيرة المتدربين في علاقاتهم مع أرباب العمل، وبالموازاة مع ذلك تخصص لهم دروسا مسائية بانتظام[5].

---

[1] - Emily Gottreich, **The Mellah of Marrakesh: Jewish and Muslim Space in Morocco's Red City**, Indiana University Press, 2007,. pp. 86-87.

[2] - D. Bensimon-Donath, **"Les Debuts du Mouvment Sioniste au Maroc"**, Op. cit,. p. 18.

[3]- حرصت الرابطة على إعطاء دروس مسائية سواء لخريجي مدارسها أو للكبار ممن لم تطأ أقدامهم أية مدرسة، لأنها تعي أن معظم المعرفة التي يتم تلقيها في المدرسة محدودة، وسيتم نسيانها بمجرد مغادرة فصول الدراسة، وهو ما يهدد بفقدان ثمار العمل المدرسي للرابطة. ينظر:

- **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 27, Année 1902,. pp. 121-123.

[4] - تم التأسيس للتكوين المهني لأول مرة بمدينة طنجة في يوليوز 1873، بدعم مالي من الرابطة وصل إلى 1000 فرنك، ووصل العدد المتوسط للمتدربين إلى خمشة عشر متدربا، ثم في مدينة تطوان في أبريل 1874، بدعم مالي من الرابطة وصل هو الآخر إلى 1000 فرنك، والعدد المتوسط للمتدربين إلى عشرين متدربا، وتجدر الإشارة إلى أن الجزء الأكبر من المنح المخصصة للتكوين المهني تقدم من قبل البارون دو هيرش Baron de Hirsch ينظر:

- **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 4, 2e Semestre 1881 – 1er Semestre 1882,. p. 39.

[5] - Ibid.

2) تغيير الهيكل المهني للمغاربة اليهود.

إن الإقامة في الملاحات التي تنعدم فيها أدنى الشروط الصحية، والقيود الاقتصادية التي حصرت اليهود في بعض المهن، أضعفتهم جسديا[1]. ومن هنا، عملت الرابطة على محاولة تغيير الذوق المهني للأطفال بتحبيب العمل اليدوي لديهم. بسبب كون التكوين المهني الحرفي أو الزراعي يواجه تحيزات مسبقة لديهم. فالأطفال لا يرغبون في امتهان المهن التي تتطلب مجهودا بدنيا ثابتا، وقد وقف على ذلك رئيس الرابطة جاك بيغارت في 24 فبراير 1901 خلال محاضرة ألقاها أمام تلاميذة المدراس الإعدادية في باريس، والتي تتمحور حول الدور التربوي لمدرسي الرابطة، وقد تعرض فيها إلى أن عضلات اليهود ضامرة بسبب عدم ممارستهم للمهن التي تحتاج إلى قوة بدنية، وأنه يجب عليهم أن يعيدو بناء عضلات الشباب اليهودي، بحيث يستمتعون بالعمل البدني، ولكي يتخلوا عن المهن غير الصحية، التي تعاني من المنافسة، والمنخفضة الدخل، فمن الضروري أن يتعلم المعلمون كل يوم بشكل تدريجي كيفية اختراق ذكاء الأطفال وغرس فكرة أن العمل الذي يتطلب مجهودا جسديا هو عمل محترم، وأنه صحي للعقل والجسم، وأن الشخص الذي يمتهن مهنة، يمتلك أداة ستمكنه من العيش في أي مكان، وتمنحه السعادة والتقدير أكثر من التاجر الصغير، والبائع المتجول، والكاتب أو الموظف[2].

كان تطور الهياكل المهنية بالمغرب بطيئا جدا، بحيث استمرت قطاعات كبيرة من السكان في ممارسة الحرف والمهن التقليدية، ولم تعمل حتى على تغيير أو تطوير طرائق العمل، لكن ارتبط تطور الهياكل المهنية للمغاربة اليهود بعمق الظروف الاقتصادية من جهة، ومواقف وتوقعات الأشخاص والمنظمات من جهة أخرى.

كان التقدم والتطور في مجال التعليم في بعض الأحيان أحد أصول تطور وتغيير الهيكل المهني لليهود، وأحيانا كان يشكل عائقا. فقد كان لزاما عليهم أن ينافسوا كلا من الأوروبيين من ناحية، والمغاربة المسلمين من ناحية أخرى، لأن الوظائف المتاحة لهم في إدارة الحماية محدودة وذات مراتب دنيا فيما الوظائف الهامة تشغل من قبل الفرنسيين، وإضافة إلى ذلك إزدادت منافسة

[1] - Jacques Bigart, **"Le Professeur de L'Alliance doit étre un éducateur"**, Revue des Ecoles de L'Alliance israélite, N° 1, Avril-Juin 1901,. p. 13.
[2] - Ibid.

النخبة المسلمة لهم في هذه الوظائف خلال السنوات الأخيرة للحماية بفعل مطالب وضغط الحركة الوطنية[1].

كما أن المنافسة المسلمة لليهود طالت حتى المجالات التي عرفت تاريخيا بأنها حكر عليهم، سواء في مجال الترجمة أم الوساطة التجارية لصالح بيوت التجارة الألمانية والإنجليزية والفرنسية، لأنه عندما استقر التجار والحرفيون والمسؤولون والموظفون الفرنسيون في المراكز الحضرية، كانوا على اتصال مباشر بالعنصر المسلم، ولم يعد اليهودي ذلك الوسيط الذي لا غنى عنه، فنمت شريحة من السكان المسلمين وأصبحت تنافس اليهود في التداولات ذاتها التي كانت محفوظة لهم في السابق[2]، حتى أن المنتجات التي احتكروها في مجال الخياطة والنجارة والصياغة... تعرضت لمنافسة الإنتاج المتسلسل الآتي من أوروبا أو الدار البيضاء، مما جعل الشباب اليهودي المتعلم غير قادر على الحصول على عمل[3]، خاصة أمام توالي الأزمات المرتبطة بالحرب العالمية الأولى والثانية وما تخللهما من أزمات اقتصادية.

إن فكرة تغيير الهيكل المهني لليهود وبالتالي الهيكل الاجتماعي للجماعات مستنبطة أساسا من فكرة المساواة الاجتماعية، التي دافع عنها الجمهوريون الفرنسيون، وأتباع الحركة السان سيمونية الداعين لإشراك اليهود في النشاط الزراعي والتجاري والصناعي لبلدانهم، وهي من حيث المبدأ معادية لأي امتياز أرستقراطي مرتبط بالولادة، وهذه الفكرة بالأساس غير واضحة في نداءات وخطابات الرابطة. ومع ذلك، غالبا ما ينظر إليها على أنها تدعو وتؤيد الارتقاء الاجتماعي، الذي هو بحد ذاته وظيفة التعليم والتكوين المهني، لمنع الأطفال من الوقوع في التشرد أو امتهان المهن البئيسة والتسول[4].

وقد أبدى قادة الرابطة قلقهم من بدء التكوين المهني للشباب الذين تركوا المدرسة الابتدائية، فهم لا ينوون تكريس التكوين في المهن المتعلقة بالتجارة أو الأعمال المصرفية أو الإدارة، إيمانا منهم أن التكوين الأساس في المدارس الابتدائية يوفر المهارات الكافية لأولئك الذين يرغبون في الانخراط في مثل هذه المهن[5]، بينما يوفر عالم المهن اليدوية فرصا غير مستغلة في مجالي الحرف والزراعة. بخلاف الفهم المغلوط لدى اليهود الذين يعتبرون العمل الذي يحتاج إلى مجهود

---

[1] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p. 41.
[2] - J. Goulven, Op. cit,. pp. 130-145.
[3] - J. Bénech, Op. cit,. p. 310.
[4] - Georges Weill, **Emancipation et humanisme**, Op. cit,. pp. 7-12.
[5] - A. Kaspi, Op. cit,. p. 337.

بدني مجرد عقوبة[1]، في حين تعتبر الرابطة أنه مصدر المتعة الخالصة، وتطور العقل، وقوة الجسد، ورابط أسري قوي ومصدر من مصادر الحياة المستقرة[2].

بعد أن أصبحت الحماية الفرنسية واقعا لا مفر منه سنة 1912، وبعد أن اعتمدت مدينة طنجة منطقة دولية في السنة نفسها، عمدت اللجنة المركزية للرابطة اليهودية العالمية إلى استئناف حملتها لتطوير وعصرنة تعليمها المهني، بغية تعزيز الوجود والمصالح اليهودية في المهن الحديثة، وتبعا لهذا الهدف قررت الرابطة تأسيس مدارس مهنية ثانوية، وإن كان على الأقل في الوسط اليهودي أو الجماعات التي تستوطن المدن الأكثر أهمية في المغرب، ببرامج مماثلة لتلك التي تقدم في عدد من البلدان مثل (فلسطين، تونس، الجزائر)، في محاولة لاستقطاب الشباب اليهودي صوب التكوين المهني لأجل ملء الفراغ الحاصل في المؤسسات والشركات الأوروبية.

وفي هذا الصدد وجد مدراء مدارس الرابطة في جمعيات قدماء تلامذة مدارس الرابطة اليهودية العالمية حلفاء لا غنى عنهم، فهاته الجمعيات فرضت نفسها بتوسيع مجال أنشطتها بعد سنة 1912، من خلال تقديم يد المساعدة للمدارس في إنشاء وتأطير أوراش التكوين في المهن اليدوية، بحيث ساهموا في الرفع من رصيد الدعم الموجه لتثبيت الشباب اليهودي ذكورا وإناثا في المؤسسات المهنية الواقعة بالمدن والأحياء الأوروبية.

ففي مراكش، أفاد مدير مدرسة الذكور في سنة 1926 أن جمعية قدماء تلامذة مدارس الرابطة قد ساهمت بقدر كبير جدا في توفير الألبسة والحاجيات للأمهات المعوزات وخاصة الحوامل منهن، وكذا توزيع الخبز بصورة منتظمة لفقراء الجماعة هناك[3]، كما عملت هذه الجمعيات على توفير تكوين مهني للأطفال اليهود الذين لم يسبق لهم أن تلقوا أي تعليم رسمي من قبل، لمساعدتهم في كسب عيشهم مستقبلا، وقامت بتحمل جل تكاليف الولوج للمدارس المهنية التي تم إنشاؤها في المنطقة الدولية (طنجة) من قبل فرنسا في شخص المدرسة المهنية بطنجة Ecole Professionnelle de Tanger التي تأسست سنة 1918.

---

[1] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p.27.

[2] - J. Bocquet, Op. cit,. pp. 43-44.

[3] - كما ساعدت في تلقي 90 شابا يهوديا بمدينة مراكش لتكوين مهني في مختلف المهن والحرف. ينظر:
- A.A.I.U., **XXIII E 384 a**, Rapport de Moïse Bibasse sous titre: **"**l'activité de l'Association des des Anciens Elèves de Marrakech**",** au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Marrakech, 11 Décembre 1926.

وبعد أن تبين بشكل واضح أن هناك حاجة ماسة لاستكمال التعليم المهني بغرض إحداث تغيير في الهياكل المهنية للمغاربة اليهود، سعت الرابطة للحد من عدد المرابين[1] اليهود والباعة المتجولين، معتبرة أن هذه «المهن» لم تعد تستجب لحاجيات النهوض الاقتصادي[2]، الذي يقتضي جعل الهياكل المهنية للمغاربة اليهود تتسم بالتعايش بين الحرف التقليدية وجعلها تتطور في تجاه الحرف الحديثة[3].

كما أن سياسة التهدئة التي نهجتها إدارة الحماية الفرنسية مع مقيمها العام ليوطي، ساهمت في إنهاء حالة الاضطراب في البلاد، ومكنت الرابطة من تنفيذ برنامجها الإصلاحي المعتزم تنفيذه منذ فترة ما قبل 1912، لكن فترة الحماية الفرنسية لم تخل من إجراءات قيدت خيارات اليد العاملة اليهودية، التي غالبا ما امتهنت مهنا كانت محرمة على المسلمين بموجب القانون والتشريع الديني الإسلامي[4]، بفعل تقلص دور الوساطة التجارية للمغاربة اليهود وبسبب المنافسة الأجنبية لهم وللدور الذي احتكروه دائما، وبفعل غيابهم التاريخي عن المهن المتعلقة بالأنشطة الزراعية.

فروبن تاجوري Ruben Tajouri أحد مدرسي الرابطة بمدينة سلا كان من بين المدافعين عن التعليم المهني الحديث، عمل سنة 1922 على عقد اجتماع لمجلس الجماعة بالمدينة نفسها [5]، وأوضح لهم أن الطلب على المهن الحديثة في المغرب أصبح كبيرا جدا، وخاصة في المجالات المرتبطة بالحماية الفرنسية، وأن التعليم الابتدائي في نظره لم يعد كافيا، إذ هو بمثابة جواز مرور لامتهان الوظائف الإدارية فقط، وأن برامج التعليم المهني التي تأسست من قبل الرابطة في بلدان أخرى (فلسطين، تونس مثلا ...[6]) أعطت نتائج هامة، ومن المنتظر أن تعطي

---

[1]- المرابين: وهم اليهود الذين يتعاملون بالربا، أي أولئك الذين يتخذون من إقراض المال مقابل فوائد مالية معينة مهنة لهم.

[2] - Jacques Taieb, **Regards sur le Tunis juif de la "Belle Epoque" 1895-1913**, Op. cit,. pp. 41-53.

- شجعت بدورها الحركة الصهيونية التكوين المهني لسببين أحدهما إيديولوجي، والآخر عملي يهدفان إجمالا إلى تقدير العمل الذي يتطلب مجهودا ولياقة بدنية وذا حصيلة إنتاجية من أجل تغيير البنى الاجتماعية والاقتصادية للحياة اليهودية، وكانت الزراعة ذات أهمية إيديولوجية خاصة، إذ تجمع بين العمل اليدوي وتحقيق الاكتفاء الذاتي. ينظر:

- R. Spector Simon, M. M. Laskier, S. Reguer, Op. cit,. pp. 153-154.

[3] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p. 47.

[4]- احتكر اليهود مجموعة من فروع التجارة والمهن المحرمة على المسلمين كالإقراض بالربا، والاتجار في الدخان (التبغ) والخمور. ينظر:

- لطفي بوشنتوف، **"تجارة المحظور في النصف الثاني من القرن 19م (سلعتا الدخان والخمر مثلا)"**، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، الجزء الأول، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1، عين الشق – الدار البيضاء،. صص. 117-136.

[5] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 255.

[6] - أسست الرابطة في وقت مبكر بفلسطين مدرسة زراعية وأخرى مهنية بكل من يافا والقدس، وبتونس أنشأت المدرسة الزراعية الجدايدة.

النتائج نفسها في المغرب كذلك، كما شجع الحاخام الأكبر لمدينة سلا، رفائيل انقاوة [1] Raphaël Encaoua، التعليم المهني الحديث بشكل تام جنبا إلى جنب مع مجلس الجماعة، وبذلك تقرر إنشاء صندوق خاص للمنح الدراسية يهدف إلى وضع المتدربين الشباب في مراكز التكوين المهني في سلا[2]، ومن جهتها شجعت اللجنة المركزية للرابطة كل الجهود المبذولة في مجال التعليم المهني، ففي سنة 1919 مثلا: نبه مدير مدرسة الذكور بالدار البيضاء يوسف بنسيمحون Joseph Bensimhon على أن هناك عددا قليلا من الحرفيين اليهود، وأعطى مثلا إحصائيا على ذلك إذ **«في الدار البيضاء، من أصل ما مجموعه 15000 يهودي، ليس هناك أكثر من 20 أو 25 صائغ، وعدد الخياطين لا يتعدى 10 أو 15 خياطا، في حين لا يتجاوز عدد النجارين 5 أفراد، أما البقية فيمتهنون التجارة أو السمسرة العقارية والمالية»**[3].

استطاعت الرابطة بفضل مدرائها، وبفضل جهود خريجي مدارسها من إحراز تقدم ملحوظ في مجال التعليم المهني، ففي أقل من عقد من الزمن بعد فرض الحماية الفرنسية على المغرب، وكنتيجة لذلك ظهرت أواخر سنة 1920 ورش مهنية صغيرة برعاية الرابطة في جميع أنحاء المغرب مرتبطة بمؤسساتها، وفي عدد قليل من المدارس اليهودية الفرنسية التي استحدثتها إدارة الحماية الفرنسية، وموازاة مع ذلك وظف معلمو الرابطة علاقاتهم المتميزة مع الفرنسيين المقيمين بالمغرب لإدماج عدد كبير من خريجي هذه المدارس بصفتهم مهنيين متدربين في مشاريع الأوروبيين الموجودة بالأحياء الأوروبية المبنية حديثا[4]، الشيء الذي ساهم في إخراج الشبان اليهود من فضاء الملاح بهدف العمل والاستقرار في المدينة الأوروبية. كحالة الدار البيضاء التي جذبت شركاتها الفرنسية الشبان اليهود للعمل في مجالات حديثة كدور نشر الكتب مثل المطبعة الجديدة Imprimerie Nouvelle، وشركة ريمنجتون Remington، التي افتتحت فروعا لها بالمغرب[5].

لقد شكل رؤساء الجماعات اليهودية ووجهاؤها سواء كانوا من خريجي مدارس الرابطة أم غيرها، قوة دعم للمجهود الذي تقوم به هذه المنظمة إن على المستوى التعليمي والأخلاقي أو على

---

[1]- رفائيل انقاوة Raphaël Encaoua حاخام ذائع الصيت في المغرب.

[2] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 255.

[3] - A.A.I.U., **IV E 82**, Rapport de Joseph Bensimhon sous titre: **"**L'œuvre D'apprentissage**",** au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca 20 Janvier 1919.

[4] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 256.

[5] - M. M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 256.

- Jacques Taieb, **Regards sur le Tunis juif de la "Belle Epoque" 1895-1913**, Op. cit,. pp. 41-53.

المستوى الاجتماعي والمهني والسياسي، فما كان من هؤلاء إلا الإشادة دائما بالعمل الذي تقوم به الرابطة نيابة عن اليهود منذ منتصف القرن التاسع عشر، معتبرين أن مهمتها لا تزال في بدايتها، خاصة في المدن التي تتمتع بعوامل الجذب مثل مدينة الدار البيضاء التي استقطبت أعدادا غفيرة من يهود المناطق الداخلية للمغرب خاصة الفقراء والمعدمين منهم طلبا للعمل الذي يصعب إيجاده، لذلك كان يحي زاغوري من بين أهم الداعمين والمدافعين عن نشر وتعميم التعليم المهني للرابطة على أوسع نطاق[1]، وهو الموقف الذي أيده فيليكس غودج أحد أبرز الشخصيات اليهودية البيضاوية[2].

لكن نقطة التحول كانت سنة 1927 عندما تأسست المدرسة المهنية Ecole Professionnelle للرابطة اليهودية العالمية بالدار البيضاء، ثم توالى افتتاح المدارس المهنية في كل من فاس سنة 1936، والرباط بعد ذلك، وقد وصل عدد التلاميذ المسجلين في مدرسة الدار البيضاء خمسة وخمسين تلميذا مع نهاية سنة 1927، يتوزعون بين سبعة وعشرين متدربا محسوبا على خريجي المدارس الفرنسية الإسرائيلية وثمانية وعشرين آخرين من خريجي مدارس الرابطة[3]، تم تقسيمهم إلى قسمين: قسم خاص بالأعمال الخشبية، والآخر بالأعمال المعدنية، وقد احتلت ورش عمل المدرسة المهنية بالدار البيضاء أحد المباني الحديثة والمتسعة التي تم استئجارها من إدارة الحماية، وهي مجهزة تجهيزا كاملا بالآلات والأدوات الحديثة المشتراة من قبل الرابطة، كما سخّرت هذه الأخيرة خبرة الفرنسيين المهرة وخريجي المدرسة الصناعية École Industrielle بالدار البيضاء لتدريس المواد والأمور التقنية في حين اختص معلمو الرابطة بتلقين كل ما يتعلق بالتعليم العام واللغة الفرنسية[4].

صورة رقم 9: تلاميذ يتلقون تدريبا مهنيا بالمدرسة المهنية بالدار البيضاء سنة 1954.

[1] - A.A.I.U., **VII B 1.04**, Op. cit.
[2] - Félix Guedj, **L'enseignement professionnelle à Casablanca**, Op. cit,. p. 12.
[3] - A.A.I.U., **IX E 172 a**, Op. cit.
[4] - Ibid.

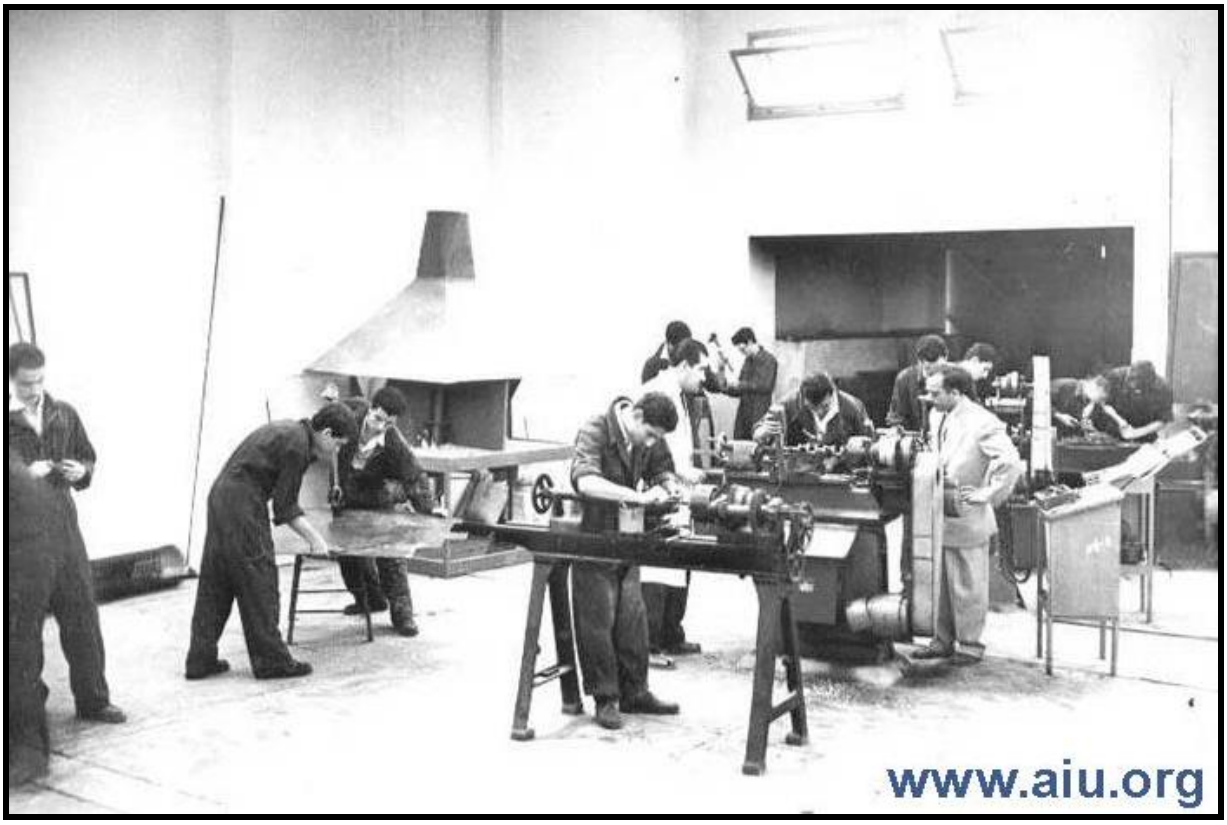

المصدر:

- https://www.aiu.org/fr/album/180

لم تكن المدرسة المهنية بفاس أقل إثارة للإعجاب، فعلى غرار نظيرتها في الدار البيضاء، تلقت دعما قويا من قبل المديرية العامة للتعليم العمومي المكفة ببناء مقر المدرسة المهنية، التي افتحت أبوابها سنة 1935 في وجه خريجي المدارس الابتدائية للرابطة بكل من مدينة فاس وصفرو بما مجموعه سبعة وعشرون متدربا، مقسمين إلى ستة عشر متدربا في المجال الخاص بالحديد، وأحد عشر متدربا في المجال الخاص بالخشب، ويمتد التكوين بالمدرسة على مدى ثلاث سنوات في المجالات التقنية التي تتطلب سقفا زمنيا يصل إلى ثلاث عشرة ساعة أسبوعيا، والمجالات العملية التي تتطلب إثنتي وعشرين ساعة في الأسبوع بالنسبة لمتدربي السنة الأولى وثلاثا وعشرين ساعة لمتدربي السنة الثانية والثالثة[1]، في حين تشرف المديرية العامة للتعليم العمومي على تطوير البرامج متى ارتأت ذلك، وتكلل سنوات التكوين والتدريب هذه بحصول التلاميذ على شهادة التكوين المهني Diplôme d'apprentissage ممنوحة من قبل المديرية العامة للتعليم العمومي[2]. ولم تقتصر مهام الرابطة على التكوين والتدريب فقط بل تجاوزت ذلك

[1] - **La Vie dans les Ecoles de L'Alliance Israélite, Paix et Droit**, Dix-Septieme Année, N° 6, juin 1937,. pp. 7-8.

[2] - **La Vie dans les Ecoles de L'Alliance Israélite, Paix et Droit**, Dix-Septieme Année, N° 6, juin 1937,. p. 8.

إلى المتابعة والمساعدة، بعد توجه التلاميذ إلى سوق الشغل أي إلى ورش العمل، لكن هذه المهن التي اكتسبوها حديثة وغير متداولة بالمغرب إذا جاز التعبير، وبالتالي هم يعتبرون من الرواد في هذه المهن. ووعيا من الرابطة بهذا الأمر عملت منذ اليوم الأول لالتحاق التلاميذ المتدربين بمدارسها المهنية على ادخار مبلغ فرنك واحد عن كل يوم دراسي طيلة ثلاث سنوات من التكوين، وضعت بأسمائهم في صندوق الادخارla caisse d'épargne، وبالتالي يتمكن المتخرجون من الحصول على ما يناهز 1000 فرنك بمثابة منحة التخرج مخصصة لشراء الأدوات اللازمة لبدء مشاريعهم الخاصة الكفيلة بإخراجهم من البؤس وكسب قوتهم اليومي[1].

استطاعت جمعية قدماء تلامذة مدرسة الرابطة اليهودية العالمية بالدار البيضاء سنة 1926 دمج ثمانية وتسعين شابا من خريجي المدرسة المهنية للرابطة كمتدربين لدى أرباب المصانع وأوراش العمل Ateliers بالمدينة، ويتوزعون حسب التخصص كالتالي:

جدول رقم 16: يوضح عدد التلاميذ الذين تم دمجهم حسب التخصص من قبل جمعية قدماء تلامذة الرابطة بالدار البيضاء سنة 1926.

التخصص المهني	عدد الخرجين المتدربين
الكهرباء	19
التعدين	19
الطباعة	21
النجارة	5
الخياطة	11
الترصيص	2
الميكانيك	2
الرقن على الآلة الكاتبة	4
التنجيد	11

المصدر

- A.A.I.U., **IX E 172 a**, Rapport de Ruben Tajouri sous titre: "Apprentissage", au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 01 Mars 1927.

كما أشار تقرير جمعية قدماء تلاميذ الرابطة اليهودية العالمية سنة 1927 إلى أن: **«عدد خريجي الرابطة لهذا العام وصل إلى 110، وضعتهم الجمعية كمتدربين في مختلف المصانع والأوراش المهنية، كما تقدم الجمعية لهؤلاء المتدربين الطعام وإعانات شهرية...»**[2].

ساهم التكوين المقدم من طرف الرابطة والمنح والتحفيزات المعتمدة في إغراء الشباب اليهودي للالتحاق بمدارس التكوين المهني التي شكلت العمود الفقري لتغيير الهيكل المهني

[1] - Ibid.
- A. Kaspi, Op. cit,. p. 238.
[2] - A.A.I.U., **III E 52**, Op. cit .

للمغاربة اليهود، ودليلا على قدرتهم على التكيف والتغير وفق متطلبات العصر سواء على المستوى الثقافي أم المهني، وعلامة على الاندماج والارتقاء الاجتماعي، لذلك ارتفع عدد الملتحقين بالمدرسة المهنية للرابطة بالدار البيضاء من خمسة وخمسين تلميذا سنة 1927 إلى سبعين تلميذا سنة 1929، وإلى ستة وسبعين سنة 1931[1]، وقد اختتم التلاميذ مسارهم الدراسي بالحصول على شهادة التكوين المهني، الشيء الذي أعطى للمدرسة سمعة وسط الأثرياء اليهود بالدار البيضاء الذين حرصوا على إرسال أبناءهم لتلقي تعليمهم وتكوينهم هناك.

لم تكن مهن النجارة والتنجيد والميكانيك وتسفير الكتب والكهرباء... منتشرة بين المغاربة اليهود قبل سنة 1920، بالإضافة إلى ذلك ساهمت جمعية قدماء تلاميذ الرابطة بالدار البيضاء في دعم التجربة المهنية للرابطة بالمدينة، وتقديم عدد من الأنشطة الموازية كتدريب رياضة الجمباز للذكور، وتخصيص دروس تكميلية في اللغتين العربية والعبرية يوم الأحد خاصة لتلاميذ الثانويات الفرنسية التي افتقرت مناهجها الدراسية إلى ذلك.

بعد سنة 1945، منحت المدرسة المهنية شهادة الأهلية المهنية حتى بالنسبة للحرفيين ذوي المهارات العالية، الشيء الذي سيرفع من نسبة الملتحقين بها سنة 1946 إلى 156، وإلى 360 سنة 1949[2]، ونظرا للإقبال المتزايد على مدارس التكوين المهني عملت الرابطة على إنشاء مؤسسات وأنوية للتكوين المهني في عدد من المدن المهمة بالمغرب.

جدول رقم 17: المدارس المهنية التابعة للرابطة بالمغرب، وطبيعة التكوين المهني وأعداد المتدربين لدى الجنسين خلال سنة 1947.

المدينة	نوع المؤسسة	عدد المعلمين		طبيعة التكوين	عدد المتدربين	
		تعليم عام	تعليم تقني		ذكور	إناث
الدار البيضاء	مدرسة مهنية	3	1	النجارة	33	
			1	التعدين	41	
			1	الخياطة	52	
			1	صناعة الأحذية	30	
			1	الترصيص	8	

[1] - Michael M, Laskier, **The Alliance Israelite Universelle,** Op. cit,. p. 257.
[2] - Ibid.

الدار البيضاء	ورشة بمدرسة Y. D. Semach	1	1	الخياطة النسائية		84
الرباط	مدرسة مهنية	1	1	النجارة	24	
		1		التعدين	16	
		1		المهن المرتبطة بالجلود	22	
سلا	قسم للحرف اليدوية	1		النجارة	18	
مازغان/ الجديدة	قسم للحرف اليدوية	1	1	النجارة	12	
		1		الخياطة النسائية		16
أبي الجعد	قسم للحرف اليدوية	1		تسفير الكتب	10	
		1		الخياطة النسائية		15
فاس	مدرسة مهنية خاصة بالذكور	1	1	النجارة	12	
		1		التعدين	18	
	ورشة خاصة بالإناث	1	1	الخياطة النسائية		43
ميدلت	قسم للحرف اليدوية	1		الخياطة النسائية		20
مراكش	قسم للحرف اليدوية خاصة بالذكور	1		النجارة	20	
	ورشة خاصة بالإناث	1		الخياطة النسائية		43
الصويرة	قسم للحرف اليدوية خاصة بالذكور	1		تسفير الكتب	7	
	ورشة خاصة بالإناث	1		الخياطة النسائية		20
تيزنيت	ورشة	1		التنجيد		15
دمنات	ورشة	1		الخياطة النسائية		15
طنجة	ورشة	1		الخياطة النسائية		13
تطوان	ورشة	1		الخياطة النسائية		14
المجموع		**26**	**8**		**323**	**298**

المصدر:

- Michael M, Laskier, **The Alliance Israelite Universelle**, Op. cit,. p. 258.
- **Enseignement professionnel dans les Ecoles de l'A.I.U au Maroc**, C.A.I.U., N° 20-21, Février-Mars 1948,. p. 8.

تطور هذا النوع من التكوين بشكل بطيء دفع الرابطة سنة 1946 إلى عقد اتفاقية مع منظمة إعادة الاعتبار بالعمل (O.R.T.)، الشيء الذي ساهم في اتساع رقعة التكوين المهني بين الشباب اليهودي، خاصة بعد أن ساهمت هذه المنظمة في بناء مدرستين للتكوين المهني بالدار البيضاء سنة 1952 مجهزتين بمعدات حديثة. ومنذ ذلك الحين، تلقى ما بين 1000 إلى 1500 فتى وفتاة تدريبا مهنيا كل سنة في المدارس والمراكز التابعة لها[1].

وعلى الرغم من الأرقام المدرجة، فإن الرابطة لم تتمكن من إقناع عدد كاف من التلاميذ وأولياء أمورهم بخيار التكوين المهني، ومعظم من فعلوا ذلك كان من أجل المنح النقدية التي قدمتها الرابطة مقابل تكوينهم، إلا أن بعضهم يوقف تكوينه المهني حالما تظهر فرصة عمل أفضل، لأنه لم يكن هناك حافز حقيقي ليصبح التلاميذ حرفين على الرغم من تمجيد الحرف والمهن اليدوية في المدارس[2]، إذ على الرغم من أنها كانت حرفا جديدة وحديثة كليا، إلا أن مستقبلها غير مؤكد بالشكل الذي يمكن من جذب أعداد كبيرة من التلاميذ، لأن هذا النوع من التطوير كان حكرا على تلاميذ مؤسساتها، في الوقت الذي كان بإمكان الرابطة أن تنفتح على شريحة ضخمة من الأطفال اليهود الذين لم يلتحقوا بمؤسساتها لسبب أو لآخر، وقد تلقوا تعليما محدودا للغاية في أماكن أخرى لم تمنحهم المؤهلات اللازمة لكسب لقمة العيش، لأن الهوس الأخلاقي للرابطة قد استبعد في الواقع كل أولئك الذين لم يتلقوا رسالتها النبيلة بالمدارس التابعة لها، وبالتالي هم غير قادرين على جني فوائد المهن والحرف الحديثة[3].

ويمكن تفسير هذا التناقض في كون الرابطة لم تحدد بشكل واضح الأهداف العملية لمدارسها، مما ساهم في طغيان الخطاب الأخلاقي على التحليل المتعمق للواقع المحلي للجماعات اليهودية، بحيث تشكل لدى الرابطة هاجس تأمين مستقبل تلامذتها ليتمكنوا من توفير حياة كريمة[4]، واعتبرت أن مفتاح ذلك يكمن في تعلم اللغة الفرنسية والحساب وغيرها من المواد العلمية والعملية التي سوف تخدم هذا الغرض، إلى جانب مهمتها الأساس الكامنة في تغريب اليهود سواء من حيث العادات والتقاليد واللباس، أم من جانب العقليات ونمط الحياة، مرتكزة في ذلك على نظام مدرسي وعلى برنامج تعليمي قائم على مفاهيم تهدف إلى تحسين وضع الفقراء

---

[1] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p. 28.
[2] - A. Kaspi, Op. cit,. p. 239.
[3] - Ibid,. p. 240.
[4] - Ibidem.

مستفيدا من مبادئ الفكر التربوي الأوروبي المهيمن في القرن التاسع عشر والذي يؤمن بأن التعليم مفتاح كل الأبواب[1].

3) زواج الأطفال القاصرين.

كان أول من أثار قضية زواج القاصرين بين اليهود بالمغرب هم معلمو مدارس الرابطة الذين لم يستسيغوا طبيعة هذه الظاهرة الرائجة، ولتسليط الضوء على هذه القضية عملت الرابطة على بسط الظروف الملاءمة لعقد الاجتماعات والحوارات مع الحاخامات الرائدين والمؤثرين في المغرب، وحثتهم على اعتماد تدابير صارمة ضد هذه الممارسة، لا سيما في مدينة فاس حيث لعب المعلمون دورا نشطا في هذا المجال، ففي سنة 1897 على سبيل المثال، وجد جوزيف بنسيمون Joseph Benshimon مدير مدرسة الذكور أن اليهود يؤيدون زواج الأطفال وأن تقييده أو إلغائه يعتبر مخالفا للدين بالنسبة لليهودي[2]، وهو ما دفعه للاستقصاء عن الأمر بالحديث مع الحاخام الأكبر لمدينة فاس سليمان دانان Salomon Danane حول هذه الممارسة، وبسط مختلف الخيارات الممكنة لوقفها[3].

ومع ذلك، اقترح دانان أن أي تدخل من جانب الرابطة اليهودية وحاخامات فرنسا وفلسطين سيكون له بلا شك أثر إيجابي على الجماعة، لأن قادة مجلس الجماعة في فاس يقدرون مشورة إخوانهم في أوروبا وفلسطين. وبالتالي، قد يكون هذا بمثابة حل لهذه القضية[4].

إن الطرح الذي أشار إليه دانان والمتمثل في التدخل الخارجي بغية توجيه رأي الجماعة بخصوص الزواج المبكر لدى الأطفال اليهود، بدل طرح القضية أمام مجموع الحاخامات ومجلس الجماعة المحلي والمخاطرة بالدخول في شنآن فكري قد يعصف بموقعه كحاخام أكبر، وهو ما يؤكد أن لا مجال لإعادة النظر في هذه المسألة المتجذرة حتى من قبل حاخام ذي وزن بالوسط اليهودي بفاس، لاعتبارات يمكن إجمالها في الخوف أو عدم الرغبة في تحدي الممارسات الدينية لأعضاء الجماعة.

---

[1] - Ibidem.
[2] - A.A.I.U., **XIII E 219**, Lettre de Joseph Benshimon, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fes, 22 Avril 1897.
[3] - Ibid.
[4] - Ibidem.

ومن ناحية أخرى، لم يقدم سليمان دانان نفسه أي مراجعة ذاتية بخصوص الزواج المبكر لدى الأطفال اليهود، بحيث أقدم سنة 1907 على عقد قران ابنه وهو تلميذ بمدرسة الرابطة بفاس، على إحدى الإناث اللواتي لم يتجاوز سنها 6 أو 7 سنوات[1]، الشيء الذي دفع المعلمة إيليز كوهين Elise Cohen إلى اتهام قادة الجماعة بأنهم هم من يكرسون ويشجعون الزواج المبكر، بدلا من محاولة إلغائه تدريجيا[2]، لأن مناسبات الزواج عند اليهود تشكل فرصة للاغتناء، بحيث وقفت المعلمة على مبلغ 1000 دورو تحصلت للحاخام سليمان دانان بمناسبة زواج ابنه، وهو المبلغ الذي يعادل 3290 فرنك فرنسي[3].

كما كانت كلير بنشيمول Claire Benchimol مديرة مدرسة الإناث بفاس من بين أوائل أطر الرابطة الذين أثاروا مسألة الزواج المبكر بين الأطفال اليهود وبصفة خاصة لدى الإناث، بحيث كتبت سنة 1900 للجنة المركزية بباريس تحثها على أن السبيل الوحيد لوقف الزواج المبكر ومنع ظهور ما يسمى بالأطفال الأمهات Mères Enfants، هو العمل على إبقاء الإناث في المدرسة لأطول فترة ممكنة على الرغم من رفض ومقاومة أرباب الأسر للفكرة[4]، وتوقعت أن يكون لهذا التوجه فعالية كبيرة بين الإناث المنحدرات من الأوساط الفقيرة مقارنة مع الإناث المحسوبات على الطبقة الثرية، لأنها لاحظت أن الإناث الأكثر فقرا اللواتي يتلقين تعليما مجانيا يلتحقن بالمدارس بانتظام، بينما نظراءهن الثريات اللواتي يدفع أباؤهن رسوما للتعلم كثيرات التغيب، بسبب كونهن الأكثر ترشيحا للزواج من غيرهن بسبب ثروة ومكانة العائلات التي ينحدرن منها[5].

بدوره بعث يوسف باسان Joseph Bassan وهو معلم بميدلت في 27 فبراير 1937 لسيماخ يطلعه على مسألة زواج الأطفال القاصرين، وهو أمر اعتبره بمثابة جرح اجتماعي متجذر داخل الجماعة اليهودية ليس في ميدلت فقط، بل في كل المناطق البعيدة عن المراكز الحضرية الكبرى للمغرب، وأن مسألة البعد هذه هي ما يمنعها من تحقيق اتصال ولو ضئيل

---

[1] - A.A.I.U., **XIV E 226**, Rapport Trimistriel Concernant les Mois de Mars, Avril et Mai, Elise Cohen Scali, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fes, 07 Juin 1907.
[2] - Ibid.
[3] - Ibidem.
[4] - A.A.I.U., **I B 5**, Lettre de Claire Benchimol, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fes, 10 Mai 1900.
[5] - Ibid.

بمعالم الحياة العصرية التي من شأنها أن تحدث تغييرا في طريقة العيش[1]، ونبه باسان مندوب الرابطة إلى أن هذه المسألة (الزواج المبكر) يجب أن تختفي تماما إذا ما أراد ألا يصبح أضحوكة للأجانب في الوسط الذي يعيش فيه[2].

وعلى الرغم من أن الرابطة لم تستطع تحقيق أي إنجاز مهم بخصوص زواج القاصرين قبل فرض الحماية على المغرب، إلا أن الضغوط التي مارسها مدراء ومعلمو مدارس الرابطة اليهودية على أعضاء اللجنة المركزية بباريس أو على مندوبها بالمغرب، ساهمت في التعريف بالظاهرة مما شكل إحراجا للرابطة التي سعت إلى البحث عن الوسائل الكفيلة للحد من الظاهرة، من خلال تحسين وضع الإناث بتنظيم البرامج المهنية مثل الخياطة والتطريز في ورش العمل المرفقة بالمدارس[3]، أو بالكتابة إلى أعلى الشخصيات الحاخامية بقصد استمالتها إلى جانب موقف الرابطة الرافض لزواج الأطفال.

وفي هذا الإطار تدخلت قيادة المنظمة في باريس عبر أمينها العام جاك بيغارت الذي راسل سنة 1903 الحاخام أبنسور Abensour، وهو حاخام فاسي من ذوي النفوذ، يحثه على استعمال نفوذه للوقوف في وجه عرف الزواج المبكر علما أن أعلى السلطات التلمودية تقف ضد الزواج المبكر للأطفال[4]، وأنه لا منفعة ترجى منه متسائلا: ماذا يمكن أن ننتضر من أم ذات إثنتي عشرة سنة وأب من أربعة عشرة سنة؟ ملقيا اللوم كله على الجماعات التي تقوم بتقليد العرب الذين يزوجون أولادهم في السن التي يجب أن يكونوا فيها على مقاعد الدراسة، وأنه من الملح أن تختفي هذه العادة من أخلاق المغاربة اليهود، مستشهدا بالتقدم المحقق في مدينتي تطوان وطنجة، حيث أصبحت حالات زواج الإناث دون سن الخامسة عشرة نادرة. مشددا على ضرورة اتباع الجماعة في فاس تحت ضغط استنارة حاخاماتها التوجه نفسه[5].

نجحت الرابطة اليهودية في مناهضتها للزواج المبكر، ولعبت دورا فاعلا في إعادة تأهيل الحياة الأسرية اليهودية[6]، وإن كان على الأقل في مجال التحسيس بلا معقولية زواج الأطفال في

---

1 - A.A.I.U., **XLV E 717 k**, Lettre de Joseph Bassan, au Yomtob David Semach Déléguer de L'Alliance Israélite Universelle au Maroc, Midelt, 27 Février 1937.
2 - Ibid.
3 - A.A.I.U., **IV E 86**, Lettre de Vida Benzaquen, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 09 Février 1903.
4 - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine,** Op. cit,. p. 458.
5 - Ibid.
6 - Ibidem,. p. 197.

مرحلة هم أحوج فيها للتعليم قبل كل شيء. وعلى الرغم من التباطؤ الذي عرفه آلتحاق الإناث بمدارس الرابطة قبل سنة 1912، إلا أن الأثر الثقافي لمدارس الرابطة كان أكثر وضوحا بين الإناث منه عند الذكور، بسبب كونهن لم يتلقين أي نوع من التعليم في المدارس الحاخامية، مما يسر على مدارس الرابطة غرس فكرة أن النساء لسن أقل شأنا من الرجال، بل وحثهن على التماس السلطة داخل الأسرة إلى درجة القطع مع التقاليد القديمة إن اقتضى الأمر، وتكلل المجهود المبذول من طرف الرابطة ومعلميها بأن عقد كبار الحاخامات المغاربة دورة عامة سنة 1934، تم الاتفاق فيها على أنه لا يجب أن تتزوج الإناث قبل سن الثانية عشرة، وبعد أربع عشرة سنة سيتم عقد دورة ثانية سنة 1948 وافق خلالها مجلس كبار حاخامات المغرب Concile des grands rabbins du Maroc بالإجماع على عدم زواج الإناث قبل سن الخامسة عشرة[1]، ثم خرج المجلس نفسه بالرباط سنة 1952 بقرار إصلاحي آخر ينص على أن للمرأة حقا قانونيا في رفض العيش مع والديها أو الاستمرار معهما[2].

4) تحديث المدارس والتعليم العبراني.

على الرغم من الارتفاع المتواتر في عدد مدارس الرابطة اليهودية بالمغرب إلا أنها لم تنجح في تقويض قوة المدارس الحاخامية قبل سنة 1912، ففي المناطق الداخلية على وجه الخصوص حرص العديد من الآباء على أن يحضر أبناؤهم المدارس الحاخامية إلى جانب مدارس الرابطة، بل منهم من سن سنة حضور المدارس الدينية قبل الذهاب إلى مدارس الرابطة نزولا عند رغبة الحاخامات الذين روجوا لهذه الفكرة، وبناء عليه أرسلت الرابطة سنة 1908 وفدا مؤلفا من الحاخام إسرائيل ليفي Israël Lévi من باريس والدكتور بورجيس Dr. Porgès حاخام من لايبزيغ Leipzig للقيام بمهمة تفتيش بالمدارس الواقعة في الشرق بغية الإجابة عن عدد من الأسئلة التي تدور حول القضايا التالية[3]:

- هل للتعليم المقدم في المدارس كما يُزعم، تأثير سلبي على الشعور اليهودي للأطفال؟ أو أنه يمكن من تقوية هذا الشعور بين التلاميذ، لا سيما من خلال معرفة التاريخ اليهودي؟.
- قيمة التعليم العبري. هل هو كاف؟ هل هو جيد؟ هل يستجيب لأفكار ورغبات العائلات؟.

---

[1] - D. Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme Marocain**, Op. cit,. p. 76.
[2] - Ibid.
[3] - **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 33, Année 1908,. pp. 19-20.

- هل تتكيف المدارس مع الاحتياجات الدينية والاقتصادية والمعنوية للسكان اليهود؟.
- تقييم نتائج المدارس منذ إنشائها في مجال التجديد والتطوير الاقتصادي والأخلاقي والفكري للسكان اليهود؟.

وقد جاء في تقريرهما أن التعليم المقدم في المدارس يلبي احتياجات كل منطقة بشكل مثالي، وأن الطلب على تعليم اللغة الفرنسية لازال يحضى بالأهمية نفسها كما في السابق، بل في ازدياد مطرد. ولفت التقرير الانتباه أيضا إلى حقيقة أن تراجع الممارسات الدينية التي تمت ملاحظتها بين خريجي الرابطة سارت جنبا إلى جنب مع التطور العام للجماعات ولهؤلاء الخريجين، وفي كل الأحوال يجب أن تتحمل المنظمة المسؤولية عن هذا الوضع. كما أن تعليم اللغة العبرية يجري بشكل مناسب في معظم المدارس، لكن التقرير أشار إلى أنه يمكن تحسينها بشكل كبير إذا استطاعت الرابطة إيجاد معلمين عبريين جيدين ليحلوا محل الحاخامات وأساليبهم القديمة. وكان من توصيات التقرير أيضا استبدال الحاخامات بمعلمين أكثر كفاءة، عبر الدعوة إلى مزيد من التركيز على تدريس اللغة العبرية في مدرسة تكوين المعلمين بباريس (E.N.I.O.)[1]، وفي سنة 1925 حاييم أبي بصيرا Haïm Abibessera نائب رئيس جماعة مكناس طلب من رئيس الرابطة تخصيص المزيد من الزمن الدراسي يوميا للغة العبرية، خشية أن يرفض الآباء تسجيل أطفالهم في مدارس الرابطة[2]، على اعتبار أن جماعة مكناس هي واحدة من أكثر الجماعات تشبثا بالتقاليد في المغرب، وتسعى لأن يكون لأطفالها المعارف المكتسبة نفسها باللغة العبرية كما هو الشأن باللغة الفرنسية[3].

في الواقع، كان التعليم الديني مثار جدال في كثير من الأحيان، وموضوع مفاوضات طويلة بين الرابطة والجماعات اليهودية في موضوع عدد الساعات التي يجب تكريسها لمواضيع التعليم الديني المختلفة، فالجماعات المتجذرة بعمق في التقليد اليهودي تعلق أهمية كبيرة على المعرفة الدينية، ولتجاوز هذا الأمر توصلت الرابطة إلى حل وسط يكمن في تدريس التاريخ اليهودي الذي تفتقد إلى تدريسه المدارس الغربية، والهدف من ذلك تقليص عدد الساعات المخصصة للتعليم الديني لصالح التاريخ اليهودي الذي سيمكنهم من فهم ماضيهم، واكتشاف قيمه بشكل أفضل[4].

---

1 - **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 33, Année 1908,. pp. 20-36.
2 - A.A.I.U., **II B 12.97**, Lettre de Haïm Abibessera, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 28 Janvier 1925.
3 - Ibid.
4 - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine**, Op. cit,. p. 159.

صورة رقم 10: مجموعة من الأطفال رفقة معلمهم يتلقون تعليما تقليديا في الكنيس بمدينة دمنات سنة 1955.

المصدر:

- https://www.bibliotheque-numerique-aiu.org/records/item/9443-groupe-d-enfants-avec-leur-maitre-dans-la-synagogue?offset=12#content

وأمام الحضور القوي للمدارس الحاخامية التي اعتبرها دانيال ليرنر Daniel Lerner مشتلا لاستمرار التقليد، وإعادة إنتاج النخب التقليدية داخل الجماعة[1]، شنت الرابطة حملة للقضاء على مؤسسات التلمود توراة التي عفا عنها الزمن، لتسهيل مهمة الأطفال الذين اضطروا لحضور المدرستين معا في اليوم نفسه، وأيضا لجذب المزيد من التلاميذ بعيدا عن المدارس الحاخامية،

[1] - A.A.I.U., **II B 12.62**, Rapport de Daniel Lerner sous titre: "Le Talmud-Torah de Meknès", au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 27 Avril 1934.

بحيث أطلق العديد من معلمي الرابطة اليهودية استراتيجية لتقويم وترجيح كفة الالتحاق لصالحهم[1]، واستلزمت هذه الاستراتيجية دعم ورعاية المدارس الحاخامية الحديثة التي ستوفر التعليم الديني والعلماني في الوقت نفسه، وهي الاستراتيجية التي طبقت بمدينة مكناس من قبل دانيال ليرنر الذي عمل على إنشاء مدرسة حاخامية حديثة بدعم مجلس الجماعة اليهودية هناك خلال عشرينيات القرن الماضي، فاكتسبت المدرسة احتكارا افتراضيا للتعليم بما في ذلك التعليم الديني والتعليم العام باللغة الفرنسية، فمدرسة من هذا القبيل سرعان ما تطورت وأكسبت الرابطة مكانة وهيبة لدى الجماعة اليهودية بمكناس، إذ في سنة 1937 ضمت المدرسة بين جنباتها 1200 تلميذ واحتوت على ثلاثة وعشرين قسما، مقارنة مع مدرستي الرابطة للبنين والإناث اللتين ضمتا معا 900 تلميذ وتلميذة واحتوتا على سبعة عشر قسما فقط[2]، مما شجع الجماعة اليهودية بمكناس سنة 1940 بأن توافق على تسديد أجور معلمي مدرسة التلمود توراة التابعة للرابطة الذين وصلت أجورهم إلى 1350 فرنك شهريا[3].

وعلى غرار مدرسة التلمود توراة بمدينة مكناس، شكلت مدينة طنجة إحدى أهم المواقع الخاصة بتصريف الحركة الصهيونية لدعايتها الخاصة بإعادة إحياء كل ما تم هجره منذ زمن طويل، ومنها بعث الثقافة اليهودية والاهتمام باللغة العبرية الحديثة وإذكاء الروح القومية اليهودية[4]، ومخافة تعاظم شأن هذه الدعاية، دعا رئيس الرابطة اليهودية سلفيان ليفي Sylvain Lèvy إلى البحث في إمكانية إعادة تنظيم الدراسات العبرية، وهو ما دفع سيماخ إلى تأييد مشروع مدرسة "Tora Vehayim" للحاخام الأعظم مردوخي بنجيوMordejay Bengio باستمالة دعم مجلس الجماعة "Junta"[5] لهذا المشروع الذي ظل مجرد فكرة، إلى أن تهيأت الظروف لمجلس الجماعة ليحوله إلى أمر واقع، بفضل السلطة التي يمتلكها والوسائل المتاحة

---

[1] - A.A.I.U., **XXXII E 559**, Lettre de Ruben Tajouri, auComité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 09 Janvier 1918.

[2] - A.A.I.U., **XXXII E 543 b**, Lettre de Daniel Lerner, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 21 Avril 1937.

[3] - A.A.I.U., **XXXII E 543 b**, Lettre de Daniel Lerner, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 04 Janvier 1940.

[4] - A.A.I.U., **XLVII E 717 s 3.3(anc. syst. 8532, n°58)**, Rapport de Yomtob David Semach sous titre: **"**Notes sur la fondation du séminaire rabbinique**",** au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, Mars 1924.

[5] - الخونطة أو الجونطة "Junta" هو التعبير الإسباني الذي يطلق على مجلس الجماعى اليهودية بمنطقة الحماية الإسبانية بالمغرب.

له[1]، بعدما تبين لهم أن المدارس الحاخامية التقليدية لم تعد تستطع تلبية متطلبات العصر الحديث والنظام الاستعماري بالمغرب.

اشترط مجلس الجماعة في دعمه لهذه المدرسة أن تصبح بمثابة مؤسسة للتعليم الثانوي أو العالي، تعمل على تكوين معلمين في مجال الحاخامية واللغة العبرية لمدينة طنجة وباقي مدن المغرب. ومن أجل القيام بذلك، من الضروري تدريب هؤلاء المعلمين المستقبليين على وفق الأساليب الحديثة، بغية خلق مجموعة من الحاخامات والشباب النشطين والمتعلمين، البليغين وبما يمكنهم من تمثيل الجماعات بكرامة لدى السلطات الحكومية[2]، والقادرين على فرض أنفسهم على مواطنيهم من خلال قناعاتهم ومعرفتهم الدينية والدنيوية، مسلحين بلغة جديدة للتعبير عن الأفكار ومشاعر الرجال الأحرار.

وقد تعين فتح أبواب هذه المدرسة تحت إسم المدرسة الحاخامية بطنجة Séminaire Rabbinique de Tanger في وجه جميع تلاميذ المدن المغربية المنحدرين من مختلف الطبقات الاجتماعية، ولتشجيع الالتحاق بها أعلن سيماخ أن المدرسة ستتكفل بتقديم جميع اللوازم المدرسية، ووجبة الغذاء والملابس بشكل مجاني، بالإضافة إلى منحة شهرية تتراوح بين 20 و100 فرنك[3] لكل تلميذ على وفق الحالة الاجتماعية للأباء، مع مراعاة سن التلاميذ ومدى تفوقهم الدراسي بقصد تخفيف تكاليف السكن والغذاء عن الأباء[4]، ولتشجيع الأسر اليهودية على تسجيل أبناءهم في هذه المدرسة أعرب سيماخ عن الرغبة في استبدال المعلمين الحاخامات بمدارس الرابطة الذين ليس لهم إلمام باللغة الفرنسية بخريجي المدرسة الحاخامية بطنجة مستقبلا[5]، بعد أن يتوجوا تكوينهم هذا بالحصول على الشهادة الابتدائية ريثما يتم التنسيق مع مديرية التعليم العمومي لمنح شهادة الباكلوريا لخريجي المدرسة الحاخامية بطنجة[6].

---

[1] - A.A.I.U., **XLVII E 717 s 3.3(anc. syst. 8532, n°58)**, Op. cit.

[2] - Ibid.

[3] - لتغطية نفقات تأسيس المدرسة والمنح التشجيعية للتلاميذ، خصص مجلس الجماعة بطنجة مبلغ 20000 فرنك كإعانة سنوية للمدرسة، وخصصت مجموعة من الشركات المملوكة لليهود اكتتابات بمبالغ مهمة وصلت في مجملها إلى 200000 فرنك، وبما أن للمدرسة برنامجا واسعا تم تسطيره، تقرر طلب دعم كل الأفراد الأغنياء والجماعات اليهودية بالمغرب لتخصيص إعانة سنوية للمدرسة، وفيما يخص الرابطة ومؤسسة الحماية فقد تم تخييرهما بين منح مبلغ ثابت سنويا، أو تزويدهم بالمعلمين لتدريس اللغة الفرنسية والعلوم. ينظر:
- A.A.I.U., **XLVII E 717 s 3.3(anc. syst. 8532, n°58)**, Op. cit.

[4] - Ibid.

[5] - Ibidem.

[6] - Ibidem.

بقيت الآمال التي عقدها سيماخ بمعية مجلس الجماعة اليهودية بطنجة على المدرسة الحاخامية معلقة، إذ إن واقع التعليم العبري في المدرسة استمر على شاكلة التعليم التقليدي في باقي المدارس، لأن الرابطة استمرت في توظيف الحاخامات العاملين في التعليم الديني التقليدي أنفسهم، الذين استمروا بدورهم في نهج الأساليب البيداغوجية البدائية، وبالتالي إعادة إنتاج خريجين على شاكلتهم، وهو ما انتقده ألبرت ساجوسAlbert Saguès في 20 أبريل 1936 الذي امتعض من توجيهات اللجنة المركزية لمدرائها، خاصة تكثيف تدريس اللغة العبرية والتاريخ اليهودي من خلال الاهتمام بالموضوع والنص المدرس، وهي طريقة لم يستحسنها ساجوس بعد اعتمادها لسنوات من قبل مدارس الرابطة، ولم تعط نتائج مرضية غير السماح للتلاميذ بترجمة الكتاب المقدس وأداء الصلوات في حين أنه ليس لديهم معرفة عملية باللغة العبرية بوصفها لغة حية[1].

ساجوس الذي أشرف على إدارة مدارس الرابطة بطنجة، قال أنه يمكن اعتبار هذه النتائج جيدة إذا ما تم تصنيف اللغة العبرية ضمن اللغات الميتة مثل اللاتينية أو اليونانية القديمة، التي يتحدث بها عدد قليل فقط من العلماء اليهود، لكن حاليا بالنسبة لساجوس اللغة العبرية لغة حية يتحدث بها الآلاف من الناس وعددهم سيزداد في المستقبل، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها ويجب مراعاتها بغض النظر عن أي اعتبارات سياسية، مشيرا بشكل صريح إلى مطالب الحركة الصهيونية التي أكد أنه يختلف معها شكلا ومضمونا[2]، وأن ذلك لا يمنع من الاعتقاد بأن اليهود يجب أن يمتلكوا اليوم لغة عبرية حية مثلها مثل أي لغة حية أخرى، ليس فقط لتلبية احتياجاتهم الدينية، بل من الضروري أن يكونوا قادرين على التحدث والكتابة بها، وليتمكنوا أيضا من قراءة الصحف والمصنفات المكتوبة بالعبرية، لكن الطريقة التي توصي بها اللجنة المركزية لاعتمادها في التدريس لا تسمح بالحصول على النتائج المرجوة[3].

أوصى ساجوس باعتماد طرق بديلة إذا ما أرادت اللجنة المركزية تحقيق تقدم في تدريس اللغة العبرية، ومنها استخدام الكتب المدرسية نفسها المستخدمة في فلسطين بعد استشارة مدراء

---

[1]- A.A.I.U., **LX E 943 e**, Lettre de Abraham Albert Saguès, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 20 Avril 1936.

[2]- على الرغم من خيبة الأمل في فضائل التحرر التي يمر بها اليهود، إلا أن ساجوس عبر عن تشبثه بأهداف الرابطة اليهودية كحل سياسي للمشكلة اليهودية. ينظر:

- A.A.I.U., **LX E 943 e**, Tanger 20 Avril 1936, Op. cit.

[3] - Ibid.

مدارس الرابطة هناك[1]، وشكك بدوره في كفاءة خريجي المدرسة الحاخامية بطنجة الذين يعول عليهم لتلبية التطلعات الحالية للرابطة والجماعة اليهودية على حد سواء، لذا كان من المهم بالنسبة إليه وللجميع امتلاك أساتذة أكفاء إلى جانب الكتب المدرسية الجيدة، فاقترح أن تنظر اللجنة المركزية في أحد البدائل الثلاثة التي ضمنها في رسالته[2]:

- **أولا:** توظيف المعلمين من خريجي مدرسة تكوين المعلمين في القدس Ecole normale hébraïque de Jérusalem بمعدل معلم واحد لكل مدرسة من مدارس الرابطة، وأنه من المنتظر أن يقبلوا براتب شهري لا يتجاوز 1000 فرنك.

- **ثانيا:** إذا كان البديل الأول من شأنه أن يثير حساسية سياسية، فبإمكان الرابطة أن تعهد بتدريس اللغة العبرية لمعلميها ذوي الأصول الفلسطينية من خريجي الـ (E.N.I.O.) العاملين بالمغرب لأن لغتهم الأم هي العبرية.

- **ثالثا:** وهو اقتراح لن تظهر نتائجه إلا على المدى البعيد، وينطوي على إعادة صياغة كاملة لتدريس اللغة العبرية بمدرسة تكوين المعلمين بباريس (E.N.I.O.).

وردا على اقتراحات ساجوس من طرف اللجنة المركزية بباريس، أصرت هذه الأخيرة على أن النتائج المتحصل عليها جد مرضية بالنسبة إليها، وأنه لا فائدة، ولا ضرورة تدعو خريجيها للحديث باللغة العبرية[3]، وبخصوص توظيف معلمين من فلسطين، فإن الأمر مقبول مبدئيا لكنه مكلف ماديا، وبخاصة في هذه المرحلة التي تستدعي مزيدا من حسن تدبير الموارد المالية للرابطة، وحتى لو كانوا معلمين أكفاء، فإن الرابطة لا يمكن أن توصي بهم من وجهة نظر دينية[4].

إن الأسباب التي صاغتها الرابطة معللة بها رفض مقترحات ساجوس لإدخال إصلاحات في مجال التعليم العبري غير مقنعة على الرغم من أنها أبدت استعدادها لذلك، إلا أنه من الواضح

---

[1] - ضرب ساجوس مثالا للكتب التي من شأنها أن تعطي نتائج مهمة في تدريس اللغة العبرية بالمغرب، انطلاقا من التجربة التي اكتسبها عندما كان يعمل بتونس وأهمها «بيت سيفر إيفري Beth Sefer Ivri» لغرازوفسكي Grazovsky والأجزاء الثلاثة لـ «هاديبور ها إيفري Hadibour Ha Ivri» لكرينسكي Krinsky، وكتاب «قواعد اللغة العبرية la petite grammaire hébraïque» لماير لامبرت Mayer Lambert. ينظر:
- A.A.I.U., **LX E 943 e**, Tanger 20 Avril 1936, Op. cit.

[2] - Ibid.

[3] - A.A.I.U., **LX E 943 e**, Lettre du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, à Abraham Albert Saguès, 28 Avril 1936.

[4] - Ibid.

أن مقر المنظمة بباريس يخشى دون أدنى شك من احتمال أن يؤدي توظيف معلمين عبريين من فلسطين إلى تحدي نفوذ المدرسة بالأفكار الصهيونية، وتحويل المدارس إلى مؤسسات مؤيدة للصهيونية.

انتقلت موجة المطالبة بتحديث التعليم العبراني التقليدي إلى مدينة الدار البيضاء التي تعالت بها الأصوات المنادية بإصلاح وإعادة تنظيم تدريس اللغة العبرية الحديثة داخل المدارس، فتم عقد مؤتمر لمناقشة هذه المسألة، خاصة بعد أن أصبحت مدينة طنجة مضربا للمثل في هذا الجانب[1]، وبالنسبة لروبن تاجوري الذي كان في هذه المرحلة لا يزال مديرا لإحدى مدارس الرابطة بالمدينة، اعتبر أن استبدال الحاخامات القدامى بشباب جدد نشيطين وأكفاء مسألة تدخل في محور اهتماماته لإقتناعه بجدوى هذا النوع من التغيير لتجنب الانتقادات ودحض أسطورة تهود عمل مدارس الرابطة[2].

إن المؤتمر الذي تم عقده جاء بعد الدعاية التي روج لها عدد من اليهود الطنجاويين للمدرسة الحاخامية، وانتدب لهذا المؤتمر وفودٌ من مختلف الجماعات اليهودية بالمغرب لتقديم المشورة بشأن الطرق والوسائل الكفيلة بإعادة تشكيل الثقافة اليهودية[3]، لكن التاجوري استطاع تثبيط حماسة واندفاع المنادين بضرورة تحديث التعليم العبراني، ففي مداخلته شدد على أن الرابطة تسعى جاهدة إلى تحديث وتطوير تدريس اللغة العبرية بمدارسها، وإن كان البعض يقصدون بالنهضة هو تهويد الاحتفالات والتقاليد والاعتقاد بالماضي، فإن تلك مهمة غير قابلة للتحقيق بل هي مجرد ايديولوجية عقيمة، وأن التطور والتحديث قانون لا يمكن تجاوزه بل يقتضي بالضرورة التوجه إلى الأمام وليس العودة إلى الخلف، وأنه لا سبيل للمقاومة، ونبه المؤتمرين إلى أن المرحلة حساسة جدا، خاصة وأن الإقامة العامة تبذل جهودا كبيرة لاسترضاء العقول والأرواح لمنع أي تداعيات للأحداث الجارية في فلسطين على اليهود بالمغرب[4].

إن تحمس الرابطة للمشاريع التي تصب في تجديد وتحديث التعليم والمدارس الحاخامية التي تعنى بالتعليم العبراني التقليدي، يهدف إلى تكوين معلمين مؤهلين تأهيلا تربويا لجميع المدارس اليهودية، وإعداد الحاخامات لمذابح لحوم الكوشير، وغيرهم من أعضاء النخبة الدينية، على

---

[1] - A.A.I.U., **IX E 172 b**, Lettre de Ruben Tajouri, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 15 Novembre 1929.
[2] - A.A.I.U., **IX E 172 b**, Op. cit.
[3] - Ibid.
[4] - Ibidem.

الرغم من أن الربطة كانت مناهضة لكل ما هو صهيوني، فقد كانت ترى أن برنامج مدارسها الذي شمل تعليم اللغة العبرية الحديثة، سوف يفيدها في نهاية المطاف لعدة أسباب، منها كسر الاحتكار الذي تتمتع به المدارس الحاخامية القديمة في مجال التعليم اليهودي بمدينتي مكناس وطنجة، وهو ما شجع على نقل هذه التجربة إلى باقي المدن، إلا أنه قبل سنة 1945 كانت الرابطة تفتقر إلى معلمين (حاخامات) مؤهلين تربويا للشروع في تعميم هذه التجربة، كما أن اللجنة المركزية بباريس كانت تخشى من رد فعل مجموع الحاخامات جراء ما يمكن أن يحدثه سحب بساط التعليم التقليدي الذي احتكروه لقرون، أو الدخول في مواجهة مع مؤسسة الحماية المعنية بالحفاظ على المؤسسات التقليدية للدولة بموجب عقد الحماية وتفقد إزاء ذلك الدعم المادي والمعنوي الذي توفره الإقامة العامة، أضف إلى أن الرابطة لم تسع جاهدة إلى خلق مؤسسات جديدة تعنى بالتعليم العبراني التقليدي وإن كان حداثيا كي لا يبدو ذلك نزولا ورضوخا لضغط الدعاية الصهيونية التي حرصت من خلال دعايتها على الرفع من عدد الساعات المخصصة للغة العبرية[1]، مع اتهامها لأطر الرابطة بعدم الكفاءة في مجال التعليم اليهودي، وسطحية ومحدودية المعرفة العبرية لديهم.

صورة رقم 11: أطفال يتلقون تعليما تقليديا داخل غرفة مزدحمة بملاح الدار البيضاء سنة 1940.

المصدر:

[1] - A.A.I.U., **XLVII E 717 s 3.3(anc. syst. 8532, n°58)**, Op. cit.

- A.A.J.D.C., **NY_08464**, Children from Mellah (Jewish quarter) in overcrowded class room, Casablanca, 1940.

إن مجموع هذه الإكراهات قيدت قدرة الرابطة على الأخذ بزمام المبادرة فيما يخص تحديث التعليم العبري بالمغرب، مما دفع بآباء التلاميذ إلى انتقاد مستوى التعليم العبري المقدم في مدارسها العلمانية، عن طريق إرسال أبناءهم إلى المدارس الدينية في محاولة لتحقيق التوازن في تعليمهم، وهو توجه لا يخدم مصالح وأهداف اللجنة المركزية بباريس التي سعت إلى إعادة النظر في إمكانية تطوير الجدول الزمني للغة العبرية في مدارسها، بعد توالي التقارير التي تصب في مجملها حول رداءة التعليم الديني المقدم في المدارس الحاخامية، وأن الرابطة لم تعط التعليم العبري كفايته في مدارسها، وكذا توفير الكتب المدرسية للغة العبرية الحديثة. ولكسب المزيد من الاحترام داخل الجماعات اليهودية عملت بمعية جمعية ماجن دفيد على إنشاء المدرسة العبرية العادية (E.N.H.) سنة 1946، بهدف توفير المعلمين العبرانيين المؤهلين لمدارسها[1]، وانتقلت المدرسة بشكل سريع من قسم واحد يمثل في أصله نواة جمعية ماجن دفيد، إلى مدرسة قائمة الذات سنة 1950 على بعد خمسة كيلومترات من الدار البيضاء في موقع جميل يتضمن أقساما واسعة وصحية، واشتملت المدرسة على داخلية بقدرة استيعابية تصل إلى مائة تلميذ، وفضاء خاص لأداء الصلاة، ومكتبة وعيادة طبية، ومطبخ وقاعة طعام، وعدد من المباني الملحقة[2].

أضفت المدرسة العبرية العادية (E.N.H.) بالدار البيضاء نوعا من الحداثة على صورة المعلم العبري في مدارس الرابطة، فتحول بذلك الحاخام خريج مدرسة الحدر والتلمود توراة إلى شاب مؤهل وحديث لا يتحدث العبرية بشكل صحيح فحسب، بل عارف بكنه الكتاب المقدس، والمشناه، والتلمود والتاريخ، ومتمكن من الأساليب الكفيلة بإعداد الدروس وفنون التربية والتدريس[3]، لكن لسوء الحظ غادر معظم هؤلاء المعلمين بطريقة غير منظمة عندما بدأت الهجرة الجماعية لليهود، إذ كان يمكن أن يكونوا بمثابة مصدر قيم لأعضاء هيئة التدريس في إسرائيل أو

---

[1]- طلبت الرابطة سنة 1938 من الحاخام الأكبر ليبر Grand Rabbin Liber أن يقدم تقريرا عن وضع التعليم العبري في المغرب. وفي استنتاجه، أوصى الحاخام ليبر بالفعل بأن تتكفل الرابطة بهذا النوع من التعليم، وإنشاء مدرسة لتكوين المعلمين في هذا المجال. ينظر:

- **C. AIU**, N° 178, Juin 1971,. p.49.
- **M. Tajouri, délégué de l'A.I.U, parle de l'œuvre réalisée par l'Alliance**, Noar, N° 16, 1er Juin 1950,. p. 2.

[2] - **Inauguration de l'Ecole Normale Hébraïque de Casablanca**, La Voix des Communautés, N° 13, Avril-Mai 1951,. p. 3.

[3] - Stanley Abramovitch, **"Jewish Education in Morocco"**, Jewish Education vol 43, N° 1, Fall 1973,. p. 24.

في الشتات، وكما ذكر ستانلي أبراموفيتش لم يُبذَل أي جهد جاد للإبقاء على هذه القوة البشرية القيمة لخدمة مصالح التعلم اليهودي[1].

5) انعكاس الهجرة على مدارس الرابطة.

على الرغم من التواجد المبكر للجمعيات الصهيونية بالمغرب (منذ سنة 1900) أي بعد ثلاث سنوات فقط من مؤتمر بال لسنة 1897، ظلت الهجرة اليهودية من المغرب ضئيلة جدا إلى حدود سنة 1945، وهذا بسبب تحسن الظروف الأمنية وتنامي الأمل في تحسن الظروف الاجتماعية والاقتصادية، خاصة بعد سنة 1912 عندما أصبح المغرب تحت حكم الاستعمار الفرنسي-الإسباني، والأكثر من ذلك هي السياسة التي نهجتها سلطات الحماية الفرنسية في تحييد الجهود الصهيونية المبذولة لتفادي غضب الشريحة الكبرى من المسلمين المغاربة، لكن بحلول سنتي 1947-1948 تبدت بوضوح رغبة شرائح ضخمة من المغاربة اليهود في الهجرة إلى إسرائيل، ومرد ذلك إلى أسباب عاطفية واجتماعية وسياسية يمكن إجمالها فيما يلي:

- **أولا:** فشل المغاربة اليهود بزعامة الرابطة اليهودية العالمية في إقناع سلطات الحماية من تمكينهم من مكتسبات سياسية وقانونية، تفصلهم جزئيا أو كليا عن ولاية المخزن القضائية على غرار كل من يهود الجزائر وتونس، وهو ما خيب أملهم على الأقل في قدرات النخب اليهودية بفرنسا.

- **ثانيا:** تطور التوجهات السياسية في فلسطين خاصة خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، عندما ظهرت فكرة الدولة اليهودية تدريجيا كبديل قابل للتطبيق، وهكذا تم تشجيع فئات من المغاربة اليهود الذين ينتمون إلى شرائح اجتماعية واقتصادية مختلفة على المشاركة بشكل متزايد في المساعي الصهيونية.

- **ثالثا:** استغلال الحركة الصهيونية لإخفاق الرابطة اليهودية ومؤسسة الحماية في توسيع دائرة نفوذهما بسبب الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة والفقر المتفشي في جميع أنحاء المغرب أو على الأقل حيث ظل مستوى العوز مرتفعا، وعليه أصبحت الملاحات اليهودية في

[1] - S. Abramovitch, Op. cit,. p. 24.

المناطق الحضرية والريفية سلاحا في يد الحركة الصهيونية ومبعوثي الوكالة اليهودية، للعزف على وتر الإحباط لدى الفقراء الساعين إلى تحسين وضعيتهم[1].

على هذه الأسس انطلقت هجرة اليهود من المغرب بشكل غير قانوني في إطار ما يسمى بالعالياه Aliyah[2]، الذين تم تقديم المساعدة لهم داخل المغرب من قبل الصهاينة المحليين والمهربين المحترفين الذين ساعدوهم للوصول إلى معسكرات العبور المؤقتة والمخصصة للهجرة الموجودة أساسا في الجزائر عبر مدينة وجدة الحدودية، من قبل مبعوثي Mossad Le'aliyah والوكالة اليهودية العامة، ومن الجزائر استقل المغاربة اليهود السفن إلى فلسطين عبر قبرص أو مرسيليا[3]، لكن الأحداث الدامية بجرادة ووجدة سنة 1948 جعلت الإقامة العامة بالمغرب تدرك أنه لا يمكن وقف النشاط الصهيوني غير القانوني والسري في مجال الهجرة، واتجهت نحو البحث عن وسيلة لإقامة اتصالات مع المنظمات اليهودية من أجل وضع حد لهذه الأنشطة السرية وإيجاد صيغة مناسبة للهجرة القانونية أو شبه القانونية تحت إشراف فرنسي[4].

جدول رقم 18: تطور الهجرة اليهودية من المغرب في تجاه إسرائيل بين سنتي 1949 و1956.

السنة	العدد
1949-1948	8000
1950	4980
1951	7770
1952	5031
1953	2996
1954	8171
1955	24994
1956	36301
المجموع	98243

المصدر:

- Michael M. Laskier, **"Jewish Emigration from Morocco to Israel"**, Op. cit,. p. 332.

[1] - في المغرب، جندت العالياه مرشحيها على وجه الحصر تقريبا من الطبقة الفقيرة المستقرة بالملاحات، مظفية على ذلك طابع العمل الاجتماعي الذي تتوخى منه إنقاذ الطفل اليهودي من المغرب، وتدعم العالياه من قبل منظمة إغاثة الأطفال (O.S.E.) بتوفير الخدمات الطبية للمرشحين، ولجنة التوزيع المشتركة (JDC) التي تتكفل بتمويل نفقات النقل. ينظر:
- **L'œuvre admirable D'émigration et de rééducation de L'allyah des jeunes**, Noar, N° 33, 01 Avril 1951,. p. 1.

[2] - العالياه: (باللغة العبرية هي עלייה أي الصعود) وهو مصطلح عبري يشير للهجرة اليهودية لأرض فلسطين (وإلى دولة إسرائيل منذ تأسيسها سنة 1948). أما هجرة اليهود من إسرائيل إلى خارجها فتسمى يريدا (أي النزول).

[3] - Hanane Sekkat, **"L'émigration collective des Juifs Marocains vers Israël: L'histoire d'une émigration clandestine"**, Association Marocaine d'Etudes et de Recherches sur les Migrations (AMERM), Rapport - Novembre 2016,. p. 21.

[4] - Michael M. Laskier, **"Jewish Emigration from Morocco to Israel: Government Policies and the Position of International Jewish Organizations, 1949-56"**, Middle Eastern Studies, Vol 25, N° 3, Jul 1989,. pp. 325-330.

وبذلك انتهت الهجرة غير الشرعية بحلول سنة 1949 بعد أن سمحت فرنسا لجرسوني Gerszuni عضو الوكالة اليهودية بباريس بتأسيس منظمة كاديما Cadima، وهي منظمة تعنى بتهجير اليهود إلى إسرائيل، وامتدت فترة خدمتها إلى حدود 10 يونيو 1956 أي بعد عدة أشهر من منح المغرب الاستقلال، وكانت قد سهلت مأمورية تهجير ما يقارب 100000 يهودي خلال ست سنوات من وجودها[1].

وقد مرت الهجرة اليهودية المغربية حسب يغال بن نون Yigal Bin Nun بثلاث محطات[2]:

المحطة الأولى: وهي الهجرة التي نظمتها الوكالة اليهودية كاديما، والتي تبدأ بعد إنشاء دولة إسرائيل حتى استقلال المغرب.

المحطة الثانية: وهي الفترة التي تم فيها تنظيم الهجرة بشكل سري من قبل منظمة مسجريت Misgeret[3] من بداية 1957 إلى نوفمبر 1961.

المحطة الثالثة: وتسمى عملية ياخين Opération Yakhin[4]، تم فيها التنسيق مع السلطات المغربية، باستخدام جوازات السفر الجماعية وتمتد من 1961 إلى نهاية سنة 1966.

---

[1] - كان علال الفاسي من بين أبرز المؤيدين لوقف الهجرة اليهودية صوب إسرائيل، وقد كتب في جريدة العلم عقب حل منظمة كاديما حيث أكد بهذا الخصوص: **«نحن نعرف حقيقة أن هؤلاء المهاجرين الذين لا ينتمون إلى الفئات المحرومة، بل إلى الطبقة الوسطى أنهم يأخذون معهم الأموال التي تم جمعها بعد تصفية ممتلكاتهم. مما يعني في الواقع، أننا نحن نقدم لإسرائيل مئات من الصهاينة الأثرياء والأصحاء لاستعمار الأراضي العربية ومحاربة إخواننا المسلمين»**. ينظر:

- Yigal Bin Nun, **"La quête d'un compromis pour l'évacuation des Juifs du Maroc"**, Pardès, N° 34, 2003/1,. p. 77.

[2] - Yigal Bin Nun, **"Les causes politiques et sociales du départ des Juifs du Maroc 1956-1966"**, Migrations maghrébines comparées: genre, ethnicité et religions: France-Québec, de 1945 à nos jours, sous la direction de Yolande Cohen, Mireille Calle-Gruber et Élodie Vignon, Riveneuve, Paris, 2014.

[3] - منظمة مسجريت Misgeret: تعني الهيكل، وهو جهاز خلقه الموساد الإسرائيلي للتدريب على الدفاع عن النفس داخل المغرب، ولا علاقة له بالعالياه في بداية الأمر، وكان تابعا لإيسر هرئيل Isser Harel رئيس الموساد في إسرائيل، ومجال عملياته هو شمال إفريقيا، ويدار من قبل مقر رئيسي بباريس تحت إشراف شلومو هافيليو Shlomo Havilio وهو ضابط سابق في الجيش الإسرائيلي. وفي ضوء المشاكل التي واجهتها العالياه بعد حظر منظمة كاديما، قرر الموساد الدخول على خط تنظيم الهجرة بشكل سري، عبر منظمة مسجريت التي كان لها ثلاث مقرات مهمة. واحدة في القدس، والثانية في باريس، والثالثة بالدار البيضاء، وعهد للموساد بالجوانب العملية للعالياه، في حين كانت الوكالة اليهودية وإدارة الهجرة التابعة لها تهتم بالجوانب السياسية والدبلوماسية للتأثير على الحكومة المغربية للسماح بحرية الحركة. ينظر:

- M. M. Laskier, **North African Jewry in the Twentieth Century**, Op. cit,. p. 179.

[4] - Ibid,. pp. 218-253.

صورتين رقم 12: ميناء مدينة الحسيمة الذي مثل موقعا استراتيجيا للهجرة اليهودية السرية في إطار عملية ياخين في تجاه جبل طارق.

المصدر:

- Michael M. Laskier, **North African Jewry in the Twentieth Century**, Op. cit,. pp. 229-244.

وفي الوقت الذي كانت فيه الرابطة (سنة 1956) تتوفر على إثنين وثمانين مدرسة يؤمها 31563 تلميذا، بنسبة تمدرس تتراوح مابين 85 إلى 90 بالمئة على الأقل في المدن الكبيرة[1]، تقلص عدد المدارس والتلاميذ ليصل إلى ثمان وعشرين مدرسة يأمها 6762 تلميذا سنة 1969[2]، ومرد ذلك ليس فقط للتأميم التدريجي الذي نهجته الحكومة المغربية بعد الاستقلال لمدارس الرابطة بالمغرب أو إلى سياسة تعريب التعليم المعتمدة، بل للهجرة المكثفة سواء في تجاه إسرائيل أو إلى كندا، وأمريكا اللاتينية، وفرنسا، وأماكن أخرى، وبحلول أوائل السبعينيات تزايد عدد العائلات اليهودية في المغرب المهتمة بالانضمام إلى أقاربهم في الخارج، بحيث كان لدى كل عائلة يهودية بالمغرب أقارب خارجه أكثر مما بداخله[3].

جدول رقم 19: أعداد التلاميذ اليهود الملتحقين بالمدارس بين سنتي 1965 و1969.

اللمدارس التابعة لكل من:	نونبر 1965	نونبر 1966	نونبر 1967	يناير-فبراير 1968	يونيو 1968	أكتوبر 1968	مارس 1969	نسبة الانخفاض
الرابطة اليهودية العالمية	9221	9291	8158	7656	7140	6786	6683	2538

[1] - **La réunion annuelle de L'Alliance Israélite Universelle 18 Juin 1956**, Op. cit,. pp.5- 8.
[2] - **C. AIU**, N° 171, Décembre 1969,. p. 9.
[3] - Michael M. Laskier, **"Developments in the Jewish Communities of Morocco 1956-76"**, Middle Eastern Studies, Vol 26, N° 4, Oct 1990,. p. 500.

								(A.I.U.)
1235	3431	3531	3510	3774	4277	4637	4666	أوزار هاتوراه (Otzar Hatorah)
435	864	900	1013	1256	1350	1384	1299	لوبافيتش (Loubavitch)
4208	10978	11217	11663	12686	13785	15312	15186	المجموع

المصدر:

- Michael M. Laskier, **"Developments in the Jewish Communities of Morocco 1956-76"**, Middle Eastern Studies, Vol 26, N° 4, Oct 1990,. p. 499.

إن المعطيات الإحصائية المتضمنة في الجدول أعلاه تبين بما لا يدع مجالا للشك مدى تأثير حركية الهجرة على نسبة الالتحاق بمدارس الرابطة، وغيرها من مؤسسات التعليم الموازية، مما سيكون له تبعات سلبية على التركيبة العمرية لهذه الفئة من المغاربة، فإلى حدود سنة 1967 أصبح عدد الأشخاص البالغين من العمر 60 سنة فما فوق يمثلون ٪40 من مجموع السكان اليهود بالمغرب، في الوقت الذي كانوا يمثلون فيه سنة 1947 حوالي ٪8 فقط، في حين أن الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 15 إلى 60 سنة أصبحوا لا يتجاوزون ٪25، في الوقت الذي كانوا يمثلون فيه أيضا سنة 1947 حوالي ٪58[1].

كشف أول إحصاء سكاني رسمي قامت به الدولة المغربية أن أعداد الجماعة اليهودية بدأ في التقلص بشكل ملحوظ جدا ابتداء من سنة 1960، حيث أظهر أن عدد السكان اليهود وصل إلى 160032 بما يمثل ٪1.4 فقط من إجمالي عدد السكان بالبلاد، منهم 71175 يهوديا يستقرون في الدار البيضاء وحدها والتي وصل عدد سكانها عموما 965000، ولا تتعدى أعمار نصف اليهود من قاطنيها سن العشرين، وإجمالا كان معظم السكان اليهود حضريين بنسبة تصل إلى ٪2 من سكان المدن، لكنهم مثلوا ٪8 من العمال الصناعيين والحرفيين، و٪10 من مجموع التجار، و٪5 من بين ممتهني المهن الحرة، وأولئك الذين يشغلون مناصب إدارية، وعموما شكل اليهود قوة عاملة احتلت ما يقارب ٪30 من مناصب العمل في المهن والحرف والصناعات الحديثة بالبلاد[2].

[1] - Nicole Grimaud, **"Les juifs d'Afrique du Nord, leur situation - et leurs problèmes en 1968"**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N° 8, 1970,. p. 288.

[2] - Yigal Bin Nun, **"The Contribution of World Jewish Organizations to the Establishment of Rights for Jews in Morocco 1956–1961"**, Journal of Modern Jewish Studies, Vol 9, N° 2, july 2010,. p. 253.

لذلك استهدفت الهجرة الفئة النشطة داخل الجماعة اليهودية بالمغرب، وبالنظر إلى الهجرة إلى إسرائيل وفرنسا، وكندا، وأميركا الجنوبية، نجد أنها تعكس صورة تاريخية هي في حد ذاتها جزء من عملية التطور التعليمي والثقافي والاقتصادي الذي جلبته الرابطة اليهودية إلى يهود المغرب في غضون قرن من الزمن تقريبا، بحيث استوعبت الجماعة اليهودية مزايا الحضارة الفرنسية إلى حد أصبحت معه الفجوة كبيرة بينها وبين البيئة الجغرافية والاجتماعية العربية المسلمة، وهذا ما حفزها على مواصلة هجرتها إلى آفاق جديدة. فالتخلف النسبي للمجتمع المغربي كان عاجلا أم آجلا سيدفع باليهود للخروج من المغرب المستقل، لأن المسألة حتمية بالنسبة لأولئك الذين سعوا إلى تحسين وضعهم الاجتماعي، والقلقين بشأن مستقبلهم ومستقبل أطفالهم الثقافي[1]، وهو الأمر الذي تفطنت الرابطة له بسبب تصاعد وتيرة هجرة اليهود من المغرب بعد الإعلان عن تأسيس دولة إسرائيل، وتقلص شبكتها المدرسية بفعل نزيف الهجرة، فعقدت على إثره اتفاقية مع الحكومة الإسرائيلية سنة 1950 تقوم على أساس تحويل مجهود الرابطة التعليمي صوب دولة إسرائيل بعد أن تم الاتفاق على إدراج اللغة الفرنسية كلغة تدريس أجنبية أولى في الصفوف الثلاثة الأخيرة من التعليم الابتدائي[2].

حتى في علاقة اليهود بالمسلمين، فالرابطة نجحت في تغريب اليهود ماديا ومعنويا بحيث انعكس ذلك كله على مواقفهم بخصوص النضال المغربي، فهم لم يروا أنفسهم قوميين، بل وطنيين ويدينون بوطنيتهم هذه إلى فرنسا التي هي أجمل بلد في نظرهم[3].

وبرفض فرنسا منح الجنسية الفرنسية للمغاربة اليهود، وعدم الترخيص للمنظمات والجمعيات التابعة للحركة الصهيونية للعمل بالمغرب بموجب ذرائع سياسية وأمنية، وفرت بشكل غير مباشر الظروف الملاءمة لانتشار الفكر الصهيوني، وهي الأسباب نفسها التي دعت اليهود الأوكرانين والبولندين والرومانين للإيمان بأن فلسطين، والهجرة عموما هي الحل الأمثل للمسألة اليهودية[4].

لكن لا يجب تحميل الحركة الصهيونية ومنظماتها المسؤولية الكاملة في هجرة اليهود من المغرب، بل تتحمل مؤسسات الرابطة اليهودية جزءا من هذه المسؤولية بمعية الدائرة التربوية

---

[1] - Ibid,. p. 268.
[2] - A. Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contomporaine,** Op. cit,. pp. 174-175.
[3] - **Noar**, N° 48, 5 Avril 1952,. p. 1.
[4] - **L'Avenir Illustré**, N° 17-18, 18 Mai 1928,. p. 3.

للشباب اليهودي (D.E.J.J.) Département Educatif de la Jeunesse Juive التابعة لجمعية شارل نيتر Association Charles Netter وعدد من الجمعيات الأخرى التي زرعت في نفوس الشباب اليهودي الصاعد عاطفة كبيرة تجاه أرض الميعاد، إلا أن الشك حول المستقبل كان كافيا لتغذية وإثارة الحاجة إلى المغادرة[1]. فالهجرة أصبحت هي السبيل الوحيد لهذه النخب المكونة حديثا، وغير القادرة على الاندماج في سياق اجتماعي قديم بدون مستقبل اقتصادي، خاصة بعدما حافظ المغرب المستقل على هياكله العتيقة بالرغم من محاولات الإصلاح والتحديث، واستمرار اعتبار اليهود في العرف والدين مجرد ذميين، إذ هو الوضع الذي يضمن لليهود أمنهم وسلامتهم، كما أنه لابد من إبداء الولاء الدائم للسلطان، الذي هو نفسه ملزم به تجاه رعاياه.

اعتقدت الرابطة بداية، أن اتفاقية الحماية والدولة الحامية على وجه الخصوص، ستسهم بشكل لا يدعو للشك في مسار تطوير وتحديث المغاربة اليهود على غرار ما وقع في فرنسا والجزائر، إلا أن آمال الرابطة هذه اسطدمت في الساحة المغربية بتعقيدات الأوضاع والظروف الخاصة بالبلاد في علاقتها بمؤسسة الحماية، وظهور منافس فكري وإيديولوجي حامل لمشروع قومي يهودي، متمثل في الحركة الصهيونية التي تدعي بدورها الأحقية في تمثيل الجماعات اليهودية، بالدعوة إلى إحياء التراث اليهودي ممثلا في اللغة العبرية وإعادة تأسيس مملكة بني إسرائيل بوصفه حلا للمسألة اليهوية بشكل نهائي.

ثم إن ما زاد من تعقيد الأمور على الرابطة اليهودية في شق المطالب التي كانت تسعى إلى تحقيقها، هو المزاحمة التي شكلتها مطالب الحركة الوطنية المنادية بإدخال إصلاحات مستعجلة ضمنتها في عريضة مقدمة لأجل ذلك، إلا أن مسألة الريبة التي طبعت موقف اليهود من محاولة الحركة الوطنية ضم الجهود وتوحيدها حالت دون إحداث تقارب فعلي في هذا المجال، خاصة بعد

---

[1]- أجمل كارلوس دو نصري Carlos de Nesry أسباب هجرة اليهود المغاربة في مقال له سنة 1961 وأهمها:
- تبني المواقف العربية المعادية لإسرائيل والمناهضة للصهيونية، وصولا إلى تبني أطروحات معادية لليهود أكثر فأكثر.
وردا على ذلك يقول: أما التغيير في موقفنا تجاه الحكومة فقد كان تدريجيا، بسبب:
- وقف العلاقات البريدية مع إسرائيل.
- التضامن مع جامعة الدول العربية وتبني مواقفها.
- تنحية الوزير اليهودي.
- التحول الدبلوماسي للمغرب عبر توطيد العلاقات مع أعضاء جامعة الدول العربية ودول الشرق الأوسط وروسيا على حساب العلاقات مع كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.
- إلصاق صفة الصهيونية بمعظم المنظمات اليهودية، بما في ذلك الجمعيات الخيرية، والمؤسسات الثقافية.
- الحظر المضروب على الهجرة اليهودية. ينظر:
- Carlos de Nesry, **Malaise parmi les Israelites Marocains**, Information Juive, N° 127, Février 1961,. p. 1.

التطورات التي ستشهدها الساحة الإقليمية والدولية بعد تأسيس دولة إسرائيل، والصراع الذي نشأ عقب ذاك، ودور الحركة الصهيونية في تغذية هذا الصراع خدمة لمصالحها، وأهمها ترسيخ فكرة الهجرة في أذهان المغاربة اليهود صوب أرض الميعاد.

ولعل المسار الذي قطعته الرابطة في تعليم بني إسرائيل بالمغرب لم يخلو من نتائج إيجابية وحصيلة تاريخية، ساهمت في تشكيل نخب يهودية جديدة تؤمن بالأخوة الإنسانية التي يجب أن ترتبط في ما بينها على أسس الاحترام المتبادل والحقوق المتساوية، أبانت عن قدرات هامة في مجالي الاندماج وتكريسه، كما شكلت النموذج الذي تسعى الرابطة اليهودية إلى خلقه بتمتعها بمميزات التأقلم والقدرة على تقبل التغيير، وهو ماتبدى في الجانب المهني والحرفي الذي أولته الرابطة مكانة سامية داخل منظومة التربية والتعليم التي اضطلعت بها.

لم تكتف الرابطة بهذا القدر فقط بل نصبت نفسها وصيا على الحياة اليهودية التي تأبى التغيير، بالوقوف في وجه كل ما من شأنه أن يشكل شائبة وعاملا سلبيا وبخاصة في الأمور التي تتعلق بالأطفال الذين هم مستقبل اليهودية الحرة والمتنورة، عن طريق الحد من ظاهرة زواج الأطفال القاصرين، وتحديث مظهر المدارس الحاخامية، وطرق التدريس بها والمناهج المعتمدة التي لا تسعى إلا لتكريس التقليد والجمود، في الوقت الذي يجب أن تصبح فيه هذه المدارس مجرد مكمل للتعليم القائم على أسس علمانية محضة.

إلا أن الجهد المبذول من طرف الرابطة سيذهب أدراج الرياح بمجرد ظهور البوادر الأولى لاستقلال المغرب، بفعل تزايد أنشطة الهجرة الموجهة من قبل الحركة الصهيونية، الشيء الذي سينعكس على مؤسساتها المدرسية سواء من حيث العدد أم من حيث نسبة استقطاب التلاميذ.

خاتمة.

ينتهي الحديث في موضوع الرابطة اليهودية العالمية ومؤسساتها التعليمية بالمغرب، بالباحث إلى الوقوف على خلاصات ونتائج تتعلق بقصة نجاح التعليم اليهودي الحديث بالمغرب، الكامنة أساسا في قيمة الأشخاص الذين أشرفوا على تخطيط وتطبيق برنامج الرابطة خلال الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر إلى حدود سنة 1956 وما بعدها، حيث حافظت الرابطة على موقع الريادة في تعليم أطفال الجماعات المغربية اليهودية، وما من شك أن مدارسها كانت لبنة أساسا ومؤثرة في عملية الإصلاح المبني على التحديث والتطور والاندماج.

وقد جاء تأسيس الرابطة اليهودية في فرنسا كرد فعل واضح لحالة الاندماج التي بدأت تعيشها الجماعة اليهودية في هذا البلد، كما أنها شكلت حافزا للتوجهات اليهودية التي تدعو إلى ضرورة اندماج الجماعات اليهودية في المجتمعات المحلية التي تعيش في ثناياها، وأن الانفصال والانعزال ليس في صالحهم. ومن أجل تعجيل هذا الأمر وضعت الرابطة في مقدمة أهدافها أهمية تطوير القدرات الذاتية لأبناء الجماعات اليهودية بما يمكنهم من أخذ دورهم الفعال والمؤثر داخل المجتمعات التي يعيشون فيها.

تبين كذلك، أن يهود المغرب حظوا باهتمام كبير من قادة الرابطة، مما جعل اختيارها يقع على تطوان لفتح أول مدرسة لها. والأسباب التي وقفت وراء ذلك ارتبطت بما كانت تتمتع به الجماعات اليهودية في المغرب من مكانة متميزة، إن على المستوى العددي أو الاجتماعي والاقتصادي والروحي أمام الجماعات اليهودية الأخرى في الشرق عموما.

إن فشل المؤسسات التعليمية الدينية اليهودية بالمغرب في تقديم صورة جديدة للتعليم مرده إلى أنها كانت تعمل ضمن أفق محدود جدا، وهي لا تختلف هنا عن المؤسسات التعليمية الإسلامية. ولهذا وجد قادة الرابطة أن بقاء التعليم على أساسه الديني يعني فقدان إخوانهم للمزيد من الحقوق بما في ذلك تلك التي كفلتها عدد من الظهائر السلطانية والحمايات القنصلية، فكان لا بد من العمل لإيجاد مخرج لهذا الجمود الذي كانت تعيشه الجماعات اليهودية. لهذا كانت الرابطة ضرورة تاريخية في حياة الجماعات اليهودية في المغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ظلت مدارس الرابطة طوال الفترة التي سبقت سنة 1912، المهيمن الوحيد على التعليم الحديث بالمغرب، وضمت بين فصولها الدراسية مسلمين ومسيحيين. وبعد فرض الحماية على المغرب تمت مزاحمة الرابطة في العمل الذي تؤديه من قبل المدارس العمومية التي أنشأتها مؤسسة الحماية، وغيرها من المدارس الأخرى التي أنشأتها منظمات موازية.

وكانت مدارس الرابطة من بين المؤسسات التعليمية القليلة التي تمثل الثقافة الفرنسية، فعلى الرغم من أن الإسبان أسسوا مدارس خاصة باليهود، إلا أن مدارس الرابطة كانت أكثر شعبية، وقدمت برنامجا قويا باللغتين الفرنسية والإسبانية. أما في طنجة فإن المدارس الأوروبية التي ترعاها مختلف القوى، تقدم في الغالب لغاتها وثقافاتها الوطنية، ووحدها كانت مدارس الرابطة هي المؤسسات الابتدائية التي تقدم برنامجا متعدد اللغات. وعليه، ظلت مهيمنة على التعليم اليهودي بفعل حماس معلميها، الذي تجاوز نظيره عند معلمي المدارس المنافسة، لأن الرسالة التي حملوها وتدربوا عليها في مدرسة تكوين المعلمين تتعدى منطق التعليم الصرف، بل تجاوزوا ذلك ليصبحوا بمثابة أخصائيين اجتماعيين ومستشارين أسريين وإصلاحيين ومربين، بفعل قوة فكرة التضامن اليهودي التي تقوم على أن كل بني إسرائيل إخوة.

تمثلت مساهمة الرابطة الرئيسة في توسيع نطاق التكوين والتدريب المهني، ومحاربة الأمية عن طريق ما سمي بدروس الدعم أو الدروس المسائية، كما أن النخبة التي انبثقت عن مدارس الرابطة تنتمي عادة إلى ثلاث مدارس فكرية:

(1) أولئك الذين كانوا مرتبطين بالثقافة الفرنسية والأوروبية وخضعوا لعملية العلمنة، ولكن دون أن يتخلوا تماما عن التقاليد اليهودية، هؤلاء اختاروا عدم محاكاة الغرب أو الثقافة الفرنسية بصورة عمياء. مقابل أولئك الذين حضروا المدارس التي أنشأتها مؤسسة الحماية (في المنطقة الفرنسية بشكل رئيسي)، وكانوا مجموعة صغيرة تأثروا بشكل عميق بالثقافة العلمانية، نظرا للغياب التام للتعليم اليهودي في مثل هذه المدارس، وكانوا من بين المؤيدين للتضامن بين اليهود والمسلمين، ولم تستهوهم الفكرة الصهيونية في الغالب.

(2) أولئك الذين اختاروا، على الرغم من التأثير التربوي الفرنسي، إيجاد حل للتحرر اليهودي في الفكرة الصهيونية الحديثة. وهم في معظمهم من الصهاينة المعاصرين الذين نسجوا اتصالات مع العالم الخارجي، وزرعوا تدريجيا أنوية صهيونية صغيرة وديناميكية إلى جانب الصهيونية القديمة، التي دفنت بعمق في قلوب الكثير من اليهود.

(3) بعض خريجي مدارس الرابطة الذين اختاروا، في أوائل وأواسط الخمسينات، التعاون مع الوطنيين المغاربة المسلمين في السعي الحثيث لاستقلال المغرب، والعمل على تحقيق الوحدة الوطنية. ورغم أن هذه المجموعة كانت محدودة التأثير نسبيا، إلا أنها كانت المجموعة الفكرية الأكثر نشاطا التي تسعى إلى الوحدة الوطنية مقارنة بمجموعات يهودية في أجزاء أخرى من الشتات الإسلامي في ذلك الوقت. ومن بين مدارس هذا الفكري، ساهمت المجموعة الأولى والثانية في نهاية المطاف في الاتجاه والمصير الذي اختارته الجماعات اليهودية المحلية.

تمكنت النخبة المثقفة اليهودية، التي كانت نتاج التطور الذي شهده التعليم اليهودي في المغرب، من إثبات وجودها في ميادين الإدارة والاقتصاد والصحافة والتعليم، فضلا عن الاهتمام بالواقع السياسي والاجتماعي السائد آنذاك، وهذا الأمر يدفعنا إلى القول بأن الرابطة قد أرست الدعائم المادية لتبلور هذه النخبة.

ومن المفارقات، أنه على الرغم من أن السلطة المنسوبة إلى الرابطة في العشرينات من القرن الماضي كان لها دور مهم في توفير تعليم فرنسي متين لليهود، وفي الوقت نفسه أبقتهم بعيدا عن المدارس المؤسسة من قبل سلطات الحماية لتفادي انسلاخهم عن واقعهم والوسط الذي يحيون به، إلا أن خريجيها انتقلوا إلى المدن الكبرى تدريجيا وبشكل خاص إلى المدن والمناطق الأوروبية المختطة حديثا. وقد نجح الفرنسيون في منع دخول العديد من خريجي مؤسسات الرابطة إلى عالم الامتيازات التي يتمتع بها الأوروبيون في المغرب، من خلال وضع قيود على التوظيف اليهودي في المهام الحكومية، وعلى عملية الحصول على الجنسية الفرنسية. لكنهم لم يستطيعوا الوقوف أمام تحقيق اليهود للنجاح والرقي اقتصاديا واجتماعيا.

إن البرنامج التعليمي الذي تبنته الرابطة يقوم على فلسفة تعليمية استيعابية، تقصي التربية والتعليم الديني اليهودي، الأمر الذي كان من شأنه أن يفقد اليهود هويتهم الروحية بعد سنة 1912. وهذا ما تفطن له أولياء أمور التلاميذ الذين حرصوا على إبقاء أطفالهم مرتبطين بتقاليدهم رغم خضوعهم للتعليم العلماني، حيث حرصوا على توجيه أبناءهم إلى المدارس الحاخامية بعد انتهاء حصصهم الدراسية بمدارس الرابطة لضمان عدم إهمال تعليمهم الديني. على الرغم من تشبثهم بالتعليم العلماني فإن هؤلاء الآباء كانوا يعتقدون أن التعليم الديني لا يقل أهمية عن غيره، لذا قاموا بتسجيل أطفالهم في كلا النوعين من المدارس، والسبب في ذلك لا يرجع إلى رغبة الرابطة في تحجيم دور التعليم الديني لأسباب إيديولوجية فقط، بل إن ضعف جودة التعليم

الديني المقدم من طرف المعلمين الحاخامات كان من بين محفزات هذا التحجيم، و الأمر نفسه عرفته مسألة تعليم اللغة العربية قبل سنة 1955.

من وجهة نظر أخرى، كان للدعم الفرنسي ماليا وسياسيا أثره على السياسة التعليمية للرابطة التي ظلت مستقلة إلى حدود سنة 1912، إذ بعد هذا التاريخ اعتمدت الرابطة بشكل رئيس على الدعم المالي المقدم من قبل فرنسا بفعل ظروف الحرب العالمية الأولى التي ستكلل بعقد اتفاقية أكتوبر 1915، وسيستمر هذا الوضع إلى حدود سنة 1945، حيث تغير الوضع بشكل تدريجي عندما بدأت الـ (J.D.C.) بتغطية جزء هام من نفقات الرابطة ماديا دون استبعاد مقابل له يكمن في فسح مجال أوسع أمام اللغة والدين اليهوديين، وبغض النظر عن الإشراف الفرنسي على المناهج المعتمدة من قبل الرابطة، تمتع المعلمون بقدر كبير من المرونة والحرية فيما يتعلق بالإصلاحات والسياسات التعليمية. ومع ذلك، فمن المرجح أن عدم كفاية الدروس التي تعنى باللغة العبرية والدين اليهودي قبل سنة 1945 كان مرده إلى الضغط والدعم المالي الفرنسي، وإلى توجس قادة الرابطة من أن يتم عزلهم وتهميشهم من قبل الفرنسيين، وهو الأمر الذي جعلت الحركة الصهيونية منه دعاية لصالحها، إذ اتهمت الرابطة بموالاة فرنسا والتفريط في المصالح الحيوية لليهود.

كما اتضح من الدراسة، بأن الرابطة منذ بدايتها كانت تتقاطع في أهدافها مع الحركة الصهيونية التي كانت تعارض فكرة الاندماج، وتدعو إلى العمل على تجميع اليهود في وطن قومي بفلسطين. ولم يتغير الموقف إلا في أواخر الحرب العالمية الثانية، عندما تبنت قيادة الرابطة الشعارات التي تطرحها الحركة الصهيونية في شأن فلسطين.

وحاولت الرابطة تكثيف جهودها فيما يتعلق بتقليص نسبة الفقر بين اليهود، والرقي بهم اجتماعيا من خلال تحديث البنى المهنية، إلا أن مشاكل النمو السكاني السريع خلال أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي، حالت دون تعميم الحرف والمهن الحديثة، وظل جزء كبير من اليهود متمسكا بالمهن التقليدية للآباء والأجداد، مما حال دون تحسن ظروفهم الاقتصادية، واستمروا في السكن بالملاح سواء في المدن والمراكز الحضرية أم في المناطق النائية، لتجتذب هذه الفئة من قبل مثلي الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية للهجرة نحو إسرائيل.

لقد عملت الرابطة منذ تأسيسها على ترسيخ ما اعتبرته الهدف النبيل، ويقصد به مساعدة الجماعات اليهودية على تخطي حالة الجهل والتخلف حتى تتمكن من الاندماج في المجتمع المحلي دون عناء، وشكلت مدارس الرابطة عاملا حاسما في سحب البساط من تحت أقدام القيادات الدينية

اليهودية وحاخاماتها. كما حدت من تأثيرهم الروحي الذي كان يخضع يهود المغرب له، وذلك في الوقت الذي أخذت تأثيرات الثقافة الغربية الأوروبية تبعد الشباب اليهودي المتعلم عن التزاماته الدينية. كما أنها عملت على بلورة التيار المستنير الذي كان يناهض التيار الديني التقليدي، مما عزز من قدراتها وساهم في انسلاخ يهود المغرب من "غياهب" الأجواء القاتمة التي وضعتهم فيها المؤسسة الدينية.

وخالص القول أن الدراسة كشفت عن كون مدارس االرابطة أرست دعائم التعليم الحديث في الوسط اليهودي بالمغرب، وكان الطابع الأوروبي واضحا في الإجراءات الإدارية والتربوية المتبعة، وقد جعلها هذا الوضع تتميز في مستواها التنظيمي مقارنة بالمدارس العمومية بسبب المتغيرات التي كانت تشهدها السياسة التعليمية لهذه المدارس، واطلاعها على آخر المستجدات التي تطرأ على التعليم في أوروبا، لأن معظم القائمين عليها يتقنون اللغات الأجنبية، كما أنها ساهمت في أن تكون حلقة اتصال بين التعليم الشرقي والغربي.

بيبليوغرافيا

I. باللغة العربية:

➢ المصادر:

- أصراف ربير، **محمد الخامس والمغاربة اليهود**، ترجمة علي الصقلي ومحمد كلزيم، ط 1، دجنبر 1997.
- الحافظ أبي الفيض، **المداوي لعلل الجامع الصغير وشرح المناوي**، الجزء السادس، دار الكتبي، ط 1، 1996.

- الدكالي محمد بن علي، **الإتحاف الوجيز: تاريخ العدوتين**، تحقيق مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، ط 2، 1996.
- الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، الجزء التاسع، 1997.
- الوزان الفاسي الحسن بن محمد، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1983.

➢ المراجع:

- أتينجر صموئيل، **اليهود في البلدان الإسلامية (1850-1950)**، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 197، 1995.
- البسيط موسى إسماعيل، **العهدة العمرية بين القبول والرد -دراسة نقدية-**، ط 1، 2001.
- الزعفراني حاييم، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب: تاريخ. ثقافة. دين**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط 1، الدار البيضاء، 1987.
- الزعفراني حاييم، **يهود الأندلس والمغرب**، ترجمة أحمد شحلان، الجزء الثاني، مرسم، الرباط، 2000.
- السبتي عبد الأحد، **بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2009.
- الشرقاوي أحمد، **مطالب الشعب المغربي**، المطبعة الملكية، الرباط، 1979.
- الشريف أبو بكر الصديق، **المغاربة اليهود: أسئلة التطبيع وجدلية أهل الذمة**، دار النشر المغربية، الطبعة المزدوجة، 2004.
- الفاسي علال، **النقد الذاتي**، المطبعة العالمية- القاهرة، ط 1، 1952.
- المسيري عبد الوهاب، **الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة**، سلسلة عالم المعرفة، عدد 60، ديسمبر 1982.
- المسيري عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المجلد الثاني، الجماعات اليهودية: إشكاليات، دار الشروق، 1999.
- المسيري عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المجلد الثالث، الجماعات اليهودية: التحديث والثقافة، دار الشروق، 1999.
- المسيري عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة في جزأين**، المجلد الأول، دار الشروق، ط 2، 2005.
- بابان كوستاف، **الباشا الكلاوي: الأسطورة والحقيقة في حياة باشا مراكش**، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007.
- بروفنصال ليفي، **مؤرخو الشرفاء**، ترجمة عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.
- بوزويتة سمير، **مكر الصورة: المغرب في الكتابات الفرنسية (1832-1912)**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007.
- دوفوكو شارل، **التعرف على المغرب 1883-1884**، ترجمة المختار بلعربي، دار الثقافة، ط 1، 1999.
- سبيلمان جورج، **المغرب من الحماية إلى الإستقلال 1912 - 1956**، ترجمة محمد المؤيد، منشورات أمل، 2014.
- سوبول ألبير، **تاريخ الثورة الفرنسية**، ترجمة جورج كوسي، منشورات عويدات بيروت- باريس، ط 4، 1989.
- شحاته ريه عطا علي محمد، **اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين**، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1999.

- كنبيب محمد، **يهود المغرب 1912-1948**، ترجمة إدريس بنسعيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1998.
- لوطورنو روجي، **فاس قبل الحماية**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، 1996.
- مكاريوس شاهين، **تاريخ الإسرائيليين**، مطبعة المقتطف، مصر، 1909.
- هوزالي أحمد، **"الملاح"**، معلمة المغرب، ج 21، نشر مطابع، سلا، 2005.

➢ **المقالات:**

- الزيان رمضان اسحاق، **"روايات العهدة العمرية - دراسة توثيقية -"**، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونيو 2006.
- الزياني عبد الرحمان، **"محمد الخامس الملك الرائد العبقري"**، مجلة دعوة الحق، العدد 1، السنة 22، مارس 1981.
- حاتمي محمد، **"التعليم اليهودي في مغرب النصف الأول من القرن العشرين: أدوار الرابطة اليهودية العالمية (الأليانس) والمدارس التلمودية الأمريكية"**، قضايا في تاريخ المغرب الفكري والاجتماعي، تنسيق لطفي بوشنتوف وعثمان المنصوري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- عين الشق- الدار البيضاء، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 21، ط 1، 2010.
- شحلان أحمد، **"محاولة إصلاح التعليم اليهودي في المغرب في القرن التاسع عشر: ودور مدارس الإتحاد الإسرائيلي في أوضاع ما قبل الحماية"**، الإصلاح والمجتمع في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رقم 7، 1983.
- نعيمي مصطفى، **"التعليم التقليدي بمدينة مكناس على عهد الحماية"**، "تدريس التاريخ، وقائع الندوة الوطنية التي نظمها فريق البحث في التاريخ والمجتمع والتواصل بتاريخ 16 ماي 2010"، جامعة محمد الخامس السويسي- الرباط، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، 2012.
- بوشنتوف لطفي، **"تجارة المحظور في النصف الثاني من القرن 19م (سلعتا الدخان والخمر مثلا)"**، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، الجزء الأول، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1، عين الشق – الدار البيضاء.

➢ **الأطروحات:**

- براص محمد، **الأحزاب الوطنية والمغاربة اليهود: بين تطور الأوضاع الداخلية وأصداء القضية الفلسطينية 1934-1967**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ المعاصر، إشراف محمد كنبيب، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال- الرباط، السنة الجامعية 2003-2004.
- بوعمامة فاطمة، **اليهود في المغرب الإسلامي (خلال القرنين 7-9ه/13-15م)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف خالد كبير علال، جامعة الجزائر- بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية –قسم التاريخ-، السنة الجامعية 2008-2009.
- حاتمي محمد، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب بين نداء الوطنية ورهان المغرب المستقل 1948-1961**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب تخصص تاريخ، إشراف جامع بيضا، الجزء الأول والثاني، جامعة سيدي محمد ابن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس، السنة الجامعية 2006-2007.
- عفيف جليلة، **يهود مدينة صفرو على عهد الحماية الفرنسية 1912-1956**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، الجزء الأول، إشراف حسن الشافعي العلوي، جامعة سيدي محمد ابن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز- فاس، السنة الجامعية 2003-2004.
- لغمائيد عبد الله، **يهود سوس: المجال ةالتمثلات الاجتماعية والسياسية، 1860-1960**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ المعاصر، إشراف محمد كنبيب، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال- الرباط، السنة الجامعية 2001-2002.

II. باللغات الأجنبية:

- **Fonds d'archives :**
- **Bulletin Officiel:**

- **B.O.**, Première Année, N° 1, 1 Novembre 1912.
- **B.O.**, Numéro Spécial (Hors Série), N° 19, 12 Septembre 1913.
- **B.O.**, Troisième Année, N° 85, 12 Juin 1914.
- **B.O.**, Cinquième Année, N° 167, 3 Janvier 1916.
- **B.O.**, Septième Année, N° 292, 27 Mai 1918.
- **B.O.**, Neuvième Année, N° 426, 21 Décembre1920.
- **B.O.**, Vingtième Année, N° 994, 13 Novembre 1931.
- **B.O.,** Cinquentième Année, N° 2523, 3 Mars 1961.

- **Alliance Israélite Universelle à Paris (A.I.U.):**

- A.A.I.U., **I B 5**, Lettre de Claire Benchimol, au Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fes, 10 Mai 1900.
- A.A.I.U., **I B 5.002**, Rapport de Yvette sous titre: "La fête de Pourim à Fez", au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 12 Mars 1939.
- A.A.I.U., **I B 5.057**, Développement de la ville nouvelle de Fez, Rapport trimestriel de Ménaché Mathilde, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fes, 24 Mai 1932.
- A.A.I.U., **I B 5.060**, Rapport de Dorette Cadosch sous titre: "En flânant, un jour de Pourim, dans les rues du Mellah", au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 10 Mars 1931.
- A.A.I.U., **I B 5.064**, Lettre de Mathilde Benozillo, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 17 Mars 1930.
- A.A.I.U., **II B 12.23**, Lettre de Fortunée Chayoohayo, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 29 Mars 1936.
- A.A.I.U., **II B 12.53**, Rapport de Sebbagh sous titre: "Le jeu à Pourim à Meknès", au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 31 Mai 1936.
- A.A.I.U., **II B 12.62**, Rapport de Daniel Lerner sous titre: "Le Talmud-Torah de Meknès", au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 27 Avril 1934.
- A.A.I.U., **II B 12.80**, Rapport de Laurette Cohen sous titre: "Les débutants au Talmud-Torah", au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 16 Décembre 1932.
- A.A.I.U., **II B 12.97**, Lettre de Haïm Abibessera, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 28 Janvier 1925.

- A.A.I.U., **III B 18.19**, Rapport de Rose Albagli, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 20 juil 1917.
- A.A.I.U., **III E 52**, Lettre de l'Association des Anciens Elèves, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 22 Novembre 1927.
- A.A.I.U., **IV E 82**, Lettre de Joseph Bensimhon, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 15 Mars 1918.
- A.A.I.U., **IV E 82**, Rapport de Joseph Bensimhon sous titre: "L'œuvre D'apprentissage", au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 20 Janvier 1919.
- A.A.I.U., **IV E 86**, Lettre de Vida Benzaquen, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 09 Février 1903.
- A.A.I.U., **IV E 87**, Lettre de Moïse Bibasse, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 02 Juin 1925.
- A.A.I.U., **IX E 172 a**, Lettre de Ruben Tajouri, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 24 Novembre 1927.
- A.A.I.U., **IX E 172 a**, Rapport de Reuben Tajouri, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 22 Février 1927.
- A.A.I.U., **IX E 172 a**, Rapport de Ruben Tajouri sous titre: "Apprentissage", au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 01 Mars 1927.
- A.A.I.U., **IX E 172 b**, Lettre de Ruben Tajouri, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 15 Novembre 1929.
- A.A.I.U., **L E 784**, le Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle, au Léon Pinhas à Safi, Paris, 05 Avril 1934.
- A.A.I.U., **L E 784**, Rapport de Léon Pinhas sous titre: "le Sionisme et les Istituteurs", au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Safi, 13 Mars 1934.
- A.A.I.U., **LI E 830**, Rapport de Isaac Benchimol, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 15 Décembre 1890.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 03 Décembre 1885.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 06 Décembre 1885.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 09 Mars 1886.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 04 Janvier 1886.

- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 06 Octobre 1886.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 21 Novembre 1886.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 29 Décembre 1886.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 24 Janvier 1887.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 17 Février 1887.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 07 Mars 1887.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 15 Mars 1887.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 17 Mars 1887.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 02 Mai 1887.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 24 Juin 1887.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Lettre de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 12 Août 1887.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Rapport de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 30 Novembre 1885.
- A.A.I.U., **LIII E 874**, Rapport de Moïse Fresco, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 01 Janvier 1886.
- A.A.I.U., **LIV E 897 b**, Rapport de Adèle Reinhard, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 04 Janvier 1894.
- A.A.I.U., **LV E 897 c**, Lettre de Adèle Reinhard, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 20 Février 1895.
- A.A.I.U., **LV E 913**, Rapport de Moïse Nahon, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 11 Mai 1892.
- A.A.I.U., **LX E 943 e**, Lettre de Abraham Albert Saguès, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 20 Avril 1936.

- A.A.I.U., **LX E 943 e**, Lettre du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, à Abraham Albert Saguès, 28 Avril 1936.

- A.A.I.U., **LX E 946 a**, Lettre de Yomtob David Semach, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 16 Juin 1913.
- A.A.I.U., **LXI E 946 c**, Lettre de Yomtob David Semach, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 19 Octobre 1919.
- A.A.I.U., **LXI E 946 c**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 31 Mars 1920.
- A.A.I.U., **LXII E 946 e**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 26 Mai 1925.
- A.A.I.U., **LXV E 993**, Rapport de Maurice Caplan, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tétuan, 03 Avril 1865.
- A.A.I.U., **LXVI E 1003**, Rapport de Rachel Cohen, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tétuan, 15 Avril 1914.
- A.A.I.U., **LXVI E 1005**, Rapport de Hermann Cohn, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tétuan, 23 Novembre 1863.
- A.A.I.U., **V B 24 b.13**, Rapport de Bernard Levy, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 13 Juin 1864.
- A.A.I.U., **V B 24 b.13**, Rapport de Bernard Levy, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 04 Mai 1864.
- A.A.I.U., **V E 106**, Lettre de Esther J. Hasson, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 09 Décembre 1938.
- A.A.I.U., **VI B 25.03**, Rapport de M. Hasson sous titre: "Pourim à Tétuan", au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tétuan, 02 Avril 1916.
- A.A.I.U., **VI B 25.19**, Rapport de H. Coriat sous titre: "La fête de Pourim à Tétuan", au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tétuan, 08 Mars 1893.
- A.A.I.U., **VI B 27 j.07**, Lettre de Renée Ruben, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Salé, 16 Mars 1936.
- A.A.I.U., **VI B 27 j.10**, Rapport de Albert Gomel sous titre: "La fête de Pourim au Mellah", au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Salé, 14 Mars 1934.
- A.A.I.U., **VI E 132**, Rapport de Samuel David Levy, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 31 Mai 1900.

- A.A.I.U., **VII B 1.04**, Lettre de Yahya Zagoury, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 20 Juin 1925.
- A.A.I.U., **VII B 11.04**, Rapport de Rodriguez sous titre: "La fête de Pourim au Mellah de Mogador", au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Mogador, 19 Mars 1933.
- A.A.I.U., **VIII E 155**, Lettre de Abraham Albert Saguès, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Casablanca, 02 Septembre 1912.
- A.A.I.U., **XIII E 214 a**, Rapport de Salomon Benoliel, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 26 Septembre 1884.
- A.A.I.U., **XIII E 214 a.2**, Lettre de Salomon Benoliel, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 04 juin 1885.
- A.A.I.U., **XIII E 214 b.3**, Rapport de Salomon Benoliel, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 12 Février 1888.
- A.A.I.U., **XIII E 219**, Lettre de Joseph Benshimon, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fes, 22 Avril 1897.
- A.A.I.U., **XIV E 226**, Rapport Trimistriel Concernant les Mois de Mars, Avril et Mai, Elise Cohen Scali, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fes, 07 Juin 1907.
- A.A.I.U., **XL E 685 e**, Lettre de Joseph Conquy, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 29 Octobre 1919.
- A.A.I.U., **XLI E 696**, Convention entre la Directeur Général de l'Instruction Publique, des Beaux Arts et des Antiquités, agissant au nom du Gouvernement Chérifien, et la l'Alliance Israélite Universelle, 18 September 1924.
- A.A.I.U., **XLI E 696**, Rapport sous titre: "Nos Ecoles au Maroc", au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 04 Décembre 1923.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 01 Janvier 1918.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 14 Juin 1918.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 26 Décember 1918.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 26 Juillet 1917.

- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 06 Mars 1916.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 18 Avril 1917.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 11 Juillet 1917.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre du Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, au Résident Général de France au Maroc, Rabat, 22 Mars 1914.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettre du Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, au Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), Rabat, 22 Décember 1914.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettres de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 09 September 1918.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Lettres de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement), au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 08 Octobre 1918.
- A.A.I.U., **XLI E 703**, Rapport de Gaston Loth (Chef des Services de l'Enseignement) sous titre: "Note pour le Comité Central" adressé au Comité Centrale de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, 24 Juillet 1914.
- A.A.I.U., **XLII E 717 a**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 12 Décembre 1926.
- A.A.I.U., **XLII E 717 a**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 29 Décembre 1926.
- A.A.I.U., **XLIII E 717 d**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 13 Septembre 1933.
- A.A.I.U., **XLIV E 717 g**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 04 Mars 1935.
- A.A.I.U., **XLV E 717 j**, Lettre de Yomtob David Semach, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Rabat, 30 Octobre 1936.
- A.A.I.U., **XLV E 717 k**, Lettre de Joseph Bassan, au Yomtob David Semach Déléguer de L'Alliance Israélite Universelle au Maroc, Midelt, 27 Février 1937.

- A.A.I.U., **XLVII E 717 s 1**, Note Présentée à M. le Commissaire Résident Général de la République Française au Maroc par le Directeur Général de l'Instruction Publique des Beaux-Arts et des Antiquités sur la Situation des Ecoles Israélites au Maroc, 30 Juin 1927.
- A.A.I.U., **XLVII E 717 s 2(anc. syst. 8531, n°57)**, Lettre de Yomtob David Semach, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, 21 Octobre 1924.
- A.A.I.U., **XLVII E 717 s 3.3(anc. syst. 8532, n°58)**, Rapport de Yomtob David Semach sous titre: **"**Notes sur la fondation du séminaire rabbinique**",** au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Tanger, Mars 1924.
- A.A.I.U., **XLVIII E 731**, Lettre de David Béhar, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Saffi, 12 Décembre 1938.
- A.A.I.U., **XLVIII E 731**, Lettre de David Béhar, au Président du Comité Central de l'Alliance Israélite Universelle à Paris, Saffi, 10 Juin 1938.
- A.A.I.U., **XVI E 248 b**, Lettre de Amram Elmaleh, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Fez, 02 Mars 1911.
- A.A.I.U., **XX E 321**, Lettre de Salomon Benoliel, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Larache, 19 September 1877.
- A.A.I.U., **XX E 324**, Lettre de Joseph Benshimon, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Larache, 12 juillet 1908.
- A.A.I.U., **XXIII E 384 a**, Rapport de Moïse Bibasse sous titre: **"**l'activité de l'Association des des anciens élèves de Marrakech**",** au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Marrakech, 11 Décembre 1926.
- A.A.I.U., **XXIX E 471**, Lettre de Josué Cohen, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Mazagan, 22 Avril- Juin 1915.
- A.A.I.U., **XXIX E 471**, Rapport de Josué Cohen, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Mazagan, 03 Octobre 1915.
- A.A.I.U., **XXV E 394 a**, Lettre de Raphaël Danon, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Marrakech, 16 Mars 1913.
- A.A.I.U., **XXV E 394 a**, Lettre de Raphaël Danon, au Président du Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Marrakech, 08 Avril 1913.
- A.A.I.U., **XXXII E 543 b**, Lettre de Daniel Lerner, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 21 Avril 1937.
- A.A.I.U., **XXXII E 543 b**, Lettre de Daniel Lerner, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 04 Janvier 1940.
- A.A.I.U., **XXXII E 559**, Lettre de Ruben Tajouri, au Comité Central de L'Alliance Israélite Universelle à Paris, Meknès, 09 Janvier 1918.

- **Centre des Archives diplomatiques de Nantes (C.A.D.N.):**

- C.A.D.N., **Carton 1MA,100,265**, Direction des Affaires Indigènes, Circulaire du Général de division Lyautey, Commissaire Résident Général de la République Française au Maroc à Messieurs: Le Contrôleur Civil, Chef de la Région Civile de Rabat, le Contrôleur Civil, Chef de la Région Civile de la Chaouia à Casablanca , les Commandants des Régions de (Meknes- Fes- Marrakech-Taza), le Commandant du Cercle Autonome de Couverture du Gharb à Arbaoua, le Commandant du Cercle des Haha-Chiadma à Mogador, le Commandant du territoire des Tadla-Zaian, le Contrôleur Civil, Chef de la Circonscription civile des Doukkala à Mzagan, le Contrôleur Civil, Chef de la Circonscription civile des Abda à Saffi, le Chef de la Région Civile à Oujda, Rabat 31 Janvier 1920.
- C.A.D.N., **Carton 1MA,100,265**, Direction des Affaires Indigènes, Le Général Maurial Commandant la Région de Fez à Monsieur le Délégué à la Résidence Générale de la République française au Maroc (Secrétariat Général du Protectorat) Rabat, Fes 02 Novembre 1922.
- C.A.D.N., **Carton 1MA,100,265**, Direction des Affaires Indigènes, Lettre du Colonel Commandant da la Région de Marrakech à Monsieur Le Directeur des Affaires Indigènes, Marrakech 27 Novembre 1919.
- C.A.D.N., **Carton 1MA,100,265**, Direction des Affaires Indigènes, Lettre de Peretti De La Rocca, Le Président du Conseil, Ministre des Affaires Etrangères à Monsieur le Marechal Lyautey, Commissaire Resident Général de France à Rabat, Paris 17 Janvier 1923.
- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger :Légation et Consulat, Lettre de Is. Pisa à Monsieur le President de l'Alliance Israélite, Paris, Casablanca, 31 Janvier 1907.
- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Lettre de Narcisse Leven Président de L'Alliance Israélite Universelle à Monsieur Regnault Ministre de France, Tanger, Paris, 21 Fevrier 1907.
- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Lettre de Delcassé à Monsieur Saint-René-Taillandier Ministre de France, Tanger, Paris, 28 Janvier 1903.
- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Lettre du Consul honoraire de France à Tétouan à Monsieur Jean Boissonnas Ministre de France, Tanger, Tétouan, 22 Juillet 1917.

- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger :Légation et Consulat, Lettre de Lucciardi Consul honoraire de France à Tétouan, à Monsieur Jean Boissonnas, Ministre de France à Tanger, Tétouan, 27 Mai 1916.
- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger :Légation et Consulat, Lettre de Lucciardi Consul honoraire de France à Tétouan, à Monsieur Jean Boissonnas, Ministre de France à Tanger, Tétouan, 01 Aout 1916.
- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport de la Direction Politique et Commerciale, Tanger, 20 Juin 1916.
- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,518**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport "Note sur les Ecoles de Larache", Tanger, 08 Avril 1925.
- C.A.D.N., **Carton 675,PO,B1,519**, Ministère des Affaires étrangères, Tanger : Légation et Consulat, Rapport "Les Ecoles du Maroc: Œuvre de L'Alliance Israélite Universelle", Tanger, 15 Mars 1908.

- **Archives of the American Jewish Joint Distribution Committee (A.A.J.D.C.):**

- A.A.J.D.C., **NY_08419**, Young Girls Learning to Sew at the JDC Supported Alliance Israelite Universelle school, Sale, 1950.
- A.A.J.D.C., **NY_08422**, Children having a Meal at JDC-supported Alliance Israelite Universelle School, Rabat, 1950.
- A.A.J.D.C., **NY_08464**, Children from Mellah (Jewish quarter) in overcrowded class room, Casablanca, 1940.

- **Les Ouvrages :**

- Abraham Pierre, **L'Abbe Gregoire**, Nouvelles Editions Latines, Paris, 1946.
- Amson Daniel, **Adolphe Crémieux, L'oublié de la gloire**, Seuil, Paris, 1988.
- Benbassa Esther, **The Jews of France: A History from Antiquity to the Present**, Princeton University Press, 1999.
- Bénech José, **Un des aspects du judaïsme: Essai d'explication d'un mellah (ghetto marocain)**, 1949.
- Bensimon-Donath Doris, **Evolution du judaïsme marocain sous le Protectorat français 1912-1956**, Mouton et Co, Paris, 1968.
- Berdugo-Cohen Marie. Cohen Yolande et Lévy Joseph, **Juifs marocains à Montréal: Témoignages d'une immigration moderne**, Montréal, VLB Editeur, 1987.
- Berkovitz Jay R., **The Shaping of Jewish Identity in Nineteenth-Century France**, Wayne State University Press, Detroit, 1989.

- Bernard Lewis, **The Jews of Islam**, Princeton University Press, New Jersey, 1984.
- Bocquet Jérôme, **L'Enseignement français en Méditerranée: Les missionnaires et l'Alliance Israélite Universelle**, Collection Histoire Presses Universitaires de Rennes, 2010.
- Bryan Hart Mitchell, **Social Science and the Politics of Modern Jewish Identity**, Stanford Studies in Jewish History and Culture, California, 2000.
- Chouraqui André, **Between East and West: A History of the Jews of North Africa**, Tra. de Bernet, Michael M, Varda Books, 2001.
- Chouraqui André, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine 1860-1960: Cent ans d'histoire**, Presses Universitaires de France, Paris 1965.
- Chouraqui André, **The Social and Legal Status of the Jews of French Morocco**, New York: American Jewish Committee (AJC), 1952.
- Cohen Erik H., **The Jews of France at the Turn of the Third Millenium: A Sociological and cultural analysis**, The Rappaport Center for Assimilation Research and Strengthening Jewish Vitality, The Faculty of Jewish Studies, Bar Ilan University, Ramat Gan, Israel, 2009.
- Coidan Etienne, **Le Sionisme au Maroc: Contribution à l'étude du judaïsme du Marocain**, Rabat 1946.
- Comité des Délégations Juives auprés de Conférence de la Paix, **Les droits nationaux des Juifs en Europe orientale: recueil d'études**, Paris, 1919.
- Drazin Nathan, **History of Jewishe Education from 515 B.C.E To 220 C.E**, Baltimore the Johns Hopkins Press, Second Printing, 1941.
- Feuerwerker David, **L'émancipation des Juifs en France**, Albin Michel, Paris, 1976.
- Flamand Pierre, **Diaspora en terre d'Islam: Les communautés Israélites du sud Marocain (Essai de description et d'analyse de la vie juive en milieu berbère)**, Imprimeries réunies, Casablanca, 1959.
- Fresco Moïse, **Méthode pratique pour l'enseignement de la langue française: à l'usage des Ecoles d'Orient et du Nord de l'Afrique**, Éditions Fresco, Paris et Istanbul, 8° Édition.
- Gabriel Arié, **Histoire juive, depuis les origines jusqu'à nos jours**, Librairie Durlacher, Paris, 1923.
- Gaudefroy-Demombynes Roger, **L'œuvre française en matière d'enseignement au Maroc**, Librarie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1928.
- Gerber Jane S., **Jewish Society in Fez 1465-1700: Studies in Communal and Economic Life**, Leiden, E. J. Brill, 1980.
- Gottheil Richard J.H., **Zionism**, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1914.

- Gottreich Emily, **The Mellah of Marrakesh: Jewish and Muslim Space in Morocco's Red City**, Indiana University Press, 2007.
- Grégoire Henri, **Essai sur la régénération physique, morale et politique des Juifs**, ouvrage couronné par la Société Royale des Sciences et des Arts de Metz, le 23 Août 1788, Imprimerie de Claude Lamort, 1789.
- Hamet Ismaël, **Les Juifs du Nord de l'Afrique: (Noms et Surnoms)**, Société D'éditions, Géographiques, Maritimes et Coloniales, Orléans, Paris, 1928.
- J. Goulven, **Les Mellahs de Rabat-Salé**, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1927.
- Kaspi André, **Histoire de l'Alliance Israélite Universelle de 1860 à nos jours**, Armand Colin, paris, 2010.
- Katz Jacob, **Tradition and Crisis: Jewish Society at the End of the Middle Ages**, Tra. Bernard Dov Cooperman, New York, Schochen books, 1993.
- Laskier Michael M., **North African Jewry in the Twentieth Century: The Jews of Morocco**, Tunisia, and Algeria, New York University Press, 1994.
- Laskier Michael M., **The Alliance Israelite Universelle and the Jewish Communities of Morocco: 1862-1962**, Published by State University of New York Press, Albany, 1983.
- Lazard Raymond, **Michel Goudchaux, 1797-1862: son oeuvre et sa vie politique**, Librairie Félix Alcan, Paris, 1907.
- Leven Narcisse, **Cinquante ans d'histoire: L'Alliance Israélite Universelle (1860-1910)**, T 1, Félix Alcan, Paris,1911.
- Leven Narcisse, **Cinquante ans d'histoire: L'Alliance Israélite Universelle (1860-1910)**, T 2, Félix Alcan, Paris, 1920.
- Lippmann Walter, **Public Opinion**, New York, Macmillan, 1922.
- Modiano Léon, **Le judaïsme et l'Alliance Israélite: conférence faite le 30 Octobre 1909 à l'Association des Anciens Elèves**, Salonique, Novembre 1909.
- Morris M. A. Nathan, **The Jewish School: An Introduction to the History of Jewish Education**, Eyre and Spottiswoode, London, 1937.
- Navon Albert H., **Les 70 ans de L'Ecole Normale Israélite Orientale (1865-1935)**, Durlacher, Paris, 1935.
- Posener Solomon Vladimirovich, **Adolphe Cremieux (1796-1880)**, Librairie Félix Alcan, Paris, 1933.
- Rodrigue Aron, **French Jews, Turkish Jews: The Alliance Israelite Universelle and the Politics of Jewish Schooling in Turkey 1860-1925**, Bloomington: Indiana University Press, 1990.
- Schechtman Joseph, **On Wings of Eagles: The Plight, Exodus, and Homecoming of Oriental Jewry**, New York. Tomas Yoseloff. Lodon, 1961.

- Schroeter Daniel J., **Merchants of Essaouira: Urban Society and Imperialism in South-Western Morocco 1844-1866**, Cambridge University Press, 1988.
- Schwarzfuchs Simon, **Les Juifs de France**, Albin Michel, Paris, 1975.
- Spector Simon Reeva, Laskier Michael M, Reguer Sara, **The Jews of the Middle East and North Africa in Modern Times**, Columbia University Press, New York, 2002.
- Tsourikoff Zénaïde, **L'Enseignement des filles en Afrique du Nord**, Editions A. Pedone, Paris, 1935.
- Zafrani Haïm, **Pédagogie juive en terre d'islam: l'enseignement traditionnel de l'hébreu et du judaïsme au Maroc**, A. Maisonneuve, Paris, 1969.

- **Autres Publications :**

- **Opinion de M, le comte Stanislas de Clermont-Tonnerre, député de Paris: le 23 Décembre 1789**, Baudouin, imprimeur de l'Assemblée Nationale, 1789.
- **Vingt-cinquième anniversaire de la fondation de L'Alliance Israélite Universelle**, célébré le 1er Mars 1885, Paris, 1885.
- **Instructions Générales pour les professeurs**, Paris, 1903.
- **Programme des manifestations du Centenaire de l'Alliance Israélite Universelle 1860-1960**, Comité Régional d'Alger, 1960.
- Protectorat de la République Française au Maroc, **Direction Générale de l'Instruction Publique des Beaux-arts et des Antiquités: Historique (1912-1930**), Publié à l'occasion de l'Exposition Coloniale Internationale de Paris.

- **Articles:**

- Abramovitch Stanley, **"Jewish Education in Morocco"**, Jewish Education vol 43, N° 1, Fall 1973. (pp. 23-28)
- Bataller M. F., **"The Significance of Purim in Judaism: the Bright and the dark"**, le shofar: Revue Mensuelle de la Communauté Israélite Libérale de Belgique, N° 311, Février 2010. (pp. 9-11)
- Benbassa Esther, **"L'éducation féminine en Orient: l'école de filles de l'Alliance Israélite Universelle à Galata, Istanbul (1879-1912)"** , Histoire, économie et société, N° 4, 10e année, 1991. (pp. 529-559)
- Bensimon-Donath Doris, **"Les Debuts du Mouvment Sioniste au Maroc: quelques Documents des Archives Sionistes de Jerusalem"**, Michael: On the History of the Jews in the Diaspora, Tel Aviv University, 1978. (pp. 17-80)
- Bigart Jacques, **"Le Professeur de l'Alliance doit étre un éducateur"**, Revue des Ecoles de l'Alliance israélite, N° 1, Avril-Juin 1901. (pp. 06-17)

- Bin Nun Yigal, **"La quête d'un compromis pour l'évacuation des Juifs du Maroc"**, Pardès, N° 34, 2003/1. (pp. 75-98)
- Bin Nun Yigal, **"Les causes politiques et sociales du départ des Juifs du Maroc 1956-1966"**, Migrations maghrébines comparées: genre, ethnicité et religions: France-Québec, de 1945 à nos jours, sous la direction de Yolande Cohen, Mireille Calle-Gruber et Élodie Vignon, Riveneuve, Paris, 2014. (pp. 39-62)
- Bin Nun Yigal, **"The Contribution of World Jewish Organizations to the Establishment of Rights for Jews in Morocco 1956–1961"**, Journal of Modern Jewish Studies, Vol 9, N° 2, july 2010. (pp. 251-274)
- Busaall Jean-Baptiste, **"Nature juridique de la monarchie espagnole sous Joseph Bonaparte"**, Mélanges de la Casa de Velázquez, 35-1, 2005. (pp. 235-254)
- Cabanel Patrick, **"La France et sa langue en Méditerranée orientale au début du XXe siècle"**, Documents pour l'histoire du français langue étrangère et seconde, N° 38/39, Juin-Décembre 2007. (pp. 17-32)
- Chahbar Abdelaziz, **"Tétouan, petite Jérusalem"**, Tétouan, capitale méditerranéenne, sous la direction de M'hammad Benaboud, publication de Association Tétouan-Asmir, 2004. (pp. 114-120)
- Dahan Abraham, **"Mieux vaut en rire"**, le shofar: Revue Mensuelle de la Communauté Israélite Libérale de Belgique, N° 311, Février 2010. (pp. 07-08)
- Delpech François, **"Les Juifs en France et dans l'Empire et la genèse du Grand Sanhédrin"**, Annales historiques de la Révolution française, 51e Année, N° 235, Janvier-Mars 1979. (pp. 1-26)
- Frankel Jonathan, **"Jewish Politics and the Press: The Reception of the Alliance Israélite Universelle (1860)" ,** Jewish History, Vol 14, N° 1, The Press and the Jewish Public Sphere (2000). (pp. 29–50)
- Frankel Jonathan, **"Ritual Murder in the Modern Era: The Damascus Affair of 1840"**, Jewish Social Studies, New Series, Vol 3, N° 2, Winter 1997. (pp. 1-16)
- Gaillard Henri, **"Le sionisme et la question juive dans l'Afrique du Nord"**, Renseignement Coloniaux et Documents, N° 1, 2 et 3, Publiés par le Comité de l'Afrique Française et le Comité du Maroc, Année 1918. (pp. 03–07)

- Gillot Gaëlle, **"La ville nouvelle coloniale au Maroc: moderne, salubre, verte, vaste"**, Editions de la Maison des sciences de l'homme, 2014. (pp.71-96)
- Graetz Michaël, **"Les Juifs en France au XIXe siècle: De la Révolution française à l'Alliance Israélite Universelle"**, Review by: Esther Benbassa, Revue Historique, T 282, Fasc 2 (572), (Septembre-Décembre 1989). (pp. 678-679)

- Grimaud Nicole, **"Les juifs d'Afrique du Nord, leur situation - et leurs problèmes en 1968"**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N° 8, 1970. (pp. 273-296)
- Hardy Georges, **"Plan d'études et programme de l'enseignement primaire franco-israélite"**, Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc, 7e Année, N° 24, Octobre 1920. (pp. 420-438)
- Hazan Katy, **"Du heder aux écoles actuelles: l'éducation juive, reflet d'un destin collectif"**, Archives Juives, Vol 35, 2002/2. (pp. 04-25)
- Joffé E. G. H., **"The Moroccan Nationalist Movement: Istiqlal, the Sultan, and the Country"**, The Journal of African History, Vol 26, N° 4, 1985. (pp. 289-307)
- Karady Victor, **"Les Juifs et les Etats-nations dans l'Europe Contemporaine (XVIIIe-XIXe siècles)"** , Actes de la recherche en sciences sociales, An 1997, Vol 118, N° 118. (pp. 28-54)
- kedourie Elie, **"The Alliance Israélite Universelle 1860-1960"**, Jewish Journel of Sociology, N° 9, 1967. (pp. 92-99)
- Laskier Michael M., **"Developments in the Jewish Communities of Morocco 1956-76"**, Middle Eastern Studies, Vol 26, N° 4, Oct 1990. (pp. 465-505)
- Laskier Michael M., **"Jewish Emigration from Morocco to Israel: Government Policies and the Position of International Jewish Organizations, 1949-56"**, Middle Eastern Studies, Vol 25, N° 3, Jul 1989. (pp. 323-362)
- Laurent Grison, **"L'Alliance Israélite Universelle dans les années noires"**, Archives Juives, Vol 34, 2001/1. (pp. 09-22)
- Leff Lisa Moses, **"Jewish Solidarity in Nineteenth-Century France: The Evolution of a Concept"**, The Journal of Modern History, Vol 74, N° 1, March 2002. (pp. 33-61)
- Lévy Simon, **"Islam et Judaïsme: une expérience de 14 siècles "Le nationalisme arabe annula les autres identités mais les Sultans marocains protégèrent les juifs"**, AFKAR/IDEES Revue trimestrielle pour le dialogue entre le Maghreb, l'Espagne et l'Europe, N° 1, Décembre 2003. (pp. 107-110)
- Lucette Heller-Goldenberg, **L'initiation au théâtre dans les Ecoles de l'Alliance Israélite Universelle**, Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire, N° 58, 2008. (pp. 184-186)
- Marglin Jessica, **"Modernizing Moroccan Jews: The AIU Alumni Association in Tangier 1893-1913"**, Jewish Quarterly Review, Vol 101, Issue 4, Fall 2011. (pp. 574–603)
- Marty Paul, **"Les Institutions Israélites Au Maroc",** Extrait de la Revue des Études Islamiques Année 1930, Paris, Paul Geuthner, 1930. (pp. 297-332)

- Mrejen-O'Hana Simone, **"Isaac-Jacob Adolphe Crémieux, Avocat, homme politique, président du Consistoire central et de l'Alliance Israélite Universelle (Nîmes, 30 avril 1796- Paris, 10 février 1880)"** , Archives Juives, 2003/2, Vol 36. (pp. 139-146)
- Nahon Moïse, **"Roumis et forasteros"**, Revue des Ecoles de l'Alliance Israélite, N° 1, Avril-Juin 1901. (pp. 29-56)
- Nahon Monique, **"L'école consistoriale élémentaire de Paris, 1819-1833, La «Régénération» à l'oeuvre"**, Archives Juives 2002. 2, Vol 35. (pp. 26-45)
- Necheles Ruth F., **"The Abbé Grégoire and the Jews"**, Jewish Social Studies, Vol 33, N° 2/3, Apr-Jul 1971. (pp. 120-140)
- Nicault Catherine, **"L'Alliance Israélite Universelle et le sionisme (1914-1919)"** , Tsafon: Revues d'études juives du Nord, N° 74, 2017. (pp. 49-64)
- Nicault Catherine, **"L'Alliance au lendemain de la Seconde guerre mondiale: ruptures et continuités idéologiques"**, Archives Juives, Vol 34, 2001/1. (pp. 23-53)
- Omer Danielle, **"Le français, l'allemand, l'anglais: l'impossible alliance?: L'exemple du réseau scolaire de l'AIU (1860-1913)"**, Documents pour l'histoire du français langue étrangère et seconde, SIHFLES, 2014, Français, anglais, allemand: trois langues rivales entre 1850 et 1945. (pp. 175-194)
- Omer Danielle, **"Une langue sans territoire? Le judéo-espagnol dans le discours des instituteurs de l'Alliance Israélite Universelle (1860-1913)"**, Ali Reguigui et Julie Boissonneault, Langue et territoire Etudes en ménagement linguistique, Série monographique en sciences humaines 14, Université Laurentienne, 2014. (pp. 373-392)
- Paz Moria, **"States and Networks in the Formation of International Law"**, American University International Law Review, Vol 26, 2010-2011. (pp. 1241-1313)
- Polack Emmanuelle, **"Les Ecoles professionnelles de l'ORT-France et la transmission du judaïsme 1921-1949"**, Archives Juives 2002/2, Vol 35. (pp. 60-76)
- Posener Solomon Vladimirovich, **"The Immediate Economic and Social Effects of the Emancipation of the Jews in France (On the Occasion of the 150th Anniversary of the French Revolution)"**, Jewish Social Studies, Vol 1, N° 3, Jul 1939. (pp. 271-326)
- Raspe Lucia, **"Manetho on the Exodus- A Reappraisal",** Jewish Studies Quarterly, Vol 5, N° 2, 1998. (pp. 124-155)
- Rubinstein William D., **"250 Years of Convention and Contention: A History of the Board of Deputies of British Jews, 1760–2010"**, by Raphael Langham, Shofar, Vol 29, N° 4, Summer 2011. (pp. 205-206)
- Schroeter Daniel J., Chetrit Joseph, **"Emancipation and Its Discontents: Jews at the Formative Period of Colonial Rule in**

Morocco", Jewish Social Studies: History, Culture, Society, Vol 13, N° 1, Fall 2006. (pp. 170-206)
- Sekkat Hanane, **"L'émigration collective des Juifs marocains vers Israël: L'histoire d'une émigration clandestine"**, Association Marocaine d'Etudes et de Recherches sur les Migrations (AMERM), Rapport - Novembre 2016. (pp. 01-57)
- Sémach Y. D., **"L'Alliance Israélite Universelle, 67 ans d'enseignement du français"**, Bulletin de l'enseignement public au Maroc, 4eme Année, N° 83, Octobre 1927,. (pp. 6-12)
- Szajkowski Zosa, **"Conflicts in the Alliance Israélite Universelle and the Founding of the Anglo-Jewish Association, the Vienna Allianz and the Hilfsverein"**, Jewish Social Studies, Vol 19, N° 1/2, Jan - Apr 1957. (pp. 29-50)
- Touati Charles, **"Le Grand Sanhedrin de 1807 et le droit rabbinique"**, Annales historiques de la Révolution française, 51e Année, N° 235, Janvier-Mars 1979. (pp. 27-48)
- Wieviorka Michel, **"Analyse Sociologique Et Historique De L'Antisémitisme En Pologne"**, Cahiers Internationaux de Sociologie, Nouvelle Série, Vol 93, Juillet-Décembre 1992. (pp. 237-249)
- Wilke Carsten Lorenz, **"La fraternité sauvegardée: Les militants français et allemands de l'Alliance Israélite Universelle à l'épreuve de la guerre (1868-1873)"** , Archives Juives, 2013/2, Vol 46. (pp. 59-80)
- Yaron Tsur, **"L'AIU et le judaïsme Marocain en 1949: l'émergence d'une nouvelle démarche politique"**, Archives Juives, 2001/1, Vol 34. (pp. 54-73)

- **Thèses :**

- Chvika Yossef, **Ecole juive et communauté israélite: Leurs Rapports en France et la Situation a Lyon**, Thèse de Doctorat de 3E Cycle en Sciences de l'Education, Directeur de Thèse: Professeur Guy Avanzini, Université Lyon II, Décembre 1984.
- González Irene González, **Escuela e Ideoligia en el Protecorado Espanol en el Note de Marruecos (1912-1956**), Director: Dr. Miguel Hernando de Larramendi, universidad de castilla-la mancha, Facultad de Humanidades de Toledo, Área de Estudios Árabes e Islámicos, 2010.
- Jelidi Charlotte, **La fabrication d'une ville nouvelle sous le Protectorat français au Maroc (1912-1956): Fès-nouvelle**, Volume 1, Thèse de Doctorat en Histoire, Sous la direction Bernard Heyberger, UFR de Droit, d'Economie et des Sciences Sociales, Université François Rabelais - Tours, Septembre 2007.
- Wyrtzen Jonathan, **Constructing Morocco: The Colonial Struggle to Define the Nation, 1912–1956**, PhD Dissertation, Georgetown University, 2009.

- **Revues :**

- **Bulletin de l'Alliance Israélite Universelle:**

- **B.A.I.U.,** Deuxième série N° 1, 1er Semestre 1880.
- **B.A.I.U.**, 1er Juillet 1860.
- **B.A.I.U.**, 1er Janvier 1860.
- **B.A.I.U.**, 1er Janvier 1862.
- **B.A.I.U.**, 1er Semestre 1877.
- **B.A.I.U.**, 1er Semestre, Année 1875.
- **B.A.I.U.**, 2e Semestre 1866.
- **B.A.I.U.**, 2e Semestre 1871 – 1er Semestre 1872.
- **B.A.I.U.**, 2e Semestre 1872.
- **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 10, 2e Semestre 1885 – 1er Semestre 1886.
- **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 20, 1er et 2e Semestre 1895.
- **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 25, 1er et 2e Semestre 1900.
- **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 26, Année 1901.
- **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 27, Année 1902.
- **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 29, Année 1904.
- **B.A.I.U.**, Deuxième série N° 4, 2e Semestre 1881 – 1er Semestre 1882.
- **B.A.I.U.**, Juillet 1863.
- **B.A.I.U.**, Juillet 1864.
- **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 31, Année 1906.
- **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 33, Année 1908.
- **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 36, Année 1911.
- **B.A.I.U.**, Troisiéme série N° 38, Année 1913.

- **Association des Anciens Elèves de L'Alliance Israélite Universelle :**

- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 1, Tanger 1893.
- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 11, Tanger 1903.
- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 12, Tanger 1904.
- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 13, Tanger 1905.
- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 17, Tanger 1910.
- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 2, Tanger 1894.
- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 3, Tanger 1895.
- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 4, Tanger 1896.
- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 6, Tanger 1898.
- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 7, Tanger 1899.
- **A.A.E.A.I.U.**, Bulletin Annuel, N° 8, Tanger 1900.

- ✓ **Les Cahiers de l'Alliance Israélite Universelle (Paix et Droit):**

- **C.A.I.U.**, N° 100, Juillet 1956.
- **C.A.I.U.**, N° 103, Novembre 1956.
- **C.A.I.U.**, N° 126, Janvier 1960.
- **C.A.I.U.**, N° 135, Février 1962.
- **C.A.I.U.**, N° 155, Octobre 1965.
- **C.A.I.U.**, N° 159, Octobre 1966.
- **C.A.I.U.**, N° 171, Décembre 1969.
- **C.A.I.U.**, N° 178, Juin 1971.
- **C.A.I.U.**, N° 202, Octobre 1980.
- **C.A.I.U.**, N° 27, Novembre 1948.
- **C.A.I.U.**, N° 57-58, Novembre-Décembre 1951.
- **C.A.I.U.**, N° 111, Septembre-Octobre 1957.
- **C.A.I.U.**, N° 134, Septembre-Octobre 1961.
- **C.A.I.U.**, N° 11 Nouvelle série, Août 1995.
- **C.A.I.U.**, N° 28, Novembre 2003.
- **C.A.I.U.**, N° 20-21, Février-Mars 1948.
- **C.A.I.U.**, N° 14-15, Juin-Juillet 1947.

- ✓ **Paix et Droit (Organe de L'Alliance Israélite Universelle):**

- **Paix et Droit**, Première Année, N° 4, Avril 1921.
- **Paix et Droit**, Troisieme Année, N° 1, Janvier 1923.
- **Paix et Droit**, Sixieme Année, N° 4, Avril 1926.
- **Paix et Droit**, Septième Année, N° 6, Juin 1927.
- **Paix et Droit**, Huitième Année, N° 4, Avril 1928.
- **Paix et Droit**, Huitième Année, N° 6, Juin 1928.
- **Paix et Droit**, Onzieme Année, N° 10, Décembre 1931.
- **Paix et Droit**, Dix-Septieme Année, N° 6, Juin 1937.
- **Paix et Droit**, Dix-Neuviéme Année, N° 6, Juin 1939.

- ✓ **Archives Israélites:**

- **Archives Israélites**, Tome 18, Année 1857.
- **Archives israélites**, Tome 19, Année 1858.
- **Archives Israélites**, Tome 21, Année 1860.

- ✓ **Les Nouveaux Cahiers:**

- **Les Nouveaux Cahiers**, N° 21, 1970.
- **Les Nouveaux Cahiers**, N° 45, 1976.
- **Les Nouveaux Cahiers**, N° 52, Année 1978.
- **Les Nouveaux Cahiers**, N° 60, Printemps 1980.
- **Les Nouveaux Cahiers**, N° 97, Eté 1989.

- ✓ **Revue des Ecoles de l'Alliance Israelite:**

- **Revue des Ecoles de l'Alliance Israelite**, N° 6, Juillet-Octobre 1902.

- ✓ **Bulletin intérieur de l'Alliance Israélite Universelle:**

- **B.I.A.I.U.**, 1er Année, N° 3, Décembre 1945.

- ✓ **L'Avenir Illustré:**

- **L'Avenir Illustré**, N° 12, 14 Janvier 1927.
- **L'Avenir Illustré**, N° 17-18, 18 Mai 1928.
- **L'Avenir Illustré**, N° Spécial, Décembre 1928.
- **L'Avenir Illustré**, N° 237, 28 Février 1935.
- **L'Avenir Illustré**, N° 243, 29 Février 1936.

- ➢ **Encyclopédies:**

- **The Jewish Encyclopedia**, Vol 1, 1901.
- **The Jewish encyclopedia**, Vol 9, 1906.

- ➢ **Journaux :**

- ✓ **Noar:**

- **Noar**, N° 33, 01 Avril 1951.
- **Noar**, N° 42, 20 Novembre 1951.
- **Noar**, N° 45, 21 Janvier 1952.
- **Noar**, N° 48, 5 Avril 1952.
- **Noar**, N° 16, 1er Juin 1950.

- ✓ **L'Univers Israélite:**

- **L'Univers Israélite**, N° 10, Juin 1860.
- **L'Univers Israélite**, N° 3, Novembre 1860.
- **L'Univers Israélite**, N° 4, Décembre 1859.
- **L'Univers Israélite**, N° 6, Février 1851.

- ✓ **Information Juive:**

- **Information Juive**, N° 127, Février 1961.
- **Information Juive**, N° 42, Février 1953.
- **Information Juive**, N° 79, Juillet 1956.

- ✓ **La Voix des Communautés:**

- **La Voix des Communautés**, N° 13, Avril-Mai 1951.

- ✓ **le Reveil Juif:**

- **le Reveil Juif**, N° 81, 26 Mars 1926.
- **le Reveil Juif**, N° 83, 14 Mai 1926.
- **le Reveil Juif**, N° 87, 16 Juillet 1926.

- ➢ **Sites Web :**

- https://www.aiu.org/fr/album/180

- https://www.aiu.org/fr/album/197
- http://bibliotheque-numerique-aiu.org/viewer/8582/?offset=44#page=1&viewer=picture&o=bookmarks&n=0&q=

فهرس الجداول والصور	الصفحة
جدول رقم 1: النخبة المؤسسة للرابطة اليهودية العالمية	37
جدول رقم 2: بعض أهم مؤسسي ومديري مدارس الرابطة بالمغرب وحوض البحر الأبيض المتوسط	120
صورة قم 1: واجهة مدرسة تكوين المعلمين الإسرائيلية الشرقية بباريس	122
خارطة رقم 1: الشبكة المدرسية للرابطة اليهودية العالمية المغرب	126
ظهيرين سلطانيين خاصين بالجماعة اليهودية بدمنات سنة 1302ه/1885م	139
رسالة من قادة الجماعة اليهودية في وزان موجهة إلى الرابطة اليهودية العالمية بباريس سنة 1908	140
رسم توضيحي رقم 1	169
رسم توضيحي رقم 2	170
جدول رقم 3: البرنامج المعتمد في مدرستي تطوان سنة 1873 والذي يعد حجر الزاوية في أول أنشطة الرابطة التعليمية بالمغرب	175
جدول رقم 4: البرنامج التعليمي المعتمد في مدرسة الذكور بمدينة فاس سنة 1884	177
جدول رقم 5: البرنامج التعليمي لمادة التاريخ في مدرسة الذكور بمدينة طنجة سنة 1886	179
جدول رقم 6: الفصول الدراسية من السنة الأولى إلى السنة الرابعة: بنين	184
جدول رقم 7: الفصول الدراسية من السنة الأولى إلى السنة الرابعة: بنات	185
جدول رقم 8: فصول رياض الأطفال	186
صورة رقم 2: تلاميذ السنة الخامسة وهم يؤدون حركات رياضية بمدرسة الرابطة بفاس سنة 1949	188
صورة رقم 3: ورشة الخياطة بمدرسة الرابطة والمدعمة من قبل لجنة التوزيع المشتركة (J.D.C.) بمدينة سلا سنة 1950	189
جدول رقم 9: تطور نفقات ومؤسسات تعليم الرابطة اليهودية (1911_1985)	199
جدول رقم 10: التوصيات المحددة بشأن كيفية تقسيم الإعانة المقدرة بـ 40000 فرنك	201

صورة رقم 4: مدرسة الرابطة للبنات بالدار البيضاء	**220**
جدول رقم 11: مسار تطور إنشاء وسعة الإستقبال بمدارس الإناث بالمغرب	**222**
صورة رقم 5: تلاميذ الرابطة وهم يتناولون إحدى الوجبات المدعمة من قبل لجنة التوزيع المشتركة (J.D.C.) بمدينة الرباط سنة 1950	**224**
رسم بياني رقم 3: عدد التلاميذ الذين تم دمجهم في الحياة العملية من قبل جمعية قدماء تلامذة الرابطة بالدار البيضاء سنة 1927	**230**
رسم توضيحي رقم 4: التصميم المعتمد في بناء المدرسة الزراعية مكفيه إسرائيل سنة 1870 بيافا	**267**
صورة رقم 6: واجهة المدرسة العبرية العادية بالدار البيضاء (E.N.H.)	**277**
صورة رقم 7: زيارة السيد محمد الفاسي وزير التعليم لمدرسة الإناث "ويليام وليد William Oualid" بالدار البيضاء سنة 1957، وقف خلالها على درس للغة العربية في أحد الأقسام الابتدائية الأولى، بحضور المعلمة بنابون Bénabon	**301**
جدول رقم 13: يوضح الإقبال الكبير للتلاميذ المغاربة اليهود الملتحقين بمدرسة تكوين المعلمين بباريس سنة 1948-1949.	**307**
جدول رقم 14: يبين الإقبال الكبير للتلاميذ المغاربة اليهود الملتحقين بمدرسة تكوين المعلمين بباريس سنة 1951-1952.	**308**
جدول رقم 15: أعضاء اللجنة التوجيهية لسنة 1894	**309**
صور رقم 8: مأخوذة من حفل توزيع الجوائز والمنح على التلاميذ المتفوقين بمدارس الرابطة بالدار البيضاء سنة 1930	**314**
صورة رقم 9: تلاميذ يتلقون تدريبا مهنيا بالمدرسة المهنية بالدار البيضاء سنة 1954	**327**
جدول رقم 16: يوضح عدد التلاميذ الذين تم دمجهم حسب التخصص من قبل جمعية قدماء تلامذة الرابطة بالدار البيضاء سنة 1926	**329**
جدول رقم 17: المدارس المهنية التابعة للرابطة بالمغرب، وطبيعة التكوين المهني وأعداد المتدربين لدى الجنسين خلال سنة 1947	**330**
صورة رقم 10: مجموعة من الأطفال رفقة معلمهم يتلقون تعليما تقليديا في الكنيس بمدينة دمنات سنة 1955	**342**
صورة رقم 11: أطفال يتلقون تعليما تقليديا داخل غرفة مزدحمة بملاح الدار البيضاء سنة 1940	**351**
جدول رقم 18: تطور الهجرة اليهودية من المغرب في تجاه إسرائيل بين سنتي 1949 و1956	**355**
صورتين رقم 12: ميناء مدينة الحسيمة الذي مثل موقعا استراتيجيا للهجرة اليهودية السرية في إطار عملية ياخين في تجاه جبل طارق	**357**
جدول رقم 19: أعداد التلاميذ اليهود الملتحقين بالمدارس بين سنتي 1965 و1969	**359**

الفهرس	الصفحة
لائحة الاختصارات	**01**
مقدمة	**02**
الباب الأول: الرابطة اليهودية العالمية: النشأة والأهداف	**16**
الفصل الأول: نشأة وأهداف الرابطة اليهودية العالمية	**18**
1) أوضاع يهود فرنسا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر	**18**
2) ظروف نشأة الرابطة اليهودية العالمية	**27**
أ- قضية دمشق	**29**
ب- قضية إدغار مرتارا	**31**
ت- المؤسسون	**34**
3) أهداف وأيديولوجية الرابطة اليهودية العالمية	**42**
الفصل الثاني: الرابطة اليهودية العالمية وإرهاصات التأسيس	**48**
1) الرابطة اليهودية العالمية ويهود فرنسا	**49**
2) الرابطة اليهودية العالمية ويهود العالم	**61**
الفصل الثالث: الجماعات اليهودية بالمغرب	**73**
1) اليهود: أهل الذمة	**74**
2) مجلس الجماعة	**78**
3) المحكمة الحاخامية	**80**
4) البيعة أو الكنيس	**82**

الفصل الرابع: المغاربة اليهود: المجال والأدوار	**83**
1) الملاح: مدينة داخل المدينة	**84**
2) اليهود والاقتصاد المغربي	**91**
الباب الثاني: المجهود التعليمي للرابطة اليهودية العالمية بالمغرب قبل الحماية 1862-1912	**97**
الفصل الخامس: الرابطة اليهودية العالمية والتعليم العبراني	**99**
1) التعليم العبراني بالمغرب	**100**
أ- مؤسسة الحيدر (أو الحدر)	**101**
ب- مؤسسة التلمود توراة	**103**
ت- مؤسسة اليشيفا	**106**
2) نظرة الرابطة للتعليم ومؤسسات التعليم العبراني بالمغرب	**109**
3) الأنشطة التعليمية والسياسية للرابطة اليهودية العالمية قبل الحماية	**120**
الفصل السادس: الرابطة وآليات تحديث التعليم اليهودي	**144**
1) رصد الحياة الاجتماعية والأخلاقية لليهود	**145**
أ- أجواء الملاح	**148**
ب- الطقوس الدينية	**154**
- صوم إستير	**154**
- طقوس قراءة لفيفة إستير	**154**
ت- لعب الورق وشرب الخمر	**155**
ث- تلاميذ مدارس الرابطة	**159**
2) مرتكزات التحديث	**162**
3) مسار تحديث تعليم اليهود داخل مؤسسات الرابطة	**176**
الباب الثالث: علاقة الرابطة بمديرية التعليم العمومي ودورها وسط الجماعات المغربية اليهودية	**196**
الفصل السابع: علاقة الرابطة بمديرية التعليم العمومي	**199**
1) اتفاقية 10 أكتوبر 1915	**201**
2) اتفاقية 25 يونيو 1924	**212**
الفصل الثامن: تأثير الرابطة على الجماعات المغربية اليهودية	**220**
1) تعليم الإناث	**221**
2) التكوين المهني	**231**
الباب الرابع: الرابطة اليهودية وقضايا اليهود خلال فترة الحماية	**240**
الفصل التاسع: موقف الرابطة من بعض القضايا المطروحة على الساحة المغربية	**242**

خلال فترة الحماية	
1) علاقة الرابطة بمؤسسة الحماية	**243**
2) موقف الرابطة من الحركة الصهيونية بالمغرب	**255**
3) الرابطة اليهودية والحركة الوطنية	**280**
الفصل العاشر: حصيلة دور الرابطة التعليمي بالمغرب	**307**
1) خريجو مدارس الرابطة	**308**
2) تغيير الهيكل المهني للمغاربة اليهود	**322**
3) زواج الأطفال القاصرين	**339**
4) تحديث المدارس والتعليم العبراني	**344**
5) انعكاس الهجرة على مدارس الرابطة	**358**
خاتمة	**371**
بيبليوغرافيا	**378**
فهرس الجداول والصور	**412**

ملخص بحث الدكتوراه

الطالب: لعرج عبد الإلاه

الأستاذ: مُحَمَّد حاتمي

مقدمة.

دخلت الجماعات اليهودية في العالم الغربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر في زمن ترسخت فيه القيم التي نادت بها الثورة الفرنسية تحت يافطة الحرية والمساواة والإخاء، وفُعلت في شكل منظومة متجددة للقوانين والضوابط ارتقت بالإنسان إلى مرتبة المواطن الذي ينعم بالحقوق ويلزمه الانضباط للواجبات، حيث عرفت الجماعات اليهودية المندمجة نقلة نوعية في تطورها لنفسها وفي علاقتها بالدول، والحق أن الثورة الصناعية فضلا عن توسيعها لآفاق الارتقاء والحركية الاجتماعيين وضربها للتراتبيات الوسيطية سمحت لفئات عريضة من المتعلمين اليهود من تبوؤ أماكن متميزة داخل الأوساط السياسية والاقتصادية والفكرية والفنية، وامتدادا لذلك داخل المجامع الرأسمالية والامبريالية، وقد تبين للعديد من المثقفين اليهود أن الإندماج الحقيقي لبني ملتهم في مجتمعات تغلب عليها الثقافة المسيحية، وهي بطبيعتها معادية لليهود ليس بالضرورة لأسباب دينية، رهين بالتميز في المجالات التي لا تستدعي الاعتماد على فئات بعينها أو الارتكاز على الأصول والأنساب والمعاهدات والتحالفات المالية والمصلحية، وغني عن البيان أن التعليم يمثل المصعد الرئيسي للارتقاء بنفس قدر تأثيره على المدى المتوسط والبعيد على العقليات. والحال أن المدرسة تحولت إلى مؤسسة لابيكيه تُكون فئات عريضة من المتعلمين، وتدفع بالمتميزين من هؤلاء نحو المعاهد الكبرى التي تحولت إلى مزود للنخب المدنية والعسكرية.

لقد تمسك اليهود بهذه المعتقدات الجديدة وعضوا عليها بالنواجد لأنها لامحالة تصب في صالحهم باعتبارهم أقلية «مضطهدة» سجينة الغيتو منعدمة الحقوق. إن توسع دائرة غزو المثل الجمهورية للعقول والقلوب فتح آفاقا رحبة لاستفادة اليهود على المستوى الحقوقي والاجتماعي والاقتصادي، وسرعان ما رأى المتنورون منهم ضرورة

تصدير وتعميم هذه المكتسبات على باقي بني ملتهم خاصة أولئك الذين لم تطلهم رياح التغيير والمبادئ الكونية للثورة الفرنسية، واستحدثوا لتحقيق هذه الغاية مجموعة من المؤسسات وأهمها الرابطة اليهودية العالمية، هدفها هو الدفاع عن اليهود وتوفير سبل الإرتقاء والتطور والتحديث، عبر خلق شبكة من المدارس على شاكلة المدارس العمومية الفرنسية ومن مميزاتها مخالفة طبيعة ونهج المدارس الحاخامية التقليدية السائدة.

اتخذت الرابطة اليهودية من المغرب منطلقا لتحقيق أهدافها، ومستقرا لأكبر عدد من المدارس التي كانت جزءا من شبكتها المدرسية بحوض البحر الأبيض المتوسط والعالم ككل، وشكلت الجماعات اليهودية نموذجا للأقلية اليهودية التي تحيا في ظل التقاليد ولأجلها، وأنه لا سبيل لتطورها وانفتاحها دون تدخل إخوانهم اليهود الغربيين، مستعينين بمظلة الحماية الديبلوماسية للدول الغربية التي كانت فرنسا آنذاك من بين أكثر الدول نفوذا فيه، إلى جانب كل من إنجلترا وإسبانيا.

انطلاقا من هذه الاعتبارات يأتي اهتمامنا بموضوع: «**الرابطة اليهودية العالمية ومؤسساتها المدرسية بالمغرب 1860–1956**» وفق تحديد زمني له ما يبرره، إذ يمثل عام 1860 سنة تأسيس الرابطة اليهودية العالمية، ليليها تأسيس أول نواة مدرسية لها بمدينة تطوان سنة 1862، وصولا إلى سنة 1956 أي سنة الإعلان عن استقلال المغرب ودخول الشبكة المدرسية للرابطة في طور الأفول بسبب عوامل متصلة بتأميم مدارسها، وهجرة اليهود تحت تأثير النشاط القوي للحركة الصهيونية، وعدم قدرتهم على الاندماج في المجتمع المغربي المستقل بعد خروج فرنسا وتأسيس دولة إسرائيل.

يسعى هذا البحث إلى تقديم أهم المراحل وتوثيق المحطات التي أسست لمنظمة الرابطة، ومؤسساتها التعليمية المنبثة في المغرب، انطلاقا من سنة 1862، ومنه تأتي الحاجة إلى البحث عن مؤشرات، وإيديولوجية، وآليات عمل هذه المنظمة بالمغرب في علاقتها بالجماعات اليهودية المغربية من جهة، وفي علاقتها بمؤسسة الحماية والحركة

الصهيونية العالمية من جهة أخرى. ثم إبراز عوامل الجذب والنفور تجاه الحركة الوطنية، مع استحضار حصيلة العمل التربوي والتعليمي المقدم من طرفها بالنسبة لليهود المغاربة. وفق منظور تأريخي يتخذ من منظمة الرابطة اليهودية العالمية أرضية أساسا للبحث، وسبر جانب من جوانب تاريخ الجماعات اليهودية بالمغرب، سواء من باب علاقتهم مع إخوانهم الغربيين، في شخص المنظمة أم في علاقتهم بالمحيط الذي يحيون فيه.

لقد تحكمت العديد من الاعتبارات في اختيار هذا الموضوع، فمنها ما هو موضوعي وما هو ذاتي؛ فالموضوعي يتجلى في النقص الحاصل في البحوث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع من قبل المغاربة والعرب على حد سواء، وافتقار المكتبة المغربية لمثل هذه الأعمال، إذا استثنينا الدراسات الأجنبية المضيئة (فرنسية وإنجليزية على الخصوص)، فإن مايقابلها باللغة العربية، يظل معدودا، إلا ما تخللته أعداد من الأطاريح والمقالات المحدودة، التي تتناول تاريخ الجماعات اليهودية المغربية من زوايا مختلفة ومتعددة، تحتل فيها طبيعة العلاقات المنسوجة بين اليهود والمسلمين، خاصة خلال فترة الحماية، النصيب الأوفر، أو تلك التي تتناول جماعة من الجماعات داخل رقعة جغرافية معينة تعرض فيها للتراث اليهودي المغربي ومدى تطوره في ظل الحماية؛ أما الذاتي فإن للموضوع جاذبية وسحرا دفعاني إلى دخول ميدان البحث في هذه المنظمة التي وضعت حجر الأساس للتعليم اليهودي الحديث، وجعلت منه مدخلا رئيسا لأي تغيير أو تحديث منشود، إضافة إلى الاحتضان الذي لقيته من قبل أستاذي المشرف الدكتور مُحَّد حاتمي الذي أنجز أطروحة دكتوراه الدولة بعنوان: «**الجماعات اليهودية والخيار الصعب بين نداء الوطنية ورهان المغرب المستقل 1948–1961**» وقد أصبحت مرجعية لا غنى عنها لأي باحث في تاريخ الجماعات اليهودية المغربية، ومن ثم كان لهذين الاعتبارين الأثر العميق في خوض مغامرة هذا البحث الذي لم يخل كغيره من مشقة جمع المادة من مصادر متعددة رغم أن أغلبها تتضمنه وثائق ومنشورات الرابطة اليهودية بمكتبتها الأم بباريس.

إن غايات الدراسة هي تحليل الأنشطة التعليمية والاجتماعية والسياسية للرابطة داخل الجماعات اليهودية المغربية وتوثيقها، بما أنها شكلت ذلك التنظيم المدافع عن المصالح والحقوق اليهودية، مستفيدة من دعم وقوة العالم المتحرر، بعد أن خلصت إلى أن هذا الأمر لن يتأتى إلا إذا تم إحداث قدر من التغيير العميق في الجسم والوسط اليهودي نفسه، من خلال تبني المؤسسات التعليمية التي كانت بمثابة الأداة التي من خلالها تستطيع غرس القيم والمبادئ الغربية المجسدة إجمالا في مبادئ الثورة الفرنسية عبر تبني أنموذج المدرسة الفرنسية شكلا ومضمونا.

انطلاقا من هذا، انبنت الإشكالية الكبرى لموضوع البحث على ماهية الأسس الفكرية والدوافع الموضوعية المؤسسة لمثل هذه المنظمة، وطبيعة الأسس والحدود التي رسمتها الرابطة لتأطير علاقاتها، سواء في مجال وموقع الفعل أم مع البنية السياسية للدولة، الثابت منها (مخزن- حركة وطنية) والطارئ (حماية- حركة صهيونية).

ولمقاربة هذه الإشكالية حاولنا الإجابة عن عدد من الأسئلة الجوهرية التي سنعرض لها على الشكل التالي:

- ❖ كيف استغلت الرابطة جانب التعليم للدفاع عن الحقوق، ورسم مسار التطور والتحديث؟ وما الآليات المعتمدة في ذلك؟.
- ❖ على أي أساس نسجت علاقتها مع مؤسسة الحماية الفرنسية بعد سنة 1912؟.
- ❖ ما هي أبرز المطالب التي رفعتها الرابطة خلال فترة الحماية الفرنسية؟.
- ❖ ما موقف الرابطة من الفكرة الصهيونية الداعية إلى تأسيس وطن قومي لليهود بفلسطين، المخالفة تماما لفكرة الاندماج التي قامت عليها؟.
- ❖ كيف تعاملت الرابطة مع مطالب نخبة الحركة الوطنية الساعية إلى تحقيق الاستقلال؟ وحدود التجاوب والنفور بينهما؟.

❖ إلى أي حد استطاعت الرابطة تحصيل ثمار عملها داخل الجماعات اليهودية المغربية؟.

إلى هنا، يصل بنا الحديث عن المادة العلمية المعتمدة في مقاربة الموضوع ضمن الإشكالية المطروحة التي لا نزعم أن إجاباتنا المقدمة عنها شاملة ووافية، إنما هي مبنية على المادة المصدرية التي بلغها الجهد، وبصرت بها العين، وطالت إليها اليد. إذ لم يكن الوصول إليها وانتقاؤها بالأمر الهين، خاصة فيما يتعلق بوثائق أرشيف الرابطة اليهودية العالمية بباريس التي كتبت في مجملها قبل سنة 1912 بخط اليد، مما يزيد من صعوبة أمر قراءة هذه الوثائق، ويضاعف مشقتها، فضلا عن عملية تصنيف، وتبويب، وترتيب المادة العلمية كرونولوجيا وموضوعاتيا.

يوفر أرشيف الرابطة مادة أساسا للبحث في تاريخ الجماعات اليهودية كيفما كان الجانب المراد تناوله، فهو لا يحتوي على المعلومات المتعلقة بالمنظمة ومؤسساتها المدرسية بمختلف البلدان فقط، بل يعتبر مصدرا قيما للإطلاع على الحياة اليهودية بالغيتوهات الشرقية، وبملاحات شمال إفريقيا، بحيث يضم مختلف التقارير والرسائل المتعلقة بمعاداة السامية والسكان غير اليهود، والتنافس الاستعماري بين القوى الكبرى، وحتى على مسألة تطور العادات والتقاليد في البلدان المعنية.

يشكل مخزون أرشيف الرابطة الأساس الذي انبنى عليه عملنا، وهو مقسم بشكل موضوعاتي على عدة أقسام: فالقسم (C) و(F) يضم كل الأمور المتعلقة بالجانب السياسي للرابطة، وهو قسم غير مرتبط بمجال بحثنا. في حين يضم القسم (B) و(E) كل ما يتعلق بالمدارس والجماعات اليهودية، ويقدم صورة واضحة عن العمل التربوي للرابطة، بالإضافة إلى بيانات مهمة عن الجماعات اليهودية المغربية. لكن على الباحث توخي الحذر في توظيفه لهذه الوثائق، لأنها تتضمن معلومات موضوعية وتحاليل تختلط بآراء شخصية.

عززنا عملنا هذا بعدد من الوثائق المستقاة من الأرشيف الديبلوماسي الفرنسي بنانط (Nantes)، إلا أن الوثائق التي حصلنا عليها لم تخرج إجمالا عن نطاق ما وفرته وثائق أرشيف الرابطة اليهودية العالمية بباريس، وهذا لا ينفي القيمة المضافة لها.

وفي الإطار نفسه، كان لا بد من الوقوف عند مجموعة من الدراسات التي تم نشرها، وتتميز بصلتها الوثيقة بالموضوع. وقد ساعدتنا على تتبع المسار الكرونولوجي لتأسيس منظمة الرابطة اليهودية، وأهم الأحداث التي عايشتها وكانت طرفا فيها، إذ ساعدتنا هذه المؤلفات في تكوين تصور واضح عن أهداف المنظمة وغاياتها، ومكنتنا من الإلمام بطبيعة الجماعات اليهودية بالمغرب وبمستوى التطور الذي عرفته في ظل الوصاية الثقافية والتربوية للرابطة، وأهمها:

- كتاب نرسيس ليفين، «**خمسون سنة من التاريخ: الرابطة اليهودية العالمية (1860–1910)**»[1]، وهو عبارة عن كتاب يخلد للذكرى الخمسين لتأسيس الرابطة اليهودية العالمية سنة 1910 حيث كان ليفين بعمر السابعة والسبعين. وقد ضَمّن المجلد الأول، سرد التاريخ العام للرابطة سواء من ناحية تأسيسها وتطورها، والتدخلات المستمرة لصالح اليهود المضطهدين. وقد صدر الجزء الأول منه سنة 1911، وكان من المرتقب إصدار الجزء الثاني سنة 1914. لكن ظروف الحرب العالمية الأولى أخرت ذلك إلى سنة 1920، والكتاب صيغ في مجمله بمساعدة جورج ديلاهاش Georges Delahache وهو مؤرخ مهتم بتاريخ الألزاس وكاتدرائية ستراسبورغ، وينتهي الحديث إجمالا سنة 1910 التي توافق الذكرى الخمسين لتأسيس الرابطة، ولا يتضمن أية إشارة إلى الأحداث التي بدأت تهز العالم بعد ذلك.

[1] - Narcisse Leven, **Cinquante ans d'histoire: L'Alliance Israélite Universelle (1860-1910)**, Tom 1 et Tom 2, Félix Alcan, Paris, 1911/1920.

- كتاب أندري شوراقي، «**الرابطة اليهودية العالمية والنهضة اليهودية المعاصرة 1860–1960: مئة سنة من التاريخ**»[2]. صدر هذا الكتاب بمناسبة الذكرى المئة لتأسيس المنظمة، وقد جاء في تصميمه على غرار الكتاب الذي ألفه سلفه نرسيس ليفين، وهو بمثابة تتمة لكتاب هذا الأخير، يرصد فيه أهم الأحداث التي ميزت الخمسين سنة الأخيرة من حياة اليهود دوليا، وفق منظور تاريخي شامل يعرض لمئة سنة من تاريخ الرابطة، ضَمّنه الكاتب الأحداث المهمة والرجال العظام الذين كان لهم الفضل في خروج هذه المنظمة إلى حيز الوجود، أولهم أدولف كريميو الذي ترأس الرابطة لمدة عشرين عاما، وكان لنشاطه الدؤوب تأثير عميق ليس فقط في أوروبا الغربية، بنضاله ضد معاداة السامية السياسية، ولكن أيضا في أوروبا الشرقية والبلقان والعالم الإسلامي، حيث كان يعمل بشكل فعال لصالح الانعتاق، أو على الأقل لحماية الأقليات اليهودية المضطهدة. وقد خلفه سكرتيره نارسيس ليفن الذي يعد المنظم الحقيقي للشبكة المدرسية للرابطة، وتعد تجربته فريدة من نوعها حيث وجدت العديد من المدارس في حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى. أما الشخصية المركزية الثالثة فهي سيلفان ليفي، الذي ترأس الرابطة في السنوات الصعبة أي فترة ما بين الحربين، عندما اندلعت الأزمة اليهودية الأوروبية وعواقب الحرب العالمية، وخاصة الأزمة اليهودية الأوروبية في مواجهة اضطهاد هتلر.

- كتاب ميكائيل لاسكيي، «**الرابطة اليهودية العالمية والجماعات اليهودية بالمغرب: 1862–1962**»[3]. يعد هذا الكتاب أول الأعمال التي اهتمت، على نحو شامل، بأنشطة الرابطة اليهودية في المغرب، وهو كتاب لا يقدم فقط تحليلا للأنشطة التربوية والثقافية والسياسية للرابطة وسط الجماعات اليهودية المغربية، ولكنه يتطرق أيضا لمسائل أكثر اتساعا تتعلق بالسياسة الحكومية والعلاقات بين المسلمين واليهود. في حين ينقسم

[2] - André Chouraqui, **L'Alliance Israélite Universelle et la renaissance juive contemporaine 1860-1960: Cent ans d'histoire**, Presses Universitaires de France, Paris 1965.

[3] - Michael M. Laskier, **The Alliance Israelite Universelle and the Jewish Communities of Morocco: 1862-1962**, Published by State University of New York Press, Albany, 1983.

تسلسل الكتاب الزمني إلى ثلاثة أجزاء: فترة ما قبل الاستعمار، والحماية، ثم الاستقلال. ويناقش كل قسم التأثيرات الاجتماعية والثقافية للمنظمة في المغرب، بحيث تساهم دراسته في فهم أفضل لليهود المغاربة، كأكبر جالية يهودية في العالم وكمجموعة عرقية رئيسة في المجتمع الإسرائيلي اليوم. وهو أمر لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ الرابطة بالمغرب والعلاقات بين اليهود والمسلمين.

- كتاب أندري كاسبي، «**تاريخ الرابطة اليهودية العالمية منذ 1860 حتى يومنا هذا**»[4]، جاء هو الآخر بمناسبة الذكرى المائة والخمسين لتأسيس الرابطة اليهودية، ويتميز بكونه عملا جماعيا ودوليا استهوى الباحثين الفرنسيين والأمريكيين والإسرائيليين بغية إلقاء ضوء جديد على فترات لا تزال معتمة في تاريخ الرابطة، مثل فترة حكومة فيشي، أو الفترة التي تلت إنشاء دولة إسرائيل. ويحتوي على ملاحظات تهم تفاصيل الأشخاص والمؤسسات ذات الصلة بالرابطة أو القريبة منها.

- كتاب حاييم الزعفراني، «**التربية اليهودية في بلاد الإسلام: التدريس التقليدي للغة العبرية واليهودية في المغرب**»[5]، يعطي هذا العمل صورة واضحة عن التعليم التقليدي كما كان يُمارس لقرون في الوسط اليهودي المغربي، وكأقلية يجب عليها قبل أن تحافظ على أصالتها أن تهتم في المقام الأول بنقل المبادئ والتقاليد التي تقوم عليها إلى جميع أعضائها، ولكن هذا التعليم شبه الكوني مخصص للأولاد؛ أما الفتيات فلم يكن لديهن إمكانية الوصول إليه، وكان تعليمهن يقتصر على ما تلقينه في المنزل. كما حرص المؤلف على تحقيق نوع من المقارنة بين نموذج التربية والتعليم لدى اليهود والمسلمين المغاربة، حيث تتبدى أوجه التشابه أكثر من الاختلافات. فإذا تجاهلنا محتوى التعليم، وركزنا على طرائقه نجده يشترك في الإطار والأساليب نفسها، فضلا عن المعلمين،

---

[4] - André Kaspi, **Histoire de L'Alliance Israélite Universelle de 1860 à nos jours**, Armand Colin, paris, 2010.

[5] - Haïm Zafrani, **Pédagogie juive en terre d'islam: l'enseignement traditionnel de l'hébreu et du judaïsme au Maroc**, A. Maisonneuve, Paris, 1969.

حيث يتم تكديس الأطفال أكثر مما يجب في غرفة الدرس، كما أن سلطوية المعلمين وزجرهم تتشابه إذا لزم الأمر اللجوء إلى الفلقة، فيما تبرز الأساليب التربوية البدائية نفسها التي تستدعي الذاكرة وغياب المنطق وازدراء العلوم.

- كتاب دوريس بنسيمون دونات، «**تطور اليهودية المغربية تحت الحماية الفرنسية 1912–1956**»[6]، حاولت من خلاله المؤلفة الوقوف على تنوع اليهودية المغربية، وهياكل وقيم المجتمع التقليدي في بداية القرن العشرين، والمسائل المتعلقة بالتدريس والتطور الاقتصادي وتطور الهياكل الأسرية، وتنظيم الجماعات وأنشطتها والتطور السياسي لليهودية المغربية، في حين لم يتم تحديد الهجرات الداخلية نفسها إلا من خلال القوانين الاجتماعية التي لا ترحم، والظروف الاقتصادية التي تحكم نزوح السكان في المجتمعات المتقدمة والنامية.

- كتاب جيروم بوكيت، «**التعليم الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط: المبشرون والرابطة اليهودية العالمية**»[7]، هو عبارة عن إصدار يضم عددا من المقالات المختارة التي جاءت على إثر مؤتمر عقد في مارس 2009 في جامعة فرانسوا رابلي دو تورl'université François" Rabelais de Tours" تحت عنوان «**اليهودية، المدرسة ورسالتها في البحر الأبيض المتوسط خلال فترة الاستعمار**». وهو عمل يهدف إلى تحديد معرفتنا التربوية في حوض البحر الأبيض المتوسط في العصر الحديث، من خلال مقارنة عمل ومهام كل من البعثات اليهودية والمسيحية ضمن نطاق مهمة البعثة المدنية الفرنسية في القرنين التاسع عشر والعشرين القائمة على فكرة التفوق الغربي.

هذا ولم تقتصر دراستنا للمادة في مصادرها الأجنبية فقط، بل حاولنا تنويع مصدر المعلومات بالاعتماد على ثلة من الدراسات والبحوث باللغة العربية لملء بعض الفجوات التي لم تسعفنا الوثائق والمراجع الأجنبية في

---

[6] - Doris Bensimon-Donath, **Evolution du judaïsme marocain sous le Protectorat français 1912-1956**, Mouton et Co, Paris, 1968.

[7] - Jérôme Bocquet, **L'Enseignement français en Méditerranée: Les missionnaires et L'Alliance Israélite Universelle**, Collection Histoire Presses Universitaires de Rennes, 2010.

تغطيتها، كما هو الحال بالنسبة لأطروحتي مُحَمَّد حاتمي[8] ومُحَمَّد براص[9] اللتين تدخلان في إطار التاريخ الراهن. وقد ساهمتا في كشف طبيعة العلاقة المنسوجة بين كل من أعضاء الحركة الوطنية واليهود المغاربة، سواء على الصعيد السياسي أو الهجرة. وكُتب كل من حاييم الزعفراني[10] وعبد الوهاب المسيري[11] مكنتنا من استيعاب الوزن الذي تحظى به التقاليد والأعراف في الحياة اليهودية، والدور الحيوي الذي اضطلع به اليهود داخل المجتمعات التي يحيون في كنفها.

إضافة إلى هذا الرصيد من المادة العلمية المعتمدة، لن تفوتنا الإشارة إلى عدد مهم من المقالات، والصحف، والإصدارات الخاصة بالرابطة اليهودية العالمية التي احتلت موقعا مهما جدا في بحثنا، والتي ساهمت في تسليط الضوء على جوانب مهمة من تاريخ الرابطة اليهودية، سواء فيما يتعلق بعلاقة الرابطة بالجماعات اليهودية المغربية أم فيما يتعلق بالتعليم العبراني العتيق وتعليم البنات، وكذا علاقة الرابطة بالحركة الصهيونية والحركة الوطنية، وصولا إلى الدور الذي لعبته الرابطة في مجالي الاندماج والتحديث، ودور خريجي الرابطة اليهودية، ثم تأثير الهجرة اليهودية على الرابطة ومؤسساتها بالمغرب.

---

[8] - محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية والخيار الصعب بين نداء الوطنية ورهان المغرب المستقل 1948-1961**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب تخصص تاريخ، إشراف جامع بيضا، الجزء الأول والثاني، جامعة سيدي محمد ابن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس، السنة الجامعية 2006-2007.

[9] - محمد براص، **الأحزاب الوطنية واليهود المغاربة: بين تطور الأوضاع الداخلية وأصداء القضية الفلسطينية 1934-1967**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ المعاصر، إشراف محمد كنبيب، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال- الرباط، السنة الجامعية 2003-2004.

[10] - حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب: تاريخ. ثقافة. دين**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط 1، الدار البيضاء، 1987.

- حاييم الزعفراني، **يهود الأندلس والمغرب**، ترجمة أحمد شحلان، الجزء الثاني، مرسم، الرباط، 2000.

[11] - عبد الوهاب المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة**، سلسلة عالم المعرفة، عدد 60، ديسمبر 1982.

- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المجلد الثاني والثالث، دار الشروق، 1999.

وفيما يتعلق بالمنهج المعتمد، فقد أملت علينا طبيعة التصميم العام للبحث اعتماد الاستنباطي القاضي بالانتقال من الكل إلى الجزء، وهو بذلك يعاكس المنهج الاستقرائي الذي ينتقل فيه الاستنتاج من الجزء إلى الكل، وذلك بتتبع خطوات الترتيب الكرونولوجي لتأسيس الرابطة اليهودية العالمية، وأهم الأحداث والمحطات التي ميزت عملها بالمغرب، وكذا استقراء طرائق العمل وتأثيراتها، اعتمادا على توليفة من أساليب البحث، أي استنطاق الوثائق وتحليلها، وتوظيفها وفق أسلوب ونمط يساعدان على استنباط أصول وبنيات العمل، ورصد مكامن التحديث والتغيير فيهما.

ينقسم هذا البحث إلى **أربعة أبواب**: بحيث يحوي **الباب الأول** أربعة فصول تعنى بالتطورات الكبرى للوضع اليهودي بأوروبا وخاصة فرنسا، بغية الوقوف عند الجذور التاريخية لتأسيس منظمة الرابطة اليهودية العالمية، والعوامل المساهمة في بلورة أهدافها وإيديولوجيتها، ثم استعراض البنية الجماعاتية لليهود ووضعهم السياسي والديني، وتطورهم الاجتماعي والاقتصادي، وبعض معتقداتهم وعاداتهم. وهدفنا من هذا هو أن نبين للقارئ أن لليهود خلفية تاريخية ثرية تسبق آثار الثقافة الغربية والاستعمارية.

أما **الباب الثاني**، فيتوفر على فصلين تأسيسيين للعمل التربوي داخل الجماعات اليهودية المغربية، عن طريق استحضار مؤسسات التعليم العبراني العتيق لمحاولة بسط الأسس والميكانيزمات المتحكمة فيه، مع تقديم نظرة الرابطة لمثل هذا النوع من التعليم، واستحضار بعض أنشطتها التعليمية والسياسية ببعض مدارسها الأولى بشمال المغرب، فضلا عن تتبع المسار الذي رسمته الرابطة لتحديث التعليم والمرتكزات التي سيقوم عليها.

الباب الثالث، الذي ضم بدوره فصلين، اهتما بتتبع علاقة الرابطة بمديرية التعليم العمومي بعد فرض منطق الحماية الفرنسية على المغرب بعد 1912، وذلك لإبراز مكامن القوة والضعف في الاتفاقيتين اللتين جمعتا كل من الرابطة اليهودية ومديرية التعليم خلال سنتي 1915 و1924. ثم عرض الدور الذي اضطلعت به هذه

المنظمة داخل الجماعات اليهودية المغربية المتشبثة بالتقاليد، من خلال تعليم البنات والتكوين المهني اللذين شكلا أهم نوافذ ترسيخ الاندماج والتحديث والتغيير فيها.

تناولنا في **الباب الرابع**، الذي ضمنته فصلين خاصين بالتحديات التي واجهتها الرابطة للحصول على الشرعية من خلال عرض أهم مطالبها تجاه مؤسسة الحماية، والكشف عن موقفها تجاه كل من الحركة الصهيونية والحركة الوطنية، لنصل إلى مرحلة عرض حصيلة الرابطة التربوية والتعليمية سواء فيما يخص خريجي مدارسها، أم طبيعة الهيكل المهني لليهود، ومسألة زواج الأطفال، وتحديث المدارس الحاخامية، ثم انعكاس الهجرة اليهودية على مدارسها بالمغرب.

خلاصات البحث

ينتهي الحديث في موضوع الرابطة اليهودية العالمية ومؤسساتها التعليمية بالمغرب، بالباحث إلى الوقوف على خلاصات ونتائج تتعلق بقصة نجاح التعليم اليهودي الحديث بالمغرب، الكامنة أساسا في قيمة الأشخاص الذين أشرفوا على تخطيط وتطبيق برنامج الرابطة خلال الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر إلى حدود سنة 1956 وما بعدها، حيث حافظت الرابطة على موقع الريادة في تعليم أطفال الجماعات اليهودية المغربية، وما من شك أن مدارسها كانت لبنة أساسا ومؤثرة في عملية الإصلاح المبني على التحديث والتطور والاندماج.

وقد جاء تأسيس الرابطة اليهودية في فرنسا كرد فعل واضح لحالة الاندماج التي بدأت تعيشها الجماعة اليهودية في هذا البلد، كما أنها شكلت حافزا للتوجهات اليهودية التي تدعو إلى ضرورة اندماج الجماعات اليهودية في المجتمعات المحلية التي تعيش في ثناياها، وأن الانفصال والانعزال ليس في صالحهم. ومن أجل تعجيل هذا الأمر وضعت الرابطة في مقدمة أهدافها أهمية تطوير القدرات الذاتية لأبناء الجماعات اليهودية بما يمكنهم من أخذ دورهم الفعال والمؤثر داخل المجتمعات التي يعيشون فيها.

تبين كذلك، أن يهود المغرب حظوا باهتمام كبير من قادة الرابطة، مما جعل اختيارها يقع على تطوان لفتح أول مدرسة لها. والأسباب التي وقفت وراء ذلك ارتبطت بما كانت تتمتع به الجماعات اليهودية في المغرب من مكانة متميزة، إن على المستوى العددي أو الاجتماعي والاقتصادي والروحي أمام الجماعات اليهودية الأخرى في الشرق عموما.

إن فشل المؤسسات التعليمية الدينية اليهودية بالمغرب في تقديم صورة جديدة للتعليم مرده إلى أنها كانت تعمل ضمن أفق محدود جدا، وهي لا تختلف هنا عن المؤسسات التعليمية الإسلامية. ولهذا وجد قادة الرابطة أن بقاء التعليم على أساسه الديني يعني فقدان إخوانهم للمزيد من الحقوق بما في ذلك تلك التي كفلتها عدد من الظهائر السلطانية والحمايات القنصلية، فكان لا بد من العمل لإيجاد مخرج لهذا الجمود الذي كانت تعيشه الجماعات اليهودية. لهذا كانت الرابطة ضرورة تاريخية في حياة الجماعات اليهودية في المغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ظلت مدارس الرابطة طوال الفترة التي سبقت سنة 1912، المهيمن الوحيد على التعليم الحديث بالمغرب، وضمت بين فصولها الدراسية مسلمين ومسيحيين. وبعد فرض الحماية على المغرب تمت مزاحمة الرابطة في العمل الذي تؤديه من قبل المدارس العمومية التي أنشأتها مؤسسة الحماية، وغيرها من المدارس الأخرى التي أنشأتها منظمات موازية.

وكانت مدارس الرابطة من بين المؤسسات التعليمية القليلة التي تمثل الثقافة الفرنسية، فعلى الرغم من أن الإسبان أسسوا مدارس خاصة باليهود، إلا أن مدارس الرابطة كانت أكثر شعبية، وقدمت برنامجا قويا باللغتين الفرنسية والإسبانية. أما في طنجة فإن المدارس الأوروبية التي ترعاها مختلف القوى، تقدم في الغالب لغاتها وثقافاتها الوطنية، ووحدها كانت مدارس الرابطة هي المؤسسات الابتدائية التي تقدم برنامجا متعدد اللغات. وعليه، ظلت مهيمنة على التعليم اليهودي بفعل حماس معلميها، الذي تجاوز نظيره عند معلمي المدارس المنافسة، لأن الرسالة

التي حملوها وتدربوا عليها في مدرسة تكوين المعلمين تتعدى منطق التعليم الصرف، بل تجاوزوا ذلك ليصبحوا بمثابة أخصائيين اجتماعيين ومستشارين أسريين وإصلاحيين ومربين، بفعل قوة فكرة التضامن اليهودي التي تقوم على أن كل بني إسرائيل إخوة.

تمثلت مساهمة الرابطة الرئيسة في توسيع نطاق التكوين والتدريب المهني، ومحاربة الأمية عن طريق ما سمي بدروس الدعم أو الدروس المسائية، كما أن النخبة التي انبثقت عن مدارس الرابطة تنتمي عادة إلى ثلاث مدارس فكرية:

(1) أولئك الذين كانوا مرتبطين بالثقافة الفرنسية والأوروبية وخضعوا لعملية العلمنة، ولكن دون أن يتخلوا تماما عن التقاليد اليهودية، هؤلاء اختاروا عدم محاكاة الغرب أو الثقافة الفرنسية بصورة عمياء. مقابل أولئك الذين حضروا المدارس التي أنشأتها مؤسسة الحماية (في المنطقة الفرنسية بشكل رئيسي)، وكانوا مجموعة صغيرة تأثروا بشكل عميق بالثقافة العلمانية، نظرا للغياب التام للتعليم اليهودي في مثل هذه المدارس، وكانوا من بين المؤيدين للتضامن بين اليهود والمسلمين، ولم تستهوهم الفكرة الصهيونية في الغالب.

(2) أولئك الذين اختاروا، على الرغم من التأثير التربوي الفرنسي، إيجاد حل للتحرر اليهودي في الفكرة الصهيونية الحديثة. وهم في معظمهم من الصهاينة المعاصرين الذين نسجوا اتصالات مع العالم الخارجي، وزرعوا تدريجيا أنوية صهيونية صغيرة وديناميكية إلى جانب الصهيونية القديمة، التي دفنت بعمق في قلوب الكثير من اليهود.

(3) بعض خريجي مدارس الرابطة الذين اختاروا، في أوائل وأواسط الخمسينات، التعاون مع الوطنيين المغاربة المسلمين في السعي الحثيث لاستقلال المغرب، والعمل على تحقيق الوحدة الوطنية. ورغم أن هذه المجموعة كانت محدودة التأثير نسبيا، إلا أنها كانت المجموعة الفكرية الأكثر نشاطا التي تسعى إلى الوحدة الوطنية مقارنة

بمجموعات يهودية في أجزاء أخرى من الشتات الإسلامي في ذلك الوقت. ومن بين هذه المدارس الفكرية، ساهمت المجموعة الأولى والثانية في نهاية المطاف في الاتجاه والمصير الذي اختارته الجماعات اليهودية المحلية.

تمكنت النخبة المثقفة اليهودية، التي كانت نتاج التطور الذي شهده التعليم اليهودي في المغرب، من إثبات وجودها في ميادين الإدارة والاقتصاد والصحافة والتعليم، فضلا عن الاهتمام بالواقع السياسي والاجتماعي السائد آنذاك، وهذا الأمر يدفعنا إلى القول بأن الرابطة قد أرست الدعائم المادية لتبلور هذه النخبة.

ومن المفارقات، أنه على الرغم من أن السلطة المنسوبة إلى الرابطة في العشرينات من القرن الماضي كان لها دور مهم في توفير تعليم فرنسي متين لليهود، وفي الوقت نفسه أبقتهم بعيدا عن المدارس المؤسسة من قبل سلطات الحماية لتفادي انسلاخهم عن واقعهم والوسط الذي يحيون به، إلا أن خريجيها انتقلوا إلى المدن الكبرى تدريجيا وبشكل خاص إلى المدن والمناطق الأوروبية المختطة حديثا. وقد نجح الفرنسيون في منع دخول العديد من خريجي مؤسسات الرابطة إلى عالم الامتيازات التي يتمتع بها الأوروبيون في المغرب، من خلال وضع قيود على التوظيف اليهودي في المهام الحكومية، وعلى عملية الحصول على الجنسية الفرنسية. لكنهم لم يستطيعوا الوقوف أمام تحقيق اليهود للنجاح والرقي اقتصاديا واجتماعيا.

إن البرنامج التعليمي الذي تبنته الرابطة يقوم على فلسفة تعليمية استيعابية، تقصي التربية والتعليم الديني اليهودي، الأمر الذي كان من شأنه أن يفقد اليهود هويتهم الروحية بعد سنة 1912. وهذا ما تفطن له أولياء أمور التلاميذ الذين حرصوا على إبقاء أطفالهم مرتبطين بتقاليدهم رغم خضوعهم للتعليم العلماني، حيث حرصوا على توجيه أبناءهم إلى المدارس الحاخامية بعد انتهاء حصصهم الدراسية بمدارس الرابطة لضمان عدم إهمال تعليمهم الديني. على الرغم من تشبثهم بالتعليم العلماني فإن هؤلاء الآباء كانوا يعتقدون أن التعليم الديني لا يقل أهمية عن غيره، لذا قاموا بتسجيل أطفالهم في كلا النوعين من المدارس، والسبب في ذلك لا يرجع إلى رغبة الرابطة في تحجيم دور التعليم الديني لأسباب إيديولوجية فقط، بل إن ضعف جودة التعليم الديني المقدم من طرف

المعلمين الحاخامات كان من بين محفزات هذا التحجيم، و الأمر نفسه عرفته مسألة تعليم اللغة العربية قبل سنة 1955.

من وجهة نظر أخرى، كان للدعم الفرنسي ماليا وسياسيا أثره على السياسة التعليمية للرابطة التي ظلت مستقلة إلى حدود سنة 1912، إذ بعد هذا التاريخ اعتمدت الرابطة بشكل رئيس على الدعم المالي المقدم من قبل فرنسا بفعل ظروف الحرب العالمية الأولى التي ستكلل بعقد اتفاقية أكتوبر 1915، وسيستمر هذا الوضع إلى حدود سنة 1945، حيث تغير الوضع بشكل تدريجي عندما بدأت (JDC) بتغطية جزء هام من نفقات الرابطة ماديا دون استبعاد مقابل له يكمن في فسح مجال أوسع أمام اللغة والدين اليهوديين، وبغض النظر عن الإشراف الفرنسي على المناهج المعتمدة من قبل الرابطة، تمتع المعلمون بقدر كبير من المرونة والحرية فيما يتعلق بالإصلاحات والسياسات التعليمية. ومع ذلك، فمن المرجح أن عدم كفاية الدروس التي تعنى باللغة العبرية والدين اليهودي قبل سنة 1945 كان مرده إلى الضغط والدعم المالي الفرنسي، وإلى توجس قادة الرابطة من أن يتم عزلهم وتهميشهم من قبل الفرنسيين، وهو الأمر الذي جعلت الحركة الصهيونية منه دعاية لصالحها، إذ اتهمت الرابطة بموالاة فرنسا والتفريط في المصالح الحيوية لليهود.

كما اتضح من الدراسة، بأن الرابطة منذ بدايتها كانت تتقاطع في أهدافها مع الحركة الصهيونية التي كانت تعارض فكرة الاندماج، وتدعو إلى العمل على تجميع اليهود في وطن قومي بفلسطين. ولم يتغير الموقف إلا في أواخر الحرب العالمية الثانية، عندما تبنت قيادة الرابطة الشعارات التي تطرحها الحركة الصهيونية في شأن فلسطين.

وحاولت الرابطة تكثيف جهودها فيما يتعلق بتقليص نسبة الفقر بين اليهود، والرقي بهم اجتماعيا من خلال تحديث البنى المهنية، إلا أن مشاكل النمو السكاني السريع خلال أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي، حالت دون تعميم الحرف والمهن الحديثة، وظل جزء كبير من اليهود متمسكا بالمهن التقليدية للآباء والأجداد، مما

حال دون تحسن ظروفهم الاقتصادية، واستمروا في السكن بالملاح سواء في المدن والمراكز الحضرية أم في المناطق النائية، لتجتذب هذه الفئة من قبل مثلي الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية للهجرة نحو إسرائيل.

لقد عملت الرابطة منذ تأسيسها على ترسيخ ما اعتبرته الهدف النبيل، ويقصد به مساعدة الجماعات اليهودية على تخطي حالة الجهل والتخلف حتى تتمكن من الاندماج في المجتمع المحلي دون عناء، وشكلت مدارس الرابطة عاملا حاسما في سحب البساط من تحت أقدام القيادات الدينية اليهودية وحاخاماتها. كما حدت من تأثيرهم الروحي الذي كان يخضع يهود المغرب له، وذلك في الوقت الذي أخذت تأثيرات الثقافة الغربية الأوربية تبعد الشباب اليهودي المتعلم عن التزاماته الدينية. كما أنها عملت على بلورة التيار المستنير الذي كان يناهض التيار الديني التقليدي، مما عزز من قدراتها وساهم في انسلاخ يهود المغرب من "غياهب" الأجواء القاتمة التي وضعتهم فيها المؤسسة الدينية.

وخالص القول أن الدراسة كشفت عن كون مدارس االرابطة أرست دعائم التعليم الحديث في الوسط اليهودي بالمغرب، وكان الطابع الأوربي واضحا في الإجراءات الإدارية والتربوية المتبعة، وقد جعلها هذا الوضع تتميز في مستواها التنظيمي مقارنة بالمدارس العمومية بسبب المتغيرات التي كانت تشهدها السياسة التعليمية لهذه المدارس، واطلاعها على آخر المستجدات التي تطرأ على التعليم في أوروبا، لأن معظم القائمين عليها يتقنون اللغات الأجنبية، كما أنها ساهمت في أن تكون حلقة اتصال بين التعليم الشرقي والغربي.